

أفراهاط
الحَكِيم الفارسيّ

المَقالات

قدّم لها ونقلها إلى العربيّة
الخوري بولس الفغالي



طُبع هذا الكتاب بمساهمة عائلة جرجي نعمة الله عقّاد



أفراهاط
الحكيم الفارسيّ

المقالات

الطبعة الثانية

قدّم لها ونقلها إلى العربيّة
الخوري بولس الفغالي

دار المشرق - بيروت

لا مانع من طبعه

بولس باسيم
النائب الرسوليّ للّاتين
بيروت، ١٦/٥/١٩٩٤

دار المشرق ش م م،
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠
لبنان
http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5223-1

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: (٠١) ٤٨٥٧٩٣
فاكس: (٠١) ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢
Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
Email: libor@cyberia.net.lb

توطئة

أفراهاط أو فرهد، كما يقول الفرس، شخصيّة غامضة المعالم. لقِّب بالحكيم الفارسيّ، ولكنّ حكمته تختلف عن حكمة اليونان، وهو الذي لم يطّلع على عالم اليونان. حكمته تنبع من الكتب المقدّسة التي حفظها، وأورد نصوصها، واستعمل آياتها كبراهين يُقنع بها قارئيه. وآثاره التي كتبت في منتصف القرن الرابع، عبرَت الأجيال، فوصلت إلينا بشكل مقالات روحيّة سوف نحاول قراءتها. ولكن قبل هذا نتعرّف إلى أفراهاط وآثاره وإلى بعضٍ من فكره اللاهوتيّ والروحيّ.

أ - حياته

لا نعرف الشيء الكثير عن حياة أفراهاط وموضع إقامته وتاريخ موته. وقد قال عنه جرجس، أسقف العرب: «لم يعرّفنا قط أين كان، في نصيبين، كما يقال، أم في مكان آخر من تلك البلدان؟ وكل ما يمكننا أن نستشفّه من كتاباته هو أنّه وُلد في مكان ما من بلاد الفرس وفي الديانة المجوسيّة». أمّا القس يعقوب أو-جين منّا فيقول في كتابه المروج النزهيّة: «وُلد أفراهاط في منطقة نينوى».

يبدو أنّ أفراهاط وُلد في جوار دير مار متّاي، ونستخلص ذلك من

محبّته ليونان بن متّاي ولأهل نينوى الدين «صاموا صومًا نقيًّا ولم يتشبّهوا ببني إسرائيل الأشرار». ويظهر أيضًا أنّ أفراهاط كان وثنيًّا وقد قال عن نفسه في المقالة السادسة عشرة عن اليهود: «غاروا منّا، لهذا لم يعودوا يعبدون الأصنام». وقال أيضًا: «منعَنا الله من طريق الوثنيّين والسامريّين ووهب لنا القوّة برحمته».

تنصّر أفراهاط واعتزل العالم فصار متوحّدًا بين المتوحّدين، وصاحب مركز رفيع بفضل خبرته الروحيّة ومعرفته للكتب المقدّسة. ثمّ صار أسقفًا واتّخذ اسم يعقوب. ولهذا خلط الأقدمون بينه وبين يعقوب النصيبينيّ الذي توفّي سنة ٣٣٢، أي قبل أن يبدأ أفراهاط كتابة مقالاته.

متى مات أفراهاط؟ لا شكّ في السنة ٣٤٥ وخلال الاضطهاد الفارسيّ على الكنيسة، وكان شيخًا تقدّم في الأيّام.

ب - مؤلّفاته

ترك لنا أفراهاط في السريانيّة مقالاته، وعددها ثلاث وعشرون مقالة كتبها على ثلاث دفعات. فالمجموعة الأولى المؤلَّفة من عشر مقالات دُوّنت في السنة ٣٣٦/ ٣٣٧ وعنوانها: **الإيمان، المحبّة، الصوم، الصلاة، الحروب، المتنسّكون أو أبناء العهد، التائبون، بعث الموتى، التواضع، الرعاة**. والمجموعة الثانية المؤلَّفة من اثنتي عشرة مقالة دُوّنت في السنة ٣٤٣/ ٣٤٤ وعنوانها: **الختان، الفصح، السبت، البراهين أو رسالة إلى الزمن الحاضر، تمييز الأطعمة، اختيار الشعوب، المسيح ابن الله، تشتّت اليهود الدائم، مساعدة المساكين، الاضطهاد، الموت والأزمنة الأخيرة**. وبدأ مجموعة ثالثة في السنة ٣٤٥ فكتب منها مقالة واحدة وعنوانها: **خصلة العنب**. أمّا موضوعها فمُلخّص لتاريخ الخلاص منذ البدء إلى المسيح.

أين نجد هذه المقالات؟ نجدها في مخطوطات ثلاثة محفوظة في المتحف البريطانيّ. المخطوط الأوّل يعود إلى القرن السادس. والمخطوط الثاني يعود بقسمه الأوّل إلى السنة ٤٧٤، وبقسمه الثاني إلى السنة ٥١٠. أمّا المخطوط الثالث فيعود إلى السنة ١٣٦٤ وهو لا يحتوي إلّا المقالة الثالثة والعشرين.

طُبع النص السريانيّ مرّة أولى في لندن بسعي العالِم رايت. وُطبع مرّة ثانية في باريس بهمّة الأب باريزو البندكتاني. وها نحن ننطلق من ترجمة باريس بتقاسيمها لنقدّم ترجمتنا إلى العربيّة. أمّا العناوين فهي من وضعنا.

ج - إلى مَن تتوجّه المقالات؟

تتضمّن المقالات مواضيع لاهوتيّة ونسكيّة وحياتيّة، ويقف فيها أفراهاط بوجه خصومه يقدّم لهم الحقيقة النابعة من الكتاب المقدّس. لا شكّ في أنّ هناك الغنوصيّين القائلين بمعرفة باطنيّة للأمور الإلهيّة دون الحاجة إلى الوحي الذي وصل إلى الرسل. وهناك المانويّون الذين يعتبرون الخير والشرّ مبدأين أساسيَّين ومتخاصمَين. ولكنّ خصوم أفراهاط الأوّلين هم اليهود الذين يملكون في بلاد الرافدَين وفي أرض فارس مدارس مشهورة، وإليهم يوجّه تسعًا من مقالاته: **الختانة، الفصح، السبت، تمييز الأطعمة، اختيار الشعوب، المسيح ابن الله، البتوليّة، تشتّت اليهود الدائم، الاضطهاد**. يضع أفراهاط أمامه معلّمًا يهوديًّا فيردّ على براهينه البدائيّة وادّعاءاته السخيفة، أو يوجّه كلامه إلى اليهود المستهزئين بالقيَم المسيحيّة، إلى تلك الأمّة البغيضة. من خلال هذه المقالات نستشفّ تأثير اليهود القويّ في المؤمنين الجدد ولا سيّما في السلطة الفارسيّة التي كانت تلاحق المسيحيّين وتضطهدهم بإيعاز من اليهود.

هذه هي الوجهة السلبيّة للمقالات: **مقارعة اليهود**، **ومجادلة الهراطقة** ولا سيّما في المقالة عن **بعث الموتى** وعن **الموت والأزمنة الأخيرة**. وإذا وضعنا جانبًا مقالتين أملَتهما الظروف هما **الحروب والبراهين** أو **رسالة إلى الزمن الحاضر**، تبرز مقالات ذات طابع تعليميّ أو نسكيّ. وهي: **الإيمان**، **المحبّة**، **الصوم**، **الصلاة**، **أبناء العهد أو المتنسّكون**، **التائبون**، **التواضع**، **الرعاة**، **مساعدة الفقراء**، **خصلة العنب**. فهذه المقالات توجّهت إلى أبناء العهد. فمَن هم أبناء العهد؟

ليس أبناءُ العهد، أو بنات العهد، رهبانًا بالمعنى الذي نعرفه اليوم، والنصوص لا تشير إلى الطاعة أو إلى الفقر الإنجيليّ. وليسوا متوحّدين يعيشون في البراري والمغاور بعيدين عن الناس مثل أنطونيوس الكبير. إنّهم نسّاك وعابدون متزهّدون يتميّزون عن سائر المسيحيّين بالتزامات العهد وبالحالة الجديدة التي يعيشون فيها: يمارسون البتوليّة ويعفّون عن الزواج. وهذا الالتزام ينبع من سرّ المعموديّة الذي كانوا يتقبّلونه في عمر متقدّم. فنحن نقرأ في المقالة السابعة: «على وعّاظ الكنيسة... قبل المعموديّة أن يوجّهوا التحريض التالي إلى الذين نذروا نفوسهم للبتوليّة والقداسة (أو العفّة): مَن اختار حالة الزواج فليتزوَّج قبل المعموديّة لئلا يسقط في الجهاد ويُقتل».

ولأبناء العهد أسماء: فهم البتولون والقديسون أي الأعفّاء، وهم المتوحّدون بمعنى أنّهم يعيشون في العالم ولكنهم يعتزلون العالم، وهم الطوباويّون الذين يحدّثهم أفراهاط بهذا الكلام: «أيّها المختارون، هيّئوا أنفسكم. لقد شعّ النور فبدا حلوًا جميلًا، وأُعِدَّت الثياب التي لم تصنعها الأيديّ...».

د - فكر أفراهاط اللاهوتيّ

لا ننتظر أن نجد في مقالات أفراهاط منهجًا لاهوتيًّا منظّمًا. كتب مقالاته بشكل رسائل إلى المتنسّكين فجاء فكره اللاهوتيّ ظرفيًّا. وسنحاول أن ننسّقه ونقدّمه في أُطر مسبقة تساعدنا بعض الشيء على التعرّف إليه.

١ ـ الله واحد وثالوث

قال أفراهاط في مقالته الأولى: ما هو الإيمان؟ أن يؤمن الإنسان بالله، ربِّ كلّ شيء الذي صنع السماء والأرض والبحر وكلّ ما فيها والذي كرَّم صورته. ويحارب الحكيم الفارسيّ مرقيون الذي يرفض أن يعترف بالخالق الصالح، كما يحارب ولَنطينُس الذي يؤكّد أنّ الذين خلقوا الكون عديدون، لا شخص واحد. وسيقول أفراهاط: إنّ فمَ الإنسان لا يقدر أن يسمّي الله، وفكره لا يستطيع أن يتعقّبه. فالإيمان بإله واحد وممارسة الوصايا هما مبدأ الأعمال الصالحة.

خُلق الكون من لا شيء، وخلقه إله واحد. وهنا يرذل أفراهاط تعليم ولَنطينُس القائل بكثرة العناصر الأولى، وتعليم ماني مع مبدأي الشرّ والخير وكأنّهما إلهان مستقلّان.

الله كائن أزليّ وجوهر نفسه. الله كائن لامحدود ولا يدرك، وعظمته لا يُضاهيها شيء. ولكنّنا نعرفه أبًا ولَدَنا وملكًا وربًّا دعانا. الله صالح، فعلينا أن نعبده ونكرمه ونخدمه لأنّه أبونا وخالقنا. إرادته تسند الخلائق وأمره يحفظ في الوجود كلَّ موجود. لا شيء يحدث من دون مشيئته، وحياتنا وموتنا بين يديه، والعوالم وكلّ ما وُجد وسيُوجد هو له. الله يسكن في البشر ومنه ننال المعرفة والنور والحياة.

ويعلن أفراهاط عقيدة الثالوث: «نحن نعرف أنّه يوجد إلهٌ واحد ومسيحٌ واحد وروحٌ واحد وإيمانٌ واحد ومعموديّةٌ واحدة». ويقدّم «المجد

والكرامة للآب ولابنه ولروحه الحيّ القدّوس». ويقول في موضع آخر: «إذا كانت هذه الأسماء الشريفة والكريمة، أسماء الآب والابن والروح القدس، قد دُعيت على رأسك حين قبلت علامة الحياة (أي المعموديّة)، وإذا كان العماد حقيقة وواقعًا، فلا تحلف برأسك».

٢ ـ يسوع المسيح

الابن هو ابنُ الله والله بالذات، ولكنّه يتميّز عن شخص الآب. المسيح هو كلمة الله وصورته، وهو من جوهر الآب. قال أفراهاط للمسيح: «أرسلك الآب إلينا ففصَلك عن جوهره». أجل، الابن مساوٍ للآب منذ الابتداء وهو يشاركه في الطبيعة الإلهيّة وفي سلطانه على البشر. فيجب أن نقدّم له السجود والعبادة وإن كان ذلك لا يرضي اليهود.

كيف يعبّر أفراهاط عن سرّ التجسّد وهو الذي لم يصل إليه نصُّ مجمع نيقية؟ يعلّم أنّ الآب أرسل المسيح ليغلب الشرّير وقوّاته، ليشفي البشر ويدعو الخاطئين، ليحمل إلى الناس السلام والخلاص وليقرّبنا من الله. فيسوع هو ابنُ الله مخلّصنا وقد اختارنا له ودعانا إليه. به عرفنا الآب وبه صرنا له عباداً، صرنا الشعبَ والكنيسةَ والجماعةَ المقدّسة. والكلمة لم يأخذ صورة جسد، بل أخذ جسدًا لحميًّا تكوَّن في أحشاء العذراء مريم وما جاء من السماء. حمل جبرائيل السلام فنزلت الثمرة المباركة وزُرِع الابنُ الحبيب في بطن مريم.

ويعترف أفراهاط بالوحدة في شخص المسيح فيشرح في المقالة السادسة نصوص القدّيس بولس (٢ كور ٨: ٩؛ فل ٢: ٦ ـ ٨)، ويعيد إلى شخص المسيح الوحيد الصفات الإلهيّة والبشريّة. يقول: «إنّ المسيح أخفى طبيعته الإلهيّة خلف بشريّتنا. أخذ ما لنا وأعطانا ما له».

٣ ـ الأسرار

يتحدّث أفراهاط عن سرّ المعموديّة ويربطه بصورٍ مأخوذة من الكتاب المقدّس: بئر يعقوب، معصرة العنب، الأردن، البحر الأحمر، عمل جدعون حين اختار المقاتلين. ويعلن أفراهاط أنّ يسوع أسّس سرّ المعموديّة حين غسل أرجل التلاميذ، وكشف لهم هذا السرّ حالاً قبل صعوده. فالمعموديّة هي الختانة الحقيقيّة والولادة الجديدة وعلامة الحياة. المعموديّة تغسل الخطايا ولهذا تُعطى للبالغين ليلة الفصح بواسطة الكهنة الذين يدعون الروح القدس على المعمَّد. وحين يدعو الكهنة الروح يفتح السماء وينزل ويرفّ على الماء فيلبسه المعمّد كوشاح.

والتثبيت أو المسحة بالزيت يعطى مع المعموديّة. فالزيت يتضمّن علامة سرّ الحياة الذي به يكمَّل المسيحيّون. ويعدّد، أفراهاط السبل التي فيها يُستعمل الزيت المقدّس. يُمسح به الكهنة والملوك والأنبياء، يُمسح به المرضى والتائبون (هنا يحلّ الزيت محلّ الرماد).

ويقرّ أفراهاط أنّ الإفخارستيّا هي جسد ودم المسيح ويورد لنا كلمات التأسيس مستندًا إلى ما تقوله اللتورجيّا: «بعد أن خرج يهوذا من عندهم، أخذ (يسوع) خبزًا وبارك وأعطى تلاميذه وقال لهم: هذا هو جسدي، خذوا كلوا منه كلّكم. ثمّ على الخمر كذلك. باركه وقال لهم: هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُراق من أجل الكثيرين لغفران الخطايا. هكذا تصنعون لذكري عندما تجتمعون».

كان المؤمنون يتقبّلون الإفخارستيا بعد العماد. يتقبّلون الجسد وهم واقفون، يتقبّلونه في أيديهم فيقبّلونه بشفاههم ويضعونه على عيونهم ثمّ في أفواههم.

ويصوّر لنا أفراهاط سرّ التوبة في المقالة السابعة. يشبّه الكهنة بالأطبّاء

الذين أوكل إليهم أن يداووا الجرحى. وعلى الخاطئ أن يريهم جراحه ليقدّموا لها الدواء، ولا يتردّد في أن يقرّ بخطاياه ويتوب عنها. وعلى الكاهن أن ينبّه الخاطئ إلى حالته ويشجّعه. هو لا يكشف ما سمعه في الاعتراف، ولا يترك الخاطئ قبل أن يعطيه دواء التوبة.

ويتكلّم أفراهاط على الكنيسة التي أسّسها المسيح على بطرس، ويوجّه كلامه في المقالة الرابعة عشرة إلى الأساقفة والكهنة والشمامسة، وإلى أبناء الكنيسة وإلى شعب الله فيحرّضهم على الأمانة في الظروف الصعبة التي يجابهون. هنا نصل إلى أبناء العهد الذين يوجّه إليهم الحكيم الفارسيّ مقالاته بصورة خاصّة، وهذا ما يقودنا إلى فكره الروحيّ.

هـ ـ فكر أفراهاط الروحيّ

يدعو أفراهاط المتنسّكين إلى الكمال، والكمال يعني التواضع. أمّا العنصر الأساسيّ في هذا الكمال فهو العفّة والبتوليّة وبهما يتميّز الزاهدون الذين هم أبناء العهد. ولكنّ العفّة والبتوليّة ليستا سبب الكمال، إنّهما شرطٌ للمحبّة ولسكنى الروح في النفس. ويبيّن أفراهاط العلاقة بين المحبّة والبتوليّة فيقدّم شرحًا غريبًا لسفر التكوين ٢: ٢٤ (رج مت ١٩: ٥): «نحن سمعنا من الناموس: يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته ويكونان جسدًا واحدًا». في الحقيقة، هذه النبوءة عظيمة وثمينة. فمَن يترك الأب والأمّ حين يأخذ امرأة؟ إليك المعنى: طالما لم يأخذ الرجل امرأة فهو يحبّ ويكرم الله أباه والروح القدس أمّه، وليس له حبٌّ آخر. وحين يأخذ الرجل امرأة يترك أباه وأمّه المذكورَين أعلاه ويتعلّق عقله بهذا العالم. فكلُّ من عقله وقلبه وفكره مشغول عن الله وموجَّهٌ إلى العالم الذي يحبّه ويعزّه كما يحبّ الرجل امرأة صباه، فحبّه هذا يفصله عن أبيه وأمّه. ويقول الكتاب أيضًا: «يكون الاثنان جسدًا واحدًا». هذه هي الحقيقة. كما أنّ الرجل والمرأة يصيران جسدًا واحدًا وعقلًا واحدًا فيبتعد عقل الإنسان

وفكره عن أمّه وأبيه، هكذا هو الرجل. إن لم يأخذ امرأة يكون وحيدًا، يكون روحًا وعقلاً واحدًا مع أبيه».

أجل إنّ الكمال يقوم بسكنى روح المسيح الذي يناسب المحبّة. وشرط كمال المحبّة العفّة والامتناع عن الزواج.

أمّا أساس البناء كلّه فهو الإيمان، لأنّ الإنسان الذي يصل إلى الإيمان يكون ثابتًا على الصخر الذي هو ربّنا يسوع المسيح. فمن دون الإيمان لا قيمة لأيّ فضيلة، وبالمقابل، فالإيمان من دون الأعمال باطل. والإيمان يسبق المحبّة في الزمن، ولكنّ المحبّة أسمى من الإيمان، أسمى من الشريعة والوصايا، كما أنّ الغاية أسمى من الوسائل. أمّا موضوع المحبّة فهو الأقانيم الإلهيّة الثلاثة: الله الآب الذي يدفع بصلاحه المؤمن إلى التفاؤل. والروح القدس الذي نحزنه بتهاملنا في ممارسة الفضائل التي تزيّن مسكنه. والمسيح يعبّر لنا عن محبّته بأسمائه المتعدّدة ويدعونا إلى أن نبادله الحبَّ بالحبّ.

والمحبّة للقريب هي امتداد محبّتنا لله. يجب على المسيحيّ أن يحبّ جميع البشر لأنّ هذه هي وصيّة المسيح وهذا هو المثال الذي يقدّمه لنا. وعليه أن يحبّ بصورة خاصّة المسيحيّين لأنّهم أعضاء المسيح. وأيّ نقص في هذا المجال، وأيّ حقد وكراهية تفسد سائر الممارسات كالصوم والصلاة. ويدعو أفراهاط المتنسّكين إلى مساعدة المساكين بعمل أيديهم، إن استطاعوا، وإلّا فليحرِّضوا الآخرين على ذلك.

ويدافع أفراهاط عن البتوليّة بوجه اليهود، ويبيّن أنّ حالة البتوليّة أسمى من حالة الزواج. ويمنع النسّاك من أن يسكنوا مع الناسكات، ويدعوهم إلى اليقظة والحذر في أقوالهم وأحاديثهم.

ونتوقّف عند المقالة التاسعة وموضوعها **التواضع أو الوداعة**، والكلمة

السريانيّة تدلّ على المعنيَين. فالتواضع ينبوع حياة حميمة مع الله، ينبوع سلام مع البشر، ينبوع فرح مشرق ومشع. يقول أفراهاط: «كلمة المتواضع عذبة ووجهُه مشرق. هو يضحك ويبدي سروره. يصوم المتواضعون عن كل ما هو شرّ ويبتهج وجههم بصلاح قلبهم. يتكلّم المتواضع وما أجمل ما يقول! تضحك شفتاه ولكن لا يسمع أحد ضحكته. يخاف المتواضع من الخلاف لأنّه يولِّد الحسد. وحين يسمع المتواضع كلمات البغض يُصمّ أذنيه لئلاّ تدخل في قلبه. فكر المتواضع يولِّد كلّ خير وحواسُّ عقله تتأمّل في كلّ صلاح».

إنّ الرذيلة التي تزعج أفراهاط هي قلّة التواضع ولا سيّما في الجماعات الكنسيّة التي يهمّها أن تعرف مَن يكون الأوّل ومَن يمرّ قبل الآخر. لا شيء يبرّر الذين يحاولون التفوّق على الآخرين بقامتهم وعلمهم ومواهبهم ووظائفهم: «أيّها الراعي الذي لا يفهم وظيفته... كيف تعلّم التواضع وأنت متكبّر ومختال ومتعجرف»؟ فالتواضع كالصوم، لا يكون صالحًا إن لم ترافقه نقاوة القلب.

ويقدّم لنا أفراهاط عن الصلاة تعليمًا بعيدًا عمّا تقوله شيعة المصلّين الذين يدعون إلى الصلاة الدائمة وأعمال النسك ويرذلون العمل اليدويّ: «قال الله بالنبيّ: هذه هي الراحة فأريحوا التعب. وهذه هي الرفاهيّة (أش ٢٨: ١٢). أرحِ الله أيّها الإنسان، فلن تحتاج إلى صلاة تقول فيها: إغفر لي. أرح المرهقين، عُدِ المرضى، اهتمَّ بالمساكين. فهذا أيضًا صلاة. وأنا أؤكّد لك، يا عزيزي، أنّه كلّما يُريح الإنسانُ الله يكون عمله صلاة».

ويخاف أفراهاط أن يفهم الزهّاد كلامه على غير معناه فيوضح: «ما كتبت لك، أي حين نعمل إرادة الله يكون عملنا صالحًا، هو صحيح كما يبدو لي. ولكن لأنّي قلت لك هذا فلا تتراخَ عن الصلاة ولا تستسلم إلى الضجر. فقد كتب: صلّوا ولا تملّوا (لو ١٨: ١). فاجتهد في السهر

واطرد عنك ثقل النعاس وكُن يقظًا نهارًا وليلًا، ولا تستسلم إلى اليأس».

وهناك ثلاثة أنواع من الصلاة: الطلب، حين نسأل الله غفران خطايانا؛ والاعتراف، حين نشكر الآب السماويّ؛ والمديح، حين نمجّد الله من أجل أعماله. نطلب في وقت الشدّة ونعترف حين ننال خيرات الله، ونرفع المديح لنعبّر عمّا في نفوسنا من البهجة. ويشدّد أفراهاط أخيرًا على الصلاة النقيّة. فالصلاة تكون نقيّة إن خلت من الخطيئة، ولا سيّما من كل خطيئة ضدّ المحبّة الأخويّة. ويؤكّد في كلامه: «نقاوة القلب صلاة أسمى من كلّ الصلوات التي نتلوها بصوت عال، والصمت المتّحد بضمير صاف يتفوّق على صوت الإنسان الذي يصرخ عاليًا. هذه هي علامة السلام الداخليّ والحياة الحميمة مع الله».

تلك بعض الملاحظات عن أفراهاط، عن فكرة اللاهوتيّ، عن فكره الروحيّ، وكل هدفها أن تساعد القارئ. وها نحن نختفي وراء النص ونترك لك اكتشاف الغنى الذي اكتشفنا بعضه حين تأمّلنا في مقالات الحكيم الفارسيّ.

لائحة أبجديّة بمختصرات الكتاب المقدّس

١ و٢ أخ = سفرا الأخبار الأوّل والثاني
إر = نبوءة إرميا
أس = سفر أستير
أش = نبوءة أشعيا
أع = أعمال الرسل
أف = رسالة بولس إلى أفسس
أم = سفر الأمثال
أي = سفر أيوب
با = نبوءة باروك
١ و٢ بط = رسالتا بطرس الأولى والثانية
تث = التثنية أو تثنية الاشتراع
١ و٢ تس = رسالتا بولس إلى تسالونيكي
تك = سفر التكوين
١ و٢ تم = رسالتا بولس إلى تيموتاوس
تي = رسالة بولس إلى تيطس
جا = سفر الجامعة
حب = نبوءة حبقوق
حج = نبوءة حجّاي
حز = نبوءة حزقيال
حك = سفر الحكمة
خر = سفر الخروج
دا = نبوءة دانيال
را = سفر راعوت
روم = رسالة بولس إلى رومة
رؤ = سفر الرؤيا
زك = نبوءة زكريا
سي = يشوع بن سيراخ
صف = نبوءة صفنيا
١ و٢ صم = سفرا صموئيل الأوّل والثاني
طو = سفر طوبيّا

عا = نبوءة عاموس
عب = الرسالة إلى العبرانيّين
عد = سفر العدد
عز = سفر عزرا
عو = نبوءة عوبديا
غل = رسالة بولس إلى غلاطية
في = رسالة بولس إلى فيلمون
فل = رسالة بولس إلى فيلبي
فلم = رسالة بولس إلى فيلمون
قض = سفر القضاة
كو = رسالة بولس إلى كولسّي
١ و٢ كور = رسالتا بولس الأولى والثانية إلى كورنتوس
لا = سفر اللاويّين أو الأحبار
لو = إنجيل لوقا
مت = إنجيل متّى
مر = إنجيل مرقس
مرا = مراثي إرميا
مز = سفر المزامير
١ و٢ مك = سفرا المكابيّين الأوّل والثاني
١ و٢ مل = سفرا الملوك الأوّل والثاني
ملا = نبوءة ملاخي
مي = نبوءة ميخا
نا = نبوءة ناحوم
نح = سفر نحميا
نش = نشيد الأناشيد
هو = نبوءة هوشع
يش = سفر يشوع بن نون
يع = رسالة القدّيس يعقوب
يو = إنجيل يوحنّا
١ و٢ و٣ يو = رسائل يوحنّا الأولى والثانية والثالثة
يوء = نبوءة يوئيل
يون = نبوءة يونان
يه = سفر يهوديت
يهو = رسالة القدّيس يهوذا
ي = ما يلي من آيات
رج = راجع
آ = آية

رسالة طلب

١ إيّاك أسأل، يا عزيزي، بسبب ضعفي، فلا ترفض سؤالي. هناك أسباب عديدة دفعتني لأكتب إليك حتّى تعلمني[١]. إفتح لي حواسَّ عقلك الروحيّة وبيِّن لي ما أدركت من الكتب المقدّسة ليمتلىء نقصي منك ويشبع جوعي من تعليمك ويبرِّد عطشي من ينبوع علمك. في عقلي أسئلة كثيرة أودّ أن أطرحها عليك. ولكنّني أحتفظ بها إلى أن آتي إليك فتقدّم لي براهينك على كلّ موضوع.

٢ أوّلًا، هناك شيء ضروريّ أريد أن تكتب لي عنه وتعلِمني به: ما هو الإيمان، وما هو أساسه، وعلى أيّ بناء يرتفع وإلى أيّ شيء يستند؟ ما هو كماله وتمامه وأيّة أعمال يفترض؟ أمّا أنا[٢] فإنّي أؤمن إيمانًا ثابتًا بأنّ الله واحد وهو الذي خلق السماء والأرض في البدء، وزيّن العالم بأنظمته وصنع الإنسان على صورته. وهو الذي قَبِل قربان هابيل، ونقل أخنوخ لأنّه أرضاه، وحمى نوحًا من أجل تقواه. واختار إبراهيم من أجل إيمانه، وتكلّم مع موسى بسبب تواضعه، وتكلّم أيضًا مع كلّ الأنبياء، وأرسل أخيرًا مسيحه إلى العالم. كلُّ هذا أؤمن به، يا أخي. ولأجل هذا أطلب إليك، يا أخي، أن تكتب

إليّ وتبيّن لي الأعمال التي يفرضها إيماني، فتريحني.

الحواشي

(١) مقدّمة رسالة الطلب ضاعت في المخطوطات السريانيّة فقرأناها في الأرمنيّة مستعينين بذوي الاختصاص. هذه المقدّمة يوجّهها أرستاكيس إلى يعقوب النصيبينيّ. أمّا أرستاكيس فهو ابن غريغوريوس المنوَّر ورسول أرمينيا. رسم ليونسيوسُ البيزنطيُّ غريغوريوس أسقفًا، فرسم بدوره ولديه أرستاكيس وأوهرتاكيس أسقفين.

(٢) هذا هو فعل إيمان كاتب الرسالة. وسيجيب أفراهاط بفعل إيمانه في ١: ١٩ ـ ٢٠.

في الإيمان

المعلّم والتلميذ

١ تسلّمت رسالتك، يا عزيزي، وحين قرأتُها فرحتُ لأنّك سلّمتَ فكرك إلى هذه الأبحاث. وإليك جوابًا عن السؤال الذي طرحتَه عليّ: «مجّانًا أخذتم، مجّانًا أعطوا» (مت ١٠ : ٨). ومَن له شيء وأراد أن يمنعه عمَّن يطلبه، فهذا الشيء الذي يمنعه يؤخذ منه» (مت ٢٥ : ٢٩). فمَن أخذ بطريقة مجّانيّة وجب عليه أن يُعطي بطريقة مجّانيّة. وأنت، يا عزيزي سألتَني، وأنا أكتب إليك حسب ما أدركَتهُ حقارتي. وأسأل الله أيضًا أن يعطيني فأعلمك ما لم تسألني. فيا عزيزي، افتح لي عيون قلبك الداخليّة وحواسَّ عقلك الروحانيّة واسمع ما أقوله لك.

الإيمان بناء

٢ يتكوّن الإيمان من أمور عديدة ويتزيّن بألوان كثيرة. وهو يشبه بنيانًا بُني بموادَّ متعدّدة فارتفع إلى العلاء. واعلم، يا عزيزي، أنّ الحجارة توضع في أساس البنيان، وفوق الحجارة[1] يرتفع البناء كلّه حتّى يتمّ. هذا ما نقول عن إيماننا كلّه. أساسه صخر ثابت هو سيّدنا يسوع المسيح، وبنيانه لا تزعزعه الأمواج ولا تؤذيه الرياح ولا تسقطه

العواصف لأنّه ارتفع فوق صخر وحجر ثابت. وإن أنا سمّيتُ المسيح صخرًا، فهذه التسمية لم تأتِ من عندي. فالأنبياء سبقوا وأعلنوه صخرًا وها أنا أبيّن لك ذلك.

بناء كامل

٣ والآن، فاسمع عن البناء الذي وُضع على الصخر وعن البناء الذي ارتفع فوق الصخر. فالإنسان يؤمن أوّلًا، وعندما يؤمن يحبّ، وعندما يحبّ يرجو، وعندما يرجو يتبرّر، وعندما يتبرّر يصل إلى الكمال، وعندما يصل إلى الكمال يصير تامًّا. وبعد أن يرتفع البناء كلّه ويكتمل ويتمّ، يصبح الهيكل والبيت مسكنًا للمسيح كما قال إرميا النبيّ: «هيكلُ الربّ، هيكلُ الربّ. أنتم هيكلُ الربّ إن أصلحتم طرقكم وأعمالكم» (٧: ٤ـ ٥). وقال الربّ أيضًا بواسطة نبيّه: «أسكنُ فيهم وأسير في ما بينهم» (لا ٢٦: ١٢؛ ١ كور ٣: ١٦؛ ٢ كور ٦: ١٦). ولقد تكلّم الرسول الفاضل هكذا: «أنتم هيكل الله وروح المسيح يسكن فيكم» (١ كور ٣: ١٦؛ ٢ كور ٦: ١٦). وقال ربّنا لتلاميذه أيضًا: «أنتم تكونون فيّ وأنا أكون فيكم» (يو ١٤: ٢٠)

٤ وبعد أن يصير البيت مسكنًا، يهتمّ الرجل بما يطلبه ذاك الساكن في البناء. فإن حلّ فيه ملكٌ أو رجلٌ شريف، سُمِّي باسم الملك. حينئذ يُطلَب للملك كلّ ما يُصنع للملك وكلّ خدمة تليق بمقام الملك. فالملك لا ينزل ولا يسكن في بيت خالٍ من كلّ خير، بل يطلب أن يزيَّن البيتُ فلا ينقصه شيء. وإن نقص شيء في بيت نزل فيه الملك، يسلّم حارسُ ذلك البيت إلى الموت لأنّه لم يتقن خدمة الملك. وهذه حالة الإنسان الذي صار بيتًا ومسكنًا للمسيح. فلينظر إلى ما يوافق خدمة المسيح الذي يحلّ فيه وليرَ أيّة أمورٍ تسرّه. يبدأ أوّلًا فيجعل بناءَه على الصخر الذي هو المسيح. وعلى هذا الصخر يوضع

الإيمان، وعلى الإيمان يرتفع البنيان كلّه. ويُطلب صوم نقيّ ليصبح البيت عامرًا فيقوم الصوم بالإيمان، وتُطلب صلاة نقيّة فتُقبل الصلاة بالإيمان. ويلزمه حبٌّ فيتركّب الحبّ بالإيمان (أف ٤: ١٦)، ويحتاج إلى الصدقة فتعطى له بالإيمان، ويسأل التواضع فيزيّن التواضع بالإيمان، ويختار له البتوليّة فتصبح محبَّبةً بالإيمان، ويتعلّق بالقداسة[٢] فتنتصب بالإيمان، ويرنو إلى الحكمة فيجدها بالإيمان. ويطلب له أيضًا فضيلة الضيافة فتكثر له بالإيمان، ويطلب البساطة فتمتزج بالإيمان، ويطلب الصبر فيكتمل بالإيمان ويتأمّل في الحِلم فيقتنيه بالإيمان. ويحبّ النسك فيراه بالإيمان، ويطلب الطهارة فيحافظ عليها بالإيمان. كلّ هذه الأمور يطلبها الإيمان الراكز على الصخر الحقيقيّ الذي هو المسيح. وهذه الأعمال تليق بالملك المسيح الذي يسكن في بني البشر المبنيّين بهذه الأعمال.

سؤال من الكتاب

٥ ولكنّك تقول: إذا وُضع المسيح في الأساس فكيف يقيم أيضًا في البناء حين يتمّ؟ ولكنّ الرسول الفاضل تكلّم على هذين الأمرين فقال: «أنا وضعتُ الأساس كبنّاء حكيم» (١ كور ٣: ١٠). وحدّد الأساس وأبرزه فقال: «لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا غير الذي وُضع والذي هو يسوع المسيح» (١ كور ٣: ١١). وقولنا إنّ المسيح يسكن في بناء، نأخذه من كلمة جاءت من العلاء فكتبها إرميا: دعا البشر هياكل يقيم الله فيها. ويقول الرسول: «روح المسيح يسكن فيكم» (١ كور ٣: ١٦). وقال ربّنا: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠) وهكذا تتمّ الكلمة التي تقول إنّ المسيح يسكن في البشر الذين يؤمنون به، وإنّه الأساس الذي يرتفع فوقه البنيان كلّه.

٦ وأعود الآن إلى كلمتي الأولى حيث قلت إنّ المسيح دعي حجرًا في

الأنبياء. فمنذ القديم قال عنه داود: «الحجر الذي رذله البنّاؤون صار رأس البناء» (مز ١١٨ : ٢٢). وكيف رذل البنّاؤون هذا الحجر الذي هو المسيح؟ رذلوه أمام بيلاطس وقالوا: «لا يكن هذا ملكًا علينا» (لو ١٩ : ١٣ـ ١٤). ولهذا رذلوا الحجر الذي هو المسيح. وكيف صار الحجر رأس البنيان؟ حين ارتفع على بناء الأمم وارتفع عليه كلّ بنائهم. ومَن هم البنّاؤون؟ هم الكهنة والفرّيسيّون الذين لم يبنوا بناءً متينًا، بل هَدموا بقوّة ما بناه هو، كما كُتب في حزقيال النبيّ: «هو يبني حائطًا وهم يليّنونه لكي يسقط» (١٣ : ١٠). وكُتب أيضًا: «طلبتُ من بينهم رجلًا يسيِّج سياجًا ويقف في الثغرة أمام الأرض لكي لا أخربها، فلم أجد» (حز ٢٢ : ٣٠). وتنبّأ أشعيا في السابق على هذا الحجر فقال: «ها أنا واضع في صهيون حجرًا مختارًا، في زاوية كريمة، رأسَ حائط الأساس» (٢٨ : ١٦). وقال أيضًا هنا: «كلُّ مَن يؤمن به لن يخاف. مَن يسقط على هذا الحجر[٣] يتحطّم ومَن يسقط هو عليه يسحقه» (مت ٢١ : ٤٤). سقط عليه شعب إسرائيل فتحطّموا إلى الأبد. وسقط الصخر أيضًا على التمثال (دا ٢ : ٣٤) فسحقه. وآمن به الأمم فما خافوا.

٧ وبيّن أنّ الحجر وُضع كرأس الحائط وكالأساس. فإن كان الحجر أساسًا فكيف يكون أيضًا رأس الحائط؟ حين جاء ربّنا جعل إيمانه في الأرض بشكل أساس، وصعد فوق كلّ السماوات على مثال رأس الحائط، وكمَّل البنيان كلّه بالحجارة السفلى والحجارة العليا. ومن الإيمان الذي قلت فيه: وضع إيمانه في الأرض، هذا الإيمان أعلنه داود عن المسيح فقال: «الإيمان ينبت من الأرض». وعمّا في الأعالي قال: «البرّ من السماء يشرق» (مز ٨ : ١٢)

٨ وتكلّم دانيال عن هذا الحجر الذي هو المسيح فقال: «قُطع حجر من

الجبل بغير يدَين، وضَرب التمثال فامتلأت منه الأرض كلّها» (٢: ٣٤: ٣٥). بهذا الكلام دلّ على المسيح الذي تمتلىء منه الأرض. فمن إيمان المسيح امتلأت كلّ أقاصي الأرض كما قال داود: «في كلّ الأرض خرجت كلمة إنجيل» المسيح (مز ١٩: ٥). وحين أرسل يسوع التلاميذ قال لهم: «إذهبوا وعلّموا جميع الأمم فيؤمنوا بي» (موت ٢٨: ١٩). وتنبّأ زكريّا أيضًا عن هذا الحجر الذي هو المسيح، قال: «رأيت الحجر الرئيسيّ، حجر العدالة والمحبّة» (٤: ٧). ولماذا قال «الرئيسيّ»؟ لأنّه من البدء لدى أبيه. وتكلّم على المحبّة، لأنّه جاء إلى العالم فحدَّث تلاميذه هكذا: «هذه هي وصيّتي أن يحبَّ بعضكم بعضًا» (يو ١٥: ١٢). وقال أيضًا: «دعَوتُكم أحبّائي» (يو ١٥: ١٥). وقال الرسول الفاضل: «أظهر الله محبّته لنا في حبّ ابنه» (أف ٢: ٤ـ ٥). «حقًّا أحبّنا المسيح، وأسلم ذاته من أجلنا» (أف ٥: ٢).

٩ وحدّد النبيُّ هذا الحجر وأبرزه: «ها أنا فاتحٌ سبع عيون على هذا الحجر» (زك ٣: ٩). فما هي هذه العيون السبع المفتوحة على هذا الحجر؟ هي روح الله الذي حلّ على المسيح في سبع وظائف، كما قال أشعيا النبيّ: «يرتاح ويحلّ عليه روح الله، روح الحكمة والفهم والمشورة والقوّة والمعرفة وخوف الربّ» (١١: ١ـ ٢). هذه هي العيون السبع المفتوحة على الحجر، وهذه هي عيون الربّ السبع التي تنظر إلى كلّ الأرض (زك ٤: ١٠).

المسيح نور وكلمة

١٠ وقيلت هذه الكلمة عن المسيح. قال الكتاب إنّ النور أُعطي لكلّ الأمم، كما قال أشعيا النبيّ: «أعطيتُ النورَ لكلّ الأمم ليصل خلاصي إلى أقاصي الأرض» (٤٩: ٦). وقال داود أيضًا: «كلمتُكَ

سراجٌ لرجلي ونورٌ لسبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥). وكلمة الربّ المسيح وقوله هو كما كُتب في بدء إنجيل محيينا: «في البدء كان الكلمة» (يو ١: ١). وعلى النور شهد: «أضاء النور في الظلمة، والظلمةُ ما أدركته» (يو ١: ٥). فماذا يعني هذا: أضاء النور في الظلمة والظلمة ما أدركته؟ يعني يسوع الذي أضاء بنوره وسط شعب بيت إسرائيل، أمّا شعب بيت إسرائيل فلم يدرك نور المسيح إذ لم يؤمن به كما كُتب: «جاء إلى خاصّته، وخاصّته لم تقبله» (يو ١: ١١). والربُّ يسوع سمّاهم أيضًا الظلمة. قال لتلاميذه: «ما أقوله لكم في الظلمة، قولوه أنتم في النور» (مت ١٠: ٢٧) «ليضيء نورُكم وسط الشعوب» (مت ٥: ١٦)، لأنّ هؤلاء قبلوا نور المسيح الذي هو نور الأمم. وقال أيضًا لتلاميذه: «أنتم نور العالم» (يو ١٢: ٣٦). وقال أيضًا: «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢). وقال أيضًا: «ليس أحدٌ يضيء سراجًا ويضعه تحت المكيال أو تحت السرير، أو يضعه في مكان خفيّ بل يضعه على منارة ليرى كلُّ إنسان نور السراج» (رج مت ٥: ٥؛ مر ٢١٠٤؛ لو ٨: ١٦). والسراج المنير هو المسيح كما قال داود: «كلمتك سراج لرجلي ونور لسبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥).

إستطراد عن اليهود

١١ وقال النبيّ هوشع: «أضيئوا لكم سراجًا واطلبوا الربّ» (١٠: ١٢). وقال ربّنا يسوع المسيح: «أيّة امرأة لها عشرة دراهم وأضاعت واحدًا منها، لا تضيء السراج وتفتّش البيت وتطلب درهمها الذي أضاعته» (لو ١٥: ٨)؟ مَن هي هذه المرأة؟ هي جماعة بيت إسرائيل. أعطي لهم عشر وصايا فأضاعوا الوصيّة الأولى. وقد حذَّرهم الربُّ حين قال: «أنا هو الربّ إلهكم الذي أصعدكم من أرض مصر» (خر ٢٠: ٢٢). وحين أضاعوا الوصيّة الأولى ما استطاعوا أن يحفظوا الوصايا

التسع التي بعدها، لأنّ الوصايا التسع ترتبط بالوصيّة الأولى. كيف يمكن لمَن يسجد لبعل أن يحفظ الوصايا التسع؟ إذن، أضاعوا الوصيّة الأولى على مثال المرأة التي أضاعت درهمًا من عشرة دراهم. وهتف فيهم النبيّ: «أنيروا السراج واطلبوا الربّ» (هو ١٠: ١٢). وقال النبيّ أشعيا أيضًا: «أطلبوا الربّ، وحين تجدونه أُدعوه. وحين يقترب، ليتركِ الخاطئُ طريقه ورجلُ الشرّ أفكارَه» (٥٥: ٦ـ ٧). ضاء السراج وهم لم يطلبوا به الربّ. ضاء نوره في الظلمة والظلمة لم تُدركه (يو ١: ٥). وارتفع السراج على المنارة، ولكنّ الذين في داخل البيت لم يروا نوره. وماذا يعني حين يقول إنّ السراج ارتفع على المنارة؟ يعني صعودَه على الصليب، وبهذا أظلم البيتُ كلّه عليهم. فحين صلبوه أظلم النور بالنسبة إليهم وأضاء بين الأمم. فمنذ الساعة السادسة التي صلبوه فيها، إلى الساعة التاسعة[٤]، كانت الظلمة على كلّ أرض إسرائيل. غابت الشمس وقت الظهر وأظلمت الأرضُ في يوم منير كما كتب في زكريّا النبيّ: «يكون في ذلك اليوم، يقول الربّ، إنّي أغيّب الشمس وقت الظهر وأجعل الظلام على الأرض في يوم منير» (١٤: ٦ـ ٧؛ رج عا ٨: ٩).

الدينونة بالنار

١٢ وأعود الآن إلى كلمتي الأولى عن الإيمان الذي عليه ترتفع كلُّ أعمال البناء الصالحة. وما قلته عن البناء لم يكن قولاً جديدًا. فالرسول الفاضل كتب في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس: «أنا كبنَّاء حكيم وضعت الأساس وكلٌّ يبني عليه. . .» (٣: ١٠، ١٢ـ ١٣). هناك مَن يبني فضّة وذهبًا وحجارة كريمة. وهناك مَن يبني قصبًا وقشًّا وعشبًا. وفي اليوم الأخير يُختبر البناءُ بالنار. فالذهب والفضّة والحجارة الكريمة تُحفظ وسط النار لأنّها تشكّل بناءً متينًا. أمّا العشب والقصب

والقشّ فتتسلّط عليها النار وتحرقها. وما هو الذهب والفضّة والحجارة الكريمة التي يرتفع عليها البناء؟ إنّها أعمال الإيمان الصالحة التي تُحفظ وسط النار لأنّ المسيح يسكن في البناء المتين وهو يحفظه من النار. لنرَ ونفهم من هذا التشبيه الذي أعطانا إيّاه الله في هذا العالم، ولتحلَّ علينا مواعيدُ ذلك العالم الآتي. ولنكسب الفهم من هؤلاء الأبرار الثلاثة الذين سقطوا وسط النار فلم تُحرقهم. فالنار لم تتسلّط على حنانيا وعزريا وميشائيل، لأنّهم بنوا بناءً متينًا وازدروا بوصيّة نبوكد نصر الملك ولم يسجدوا للتمثال الذي صنعه. أمّا الذين تجاوزوا وصيّة الله، فالنار تسلّطت عليهم سريعًا واشتعلت فيهم وأحرقتهم من دون شفقة. إحترق أهل سدوم مثل العشب والقصب والقش، واحترق أيضًا ناداب وأبيهو اللذان تجاوزا وصيّة الملك. واحترق أيضًا مئتان وخمسون رجلًا قدّموا البخور، واحترق أيضًا رئيسان ومئة رجل معهم، لأنّهم اقتربوا من جبلٍ جلس عليه إيليّا الذي صعد إلى السماء في مركبة النار. واحترق أيضًا النمّامون الذين حفروا حفرة للرجال الأبرار. لهذا، يا عزيزي، يُختبر الأبرار في النار كالذهب والفضّة والحجارة الكريمة، ويشتعل الأشرار في النار كالعشب والقصب والقشّ. تتسلّط عليهم النار فتحرقهم كما قال أشعيا: «الربّ يدين بالنار ويختبر كلَّ بشر» (٦٦ : ١٦). ويقول أيضًا: «تخرجون وترون جثث الرجال الذين عَصوني، لأنّ دودهم لا يموت ونارَهم لا تُطفأ فيعمّ الذهل كلّ البشر» (أش ٦٦ : ٢٤).

من العهد القديم

١٣ وشرح لنا الرسول ما يتعلّق بهذا البناء وهذا الأساس فقال: «لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا آخر غيرَ الموضوع وهو يسوع المسيح» (١ كور ٣ : ١١). وتكلّم الرسول أيضًا على الإيمان الممزوج بالرجاء

والمحبّة فقال: «الباقية هي ثلاثة، الإيمان والرجاء والمحبّة» (١ كور ١٣: ١٣). وبيّن أوّلًا أنّ الإيمان يرتكز على أساس متين.

١٤ قُبل قربان هابيل بسبب إيمانه، وانتُزع أخنوخ من الموت لأنّه أرضى الربّ، وحُفظ نوح من الطوفان لأنّه آمن. وتبارك إبراهيم فحُسب له إيمانه برًّا. وحصل إسحق على المحبّة لأنّه آمن، وحُفظ يعقوب بسبب إيمانه، وجُرّب يوسف في مياه الخصومة ونجا من التجربة بسبب إيمانه، وجعل فيه ربُّه شهادةً كما قال داود: «وضع شهادة في يوسف» (مز ٨١: ٦). وصنع موسى كثيرًا من الآيات المذهلة بإيمانه، وبإيمانه أفنى المصريّين بعشر ضربات، وبإيمانه فلق البحر وأجاز شعبه وغرّق المصريّين في داخله. وبإيمانه أنزل المنَّ وأشبع شعبه، وبإيمانه رفع يديه وانتصر على عماليق كما كُتب: «ظلّت يداه ثابتتين بإيمان حتّى غروب الشمس» (خر ١٧: ٢). وبالإيمان صعد جبل سيناء، وصام مرّتين أربعين يومًا، وبالإيمان تغلّب على سيحون وعوج ملكَي الأموريّين.

بحر سوف(٥)

١٥ فيا عزيزي، مذهلة وعظيمة هي المعجزة التي صنعها موسى في بحر سوف، حين **انشقّت** المياه بالإيمان، ووقفت كجبال عالية أو صخور قاسية. أُمسكت، فوقفت بأمر موسى واجتمعت كما في زقّ، وحُبست في الأعالي وفي الأعماق فلم تتجاوز بطراوتها الحدود، وغيّرت طبيعتها المخلوقة وصارت طائعة، وهي خليقة غير عاقلة. علقت الأمواج وانتظرت أن يعبر الشعب لتُعاقب المصريّين، ذهلت المياه العواصف وانتظرت أمر موسى لتعاقب المصريّين. وانكشفت أسس الأجيال الأبديّة، وما كان رطبًا في البدء تحوّل فجأةً إلى يباس. ورفعت الأبواب رؤوسها وارتفعت الأبواب الأزليّة (مز ٢٤: ٧،

٩)، ودخل عمود النار وأنار المخيّم كلّه وعبر الشعب بإيمان، وأصاب الحكمُ العادلُ فرعونَ وجيشَه ومركباته.

يشوع، إيليّا، أليشاع

١٦ وهكذا فعل يشوع بن نون أيضًا. شقّ الأردنّ بإيمانه فعبر بنو إسرائيل كما في أيّام موسى. إعرف، يا عزيزي، أنّ معبر الأردنّ انشقّ ثلاث مرّات، مرّة أولى بواسطة يشوع بن نون، ومرّة ثانية بواسطة أيليّا، وبعد هذا بواسطة أليشاع. تعلّمنا كلمةُ الكتاب أنّ إيليّا صعد إلى السماء هناك تجاه معبر أريحا. وحين عاد أليشاع شقّ الأردنّ وعبر. حينئذ خرج بنو الأنبياء في أريحا للقاء أليشاع وقالوا: «حلّ روح إيليّا على أليشاع» (٢ مل ٢: ٨ـ ١٥). وحين عبر الشعب في أيّام يشوع بن نون قال الكتاب: «عبر الشعب تجاه أريحا» (يش ٣: ١٧). بالإيمان أنزل يشوعُ بن نون أسوار أريحا فسقطت من دون تعب. وبإيمانه حارب واحدًا وثلاثين ملكًا وأورث الأرض لبنيّ إسرائيل. وبإيمانه مدّ يديه إلى السماء وأوقف الشمس في جبعون والقمر في وادي إيلون (يش ١٠: ١٣)، فوقفا وثبتا في مدارَيهما. وبالاختصار، فكلّ آبائنا الأبرار تمجّدوا في كلّ ما عملوه بإيمان، كما يشهد عليهم كلّهم الرسول الفاضل: «بالإيمان تغلبوا» (عب ١١: ٣٣). وقال سليمان: «رجالٌ كثيرون يُدعَون رحماء والرجلُ الأمين مَن يجده؟» (أم ٢٠: ٦). وقال أيّوب: «لا يبتعد عنّي الكمال، وببرّي أقف ثابتًا» (٢٧: ٥ـ ٦).

معجزات يسوع

١٧ وكلّ مَن اقترب من محيينا طالبًا نعمة الشفاء قال له: «ليكن لك بحسب إيمانك» (مت ٩: ٢٩؛ رج مر ٥: ٣٤؛ لو ٧: ٥٠). وحين اقترب

منه الأعمى قال له: «هل تؤمن إنّني قادر أن أشفيك؟». أجابه ذلك الأعمى: «نعم، يا ربّ، أنا أؤمن» (مت ٩: ٢٨)، ففتح إيمانُه عينيه. وقال يسوع للذي كان ابنُه مريضًا: «آمِن فيحيا ابنك». فأجابه: «أنا أؤمن يا ربّ، فأعِن قلّة إيماني» (مر ٩: ٢٢ـ٢٦)، وبإيمانه شُفي ابنه. وكذلك عبدُ الملك[٦]. إقترب الملك منه وبإيمانه شُفي فتاه حين قال لربّنا: «قل كلمة فيشفى فتاي» (مت ٨: ٨، ١٠). وتعجّب الربّ من إيمانه، وكان له بحسب إيمانه. وطلب منه رئيس المجمع من أجل ابنته فكلّمه هكذا: «آمن فقط فتحيا ابنتك» (مر ٥: ٢٣، ٣٦). فآمن، فعادت ابنته إلى الحياة وقامت. وحين مات لعازر قال ربّنا لمرتا: «إن آمنت قام أخوك». قالت له مرتا: «نعم، يا ربّ، أنا أؤمن» (يو ١١: ٢٣، ٢٧)، وأقامه بعد أربعة أيّام من موته. وسمعانُ الذي دعي كيفا سمّي الصخر المتين بسبب إيمانه (مت ١٦: ١٨). وحين وهب ربُّنا لرسله سرَّ المعموديّة قال لهم: «مَن يؤمن ويعتمد يخلص ومَن لا يؤمن يدان» (مر ١٦: ١٦). وقال لرسله أيضًا: «إن آمنتم ولم تشكّوا، ليس من شيء إلّا وتقدرون أن تفعلوه» (مت ٢١: ٢٢). وحين سار ربُّنا على الأمواج، سار معه سمعان أيضًا. ولمّا شكَّ في إيمانه وبدأ يغرق، سمّاه ربُّنا «قليل الإيمان» (مت ١٤: ٣١). وحين سأل الرسلَ ربَّنا، لم يطلبوا منه شيئًا، بل قالوا له: «زدنا إيمانًا». قال لهم: «إن كان فيكم إيمان تحرّكون الجبال من أمامكم» (لو ١٧: ٥؛ مت ١٧: ١٩؛ ٢١: ٢١). وقال لهم: «لا تشكّوا فتغرقوا في العالم مثلَ سمعان الذي شكَّ فبدأ يغرق في البحر» (رح مت ١٤: ٢٧ـ ٣١؛ ٢١: ٢١) وقال ربُّنا أيضًا: «هذه الآية تكون للذين يؤمنون: يتكلّمون بلغات جديدة، ويُخرجون الشياطين، ويضعون أيديهم على المرضى فيُشفَون» (مر ١٦: ١٧ـ ١٨).

عجائب الإيمان

١٨ فلنقترب، يا عزيزي، من الإيمان لأنَّ عجائبه كثيرة. الإيمان أصعد إلى السماء وسيطر على الأمواج وأولد العاقر ونجّى من السيف وأصعد من الجبّ وأغنى الفقراء وحلّ الأسرى وخلّص المضطهدين وأطفأ النار وشقّ البحر وزعزع الصخر وأسقى المياه للعطاش وأشبع الجياع وأحيا الموتى وأصعد من الجحيم، وأسكت الأمواج وشفى المرضى وقهر الجيوش وهدم الأسوار وسدّ أفواه الأسود وأخمد لهيب النار، وحطّ المتكبّرين وأوصل المتواضعين إلى المجد (رج عب ١١؛ ٣٣ ي). كلّ هذه المعجزات تتمّ بواسطة الإيمان.

١٩ هذا هو الإيمان. يؤمن الإنسان بإله سيّد الكلّ خلقَ السماءَ والأرض والبحار وكلَّ ما فيها. صنع الإيمان على صورته ووهب الشريعة لموسى وأرسل روحه في الأنبياء وأرسل مسيحه أيضًا إلى العالم لكي يؤمن الإنسانُ بقيامة الموتى، ويؤمن أيضًا بسرّ المعموديّة. هذا هو إيمان كنيسة الله. وهكذا ينجو الإنسان من حفظ الساعات والسبوت والشهور والأوقات (رج كو ٢: ١٦) والقدَر والفأل والعِرافة والرُّقية، ويمتنع عن الزنى وأمور الجسد والتعاليم الفارغة التي هي أداةٌ بيد الشيطان، ومن الانخداع بالكلام المعسول (رج روم ١٦: ١٨). هذه هي أعمال الإيمان الموضوع على المسيح، صخر الحقّ، الذي يرتفع عليه البنيان كلُّه.

٢٠ وفي الكتب المقدّسة أمور كثيرة عن الإيمان، يا عزيزي. وهذا قليل من كثير كتبتُه وسلّمتُه إلى محبّتك لتعرف وتعلّم وتؤمن وتكون سبب إيمان. وحين تقرأ وتتعلّم أعمال الإيمان تشبه هذه الأرض المفلوحة التي نزل عليها الزرع الجيّد فأعطت ثمارًا، الواحد مئة وستّين وثلاثين. وعندما تذهب إلى ربّك يدعوك عبدًا صالحًا ومجتهدًا وأمينًا

دخل بسبب إيمانه الكبير ملكوتَ ربّه (مت ٢٥ : ٢١، ٢٣؛ لو ١٩ : ١٧).

تمّت المقالة في الإيمان

الحواشي

(١) لم يكن الصخر متوفّرًا. فكانوا يضعون الصخور في الأساس ثمّ يبنون الجدران باللبن.
(٢) أي بالعفّة.
(٣) يستعمل أفراهاط كلمة **الصخر** وكلمة **الحجر** في المعنى ذاته.
(٤) الساعة السادسة أي الظهر؛ الساعة التاسعة أي الثالثة بعد الظهر.
(٥) بحر سوف أو بحر القلزم (رج خر ١٠ : ١٩؛ ١٥ : ٢٢؛ ٢٣ : ٣١).
(٦) يريد أن يقول قائد المئة، حسبما ورد في الإنجيل المقدّس.

في المحبّة

الشريعة والأنبياء

١ من الواضح، يا عزيزي، أنّ الشريعة كلّها وكلام الأنبياء ترتبط بوصيّتين تحدّث عنهما مخلّصنا، بحيث إنّ مَن لا يطيع لا تُقنعه الشريعة والأنبياء (لو ١٦ : ٣١). قال مخلّصنا: «بهاتين الوصيّتين تتعلّق الشريعة والأنبياء. فيحبُّ الإنسان الربَّ إلٰهه من كلِّ نفسه ومن كلِّ قوّته ومن كلِّ إمكاناته، ويحبُّ قريبه كنفسه» (مت ٢٢ : ٣٧).

شريعة الحبّ وشريعة البرّ

٢ وإذا أردتَ أن تتبحّر في هاتين الوصيّتين اللتين بهما ترتبط قوّة الشريعة والأنبياء فافهم هذا: إذا كانت الوصيّتان اللتان تتعلّق بهما قوّة الشريعة والأنبياء كلُّها، مرتكزتين في قلب البشر وعقلهم فلا حاجة أن تُكتب الشريعة والأنبياء كما كُتب: «لم توضع الشريعة للأبرار بل للأشرار» (١ تم ١ : ٩). إذن، وُضعت الشريعة من أجل الخطأة. وإذا كان البرُّ موجودًا عند بني البشر، فلا حاجة إلى الشريعة. وبالمقابل، إذا لم يكن هناك من شريعة، فقوّة الله لا تُعرف في كلّ جيل بواسطة العجائب التي أظهرها. حين تجاوز بيتُ آدم الخطيئة تقرّر الموت في العالم. وتبدو قوّة الله حين بقوم جميع البشر في نهاية الزمن الذي فيه

يُنتزع سلطانُ الموت. ومن أجل الأشرار في أيّام نوح ظهرت قدرةُ الله في مياه الطوفان. وإبراهيم الذي حفظ البرَّ الذي بالناموس يوم لم يكن وُضع الناموس، ظهرت فيه قوّة الله بواسطة البرّ حين أعاد المسبيّين بقوّة إلٰهه ولم يمدَّ يده إلى غنيمة. وقال له الله بعد ذاك اليوم: «أجركَ سيكون كثيرًا في برّك» (تك ١٥ : ١). وهذا الذي لم يوضع له ناموس، أظهر أعمال الناموس ولم يكن برّه بحاجة إلى الناموس. وهكذا نقول أيضًا عن إسحٰق ابنه وعن يعقوب: لم يكونا بحاجة إلى ناموس يوضع لهما لبرارتهما، لأنّ أباهما أمرَهما أن يصنعا البرّ والعدل كما كتب. قال الربُّ عن إبراهيم: «أعرف إنّه سيأمر بنيه من بعده فيحفظون كلّ وصاياي» (تك ١٨ : ١٩). ويوسف أيضًا حفظ البرّ الذي بالناموس فلم يسمع لسيّدته. قال: «كيف أصنع هذا الشرَّ العظيم وأخطأ إلى الله؟» (تك ٣٩ : ٩). وموسى حفظ البرَّ الذي بالناموس حين رفض أن يُسمَّى ابنًا لابنة فرعون (عب ١١ : ٢٤). من أجل هذا أهّله الله لكي يعطي بيده الشريعة لشعبه. كلّ هؤلاء أظهروا أعمال الناموس، ولم يوضع لبرّهم ناموس، فكانوا ناموسًا لأنفسهم (روم ٢ : ١٤).

الشريعة الناقصة

٣ وحين جاء وقت الناموس، زيدت الشريعة من أجل المعصية (غل ٣ : ١٩)، وأظهر الكتاب أن الشريعة كانت زيادة. ولماذا كانت هذه الزيادة؟ من أجل دعوة الأمم التي وُعدت بها قبل الناموس، وكانت الشريعة حارسًا ومربيًا (غل ٣ : ٢٤) إلى أن يأتي الزرع الذي به تتبارك الأمم. فكلمة القسم التي وعد بها إبراهيم هي عهدُ الوعد حيث قال له الله: «بزرعك تتبارك كلُّ الأمم» (تك ١٨ : ١٨؛ ٢٢ : ١٨؛ ٢٦ : ٤). وهذه الكلمة التي هي عهد، قد وُعد بها إبراهيم قبل أن يُوضع

الناموس بأربعمائة وثلاثين سنة: تتبارك الأمم بزرعه الذي هو المسيح. وجاء الناموس بعد هذه الأربعمائة وثلاثين سنة. وحين قبِل إبراهيم هذا الوعد، كان ابنَ خمسٍ وثمانين سنة. ومن هذا الوقت إلى أن دخل يعقوبُ مصرَ، مرّت مائتان وخمسُ سنوات. ومن الوقت الذي دخل فيه يعقوبُ مصرَ إلى أن خرج الشعبُ منها بواسطة موسى، مرّت مائتان وخمسٌ وعشرون سنة.

٤ وكُتب أن الوقت الذي أقام فيه بنو إسرائيل في أرض مصر كان أربعمائة وثلاثين سنة. فلماذا إذًا، يا عزيزي، قال الكتاب إنّهم أقاموا أربعمائة وثلاثين سنة، بينما أقاموا في الواقع مئتين وخمسًا وعشرين سنة؟ لأنّه من تلك الساعة التي فيها قال الله لإبراهيم: «إعرف حقًّا أنَّ زرعك سيسكن أرضًا ليست لهم فيعملون فيها ويُستعبدون أربعمائة سنة» (تك ١٥: ١٣)، ففي هذا الوقت الذي قيلت فيه هذه الكلمة لإبراهيم: «سيكون لك ابن» (رح تك ١٥: ٤)، صُوِّرت بالإيمان كلمة في قلب إبراهيم، كما كُتب: «آمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا» (تك ١٥: ٦). والكلمة القائلة إنّ أبناءَه سيُستَعبدون في مصر، دخلت في قلب إبراهيم وشرع يشغلٍ باله كيف يكون زرعه في العبوديّة، فصار بقلبه عبدًا في مصر. وفكّر إسحٰق ويعقوب بالعبوديّة، وجعلهما تفكيرهما عبدين في مصر. لقد كان الوعد بالعبوديّة على زرع إبراهيم قبل أن يُولدوا. فالكلمة سبقت مولد إسحٰق بخمس عشرة سنة، وسبق الوعد بالعبوديّة دخولهم إلى مصرٍ مئتين وخمس سنين، وسبق الوعد القائل إنّه بزرع إبراهيم تتبارك كلُّ الأمم أربعمائة وثلاثين سنة قبل أن يُعطى الناموس (غل ٣: ١٧). ولا يقدر الناموس أن يُبطل الوعد. إذًا، كان الناموس زيادة على كلمة الوعد إلى أن يأتي الوقت المحدد.

٥ وحُفظت هذه الكلمة ألفًا وسبعمائة وأربعًا وتسعين سنة، من وقتِ وُعد بها إبراهيم إلى المجيء. وظلّت هذه الكلمة محفوظة ألفًا وثلاثمائة وأربعًا وستين سنة من بعد أن أُعطي الناموس. فسبقت الكلمة الناموس أربعمائة وثلاثين سنة. وحين أتت أزالت فرائضَ الناموس. فالناموسُ وكتبُ الأنبياء حُصرت بهاتين الوصيّتين اللتين عنهما قال ربُّنا: الكلمةُ المكتوبةُ هي: «كلُّ الناموس والأنبياء تنبّأوا إلى يوحنّا المعمدان» (مت ١١: ١٣). وقال ربُّنا: «ما جئتُ لأحلّ الناموس والأنبياء بل لأكمّل» (مت ٥: ١٧). وكُتب أيضًا: «كانت حقيقة الناموس بواسطة المسيح» (رج يو ١: ١٧).

ماذا يقول العهد الجديد

٦ ماذا نقص الناموس مع الأنبياء فاحتاج إلى أن يكتمل؟ لأنّ فيه طُمر العهد الذي هو كلمةُ الوعد. لم يُختَم العهدُ الذي أعطي لموسى قبل أن يأتي العهدُ الآخر الذي هو الأوّل. وُعد به في الأعالي وخُتم في الأسافل. ومات مَن جاء بالعهد (رح عب ٩: ١٦ـ ١٧)، وتثبّت العهدان «فجعل من الاثنين واحدًا وأبطل بوصاياه ناموس الوصايا» (أف ٢: ١٤ـ ١٥). بطُلت أهداف الناموس بمجيء محيينا، وقرّب نفسه بدل قرابين الناموس وسيق كالحمل إلى الذبح بدل حملان التكفير. قُتل من أجلنا ثورٌ سمينٌ فلا نحتاج إلى أن نقرّب العجول. أتى وصعد على الصليب لئلا تُطلبَ منّا قرابين وذبائح. وهبَ دمه من أجل كلّ البشر، لئلا يُطلب منّا دمُ حيوانات. دخل بيتَ المقدِّس غيرَ المصنوع بالأيديّ وصار كاهن القُدس وخادمَه. منذ جاء أبطل فرائض الناموس (عب ٩: ١١ـ ١٢)، ومنذ قيّدوه تقيّدت الأعياد بسلاسل (مز ١١٨: ٢٧). أرادوا أن يحكموا على البارّ فأبعد عنهم القضاة،

رذلوا مملكتَه فأخذ منهم المملكة لأنّ قد جاء مَن له الملكوت (تك ٤٩ : ١٠). أصعد ذبيحةً حيّة من أجلنا فأبطل لهم ذبائحهم وظلّ بنو إسرائيل من دون ذبائح ولا مذبح ولا من يلبس الأفود ويضع البخور (هو ٣: ٤). وأبطل منهم الرؤى والأنبياء لأنّهم لم يسمعوا للنبيّ العظيم. وكَمُل العهدُ القديم بالجديد، وعتُقت وشاخت أعمال الناموس فصارت لهم خرابًا. من يومِ أُعطي العهدُ الجديد بَطُل العتيق، ولم تُزدرَ الذبائحُ فقط من وقتَ مجيء مخلّصنا، بل من قبل ذلك الوقت لم يرضَ الله بذبائحهم كما كُتب: «أنا لا آكل لحم العجول ولا أشرب دم الجداء. فاذبح للربّ الحمد وسلم إلى العليّ نذورك» (مز ٥٠: ١٣ـ ١٤). وقال أيضًا: «الله لا يرذل القلبَ المنسحق» (مز ٥١: ١٩). وقال أيضًا: «أنا لا أريد الذبائح ولا أرضى بالمحرقات التامّة» (إر ٦: ٢٠). «ذبائحُ الله روحٌ متواضعة» (مز ٥١: ١٩). وقال النبيّ أشعيا: «أنا لا أحتاج إلى ذبائحهم الكثيرة، قال الربّ» (١: ١١). وقال لهم أيضًا: «أبغضتُ أعيادَكم ورذلتُها ولا أرتاحُ لاحتفالاتكم» (عا ٥: ٢١؛ أش ١: ١٤).

٧ وهذه الكلمة التي قال مخلّصُنا إنّ بها تتعلّق الشريعة والأنبياء، هي جميلةٌ وصالحةٌ وحسنة، لأنّه هكذا تكلّم ربُّنا: «لا تزول ياءٌ أو علامة واحدة من الشريعة والأنبياء حتّى يتمَّ الكلّ» (مت ٥: ١٨). فقد أخذ ربُّنا الناموسَ والأنبياء وربطهم بالوصيّتين لئلا يبطل منهم شيء. وحين تنظر مليًّا إلى هذه الكلمة ترى أنّها بالحقيقة تحفظ ما في الناموس. وكلُّ ما كُتب في الناموس وُجد في هذه الكلمة: «أحبب الربَّ إلٰهك من كلِّ نفسك ومن كلِّ قدرتك ومن كلِّ قلبك» (تث ٦: ٥؛ مت ٢٢: ٣٧). وكلُّ عمل من أعمال الناموس يهدف إلى أن يقرّبنا من محبّة الربّ إلٰهنا ويجعلَ الإنسان يحبُّ قريبه كنفسه. وهاتان

الوصيّتان هما فوق كلّ ناموس. وعندما تهتمّ وتنظر إلى الناموس تجد أنّ في رأس الناموس كلّه قد كتب: «أنا الربُّ إلٰهك الذي أصعدكَ من أرض مصر. لا تصنع لك تمثالاً أو شبهًا» (خر ٢٠: ٢ـ ٤). وحين لا يصنع الإنسان معي إلهًا آخر، يكون خاضعًا للكلمة التي يرتبط بها الناموس والأنبياء. وتذكّر، يا عزيزي، أنّني كتبتُ إليك أنّه لا يوضع ناموس للأبرار لأنّ مَن يحفظ البرّ هو فوق الوصيّة والناموس والأنبياء. وثابتةٌ هي الكلمة التي قالها ربُّنا: «لا تزول ياءٌ أو علامةٌ من الناموس ومن كتب الأنبياء» (مت ٥: ١٨) لأنّه ختمها وربطها بالوصيّتين.

المحبّة والبرّ

٨ إسمع، يا عزيزي، تفسير هذه الكلمة. فإن قال قائل: «لماذا كُتبت هذه الكلمة التي تقول إنّ إقامة بني إسرائيل في أرض مصر دامت أربعمائة وثلاثين سنة، بينما قيل لإبراهيم حين أعطي له الوعد إنّهم سيكونون هناك أربعمائة سنة؟ ولماذا زيدت ثلاثون سنة؟». ها أنا أبيّن لك هذه الأمور، يا عزيزي، حين جاء ملء زمن الأربعمائة سنة أرسل الله موسى ليخلّصهم. وحين قتلَ المصريَّ رذلوا مخلّصَهم فهرب موسى إلى مديان. وحلَّ عليهم غضبُ الله فظلّوا في مصر ثلاثين سنة أيضًا. قالوا لموسى: «مَن أقامك علينا حاكمًا وقاضيًا؟» (خر ٢: ١٤). وإذ أزدَروا مخلّصهم حجزهم غضبُ الله ثلاثين سنة في مصر. وظلّ موسى ثلاثين سنة في مديان. حينئذ كثر عليهم الضيق فأخرجهم من مصر. تأخّر الله أوّلاً حتّى يعاقبهم لأنّهم أزدروا موسى؛ وثانيًا، حتّى يكتمل إثم الأموريّين. وزاد للشعب ثلاثين سنة أكثر ممّا وعد به إبراهيم، وأطال روحه على الأموريّين سبعين سنة، ثلاثين في مصر

وأربعين في البرّيّة. ولمّا تمّت الأربعمائة وثلاثين سنة مع الأربعين سنة لاكتمال إثم الأموريّين، أدخلهم الله أرض الموعد.

٩ إعرف، يا عزيزي، أنّ لا شريعة تُفرَض على الله. فهو مرّة يكثر الأيّام أو يقلّلها، ومرّة يجعل زيادة على ما هو قليل. ففي أيّام نوح وعد بأنّ أيّام الإنسان ستكون مئة وعشرين سنة بسبب خطايا البشر. ومحاهم في السنة ستمائة من حياة نوح. فقال: «تكون أيّامه على الأرض مئة وعشرين سنة» (تك ٦ : ٣). وفي السنة ستمائة من حياة نوح محاهم، ثمّ حذف عشرين سنة. وكُتب أيضًا: بعد أن كثر إثم مملكة بيت إفرائيم الخاطئة حين جعل لهم ملكًا يربعام بن ناباط الذي خطئ وجعل بنيّ إسرائيل يخطأون. إذ خطئوا نصحهم بنبوءة أشعيا النبيّ الذي قال لهم: «من بعد خمس وستّين سنة يسقط إفرائيم ولا يعود شعبًا» (٧: ٨؛ ١٧ : ٣). قيلت هذه الكلمة في السنة الأولى لآحاز. وفي السنة الرابعة لحزقيا صعد عليهم شلمنصر ملك أشور ومن بعده تجلت فلاسر وجلاهم من أرضهم. ملّك عليهم آحاز ستَّ عشرة سنة، وفي السنة الرابعة لحزقيا سيطر عليهم ملوك أشور. ولم تمضِ عشرون سنة حين سقط إفرائيم ولم يعد من شعب إسرائيل، فنقّص لهم خمسًا وأربعين سنة. وهذا الزمن الذي وضعه وحدّده لم يتمّمه كما قرّر.

١٠ لم يكن ذلك لأنّه غير عارف بالمستقبل. وعدَهم أنّهم يكونون هكذا ثمّ زاد عدد السنين، ولكنّه صنع كلَّ ذلك عن معرفة لا عن جهل. عرف قياس السنوات الآتية، فأعطى، من أجل مراحمه، زمنًا للتوبة لئلا يجد البشرُ عذرًا لهم. ولكنّ هؤلاء الناس احتقروا طول بال الله وقالوا: «ما يقوله الأنبياء هو نبوءة لزمن بعيد» (حز ١٢ : ٢٧). لهذا، حين دخل فيهم هذا التفكير في أيّام حزقيال النبيّ وقالوا: «ما يتنبّأ به

هذا هو لزمن بعيد» قال الربّ لحزقيال: «حيٌّ أنا، يقول ربُّ الأرباب، لن يكون تأخّر لكلامي. فالكلمة التي أقولها سأنفّذها بعجل» (حز ١٢ : ٢٨). وقبل أن يحدّد الوقت أعطى الناس زمنًا للتوبة علّهم يتوبون. أمّا هم فاحتقروا طول بال الله وما تابوا. فبّدل الوقت الذي وضعه وحدّده لهم. فعل ولم يكن جاهلًا ولكن كما كُتب: «ويلٌ للسالبِ وأنتم لم تسلبوا أحدًا، والخادعُ لا يخدعكم. حيث أردتم أن تسلُبوا تُسلَبون، وحيث أردتم أن تُخدعوا تُخدعون» (أش ٣٣: ١). وكُتب في إرميا: «إن تكلّمتُ عن مملكة بالقلع والهدم والهلاك والإبادة، وتابت هذه الأمّة عن شرّها، فأنا أيضًا أتراجع عن كلمتي وأغيّر ما قلتُ عليهم» (١٨ : ٧ـ ٨). وقال إرميا أيضًا: «إن قلتُ على أمّة بأنّي سأبنيها وأغرسها، فإن صنعت هذه الأمّة الشرّ أمامي فأنا أتراجع عن كلمتي وأغيّر الخير الذي قلت إنّي أحسن به عليها» (١٨ : ٩ـ ١٠).

الحبّ والإيمان

١١ كلُّ هذه الأشياء كتبتُها إليك، يا عزيزي، لأنّي بيّنتُ لك من قبل في المقالة الأولى التي تتطرّق إلى الإيمان، أنّ بالإيمان يمكن أن يقوم أساس العهد الذي نحن قائمون فيه. وفي هذه المقالة الثانية كتبتُ لك وذكّرتك أنَّ كلَّ الناموس وكتبَ الأنبياء ترتبط بوصيّتين قال فيهما مخلّصنا: بهاتين الوصيّتين ينحصر كلُّ الناموس والأنبياء. فبالناموس ينحصر الإيمان، وبالإيمان تقوم المحبّة الحقيقيّة التي تنبع من هاتين الوصيّتين. بعد أن يحبَّ المرءُ ربَّه، فليحبِب أيضًا قريبه كنفسه.

المحبّة والمغفرة

١٢ فاسمع، يا عزيزي، عن المحبّة التي تنبع من هاتين الوصيّتين. حين

جاء مُحيينا أظهر اهتمامه بالمحبّة فقال لتلاميذه: «هذه هي وصيّتي، أن يحبَّ بعضُكم بعضًا» (يو ١٥: ١٢). وقال لهم أيضًا: «أعطيكم وصيّةً جديدة، أن يحبّ بعضُكم بعضًا» (يو ١٣: ٣٤). وإذ علّمهم عن المحبّة نبّههم: «أحبّوا أعداءكم وباركوا مَن يلعنكم وصلّوا عن الذين يرهقونكم ويضطهدونكم» (مت ٥: ٤٤؛ لو ٦: ٢٧_ ٢٨). وقال لهم أيضًا: «إن أحببتُم مَن يحبُّكم فأيّ أجرٍ لكم؟ إن كنتَ تحبُّ مَن يحبّك، فالوثنيّون أيضًا يصنعون هكذا، فهم يحبّون مَن يحبّهم» (لو ٦: ٣٢؛ مت ٥: ٤٦). وقال محيينا أيضًا: «إذا صنعتُم الخير إلى مَن يحسن إليكم فأيّ أجرٍ لكم؟ فالعشارون والخطأة يصنعون أيضًا هكذا. أمّا أنتم فاصنعوا كذلك لتُدعَوا أبناء الله السماويّ. فتشبّهوا به لأنّه يرحِمُ مَن يكفرون بنعمته» (لو ٤: ٣٥). وقال مخلّصنا أيضًا: «إغفروا يُغفر لكم، ألغوا الدَّين يُلغى لكم، أَعطوا فيُعطى لكم» (لو ٦: ٣٧_ ٣٨). وقال أيضًا ليضع فينا الخوف: «إن أنتم لم تغفروا للناس زلّاتهم التي أخطأوا بها إليكم، فالآب لا يغفر لكم أيضًا» (مت ٦: ١٥). وقد نبّه هكذا فقال: «إن خطىء إليك أخوك فاغفر له، وإن أخطأ إليك أيضًا سبع مرّات في اليوم الواحد فاغفر له» (لو ١٧: ٣_ ٤).

١٣ وإذ سمع سمعان كيفا[١] هذه الكلمة قال لربّنا: «كم مرّةً يخطأ إليّ أخي فأغفر له؟ أسبع مرّات؟». فقال له ربّنا: «لا سبع مرّات فقط بل سبعين مرّةً سبع مرّات» (مت ١٨: ٢١_ ٢٢). فإن أخطأ إليك أربعمائة وتسعين مرّةً في اليوم الواحد فاغفر له. فليتشبّه المؤمن بأبيه الصالح الذي غفر كثيرًا لأورشليم. فحين أرسل إلى سبي بابل بنيّ إسرائيل عاقبهم هناك سبعين سنة، وحين أظهر رحمته جمَعهم في أرضهم بواسطة عزرا الكاتب، وغفر لهم كثيرًا في وسط يومه، أي

سبعين سبّةً من السبوت، أي أربعمائة وتسعين سنة. ولمّا سفكوا الدم الزكيّ لم يرحم أورشليم بل أسلمها إلى أيديّ أعدائها الذين استأصلوها ولم يتركوا فيها حجرًا على حجر ولم يعفوا عن أساساتها، من أجل الربّ. ولم يقل لبني أدوم إنّهم يُجازَون جزاءً لأنّهم لم يصرخوا على أورشليم: «إكشفوا اكشفوا حتّى أساسها» (مز ١٣٧: ٧؛ رج حز ٢٥: ١٢- ١٤). فالله عفا عنهم في نصف يومه مدّة أربعمائة وتسعين سنة وحمل خطاياهم. وحينئذ استأصل أورشليم أيضًا وأسلمها إلى أيديّ الغرباء[٢]. هكذا أوصى محيينا أن يغفر المرء لأخيه في اليوم الواحد أربعمائة وتسعين مرّة.

١٤ لا تستصعب، يا عزيزي، الكلمة التي كتبتُها إليك، وهي أنّ الله غفر لأورشليم في نصف يومٍ كلَّ هذا. هكذا كتب داود في المزمور التسعين (آ ٤): «ألفُ سنة في عينيّ الربّ مثل يوم البارحة الذي عبر». وقال أيضًا معلّمونا الحكماء: كما أنّ الله وضع العالم في ستّة أيّام، هكذا في النهاية ينحلّ العالم في ستّة آلاف سنة، ويكون لله سبتُه على مثال السبت الذي عقب الستّة أيّام. فكما علّمنا وبيّن لنا مخلّصنا عن السبت، هكذا قال: «صلّوا لئلا يكون هربكم في الشتاء أو السبت» (مت ٢٤: ٢٠). وقال الرسول أيضًا: «إلى أن يقوم سبتُ الله، فلنهتمَّ لندخل في راحته» (عب ٤: ٩، ١١).

١٥ حين علّم ربُّنا الصلاة تلاميذه قال لهم: «هكذا تصلّون: إغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمَن أذنب إلينا» (مت ٦: ١٢). وقال أيضًا: «عندما تريد أن تقدّم القربان، فإن كانت لك عداوة على أخيك فاترك قربانك أمام المذبح واذهب فتصالح مع أخيك، وبعد هذا تعالَ وقرّب قربانك» (مت ٥: ٢٣- ٢٤). لا يصلِّ الإنسان: إغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمَن أذنب إلينا، فيصطاده بفمه قابلُ الصلوات ويقول له:

أنت لم تغفر لمَن أذنب إليك فكيف تُغفر لك ذنوبُك؟ وهكذا تبقى صلاتك على الأرض. وقدّم لنا ربُّنا أيضًا مثال الرجل الذي بدأ يحاسب عبيده. فاقترب منه عبد له عليه عشرة آلاف وزنة. وحين شدّد عليه سيّده كي يردَّ ما له عليه، وإذ لم يقدر أن يدفع دَينه لسيّده، أمر سيّدُه ففكَّ وثاقَه وترَك له كلَّ الدَّين. ولكنّ هذا العبد الشرّير لم يتذكّر ما تركه له سيّده وكم كان كريمًا حين ترك له الدَّين كلَّه. فحين خرج، وجَد واحدًا من رفاقه له عليه مئة دينار فأمسكه وشدَّ خناقه وقال له: «أدِّ لي ما لي عليك». ولم يقبل طلب رفيقه الذي سأله أن يمهله، بل ذهب وزجّه في السجن. ولأنّه لم يترك لرفيقه القليلَ وهو الذي تُرك له الكثير، أُسلم إلى المعذّبين ليعذّبوه حتّى يفيَ دَينه. وقال لهم يسوع: «هكذا يفعل بكم أبي السماويّ إن لم يغفر كلُّ واحد لأخيه» (مت ١٨ : ٢٣ـ ٣٥).

تعليم بولس الرسول المحبّة

١٦ وانظر، يا عزيزي، كم يعظّمُ المحبَّة الرسولُ الفاضل حين يقول: «أنتم تتبارون في المواهب العظيمة، أمّا أنا فأبيّن لكم الموهبة الفضلى» (١ كور ١٢ : ٣١). وقال: «إن كانت فيّ النبوّة وأعرف الأسرار كلَّها، وكلُّ معرفة وكلُّ إيمان بحيث أنقل الجبال، ولم تكن فيّ المحبّة، فلا أنتفع شيئًا. وإن أطعمتُ كلَّ ما هو لي للمساكين وأسلمتُ جسدي ليُحرَق ولم تكن فيّ المحبّة فلا أنتفع شيئًا» (١ كور ١٣ : ٢ـ ٣). وتكلّم هكذا: «المحبّة طويلة الروح عذبة، هي لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ ولا تطلب ما يريح نفسها فقط ولكن ما يلائم الكثيرين. المحبّة ترجو كلَّ شيء وتحتمل كلّ شيء. المحبة لا تسقط أبدًا» (١ كور ١٣ : ٤ـ ٧). وقال أيضًا: «المحبّة أفضلُ من كلّ شيء» (١ كور ١٣ : ١٣). وأظهر الرسول وبيّن أنَّ المحبّة تسمو بعد الإيمان وبها

يقوم البناءُ المتين. وبيّن أن النبوءةَ تقوم بالمحبّة، والأسرار تنكشف بالمحبّة، والمعرفة تكتمل بالمحبّة، والإيمانَ يثبت بالمحبّة. فمَن فيه إيمانٌ ينقل الجبال ولا محبّة فيه، ولا يستفيد شيئًا. وإن وهب الإنسان كلّ ما له للمساكين، فإن لم يُعطِ صدقاته بالمحبّة فلا ينتفع شيئًا. وإن ترك جسده يُحرق بالنار لأجل اسم ربّه، فهذا لا يساعده على شيء. وبيّن أيضًا أنَّ طولَ البال والصبرَ والوداعة وعدم الحسد، كلٌّ هذا يجد كماله في المحبّة. والصبر والتواضع والبشاشة تقوم بالمحبّة. وُضع الإيمان على صخر البناء، أمّا المحبّة فهي عرَقات البناء التي بها ترتبط جدران البيت. وإن وُجد عطلٌ في عرَقات البيت سقط البناء كلّه. هكذا يسقط الإيمان إن وُجد في المحبّة انقسام. ولا يستطيع الإيمان أن يزيل الحسد والخصام حتّى تأتي محبّة المسيح، كما لا يستطيع البناء أن يرتفع جيّدًا إن لم ترتبط الجدران بالعرَقات.

كمال الحبّ: أمثلة من العهد القديم.

١٧ وأبيّن لك أيضًا، يا عزيزي، أنَّ المحبّة أفضل من كلّ شيء وبها كمل الأبرار الأوّلون. فالكتاب يبيّن أنّ موسى وهب نفسه من أجل شعبه وطلب أن يُمحَى من سفر الحياة شرطَ أن لا يُمحى الشعب (خر ٣٢: ٣١ـ ٣٢). ولمّا قام عليه خصومه ليرجموه قرّب الصلاة من أجلهم لحياتهم (عد ١٦: ٤١ـ ٤٨). وأعطى داود مثالًا عن المحبة حين اضطهده شاول وتصيّده في كلّ وقت ليقتله. أمّا داود فصنع رحمة وأظهر حبًّا سخيًّا نحو شاول عدوّه الذي طلب نفسه. ووقع بين يدي داود مرّتين، ولم يقتله، بل كافأه بالخير بدل الشرّ. من أجل هذا لا يزول الخير من بيته، ولأنه غَفر غُفر له. وشاول الذي كافأ الخير بالشرّ، لا يزول الشرّ من بيته. دعا الله فما استجابه وسقط بسيف الفلسطيّين. وبكى عليه داود بكاءً مرًّا (١ صم ٢٤: ٤ي؛ ٢٦:

٧ي). وهكذا أتمّ داود مسبقًا وصيّة مخلّصنا الذي قال: «أحبّوا أعداءكم» (لو ٦ : ٣٥)، و«اغفروا يُغفرْ لكم» (لو ٦ : ٣٧). وهكذا أحبّ داوُد، فأحبّه الله وغفَر فغَفر له الله.

١٨ وبيّن أليشاع هذه المحبّة حين جاءَ أعداؤه ليمسكوه ويسيئوا إليه. أمّا هو فأحسن إليهم ووضع أمامهم خبزًا وماءً وأرسلهم من عنده بسلام (٢ مل ٦ : ٢٣). وكمُلت الكلمة المكتوبة: «إن جاع عدوُّك فأطعمه، وإن عطش فاسقه» (أم ٢٥ : ٢١). وصلّى إرميا النبيّ من أجل الذين رموه في الجبّ وعذّبوه، صلّى من أجلهم أمام الله (إر ٣٨: ٢٠). فمخلّصنا علّمنا أن نتشبّه بالقدماء، فنحبَّ أعدائنا ونصلّي من أجل مبغضينا. فإن أمرَنا أن نصلّي من أجل أعدائنا ونحبَّ مبغضينا فكيف نجيبه يوم الدين إن أبغضنا إخوتنا وأعضاءنا؟ فنحن من جسد المسيح وأعضاءٌ من أعضائه. فمَن أبغض أعضاء المسيح يُقطع من كلّ الجسد، ومَن يبغض أخاه ينفصل عن أبناء الله.

كمال المحبّة في المسيح: التطويبات

١٩ وعلّمنا ربُّنا أيضًا أن نجتهد في المحبّة. أوّلًا، لأنّه كمّلها بنفسه ثمّ علّمها لسامعيه. صالح عداوتنا مع الله أبيه لأنّه أحبّنا وأسلم نفسه وهو البريء من أجل الأثمة. هو الصالح احتمل عن الأشرار، هو الغنيّ صار فقيرًا لأجلنا. هو الحيّ مات عن الموتى وبموته أحيا ميّتنا. إبنُ ربِّ الكلّ أخذ صورة العبد (فل ٢ : ٧). هو الذي يخدمه الكلّ جعل نفسه عبدًا ليحلّنا من عبوديّة الخطيئة، وبحبّه الكبير وهب الطوبى للمساكين بالروح (مت ٥ : ٣)؛ ووعد صانعي السلام بأنّهم يكونون إخوة له وأنّهم يُدعون أبناء الله (مت ٥: ٩)؛ ووعَد الودعاء بأنّهم يرثون أرض الحياة (مت ٥: ٥)؛ ووعد الحزانى بأنّه يستجيب لهم (مت ٥ : ٤)؛ ووعد الجياع شبعًا في ملكوته (مت ٥ : ٦)؛ والباكين

فرحًا بمواعيده (لو ٦: ٢١)؛ ووعد الرحماء بأنّهم يُرحمون (مت ٥: ٧)؛ وقال لأنقياء القلوب إنّهم يعاينون الله (مت ٥: ١٠)؛ والمضطهدون من أجل اسمه وعدَهم بالخير والراحة في ملكوته (لو ٦: ٢٢؛ مت ٥: ١١ـ ١٢). وبدّل طبعنا الترابيّ وجعلنا ملحَ الحقّ (مت ٥: ١٣) ونجّانا من فخاخ الحيّة ودعانا نور العالم (يو ١٢: ٣٥؛ مت ٥: ١٤) لننجو من سلطان الموت. جعلنا أخيارًا بعد أن كنّا أشرارًا، وصلاّحًا بعد أن كنّا أهلاً للبغض. وهب لنا المحبّة بدل البغض (مت ٥: ٢٠ي؛ ٤٣ي)، وأشركنا في صفات الرجل الصالح الذي يُخرج من ذخائره الصلاح، ونجّانا من ذلك الذي يُخرج الشرّ من فضلات قلبه (لو ٦: ٤٥).

أعمال يسوع

٢٠ ومن أجل حبّه الفيّاض شفى يسوع جراح المرضى. شفى ابن قائد المئة من أجل إيمانه (لو ٧: ١٠؛ مت ٨: ١٣)، وهدّأ أمواج البحر عنّا بقوّته (لو ٨: ٤٢؛ مر ٤: ٣٩). وطرد عنّا شياطين لجيون (لو ٨: ٣٢؛ مر ٥: ٩) من أجل نعمته. بمراحمه أحيا ابنة رئيس المجمع (لو ٨: ٥٥)، وطهّر المرأة من نجاسة الدم (مر ٥: ٢٩). فتح أعين الأعميَين اللذين اقتربا منه (مت ٩: ٣٠)، ووهب الاثني عشر القوّة والسلطان على كلّ مرض (لو ٩: ١؛ مت ١٠: ٨؛ مر ١٦: ١٧ـ ١٨). ووهبنا نحن أيضًا هذا السلطان بأيديهم، ومنعنا من طريق الوثنيّين والسامريّين (مت ١٠: ٥)، وأعطانا القوّة برحمته فلا نخاف حين نمثل أمام سلاطين العالم (مت ١٠: ١٧ـ ٢٠). ووضع الشقاق على الأرض من أجل سلامه الكبير (لو ١٢: ٥١). غفر للمرأة الخاطئة ذنوبها الكثيرة من أجل مراحمه (لو ٧: ٤٧)، وأهّلنا، من أجل نعمته، لكي نبني برجًا على نفقته (لو ١٤: ٢٨). أخرج منّا

الأرواح النجسة (مت ١٢ : ٤٣؛ لو ١١ : ٢٤؛ رج لو ٨ : ٢) وجعلنا مسكنًا للاهوته. زرع فينا زرعًا صالحًا لنعطي ثمارًا، الواحد مئة وستّين وثلاثين (مت ١٣ : ٢٣). ووضع نفسه بشكل كنز جُعل في حقل (مت ١٢ : ٤٤)، وأظهر قوّته العظيمة حين ارتمى من العلى إلى العمق[٣] ولم يُصَب بأذى (لو ٤ : ٢٩-٣٠). أشبع الجائعين الخائرين من خمس خبزات وسمكتين، أشبع خمسة آلاف رجل ما عدا الأولاد والنساء (مت ١٤ : ٢١) فأظهر عظمته المجيدة. من أجل حبّه الكبير سمع للمرأة الكنعانيّة وأقام ابنتها من مرضها (مت ١٥ : ٢٨)، وبسلطان الذي أرسله بسط لسان الرجل الأبكم والذي كانت أذنه ثقيلة (مر ٧ : ٣٥). به رأى العميان النور وسبّحوا الذي أرسله (مت ١٥ : ٣١). حين صعد إلى الجبل ليصلّي غلب نورُه شعاعَ الشمس (مت ١٧ : ٢). وعرّف قوّته الوافرة في ذلك الولد الذي عذّبه الروح، وهدأ بكلمته المصابَ بداء الصرَع (مت ١٧ : ١٧). وأعطانا مثالاً وتشبيهًا لنكون مثل الأولاد فندخل ملكوت السماء (مت ١٨ : ٣). وقال لنا وعلّمنا أن لا يحتقر أحدٌ الصغار لأن ملائكتهم يعاينون في كلّ وقت الآب السماويّ (مت ١٨ : ١٠). وبيّن أيضًا فنّه الطبّيّ الكامل في هذا الرجل الذي ظلّ مريضًا مدّة ثمانٍ وثلاثين سنة. تحنّن عليه كثيرًا وشفاه (يو ٥ : ٥). وأعطانا أيضًا وصيّة أن نترك العالم ونتبعه هو (مر ١ : ٢١؛ لو ١١ : ٢٣؛ رج مت ١٩ : ٢١). وكشف لنا أن مَن يحبُّ العالم لا يستطيع أن يرضي الله، وذلك بمثل الغنيّ الذي اتّكل على مقتناه (لو ١٢ : ١٦ي)، أو الرجل الذي تنعّم بخيراته فكانت آخرته في الجحيم وطلب ماء على رأس إصبعه فلم يُعطه أحد (لو ١٦ : ٢٤). واستأجرَنا الربّ كفعَلة نتعب في كرمه لأنّه الكرمة الحقّة (مت ٢٠ : ١ي). إنّ مُحيينا صنع هذه كلّها من أجلنا بسبب حبّه الكثير. ونحن، يا عزيزي، فلنشارك المسيح حبّه ولنحبَّ بعضُنا بعضًا

ولنكمّل هاتين الوصيّتين اللتين بهما يرتبط كلُّ الناموس والأنبياء.

تمّت المقالة في المحبّة

الحواشي

(١) أي بطرس.

(٢) هذا ما حصل سنة ٧٠ ب.م.، على يد الرومان.

(٣) يشير هنا إلى حادثة الناصرة، حينما سمع كلام يسوع الذين في المجمع، «فامتلأوا كلّهم غضبًا. فقاموا وأخرجوه إلى خارج المدينة واقتادوه إلى قمّة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيّةً عليه ليطرحوه عنها. أمّا هو **فجاز في وَسْطهم ومضى**».

المقالة الثالثة

في الصوم

كيف نصوم

١ ثمين هو الصوم الطاهر أمام الله، وهو محفوظ مثل كنز في السماء. هو سلاحٌ أمام الشرّير وترسٌ نقابل به سهام العدوّ. لا أقول هذا من عندي بل من الكتب المقدّسة التي بيّنت مسبقًا أن الصوم الدائم يساعد الذين يصومون بالحقّ. فالصوم، يا عزيزي، لا يكون فقط بالامتناع عن الخبز والماء. فالطرقُ عديدةٌ لممارسة الصوم. هناك مَن يصوم عن الخبز والماء حتّى يجوع ويعطش، وهناك مَن يصوم ليبقى في البتوليّة فيجوع ولا يأكل، ويعطش ولا يشرب. هذا الصوم هو أفضل الأصوام. وهناك مَن يصوم عن اللحم والخمر وبعض المأكولات، وهناك مَن يصوم ليجعل لفمه سياجًا فلا يتفوّه بكلمات سيّئة. وهناك مَن يصوم عن الغضب ويُمسك رغبتَه لئلا تقهرَه. وهناك مَن يصوم عن المقتنيات ليجرّد نفسه من عبوديّتها. وهناك مَن يصوم عن الفراش فلا ينام ليكون يقظًا في الصلاة. وهناك مَن يصوم في الضيق الحاضر عن تجارة هذا العالم لئلا يغلبه العدوّ. وهناك مَن يصوم ليصير تائبًا فيُرضي ربّه بكآبته. وهناك مَن يجمع كلَّ هذا ويجعل منه صومًا واحدًا. يصوم الإنسان عن الطعام حتّى يجوع، وحين يصوم عن المأكل والمشرب يُدعى صائمًا، وإن أكل أو شرب قليلًا ينحلّ

صومه. هكذا الإنسان الذي يصوم عن كلّ هذا، فإن أجاز لنفسه واحدة منها، في وقتٍ من الأوقات، لا يُحسب له صومه. فالذي أجاز لنفسه واحدة من هذه كلّها لا يُحسَب صومه أكثر من الذي أكل أو شرب بشراهة. ومَن حصل له فانحلّ صومه بسبب الجوع لا يخطأ كثيرًا. أمّا مَن نذر على نفسه أن يمتنع عن هذه كلّها وأخذ يحلّل لنفسه الواحدة بعد الأخرى، فخطيئته كبيرة لا صغيرة.

في العهد القديم

٢ فاسمع، يا عزيزي، مقالة في الصوم النقيّ. كان هابيلُ أوّلَ مَن دلّ بقربانه على الصوم النقيّ، وأخنوخ حين أحسن بعمله أمام الله، ونوح الذي حافظ على الكمال وسط جيل فاسد، وإبراهيم الذي كان فاضلاً بإيمانه، وإسحٰق من أجل عهد إبراهيم، ويعقوب من أجل حلَف إسحٰق لأنّه عرف الله، ويوسف من أجل رحمته وتدبيره. هؤلاء كلُّهم، كانت نقاوتهم صومًا أمام الربّ. فإن نقص نقاء القلب لا يُقبل الصوم. وتذكّر وانظر، يا عزيزي، أنّه أفضل على الإنسان أن ينقّي قلبه ويحفظ لسانه ويمنع يديه عن الشرّ على مثال الذين كتبتُ إليك عنهم أعلاه. لا يليق بالإنسان أن يمزج العسل بالعَلقم. فإن صام إنسان عن الخبز والماء فلا يمزج في صومه التجديف واللعنات. واحدٌ هو باب بيتك الذي هو هيكل الله، ولا يليق بك، أيّها الإنسان، أن تُخرج الزبل والوحل من باب يدخل فيه الملك. حين يصوم الإنسان عن القبائح ويتناول جسد المسيح ودمه، ينتبه الى ابن الملك الذي دخل فمه. فلا يحقّ لك، أيّها الإنسان، أن تُخرج من فمك كلماتٍ نجسة. إسمع ما يقول مُحيينا: «ما يدخل الإنسان لا ينجّسه، لكن ما يخرج من فمه ينجّسه» (مت ١٥: ١١).

٣ صام موسى صومًا نقيًّا حين صعد الجبل وجاء بالوصايا لشعبه وتقوّى

بصومه الذي دام مرّتين أربعين يومًا (خر ٢٤: ١٨؛ ٣٤: ٢٨). وقبِل الثناءَ العاطر حين شعّ أديم وجهه وأبعد الغضب عن شعبه الذي لم يُمحَ من الوجود (خر ٣٢: ١١؛ ٣٤: ٩). وعلى مثال موسى صام إيليّا الرجل القويّ حين اضطهدته إيزابيل. وبعد أن صام أربعين يومًا وصَل إلى حوريب (١ مل ١٩: ٨). هناك تكلّم معه الربُّ كما تكلّم مع موسى، وتجلّى له وأمرَه فقال له: «إذهب فامسح بالزيت ياهوبنَ نِمشي وحزائيل ليُعاقبا بني إسرائيل، وامسح بالزيت أليشاع بن شافاط ليحلّ مكانك» (١ مل ١٩: ١٥-١٦). وخرج إيليّا حين تجلّى له ربّه في صومه النقيّ كما خرج موسى حين صام مرّتين أربعين يومًا فأبعد غضب الله عن شعبه وأنزل لوحي العهد المكتوبين بإصبع الله. هذان الباران افتخرا بصومهما وبه كَمُلا.

الملكة إيزابيل

٤ وها أنا أبيّن لك الصوم الشرّير الذي لا يُقبل. قرّرت إيزابيل أن تثير آحاب وتفسد إسرائيل، فكتبت رسائل باسم آحاب وأرسلت إلى أهل يزرعيل رجالًا أشرارًا يطيعون الشرّيرة إيزابيل. كتبت في هذه الرسالة الشرّيرة وقالت: أَقرّوا صومًا وأَقيموا نابوت أمام الشعب وأقيموا أمامه رجلين كافرين يشهدان عليه ويقولان: «جدّف نابوت أمام الشعب على الله والملك. وليُرجم بالحجارة حتّى يموت» (١ مل ٢١: ٩-١٠). فيا عزيزي، هذا ما كتبته إيزابيل: «يشهد رجلان على نابوت»، وبدت وكأنّها أرسلتهم باسم الشريعة المقدّسة. فقد كُتب في الشريعة: «مَن يستحقّ الموت لا يُقتل على فم شاهد واحد، بل يموت على فم شاهدين» (تث ١٧: ٧؛ رج ١٣: ١٩). وكتبتْ لهم أن يشهدوا كذلك: «جدّف نابوت على الله والملك». وكتبت لهم رسالة شرّيرة وكأنّها شريعة. وقد كُتب: «مَن يجدّف على اسم الربّ يُرجم

بالحجارة لأنّه تلفظ باسم القدّوس وجدّف عليه» (لا ٢٤: ١٦). لم تكن إيزابيلُ مهتمّة باسم الله الذي جدّف عليه نابوت، بل بآحاب الطمّاع الذي اشتهى كرم نابوت وما تذكّر الكتاب: «لا تشتهِ كلَّ ما هو لقريبك» (خر ٢٠: ١٧).

٥ إيهِ إيزابيل، مفسِدةُ آحاب! مَن هو هذا الإله الذي جدّف عليه نابوت؟ أهذا الذي هدمتِ مذبحه، أم هذا الذي قتلتِ أنبياءه؟ وأيّ ملك جدّف عليه نابوت؟ أهذا الذي أبطل الشريعة وأراد أن يستولي على ميراث نابوت؟ يا إيزابيل، لماذا لم تتمّي ما كُتب في أولى الوصايا الناموسيّة حيثُ قيل: «لا تسجد لإله آخر» (خر ٢٠: ٣)، وأنتِ يا إيزابيل عبدتِ البعل. وكُتب أيضًا: «لا تسفك الدم الزكيّ في الأرض التي وهبَها لك الربُّ إلهُك» (تث ١٩: ١٠). وكان يليق بكِ، يا إيزابيل، أن تتذكّري ما كُتب: «الأرض التي سُفك عليها دم، لا يكفّر عنها إلّا إذا سُفك عليها دمُ الذي سفكه» (عد ٣٥: ٣٣). خفتِ من هذا، يا إيزابيل، ثمّ غِرت غَيرة الشرّ، لأنّ نابوت جدّف على الله، وهو لم يجدّف. وكُتب أيضًا: «مَن سفك دم إنسان فدمُه يُسفك» (تك ٩: ٦). وإيزابيلُ الغضوب سفكت دم نابوت الزكيّ. من أجل هذا ففي المكان الذي فيه سُفك دمٌ زكيٌّ بصوم شرّيرٍ أقرّته إيزابيل، سيُسفك دمُها وتأكله الكلاب. وآحاب الذي سَمع لنصيحتها ستلحس الكلابُ دمَه هناك.

٦ وإن اختارت إيزابيل التي لم تحفظ الشريعة، وأخذت من الشريعة ما يساعدها على الأذى، فكيف قبلتم، أيّها الرجال الأشرار ويا أهل يزرعيل، رسالة تأمر بصوم شرّير وتطلب منكم شهادةَ زورٍ وسفكَ الدم البريء. في أيّ جيلٍ سمعتم هذا الكلام، صُم صومًا واسفك الدمَ الزكيّ؟ لماذا لم تزدروا الرسالة الشرّيرة التي تطلب الشهادة

الكاذبة؟ من أجل هذا سيُجازى آحاب وإيزابيل جزاءً عادلًا بسبب دم نابوت الزكيّ الذي سفكوه. وأهل يزرعيل الذين سمعوا لإيزابيل سيُجازَون هم أيضًا جزاءً عادلًا. فقد تنبّأ عليهم هوشع فقال: «بعد قليل أطلب دم يزرعيل من بيت ياهو» (١: ٤). وطلب ياهو دم نابوت من يد إيزابيل وعاقب آحاب وأباد أهل يزرعيل في بيت البعل، فجاء عليهم دم نابوت كما قال ياهو في يوم العقاب: «في المساء رأيتُ دم نابوت ودم أبنائه» (٢ مل ٩: ٢٦). له كانت المجازاة، أمّا الصوم الذي صامه أهل يزرعيل فكان لعقابهم.

أهل نينوى

٧ وصام أهل نينوى صومًا نقيًّا حين كرز يونان عليهم بالتوبة. فهذا ما كتب: «حين سمعوا كرازة يونان أقرّوا صومًا دائمًا وتوسّلًا متواصلًا، وجلسوا على المسح والرماد وخلعوا لباس ملذّاتهم ولبسوا عوضها المسح، ومنعوا الأولاد عن ثدي أمّهاتهم والغنم والبقر عن المرعى. وهذا ما كتب: «وصلت الكلمةُ إلى ملك نينوى، فقام عن عرشه وألقى تاجه وجلس على المسح وذرّ الرماد على نفسه وأعلن في نينوى المدينة وقال: بأمرِ الملك وعظمائه، لا يأكلِ البشرُ والبهائمُ شيئًا ولا يرعوا ولا يشربوا ماء، بل يلبسُ المسحَ البشرُ والبهائمُ ويدعون الله بكآبة ليعود عن شدّة غضبه ولا يبيدهم» (يون ٣: ٦ـ ٩). وهذا ما كُتب: «رأى الله أعمالهم، رأى أنّهم تابوا عن طرقهم الشرّيرة فأبعد غضبه عنهم وما أبادهم» (يون ٣: ١٠) لم يقل الكتاب: رأى الصوم عن الخبز والماء والمسح والرماد، بل: لأنّهم تابوا عن طرقهم الشرّيرة وعن سوء أعمالهم. من أجل هذا أعلن ملك نينوى فقال: «ليرجع كلُّ إنسان عن طريقه الشرّيرة وعن الظلم الذي فعلته يدُه» (يون ٣: ٨). فكان صوم نقيّ. وقبِل الله الصومَ الذي صامه أهل نينوى

حين عادوا عن طرقهم الشرّيرة وعن الظلم الذي فعلته أيديهم. وكان مرضيًّا الصومُ الذي صامه أهل نينوى ولم يشبه صومُهم صومَ أهل يزرعيل الذين سفكوا الدم الزكيّ.

الصوم عن الشرّ

٨ فيا عزيزي، إنّ الصوم عن الشرّ هو دومًا أفضلُ من الصوم عن الخبز والماء، وأفضل من أن يذلّل الإنسانُ نفسه ويحني عنقه كالكلاب ويفرش تحته المسح والرماد كما يقول أشعيا (٥٨ : ٨). حين يصوم المرء عن الخبز والماء وكلّ المأكولات ويفرش تحته المسح والرماد ويكتئب، فعملُه مرضيّ ولائق وحسن. وأحسن منه إن ذلّل نفسه وفكَّ قيود الإثم وقطع ربُط الشرّ. حينئذ ينبلج نورُه كالشمس ويسير برُّه قدّامه ويكون كفردوسٍ بهيج وكنبع ماءٍ لا ينقطع (أش ٥٨ : ٦ـ ١١). وهو لا يشبه المرائين الذين يغيّرون وجوههم ويقبّحون هيئاتهم ليعلنوا أنّهم صائمون.

مرقيون وولنطينس وماني

٩ ها إن أصحاب التعاليم الكاذبة وأدوات الشرّ يصومون ويقرّون بخطاياهم (رح عب ١٠ : ٣) فلا يسمع لهم السيّد الذي يعطي الأجر. فمَن يعطي أجرًا لمرقيون الذي لا يعترف بالخالق الصالح؟ مَن يكافىء صوم ولنطينس الذي يعلن أنّ الذين خلقوه كثيرون؟ قال: إنّه لا يدعو بفمه الإله الخالق ولا يبحث عنه بعقله. مَن يعطي مكافأة لأبناء الظلمة، أبناءِ تعليم ماني الكافر الذين يقيمون في الظلمة مثل الحيّات ويمارسون العِرافة وتعليم بابل؟ كلُّ هؤلاءِ يصومون فلا يُقبل صومهم.

أستير ومردخاي

١٠ واسمع، يا عزيزي، أبيّن لك الصومَ المقبول الذي صامه مردخاي وأستير فكان صومُهما سببَ خلاصٍ لكلّ شعبهما. أبطلا تجبُّر هامان المشاغب وأعادا شرَّه على رأسه. فعاد عليه تفكيره الكاذب، وبالحكم الذي أراد أن يصدره، حُكم عليه، وبالكيل الذي أراد أن يكيله، كيل له به، وكما فكّر أن يعمل، عُمل به. قُيِّد بحبل خطاياه وافتخر بغناه فما رافقه غناه. ولأنّه فكّر بالشرّ ذلّ وزال عنه مجده وفسد جماله وانحطّ جبروته. وبالضربة التي أراد أن يضرب ضُرب، وبالقتل الذي أراد أن يقتل قُتل. أراد أن يبيد كلَّ اليهود الخاضعين للملك أحشويروش، فكان صومُ مردخاي وأستير ترسًا واجه سهام هامان. فأُمسك هامان بشرّه، ودخل سيفُه المسنون في قلبه، وتحطّمت قوسه المملوءة شرًّا، كما كتب على الأشرار: «سَيفُهم يلج قلبَهم وأقواسُهم تحطَّم» (مز ٣٧: ١٥). وهذا ما تمّ لهامان. حين هيّأ هامان صليبًا لمردخاي وأبنائه، رُفع عليه هو وأبناؤه. أُمسك في الهوّة التي حفر، واصطيد بالفخّ الذي طمر، فامتدّ شَرَكُه وسقط في شباك الشرّ وباد إلى الأبد.

هامان بن أجاج ومردخاي ابن شاول

١١ ويا عزيزي، لماذا طلب هامان من الملك أن يُباد كلُّ اليهود؟ أليس انتقامًا؟ أراد بنو شعبه أن ينتقموا ويمحوا اسم بني إسرائيل كما مُحي ذكرُ عماليق من تحت السماء. وظلَّ هامان حيًّا من بني عماليق. وهذا ما كُتب: «كان هامان بن همدات الأجاجي (أس ٣: ١)، وكان عظيمًا لدى الملك أحشويروش. أمّا مردخاي فأقام كلَّ يوم بباب الملك بسبب أستير التي ربّاها والتي أُخذت إلى الملك أحشويروش فراقت في عينيه أكثر من كلّ الفتيات رفيقاتها. دخلت أستير فجلست

على العرش مكان وَشْتي الملكة. وكان مردخاي يأتي باكرًا كلَّ يوم ويقف بباب الملك. أمّا هامان فكان الثالثَ بعد الملك والمكرَّمَ في كلّ المملكة. وكان كلُّ إنسان يقف بباب الملك، فإذا رأى هامان خرَّ ساجدًا أمامه. أمّا مردخاي فما كان يقف أمامه. من أجل هذا أراد هامان أن ينتقم لبني قومه ويأخذ بثأر بني عماليق. أراد هامانُ أن ينتقم لبني شعبه من بني إسرائيل ومن مردخاي بسبب مقتل أجاج. ولم يعرف المجنون بالقرار المأخوذ على بني عماليق: سيُمحى ذكرهم من تحت السماء. فقد كُتب في الشريعة المقدّسة: «قال الله لموسى: قل ليشوع بن نون أن يختار رجالاً ويحارب بني عماليق» (خر ١٧: ٩). فحمل يشوع السلاح وحارب بني عماليق وقهَرهم «بإشارة الصليب» حين بسط موسى يديه بشكل صليب. وحين هلك هؤلاء الذين قدِموا إلى الحرب بقيت منهم بقيّة في مساكنهم. حينئذ قال الربّ لموسى: «أكتب كتاب التذكار وضَعه أمام يشوع بن نون: سأمحو ذكر بني عماليق من تحت السماء» (خر ١٧: ١٤). وأطال الربُّ روحه على بني عماليق علَّهم يسمعون ما كُتب في الأسفار المقدّسة حيث قال: سأمحو بني عماليق، فيعودون إليه فيعود إليهم. فلو تابوا لكانت توبتُهم كتوبة أهل نينوى، ولتسلّطت عليهم إرادةُ العودة فأظهروا علاماتِ التوبة فعاد الربُّ عن شدّة غضبه عليهم. وكما كان عهدٌ مع الجبعونيّين فما بادوا كالكنعانيّين، وكما مُنحت التوبة لراحاب التي آمنت، وُهبت لبَني عماليق مهلةٌ للتوبة شرطَ أن يؤمنوا، وأطال روحَه عليهم أربعمائة سنة. ومن بعد هذا الوقت كلّه، وحين رأى أنّهم لم يتوبوا تسلّط غضبُه عليهم وتذكّر ما رسم موسى في الكتاب المقدّس. وحين صار شاول ملكًا، قال الله لصموئيل: قل له: تذكّرتُ ما صنعَه بكم بنو عماليق حين خرجتُم من مصر وكيف أصلَوكم حربًا. فاذهب الآن وأهلك بني عماليق الخاطئين (١ صم ١٥: ٢-٣). فذهب شاول

وحارب بني عماليق ولكنّه رحمهم، فأُبعد عن المُلك لأنّه أبقى بقيّةً منهم. فكان هامان من بيت أجاج البقيّة التي تركها شاول. ومردخاي الذي من عشيرة شاول هو الذي أهلك بيت أجاج.

١٢ ويا عزيزي، هناك أناس يلومون مردخاي فيقولون: لماذا لم يقف أمام هامان المكرَّم في كلّ المملكة؟ وأيّ ضرر في أن يقدّم له الإكرام؟ ويزيدون: لو وقف مردخاي أمام هامان لمّا فكّر هامان بهذا الشرّ على مردخاي وعلى شعبه. إنّ هؤلاء يتكلّمون وكأنّهم لا يعرفون قوّة الكلمة. إنّ مردخاي الرجل البارّ والحافظ للناموس تصرّف على هذا الشكل: لم يقف أمام هامان الشرّير لأنّه تطلّع إلى نسله من خلال شاول الذي رحم أجاج، جدِّ هامان، فأُبعد عن الملك وحلّ عليه الغضب. فلو أكرم مردخايُ هامان الشرّير لحلّ به الغضبُ الإلهيّ كما حلّ بشاول.

هامان وعماليق

١٣ ويا عزيزي، لماذا خرج بنو عماليق للقاء بني إسرائيل ومحاربتهم، وهذا ما لم تفعله سائر الأمم؟ لقد فكّر بنو عماليق: نخرج ونحارب بني يعقوب ونُبطل بركات الله لإسحٰق. خافوا أن يستعبدهم بنو يعقوب. وهذا ما قال إسحق لعيسو: «تخدم يعقوب أخاك، وإن تُبتَ يُجيز النيرَ عن عنقك» (تك ٢٧: ٤٠). فاعرف أنّ عماليق هو ابن جارية أليفاز بنِ عيسو، فما أراد أن يكون عبدًا لبني يعقوب. ولماذا، يا عزيزي، قال إسحٰق لعيسو: تخدُم أخاك يعقوب؟ هذا ما تعلّمنا إيّاه الكلمة: أخذ عيسو نساءً من بنات كنعان الذي لعنه نوحُ أبوه. هذا ما قال له نوح: «تكون آخرَ العبيد لإخوتك» (تك ٩: ٢٥). عرف إبراهيم وإسحٰق أنّ بني كنعان ملعونون فلم يأخذا من بناتهم لبنيهما. لم يأخذ إبراهيم منهم ابنةً لإسحٰق، ولم يأخذ إسحٰق ابنةً ليعقوب لئلّا

يختلط زرع الكنعانيّين الملعون بزرع سام الذي باركه نوح. من أجل هذا، أراد عماليق بن أليفاز بنِ عيسو أن يُبطل لعنات نوح وبركات إسحٰق فحارب بني يعقوب. والله كتَب بحقٍّ عن عماليق: يُمحى ذكرهُ بواسطة ابنَي راحيل. أوّلًا حاربه يشوعُ بنُ نون من سبط يوسف، ثمّ شاولُ من بيت بنيامين، وبقيّتُهم أبادها مردخاي بصومه. أراد عماليقُ وحدَه من كلّ بني عيسو أن يحارب بني يعقوب فمُحي ذكرُه. أنظر كيف أنّه بصوم مردخاي وأستير أُنزل هامان من عظمته وبادت بقيّة عماليق. ونال مردخاي عظمة هامان وصار كبيرًا في كلّ مملكة أحشويروش وصارت أستير ملكةً عوض وَشتي.

دانيال وجبرائيل وميخائيل

١٤ وصام دانيال صومًا مقبولًا مدّة ثلاثة أسابيع (دا ١٠ : ٢، ٣) لئلّا تزدادَ سنواتُ سَبيِهم في بابل أكثر من سبعين سنة. وحين صام واحدًا وعشرين يومًا استحقّ أن تُسمع صلاتُه أمام الله. وفي تلك الأيّام قام يُعينه جبرائيل، قابلُ الصلوات، ومعه ميخائيلُ رئيسُ اليهود. قاما أمام حاكم فارس واحدًا وعشرين يومًا وساعدا دانيال في صومه. فاعلم، يا عزيزي، أنّ جبرائيل هو قابلُ الصلوات أمام الله. فحين صلّى دانيال جاءَه جبرائيلُ وشدّد حَيله وقال له: «سُمعت صلاتُك أمام الله وأنا جئتُ من أجل كلماتك» (دا ١٠ : ١٢). وأمسكه وقال له: «شُدَّ حيلك، يا رجلَ الرغبات» (دا ١٠ : ١٠، ١٩). بسبب صلاة دانيال وصومه جاءَه جبرائيلُ الذي قرّب أمام الله صلاةَ زكريّا وبشّره بابنه يوحنّا وقال له: «سُمعَت صلاتُك أمام الله» (لو ١ : ١٣). وقرّب جبرائيلُ صلاة مريم وبشّرها بميلاد المسيح. قال لها: «وجدتِ نعمةً عند الله» (لو ١ : ٣٠). وبماذا وجدَت مريمُ نعمةً إن لم يكن بصومها وصلاتها. فجبرائيلُ هو قابلُ الصلوات النقيّة يقرّبها أمام الله،

وميخائيلُ هو رئيس بني إسرائيل، وعنه قال الربّ لموسى: «ها ملاكي يسيرُ قدّامَك ويُبيد الأموريّين الذين في الأرض أمامك» (خر ٢٣: ٢٠، ٢٣). وهو الذي رأته أتان بلعام حين ذهب بلعام ليلعن إسرائيل (عد ٢٢: ٢٢ي). وهو الذي تراءى ليشوع بنِ نون حين استلّ سيفه وقام في سهل أريحا. فحين رآه يشوع ظنّه من الأعداء. فقال له يشوع: «هل أنت منّا أم من أعدائنا»؟. فقال له ميخائيل: «ها أنا رئيس جيوش الربّ، والآن أتيتُ» (يش ٥: ١٣ـ ١٤). وهو الذي أسقط أسوار أريحا أمام يشوعَ بنِ نون (رج يش ٦: ٢٠؛ عب ١١: ٣٠). وهو الذي ضرب أمامه واحدًا وثلاثين ملكًا (يش ١٢: ٧ـ ٢٤). وهو الذي ضرب مليونًا من الأحباش أمام آسا (٢ أخ ١٤: ١٢). وهو الذي أهلك أيضًا في مخيّم الأشوريّين مئةً وخمسةً وثمانين ألفًا (٢ مل ١٩: ٣٥). وحين ذهب بنو إسرائيل إلى بابل ذهب معهم وحارب عنهم.

١٥ ولماذا، يا عزيزي، صام دانيالُ ثلاثةَ أسابيع وصلّى إلى الله وطلب إليه، مع أنّه لم يُكتب أنّه صام؟ فهذا ما كُتب: «بعد أن مرّت على دمار أورشليم سبعون سنة كما قال إرميا النبيّ (٢٥: ١٢؛ ٢٩: ١٠) رفع دانيال صلاته وتوسّل أمام الله (دا ٩: ٢) لئلّا تزداد فتصير أكثرَ من سبعين سنة، كما قلّت من الجيل الذي عاش في أيّام نوح، وكما ازدادت لبني إسرائيل في مصر، وكما قلّت لبني إفرائيم. ففكّر دانيال: ستطول الأيّام بسبب خطايا الشعب أكثر من السبعين سنة التي تكلّم عنها إرميا. ساعده جبرائيل في صومه وساعده ميخائيل رئيسُ اليهود. وأراحه ميخائيل وقال له إنّهم سيعودون إلى أرضهم. وساعده جبرائيل الذي ساعد شعبه ليُكثروا ثمار صلواتهم في الهيكل ويُكثروا من القرابين التي يقرّبها كلَّ يوم أمام الله. لم يرُد حاكمُ الفُرس أن يفصل

زرعَ إسرائيل المقدَّس عن مملكة الفرس الخاطئة التي أسلم الله إليها بني إسرائيل، لأنّهم ما زال هناك بينهم أبرارًا يفرحون بهم. أنظر كم كان صوم دانيال عظيمًا لأنّه أعاد سبي شعبه عندما كملت السبعون سنة.

١٦ ومدبّر جيشنا هو أعظم من جبرائيل وأفضل من ميخائيل وأقوى من سلطان فارس. هو مخلّصنا وربّنا يسوعُ المسيح الذي لبس ناسوتنا وتألّم وجُرّب في الجسد الذي أخذه منّا واستطاع أن يساعد الذين يجرَّبون (عب ٤ : ١٥). صام من أجلنا وتغلّب على عدوّنا وأمرَنا أن نصوم ونسهر في كلّ وقت لأنّنا بقوّة الصوم النقيّ نصل إلى راحته.

تمّت المقالة في الصوم

المقالة الرابعة

في الصلاة

الصلاة الحقيقيّة

١ نقاوة القلب هي صلاة أفضل من كلّ الصلوات التي تُتلى بصوتٍ عال، والصمتُ الممزوج بضميرٍ صاف أفضل من الصراخ الذي يُطلقه الإنسان. فالآن، يا عزيزي، هب لي قلبَك وعقلَك واسمع عن قوّة الصلاة النقيّة، وتأمّل كم اشتهر آباؤنا الأوّلون بصلاتهم أمام الله، وكيف كانت لهم قربانًا نقيًّا. أجل، بالصلاة قُبلت قرابينُهم: هي ردّت الطوفان، وشفَت العواقر وكشفَت الأسرار. شقّت نهر الأردنّ وأوقفت الشمس وجعلت القمر لا يتحرّك. أهلكتِ النجسين وأخمدت حدّة النار. أصعدت من الجبّ وأنقذت من النار ونجّت من البحر. قوّتُها فائقةٌ جدًّا كما هي فائقةٌ قوّة الصوم النقيّ. وكما عرضتُ وبيَّنتُ لكَ في المقالة السابقة عن الصوم، هكذا سأبيّن لكَ ما هي الصلاة ولن يقِرّ لي قرار حتّى أفعل.

هابيل

٢ أقول أوّلًا: بسبب نقاوة قلب هابيل قُبل قربانه أمام الله، أمّا قربان قايين فرُذل (تك ٤ : ٣ـ ٥). وكيف نعرف أنّ قربانَ هابيل قُبل وقربانَ قايين رُذل؟ عرف هابيلُ أنّ قربانَه قُبل، وعرف قايينُ أنّ قربانه رُذل؟

ها أنا أعلّمكَ عن هذا قدر استطاعتي. أنتَ تعلم، يا عزيزي، أنّ القربان الذي يُقبل أمام الله يمتاز بأنّ النار تنزل من السماءِ وتأكله. حين قرّب هابيلُ وقايينُ قربانَيهما نزلت نارٌ حيّة، وهي خادمةٌ أمام الله، ولحسَت قربانَ هابيلَ النقيّ ولم تقترب من قربان قايين الذي لم يكن نقيًّا. من هنا عرف هابيلُ أنّ قربانَه قُبل، وعرف قايين أنّ قربانَه رُذل. وثمارُ قلب قايين بانت وشهدت عليه أنّه مملوءٌ غشًّا حين قتل أخاه. ما حبِل به فكرُه نفّذته يداه. أمّا نقاوة قلب هابيل فكانت صلاته.

النار في القرابين

٣ وسأبيّن لكَ، يا عزيزي، أنّ النار تلحس كلَّ القرابين المقبولة. فحين قرّب منوح، والدُ شمشون قربانًا، نزلت نارٌ حيّة ولحسته، وفي اللهيب صعد الملاك الذي تكلّم معه (قض ١٣ : ٢٠). وعندما أكثر الله وعده لإبراهيم بأن سيولد له ابن قال له: «خذ لك عجلاً ابن ثلاث سنين وعنزة ابنة ثلاث سنين ويمامة ابنة حمامة» (تك ١٥ : ٩). وحين ذَبَحها إبراهيم وشقَّقها وجعل كلَّ قطعة تجاه الأخرى، سقط عليه سكوتٌ وظلام ونزلت نار فعبرَت بين القطع فأكلت قربانَ إبراهيم (تك ١٥ : ١٧). وهكذا نقول عن القرابين التي تقدَّم في خيمة الاجتماع، كانت تنزل نارٌ حيّة وتأكلها (لا ٩: ٢٤). وابنا هارون، ناداب وأبيهو، ازدرَيا خدمة القربان، فنزلت نار، وإذ لم تجد قرابينهما نقيّة لم تقترب منها. وحين رأيا أنّ قرابينهما لم تؤكل، جاءا بنار غريبة لتأكلها لئلّا يلومَهما موسى قائلاً: لماذا لم يُؤكل القربان. فأكلت النارُ الغريبة القربان، وأمّا تلك التي جاءت من السماء فأكلتهما هما وتقدّس الربُّ بهما لأنّهما ازدريا خدمته (لا ١٠: ١ـ ٤). وحين انفصل عن موسى مئتان وخمسون رجلاً وقرّبوا البخور دون أن

يأمرهم، جاء أمرٌ إلى النار فخرجت من أمام الربّ وأكلتهم وتقدّس بخورهم بموتهم (عد ١٦ : ٣٥). وحين بنى سليمانُ الهيكل وقرّب ذبائح وقرابين ومحرقات، صلّى فنزلت نارٌ من السماء وأكلت شحم المحرقات على المذبح (٢ أخ ٧ : ١). وحين قدّم إيليّا قربانًا نزلت نارٌ وأكلته (١ مل ١٨ : ٣٨) وقُبل كقربان هابيل. أمّا قربان عبّاد البعل فرُذل مثل قربان قايين. كلّ هذا البرهان كتبتُه إليك عن النار لتتحقّق من الكلمة: أكلت النار قربان هابيل.

مفاعيل الصلاة

٤ فاسمع الآن، يا عزيزي، عن الصلاة النقيّة وانظر كم تحتوي من القوّة. حين صلّى إبراهيم استعاد ما سباه الملوك الخمسة (تك ١٣ : ١٨؛ ١٤ : ١٦)، والعاقر ولدت بصلاته (تك ٢١ : ١). وبقوّة صلاته قبل الوعدَ القائلَ إنّ به تتبارك الأمم (تك ٢٢ : ١٨). وبيّن إسحٰق قوّة الصلاة حين صلّى من أجل رفقة فولدت ولدًا (تك ٢٥ : ٢١)، ومن أجل أبيمالك فمنع عنه غضب الله (تك ٢٦ : ٦ـ ١١).

صلاة يعقوب وتفسيرها الرمزيّ

٥ وصلّى أبونا يعقوب في بيت إيل فرأى باب السماء مفتوحًا وسلّمًا تصعد إلى العلاء (تك ٢٨ : ١٢ي). ما رأى يعقوب هو سرُّ مخلّصنا. فبابُ السماء هو المسيح كما قال: أنا باب الحياة. كلُّ مَن يدخل بي يحيا إلى الأبد» (يو ١٠ : ٩). وقال داود أيضًا: «هذا باب الربّ الذي فيه يدخل الصدّيقون» (مز ١١٨ : ٢٠). والسلَّم التي رآها يعقوب هي سرُّ مخلّصنا الذي به صعد الصدّيقون من أسفل إلى أعلى. وهي أيضًا سرُّ صليب مخلّصنا الذي يرتفع كالسلَّم والربُّ واقف فوقها. ففوق المسيح ربُّ الكلّ، كما يقول الرسول الفاضل: «رأسُ المسيح هو

الله» (١ كور ١١ : ٣). وسمّى يعقوب هذا المكانَ بيتَ إيل، وأقام يعقوبُ هناك نُصبَ حجرٍ للشهادة (تك ٢٨ : ١٨ـ ١٩) وصبّ الزيت على رأسه. وكان سرًّا ما صنعه أبونا يعقوب الذي جعل الحجارة تقبل المَسحة: فالأمم التي آمنت بالمسيح تُمسح، كما قال عنها يوحنّا المعمدان: «يستطيع الله من هذه الحجارة أن يقيم أبناءً لإبراهيم» (مت ٣ : ٩). فصلاة يعقوب دلّت مسبقًا على سرّ دعوة الشعوب.

٦ أنظر، يا عزيزي، كم من الأسرار مخفيّةٌ في الرؤيا التي رآها يعقوب. رأى باب السماء الذي هو المسيح، ورأى السلّم التي هي رمز الصليب، ومسَح الحجارة التي ترمز إلى الأمم، ونذر العُشر الذي سيعطى للاوي (تك ٢٨ : ٢٢؛ رح عب ١٧ : ٨ـ ١٠). فيه يختبىء واهبو العشور وقابلو البواكير، وفي متنه طمر شبلُ الأسد[1] الذي فيه يختبىء الملكُ المسيحُ وبه دلّ على المَسحة. فالأسباط التي فيه نذرت البواكير للاويّين، والملوكُ الذين في متنه عظّموا قلبه. ونظر في الروح الأنبياءَ الذين سيكونون من زرعه. بعصاه عبر وحده الأردنّ (تك ٣٢ : ١٠). سرٌّ عجيب أمسكه بيده مسبقًا فدلّ به على علامة صليب النبيّ العظيم. وحرّك رجليه نحو الأرض، أرضِ بني المشرق (تك ٢٩ : ١)، لأنّ منها يظهر النور للأمم. وبلغ إلى بئر يغطّيه حجر لا يستطيع الكثيرون أن يرفعون (تك ٢٩ : ٨ي). فالرعاة الكثيرون ما استطاعوا أن يرفعوا الحجر ويفتحوا البئر إلى أن جاء يعقوب. فبقوّة الراعي المختفي في متنه رفع الحجر وسقى القطيع. وجاء أنبياءٌ كثيرون لم يستطيعوا أن يكشفوا عن المعموديّة إلى أن جاء النبيُّ العظيم وفتح وحده باب المعموديّة وعمّد بها وصرخ قائلًا بصوت عذب: «مَن هو عطشان، فليأتِ إليّ ويشرب» (يو ٧ : ٣٧). وصلّى يعقوب أيضًا عند لابان فنجا من يد عيسو أخيه. هكذا صلّى فشكر الله

قائلًا: «بعصاي عبرتُ الأردنّ، والآن معي معسكران» (تك ٣٢: ١٠). يا لَسرٍّ مخلّصنا العجيب. حين جاء ربّنا أوّلًا خرج كالعصا من جذع يسّى (أش ١١: ١) على مثال عصا يعقوب. وعندما يعود من عند أبيه في مجيئه الثاني نذهب إليه في معسكرَين على مثال يعقوب الذي رجع إلى أبيه إسحق بمعسكرَين. رجع يعقوب مع بنيه الأحد عشر وجاء مع مخلّصنا تلاميذه الأحد عشر، ولم يكن معهم يهوذا. بعد هذا وُلد بنيامين فصار أبناءُ يعقوب اثني عشر. ومن بعد أن اختير تولماي[٢]، أصبح تلاميذ مخلّصنا اثني عشر. هذا ما أردنا أن نقوله عن صلاة يعقوب.

صلاة موسى ويشوع

٧ فماذا نقول عن قوّة صلاة موسى التي لا حدود لها؟ صلاته نجّته من يد فرعون، وهي التي دلّته على مسكن الربّ (خر ٣: ٢ي). بصلاته جلب عشر ضربات على فرعون، وصلاته أيضًا شقّت البحر وحلّت المياه المرّة وأنزلت المنَّ وأصعدت السلوى وزعزعت الصخر وأجرت الماء وغلبت عماليق وقوّت يشوع وضربت عوجًا وسيحون في الحرب، وأنزلت الأشرار إلى الجحيم، وأرجعت حدّة غضب الله عن شعبه وسحقت عجل الخطيئة وأنزلت اللوحين من الجبل وجعلت وجهه يشرق. ويمكنني أن أخبر عن صلاته أكثر ممّا أخبر عن صلاة يعقوب.

وعظُم يشوع بن نون بصلاته أمام إلهه. صلاتُه شقّت الأردنَّ وهدمت أسوار أريحا وأهلكت عاكان وأوقفت الشمس ومنعت القمر من الصعود ودمّرت الملوك واستولت على أرضهم وأورثَتها لبني إسرائيل.

حنّة وصموئيل وداود

٨ ونصل الآن إلى الصلاة الصامتة التي تَلتها حنةُ أمُّ صموئيل (١ صم ١ : ١٣)، وكانت مرضيّةً أمام الله وفتحَت عُقرها وأزالت عارَها فولدت المنذور والكاهن. وصلّى صموئيل أمام إلٰهه حين أراه علامةً لبني إسرائيل وأعلمه بخطاياهم عندما طلبوا ملكًا. أصعد صموئيلُ المحرقة على المذبح فنزل المطرُ في أيّام حَصاد الحنطة (١ صم ١٢ : ١٧ـ ١٨). وصلّى داود أيضًا أمام إلٰهه فنجا من يد شاول (١ صم ١٩ : ١٨ي). وحين أحصى الشعب، صلّى فعادت حدّة غضب الربّ حين تسلّط عليهم المفسد (٢ صم ٢٤ : ٢٥). وصلّى آسا أيضًا فأظهرت صلاتُه قوّةً عظيمة، حين خرج عليه زارح الحبشيّ، بجيش مؤلَّف من مليون جنديّ (٢ أخ ١٤ : ٩). صلّى فقال: «بهذا تُعرف قوّتُك يا إلٰهنا، إذ تسلّم هذا الجيشُ العظيم إلى الجيش الصغير» (٢ أخ ١٤ : ١١). وسمع الله صلاتَه وأرسل ملاكه فبلبل المعكسر، وقُهر الجيش الكثير بواسطة صلاة آسا. وصلاةُ يوشافاطَ ابنِه دمّرت جيش الأعداء وقهرتهم (٢ أخ ٢٠ : ٣). وصلّى حزقيا أيضًا فدمّرت صلاتُه بواسطة الملاك رئيسِ جيشه، مئةً وخمسةً وثمانين ألفًا (٢ أخ ٢٠ : ٣ي). وصلّى يونانُ أيضًا أمام إلٰهه من أعماق البحر، فسمع الله له واستجابه فنجا ولم يهلك. زعزعت صلاتُه الغمرَ وقهرت الأمواجَ وتغلّبت على العواصف وهزّت الغمام وطارت في الهواء وفتحت السماء واقتربت من عرش العظمة بواسطة جبرائيل، مقرّب الصلاة أمام الله. فتقيّأ الغمرُ النبيّ وأفلت الحوتُ يونان ورماهُ على اليابسة. وغلبت صلاةُ حنانيّا وعزرَيا وميشائيل لهيبَ النار وخفّفت قوّتَها وبدّلت طبعها المحرق وأمسكت غضب الملك ونجّت الأبرار.

دانيال

٩ وصلّى أيضًا دانيالُ فأفسدت صلاتُه أفواهَ الأسود. أُغلق الفمُ الآكلُ عن لحم الصدّيق وعظامه. وفرشت الأسودُ أيديَها وأحاطت بدانيال لئلا يقع على الأرض. عانقت دانيالَ بأذرعتها وقبّلت قدميه. وحين قام دانيالُ في الجبّ للصلاة، بسطت أيديَها مثل دانيال فنزل إليها قابلُ الصلوات وسدَّ أفواه الأسود. قال دانيال لداريوس: «إلهي أرسل ملاكه فسدّ أفواه الأسود فما أساءَت إليّ» (دا ٦ : ٢٢). كان الجبُّ مخفيًّا ومختومًا، ومع ذلك شعَّ النور في داخله. فرحت الأسود لأنّها رأت ذلك النور بسبب دانيال. وحين نعس دانيال وأراد أن ينام احترست الأسود أن تنام عليه بل على الأرض. كان الجبُّ مضيئًا أكثر من العلّيّة الكثيرة الكُوى، وأكثرت صلاتُه الكُوى فزادت على ما كان في العلّيّة التي صلّى فيها ثلاثَ مرّاتٍ وحده (دا ٦ : ١٠). وصعد دانيال من الجبّ ولم يُصَب بأذى. ونزل أعداؤه مكانَه فانفتحت أفواه الأسود ودقّت عظامهم. وصلاتُه أعادت أيّام السبي إلى ملئها فجعلت سبيَ بابلَ سبعين سنة (دا ٩ : ٢٣ي). وكلٌّ واحد من آبائنا الأبرار اتّخذ سلاح الصلاة في وقت الضيق فنجا من الضيق.

تعليم يسوع

١٠ وعلّمنا مخلّصُنا الصلاة، قال: «صلّوا في الخفية إلى الخفيّ وهو يرى كلَّ شيء» (مت ٦ : ٦). وقال: «أدخل مُخدَعك وصلِّ لأبيك في الخفية وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك» (مت ٦ : ٦). ولماذا، يا عزيزي، علّمنا مخلّصُنا قال: «صلِّ لأبيك في الخفية وبابك مغلق»؟ سأبيّن لكَ ذلك، كما أعرف. قال: صلِّ لأبيك في الخفية وبابك مغلق. هكذا نفسّر كلمة ربّنا: صلِّ لأبيك في الخفية بقلبك وأغلق بابك. أيَّ باب أمرَك أن تُغلق؟ فمَك الذي هو هيكلٌ يسكن فيه

المسيح، كما قال الرسول: «أنتم هيكل الربّ» (١ كور ٣: ١٦). فالمسيح يدخل إلى الإنسان الباطنيّ، إلى ذلك البيت، ينقّيه من كلّ دنس حين يُغلق البابَ الذي هو فمك. وإن لم يكن هٰكذا فكيف نفهم الكلمة؟ إن حصل لك أن وُجدتَ في الحقل ولا بيتَ هناك ولا باب ألا تستطيع أن تصلّي في الخفية؟ وإن حصل لكَ وكنتَ أيضًا على رأس الجبل، ألا تصلّي؟ لقد أظهر لنا الله أنّه يعرف إرادة القلب والأفكار كما كتب ربّنا: «أبوكم يعرف قبل أن تسألوه ما تطلبونه لكم» (مت ٦: ٨). وكتب في أشعيا النبيّ (٦٥: ٢٤): «قبل أن يدعوَني الذين اخترتُهم، أسمعُهم. وقبل أن يصرخوا أجيبهم». وقال أشعيا (١: ١٥) أيضًا على الخاطئين: «إن أكثرتم الصلاة لا أسمعُ لكم». وقال أيضًا: «يَدعون في أذني بصوتٍ عالٍ ولا أسمع لهم» (حز ٨: ١٨). هذا ما قاله على صلاة الغشّ غير المقبولة. عليكَ أن تميّز بين كلّ هذه الأقوال وتدرك قوّتها.

١١ وقال مخلّصنا كلمةً أخرى نسمعها بتمييز. قال: «حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون بينهم» (مت ١٨: ٢٠). فكيف تفهم، يا عزيزي، هذه الكلمة؟ قال مخلّصنا: حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون بينهم. وإن كنت وحدَك، ألا يكون المسيح معكَ؟ كُتب عن الذين يؤمنون بالمسيح أنّ المسيح يسكن فيهم (١ يو ٣: ٢٤؛ ٤: ١٥؛ يو ٦: ٥٧). وبهذا بيّن أنّه عندما يكونون اثنين أو ثلاثة يكون المسيح معهم. وأنا أبيّن لك أنّ هناك مكانًا يكون فيه الاثنان أو الثلاثة أفضل من ألف اجتمعوا باسم المسيح وما كان المسيح معهم. وهناك إنسان يكون وحيدًا ويكون المسيح معه. هذه الكلمة التي قالها مخلّصنا تليق بسامعيه وتحسن بهم. قال: «حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون هناك بينهم» (مت ١٨: ٢٠).

وعندما يجمع الإنسان نفسه باسم المسيح، يسكن المسيح فيه والله يسكن في المسيح. من الآن صار ذلك الإنسان واحدًا من ثلاثة: شخصُه، والمسيحُ الذي يسكنُ فيه، والله الذي في المسيح، كما قال ربُّنا: «أنا في أبي وأبي فيّ» (يو ١٤: ١٠ـ ١١). وقال: «أنا وأبي واحد» (يو ١٠: ٣٠). وقال أيضًا: «أنتم تكونون فيّ وأنا أكون فيكم» (يو ١٤: ٢٠). وقال بالنبيّ: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢٦: ١٢؛ ٢ كور ٦: ١٦؛ رج حز ٤٣: ٩). بهذا البرهان تستطيع أن تفهم تلك الكلمة التي قالها مخلّصنا.

أمثلة من العهد القديم

١٢ وأنا أبيّن لك، يا عزيزي، أنّ كلًّا من آبائنا الأبرار صلّوا فكان الله فيهم. حين صلّى موسى على الجبل كان وحده، ولكنّ الله كان معه. ألم يسمع له لأنّه كان وحده؟ بل بالحريّ استمع إلى صلاة موسى وأسكن حدّة غضبه. وحين صلّى إيليّا على جبل الكرمل كان وحده، إلّا أنّ صلاته أبرزت القوى المذهلة. بصلاته منع السماء من المطر، وبصلاته فكّ قيودها. صلاته خطفت الصبيّ من يد الموت وأعادته من الجحيم. صلاته استأصلت النجاسة من إسرائيل، وصلاته أنزلت النار ثلاث مرّات. وركع على ركبتيه وصلّى فاستُجيب حالًا. والأربعمائة والخمسون الذين صرخوا بصوتٍ عالٍ لم يسمع لهم، لأنّهم باسم بعل دعَوا. وإيليّا الذي كان وحده استحقَّ أن يُسمع له. وحين صلّى يونان النبيّ سمع الله له في الجحيم السفلى واستجابه. وصلّى أليشاع فأرجع الولد من الجحيم ونجّاه من أيدي الشياطين المحيطين به. كان وحده، وكان يحيط به جيشٌ كبير، فقال لتلاميذه: «الذين معنا أكثر من الذين معهم» (٢ مل ٦: ١٦). كانا وحدهما، ولكنّهما لم يكونا وحدَهما. بهذه الأمور التي بيّنتها لك تستطيع أن تفهم كلمة ربّنا الذي

قال: «حيثُ اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا هناك بينهم».

الصلاة والغفران

١٣ لقد نبّهتُك سابقًا. حين تصلّي، إرفع قلبك إلى العلاء واخفض عينيك وادخُل إلى أنسانك الباطنيّ وصلِّ في الخفية إلى أبيك السماويّ. وكتبتُ إليك كلَّ شيء عن الصلاة: حين تكون نقيّة تُسمع، وحين لا تكون نقيّة لا تُسمع. هناك أناس بيننا يُكثرون الصلوات ويُطيلون التوسّل ويبسطون أيديَهم، إلّا أنّ أعمال الصلاة بعيدةٌ عنهم. يتلفّظون بصلاة مخلّصنا الذي علّم: «أغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمَن أذنب إلينا» (مت ٦ : ١٢). فأنت حين تصلّي تقدّم لله قربانًا. أفلا يخجل مقدّمُ الصلوات بقربانٍ فيه عيب؟ أنت تصلّي ليغفر لكَ وتعدُ أنّك ستغفر. فكّر في ضميرك أوّلًا إن كنتَ تقدر أن تغفر، ثمّ عِد بأن تغفر. لا تكذب على الله وتقول: أنا غفرتُ، وأنت لم تغفر. الله ليس إنسانًا مثلك فتكذب عليه (عد ٢٣ : ١٩). وعندما يخطأ إنسان إلى إنسان يطلب المغفرة من الربّ. ولكن عندما يخطأ إنسان إلى الله فممَّن يطلب المغفرة؟ لا تحكم على نفسك بصلاتك. إسمع أيضًا ما يقول ربُّنا: «حين تقدّم قربانًا وتتذكّر أنّك تحتفظ بغضب على أخيك فاترك قربانَك أمام المذبح واذهب فصالحِ أخاك، وحينئذٍ تعالَ وقدّم قربانك» (مت ٥ : ٢٣ـ ٢٤). فلا تصلِّ وأنت تتذكّر أنّك تحتفظ بغضب. فكّر في ضميرك أنّ صلاتك تبقى أمام المذبح ولا يريد مقدِّم الصلوات أن يرفعها عن الأرض لأنّه ربّما يجد علّة في قربانك. فإن كان نقيًّا أصعدَه إلى الله. وإن وجدَ في صلاتك اغفر لي وأنا أغفر، فيجيب مقدِّم الصلوات ذلك الذي يصلّي: أترك مئة دينار وأنت فقير، فيترك لك الربُّ دَينك، عشرةَ آلاف وزنة، بحسب عظمته، ولا يحسب معك الفائدة والرِّبى. وإن أردت أن تغفر، حمَل مقدِّم

الصلوات قربانك وأصعدَه معه. وإن كنت لا تغفر فيقول لك: أنا لا أقدِّم أمام العرش المقدّس قربانًا نجسًا. أنت تأتي لتعطي حسابًا لمُدينك وتحمل معك قربانك، فتترك قربانك وتذهب. فاسمع ما يقول النبيّ: «ملعونٌ مَن له في قطيعه ذكَرٌ صالحٌ فينذرُه، ثمّ يذبح المريض للربّ» (ملا ١: ١٤). وقال: «قدّمه للحاكم، فهل يرضى عنك، وهل تجرؤ على أن تواجهه؟» (ملا ١: ٨). إذًا يجب عليك أن تغفر لمَن أذنب إليك قبل أن تصلّي، وبعد هذا تصلّي. وحين تصلّي ترتفع صلاتُك أمام الله في العلاء ولا تبقى على الأرض.

الصلاة والإحسان

١٤ قال الربّ بالنبيّ: «هذه هي راحتي، أرح المتعَبين» (أش ٢٨: ١٢). فاصنع أعمالًا تريح الله، أيّها الإنسان، فلا تحتاج إلى أن تقول: أغفر لي. أرح المرهَقين، عُدِ المرضى، أطعم الفقراء، هٰذه هي الصلاة. وأبيّن لكَ، يا عزيزي، أنه كلّما عمل إنسان أعمالًا تريح الله، كانت أعمالُه صلاة. وهذا ما كتب: حين زنى زمري مع إحدى المديانيّات رآه فِنحاسُ بنُ أليعاز فدخل إلى المخدع وقتل الاثنين، فحُسب قتله لهما صلاة. وهذا ما قال فيه داود: «قام فِنحاس وصلّى فحُسبت صلاته له برًّا للأجيال وإلى الأبد» (مز ١٠٦: ٣٠_ ٣١). وبالقتيلَين اللذَين قتلَهما من أجل ربّه حُسب له عملُه صلاةً. واحذر، يا عزيزي، إن حصَل لكَ أن تفعل ما يُرضي الله أن تقول جاء وقت الصلاة، أصلّي وبعدَها أعمل. وحين تظلّ تطلب حين تنتهي صلاتُك يُفلت منك العمل الذي يريح الله وتعجز عن العمل بإرادة الله وراحته وتكسب بصلاتك خطيئة. ألا فاعمل ما يريح الله، وهٰذه لعمري هي الصلاة.

١٥ فاسمع الكلمة التي قالها الرسول: «إن كنّا لا ندين أنفسنا فلا نُدان» (١

كور ١١: ٣١). أحكم بنفسك على الأشياء التي أقولها لك. إن حصل لك أن ذهبتَ في طريق بعيدة وأحسست بالعطش في أوان الحرّ فعرّجت على أحد إخوتك وقلتَ له: أرحني من عذاب العطش. فيقول لك: الوقتُ وقتُ صلاة. أصلّي، وبعدها آتي إليك. ولكنّك تموت عطشًا. ما رأيك، أيّها الأفضل؟ أن يذهب ويصلّي أم يريحك من عذابك؟ وإن ذهبت في الطريق في زمن الشتاء ونزل عليك المطر والثلج فتألّمتَ من البرد. وفي وقت الصلاة تعرّج على صديقك فيجيبك بمثل هذا الكلام وأنت تموت من البرد. وأيّ نفع من صلاة لا تريح المعذَّبين؟ فربّنا بيّن لنا أنّه في وقت الدينونة سيميّز البشر ويقيم قسمًا عن يمينه وقسمًا عن شماله. ويقول للذين عن يمينه: «جعتُ فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني، كنت مريضًا فزرتموني وغريبًا فاستقبلتموني» (مت ٢٥: ٣٥ـ ٣٦). ويقول مثل هذا الكلام للذين عن شماله. وبما أنّهم لم يصنعوا ذلك يُرسَلون إلى العذاب ويُرسَل أبناءُ اليمين إلى الملكوت.

١٦ الصلاة جميلة وأعمالها حسنة. والصلاة تُقبل إذا تضمّنت راحةً للربّ. والصلاة تُستجاب إن وُجد معها الغفران. وتكون محبوبة إذا خَلت من كل غشّ. وتكون الصلاة قويّة حين يقوّيها الله ويتمُّها. وهذا ما كتبتُ إليك، يا عزيزي: إنّ الصلاة تقوم في أن يعمل الإنسان إرادة الله. هذا ما يتراءى لي أنّه حسن. فلا تمتنع عن الصلاة لأنّي قلتُ لك هذا، بل بالحريّ اجتهد ولا تملِ عنها كما كُتب وكما قال ربّنا: «صلّوا ولا تملّوا» (لو ١٨: ١). فاجتهد في السهر وأبعد عنك النوم وثقل النعاس، واسهر في الليل والنهار ولا تخَف من التعب.

أنواع الصلاة

١٧ وها أنا أبيّن لك أنواع الصلاة: هناك الطلب والاعتراف والتمجيد (١

تم ٢ : ١). بالطلب يلتمس الإنسان المراحم من أجل خطاياه. بالاعتراف يشكر الآب السماويّ. بالتمجيد يسبّحه على أعماله. ساعة تكون في الضيق قرّب الطلبة، وحين تكون مغمورًا بالخيرات أشكر الوهّاب، ووقت الفرج قرّب التسبيح. ميّز صلواتكَ هذه وصلِّها كلَّها أمام الله. وانظر كيف صلّى داود في كلّ وقت. قال: «قمتُ لأعترف لك من أجل أحكامك أيّها العادل» (مز ١١٩ : ٦٢). وقال في مز ١٤٨ : ١ : «سبّحوا الربَّ في كلّ حين، وفي كلّ وقت تسبحاتُه في فمي» (مز ٣٤ : ٢). فهو لم يصلِّ بشكلٍ واحد، بل ميّز بين الصلوات.

الصلاة النقيّة

١٨ وأنا متأكّد، يا عزيزي، أنّ كلَّ ما يسألُه الناس باجتهاد، فالله يهبُه لهم. ومَن قدَّم الصلواتِ لاعبًا لا يرضى الله به كما كتب: يُطلب من الذي يصلّي إلى مقدِّم الصلوات أن يعود إلى قربانه، رُبّما وُجد فيه عيب. وبعد هذا يقدّمه، وإلّا بقي قربانُك على الأرض. وما هو القربان إلّا الصلاة كما كتبتُ إليك أعلاه. فقد قال داود: «إذبح للربّ الاعتراف وكمِّل نذورَك للربّ» (مز ٥٠ : ١٤). أفضل كلّ القرابين الصلاةُ النقيّة. فاجتهد، يا عزيزي، في الصلاة التي تتكلّم من أجلك إلى الله، كما كُتب في أشعيا النبيّ حين دلّ بني إسرائيل على خطاياهم وسمّاهم حكّام سدوم لا البنين الذين ربّاهم وكرّمهم، وهم بدّلوا مجدهم بالعار. قال عليهم أشعيا: «ربّيتُ بنين وعظّمتُهم» (١ : ٢). ثمّ قال: «حكّامُ سدوم وشعبُ عمورة» (أش ١ : ١٠). وإذ لم يسمعوا لقول النبيّ قال عليهم: «ستكون أرضُهم خربة وستُحرق مدنُهم بالنار» (أش ١ : ٧). ودعاهم حكّام سدوم وشعب عمورة. حينئذٍ أخذوا قرابينهم وجاؤوا بها لتكفّر عنهم، فلم تُقبل قرابينُهم لأنّ إثمهم كبير كإثم بيتِ

عالي الكاهن. فقد قال الربّ في الكتاب: «لن يكفَّر إثمُ بيتِ عالي بالذبائح والقرابين» (١ صم ٣: ١٤). ومن أجل بني إسرائيل خرجَت هذه الكلمة، فقال لهم أشعيا: «لِمَ تقدّمون لي الذبائح الكثيرة، يقول الربّ؟ شبعتُ من محرقات الكباش وما رضيتُ بالشحم السمين وبدم الثيران والجداء. مَن طلب هذا من أيديكم؟» (١: ١١- ١٢). فقالوا له: لماذا طلبتَ هذا، ولماذا لا تقبَل قرابينَنا؟ فقال لهم النبيّ: «لأنّ أيديكم مملوءةُ بالدماء» (أش ١: ١٥). فقالوا له: أيّة نصيحة تقدّمها لنا؟ قال لهم: «إغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرَّ أعمالكم من أمام عينيّ. إنقطعوا عن الشرّ وتعلَّموا أن تفعلوا الخير. أطلبوا الحكم وأحسنوا إلى المظلوم. أحكموا بعدلٍ لليتيم. أحكموا بعدل للأرملة» (أش ١: ١٨). فقالوا للنبيّ: وحين نصنع هذا ماذا سيكون لنا؟ فأجابهم: «كذا قال الربّ: متى فعلتُم هذا تعالوا نتكلّم بعضُنا مع بعض» (أش ١: ١٦- ١٧). ولكن كيف يتكلّم الناسُ مع الله إلاّ بالصلاة التي لا عيب فيها. وأيُّ صلاة فيها عيب لا تتكلّم مع الله كما كُتب أنّه ردّ عليهم بهذا الكلام: «وإن أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم لأنّ أيديَكم مملوءة بالدماء» (أش ١: ١٥). وقال لهم: متى اغتسلتم وتكلّمنا مع بعضنا، «فإن كانت خطاياكم كالقرمز فأنا أبيّضها كالثلج، وإن كانت حمراءَ كالدود تصبح مثل الصوف. إن شئتم وسمعتموني تأكلون من خير الأرض. وإن لم تشاؤوا وتمرّدتم تُقتلون بالسيف. فمُ الربّ تكلّم» (أش ١: ١٨- ٢٠).

١٩ يا لأسرارٍ مجيدة رآها أشعيا سابقًا. قال لهم: «أيديكم مملوءة بالدماء» (أش ١: ١٥). أين هو الدم الذي رآه أشعيا؟ إنّه دم المسيح الذي جعلوه عليهم وعلى أبنائهم، إنّه دم الأنبياء الذين قتلوهم. هذا الدم أحمر كالقرمز وكالدودة، تلطّخوا به فما تطهّروا. فإن اغتسلوا بمياه

المعموديّة واقتبلوا جسد المسيح ودمه، فالدمُ يكفّر عنه بالدم والجسدُ يتطهّر بالجسد والخطايا تغتسل بالماء مع صلاة تتوجّه إلى الله العظيم. فانظر، يا عزيزي، لقد ازدُرِيَت الذبائح والقرابين واختيرت بدلَها الصلاة. فمنذ الآن أحِبَّ الصلاة النقيّة واجتهد بالطِلبة. وفي بدءِ كلِّ صلواتك، صلِّ صلاةَ ربّك واجتهد في كلّ ما كتبتُ لك. وفي كلّ وقتٍ تصلّي، تذكّر عزيزك.

تمّت المقالة في الصلاة

الحواشي

---

(١) يهوذا رج تك ٤٩ : ٩.
(٢) أو ماتيًا.

في الحروب

تأمّل في النهاية

١ جاءتني هذه الفكرة في هذا الوقت بسبب الغوغاء المزمعة أن تجيء والجيوش التي تهيّىء نفسها للحرب. فالله سبق ووضع الأوقات: أزمنة سلم تمرّ في أيّام الأخيار والأبرار. وفي أيّام الأشرار والأثمّة تمرّ أيّام خطيئة مع شرور كثيرة. وهذا ما كُتب: لا بدّ من أن يأتي الخير وطوبى لمَن يأتي على يده، ولا بدّ من أن تأتي الشرور وويل لمَن تأتي على يده. جاء الخير لشعب الله وطوبى لمَن بيده جاء الخير وثبَت. وتحرّك الشرُّ من أجل القوّة المجتمعة بواسطة الشرّير، والرفيعة والمتكبّرة، ويبقى الويل لمَن يتحرّك الشرّ بيده. لا تلُم، يا عزيزي، الشرّير الذي رمى الشرّ عند الكثيرين، لأنّ الزمان موضوع مسبقًا وحينئذٍ تصلُ ساعةُ نهايتهم.

مَن اتّضع ارتفع

٢ بما أنّ الزمن شرّير فاسمع ما أكتب لكَ في الرموز. وهذا ما كُتب: «ما هو رفيعٌ بين البشر هو محتقَر أمام الله» (أم ١٦ : ٥). وكُتب أيضًا: «كلُّ مَن ارتفع اتّضع وكلُّ مَن اتّضع ارتفع» (لو ١٤ : ١١). وقال إرميا: «لا يفتخر القويُّ بقوّته ولا الغنيُّ بغناه» (٩ : ٢٢). وكتب

أيضًا الرسول الفاضل: «مَن يفتخر فليفتخر بالربّ» (٢ كور ١٠: ١٧). وقال داود: «رأيتُ الشرّير يرتفع ويتعالى مثل أرز لبنان، ولمّا مررتُ لم يكن، وطلبتُه فما وجدتُه» (مز ٣٧: ٣٥_ ٣٦).

أمثلة من العهد القديم

٣ كلُّ مَن تجبّر اتّضع. تجبّر قايين على هابيل أخيه وقتلَه، فلُعن وصار مرتعدًا شاردًا في الأرض (تك ٤: ١٤). وتجبّر أهل سدوم على لوط فسقطت عليهم نار من السماء وأحرقتهم وانقلبت على مدينتهم. وتجبّر عيسو على يعقوب واضطهده، إلّا أنّ يعقوب نال بكوريّة عيسو وبركاته. وتجبّر أبناء يعقوب على يوسف، فسقطوا إلى الأرض وسجدوا له. وتجبّر فرعون على موسى وشعبه معه، فغرق فرعون في البحر مع جيشه. وتجبّر داتان وأبيرام على موسى فسقطا أحياء في الجحيم. وهدّد جُليات داود فسقط أمامه وتحطّم. ولاحق شاولُ داودَ فسقط بسيف الفلسطيّين. وترفّع أبشالوم على داود فقتله يوآب في الحرب. وتجبّر بنُ هدَد على آحاب فأسلم إلى يد إسرائيل. وجدّف سنحاريب على حزقيا وإلهه فصار جيشُه جثثًا هامدة، حين خرج أحد الملائكة وضرب جيشه المؤلَّف من مئة وخمسة وثمانين ألفًا، بصلاة حزقيا وأشعيا النبيّ أعظم الأنبياء. وترفّع آحاب على ميخا فسقط في راموت جلعاد. وتجبّرت إيزابيل على إيليّا فأكلتها الكلاب في حقل يزرعيل. وتجبّر هامان على مردخاي، فرجع شرّه على رأسه. وتجبّر البابليّون على دانيال ورموه في جب الأسود، فصدّ دانيالُ الأسود ولم يُصب بأذى، وسقط البابليّون مكانه في الجبّ. وتجبّر البابليّون أيضًا ووشَوا بحنانيا ورفيقيه: سقطوا في أتون النار وصعدوا منه وما أصيبوا بأذى، وأكل اللهيب الذين وشَوا بهم.

نبوكدنصر وسنحاريب

٤ قال نبوكدنصر: «أَصعد إلى السماء وأرفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على الجبال العالية التي يمرّ في أسفلها هواء الشمال» (أش ١٤: ١٣). فقال عنه أشعيا: «أمن أجل هذا رفعكَ قلبك؟ فمنذ الآن تنحدر إلى الجحيم، وكلّ الذين ينظرون إليك يندهلون» (١٤: ١٥ـ ١٦). وهذا ما كان يقولُه عن سنحاريب: «أصعد إلى أعلى الجبال وحتّى إلى أطراف لبنان. أنا أحفُر وأشرب الماء وأُيبس بحوافر خيلي كلَّ الأنهار العميقة» (أش ٣٧: ٢٤ـ ٢٥؛ ٢ مل ١٩: ٢٣ـ ٢٤). ولأنّه تجبّر قال عليه أشعيا: «لماذا تتجبّر الفأس على مَن يقطع بها، أو يترفّع القضيبُ على مَن يرفعه؟» (١٠: ١٥). فأنت يا سنحاريب فأسٌ بيد مَن يقطع، ومنشارٌ بيد مَن ينشُر، وقضيب بيد مَن يرفعه للعقاب. أنت عصًا للضرب. أُرسلتَ على شعب متقلّب وأُمرتَ بأن تذهب على شعبٍ عاقٍّ لتسبي سبيًا وتسلُب سلبًا وتجعل كلّ البشر وكلّ الشعوب كوحل الشوارع (أش ١: ٦). وحين صنعتَ كلّ هذا لماذا ترفّعتَ على مَن يُمسِك بك، وتجبّرتَ على مَن ينشُر بكَ، واحتقرت مدينة القدّوس وقلت لبني أورشليم: «هل يقدر إلهُكم أن يخلّصكم من يدي؟». تجرّأت فقلت: «مَن هو الربُّ لينجّيكَم من يدي؟» (٢ مل ١٩: ٣٥؛ أش ٣٦: ٢٠). من أجل هذا، إسمع جوابَ الربِّ يقول: «أحطّم الأشوريَّ في أرضي وأدوسُه على جبالي» (أش ١٤: ٢٥). وعندما تتحطّم وتُداس، تزدري بك العذراءُ بنتُ صهيون، وتهزّ بنتُ أورشليم رأسها وتقول: «مَن احتقرتَ وعلى مَن جدّفتَ ورفعتَ صوتك؟ رفعتَ عينيك إلى العلاء، على قدّوس إسرائيل، وبواسطة رسُلك احتقرتَ الربّ. فالآن ها أنا أجعل خُزامةً في أنفك، وشكيمةً في شفتيك فتعودُ بقلبٍ مكسور من حيثُ أتيتَ بقلب مترفّع» (٢ مل ١٩: ٢١ـ ٢٣، ٢٨؛ أش ٣٧: ١٢٢ـ ٢٤،

٢٩). وقُتل سنحاريب بيد أعزّائه وصُرع في بيتٍ اتّكل عليه وسَقط قدّام إلهه (٢ مل ١٩: ٣٧؛ أش ٢٧: ٣٨). وكان يليق به، يا عزيزي، أن يقدّم ذبيحةً وقربانًا أمام الإله الذي اتّكل عليه فصار جسدُه تذكارًا لصنَمه في هيكله.

رؤية دانيال: الكبش والتيس

٥ وترفَّع الكبش وتعالى ونطح الغرب والشمال والجنوب، وأذلَّ حيوانات كثيرة ما استطاعت أن تقفَ بوجهه، إلى أن جاء من الغرب تيسُ الماعز فضرب الكبشَ وحطَّم قرنيه فذُلَّ الكبشُ جدًّا (دا ٨: ٤). الكبش هو ملك ماداي وفارس وهو داريوس. والتيس هو الإسكندر بنُ فيلبّس المقدوني. رأى دانيالُ الكبش في الشرق أمام باب شوشن المدينة الواقعة في منطقة عيلام على نهرِ أولاي. وكان ينطح إلى الغرب والشمال والجنوب، فلم تستطع كلُّ الحيوانات أن تقف بوجهه (دا ٨: ٢، ٤). وخرج تيس الماعز من مدينة اليونانيّين وارتفع فوق الكبش وضربه وحطَّم قرنيه الصغيرَ والكبيرَ (دا ٨: ٦ـ ٧). ولماذا قال إنّه حطّم قرنيه؟ لأنّه أذلَّ المملكتين اللتين كان يحكمُهما: الصغيرةَ هي مملكة المادايّين والكبيرة هي مملكة الفرس. فحين جاء الإسكندرُ اليونانيّ قتل داريوس ملك ماداي وفارس. هذا ما قال لدانيال الملاكُ حين فسّر له الرؤية: «الكبشَ الذي رأيتَ هو ملكُ ماداي وفارس، والتيسُ هو ملك اليونانيّين» (دا ٨: ٢٠ـ ٢١). فمن وقتِ تحطّم قرني الكبش حتّى هذا الوقت مرّت ستمائة وثمانٍ وأربعون سنة[1].

٦ تحطَّم قرنا الكبش، ومع أنّهما تحطّما فما زال يتعالى ويترفّع أمام الحيوان الرابع القويّ والشديد الذي أسنانه من حديد وأظافره من نحاس، فكان يأكل ويسحق ويدوس برجليه كلّ ما فضل (دا ٧: ١٩). أيّها الكبشُ الذي تحطّم قرناه، أسكت عن الحيوان ولا تُثِرهُ

لئلا يدقَّكَ ويأكلكَ. لم يستطع الكبشُ أن يقاوِم التيس، فكيف يقاوم الحيوان المخيف؟ فمُه ينطق بالعظائم، وكلُّ ما يجده يركض إليه كالأسد على فريسته. مَن يتلاعب مع الأسد يصبح حصّته، ومَن يوقظ وحشًا يأكله، ومَن يذهب ليسقط تحت رجلي وحش يدوسه. لن يُقتل الحيوان إلّا حين يجلس قديم الأيّام على عرشه (دا ٧: ١٣ي) ويأتي أمامه ابنُ البشر ويُعطى له السلطان. حينئذ يُقتل هذا الوحش ويَبيد جسمه، ويكون ملكوت ابن البشر ملكوتًا أبديًّا، وسلطانه إلى جيل الأجيال.

سقوط المتكبّرين

٧ إحذر أن تترفَّع أو تتجبَّر. إن رفَع قلبَك غناك فهو لم يكن أكثر من غنى حزقيا الذي افتخر به أمام البابليّين، فأُخذ كلُّه وذهب إلى بابل (٢ مل ٢٠: ١٣ي). وإن افتخرت ببنيك فهم يُقتادون أمام الوحش كما اقتيد أبناء حزقيا الملك وصاروا خصيانًا في قصر ملك بابل. وإن افتخرت بحكمتك فلن تكون أفضل من ملك صور الذي احتقره حزقيال وقال له: «هل أنت أحكمُ من دانيال، وهل رأيتَ الخفايا بحكمتك؟» (٣٨: ٣). وإن تعالى عقلُك بسنيك الكثيرة فهي لم تكن أكثر من سني ملك صور الذي حكم مملكة يهوذا وملكيها اثنين وعشرين يومًا، أي أربعمائة وأربعين سنة. وحين كثُرت سنو ملك صور كلّ هذا الزمن قال في قلبه: «أنا إله وأجلس على كرسيّ الله في قلب البحار» (حز ٢٨: ٣). فقال له حزقيال: «أنت إنسان، لا إله». حين مشى ملكُ صور بلا عيب بين الصخور الناريّة كانت عليه رحمة الله. ولمّا ترفَّع قلبُه أباده الكَروبُ المظِّل (حز ٢٨: ١٤ـ ١٥).

الحجارة الناريّة

٨ ما هي الحجارة الناريّة؟ إنّها أبناءُ صهيون وأبناءُ أورشليم. ففي الزمن القديم، في أيّام داود وسليمان كان أحيرام يحبّ بيت إسرائيل. وحين ذهبوا إلى السبي شمِتَ بهم ورفسَهم برجله ولم يتذكّر صداقة بيت داود (عا ١ : ٩). قلتُ إنّ بني يهوذا سُمّوا حجارةً ناريّة فلم يكن ما قلتُه من عندي، بل إنّ إرميا قال عنهم هذا وهو يبكيهم في مراثيه. قال: «بنو صهيون أفضلُ من حجارة كريمة» (مرا ٤ : ٢). وقال أيضًا: «كيف رُميت حجارة القدس في رأس كلّ شارع؟» (مرا ٤ : ١) وقال النبيُّ أيضًا: «كانوا حجارة مقدَّسة رُميت إلى الأرض» (زك ٩: ١٦). واشتعلت النار في هذه الحجارة كما قال إرميا: «كانت كلمة الربّ في قلبي كنار متّقدة غلت في عظامي» (٢٠ : ٩). وقال الربُّ أيضًا لإرميا: «ها أنا أجعل كلمتي في فمك نارًا، وهذا الشعب يكون خشبًا» (٥ : ١٤). وقال أيضًا: «تخرج كلماتي كالنار وكالحديد الذي يقطع الصخر» (إر ٢٣ : ٢٩). من أجل هذا سُمّي الأنبياءُ الذين مشى بينهم أحيرام، ملكُ صور، حجارةً ناريّة.

الكروبان

٩ وقال له الله أيضًا: «كنت مع الكروب الممسوح والمظِّل» (حز ٢٨: ١٤). سمّى الكروبَ ملكًا لأنّه مُسح بالمسحة المقدّسة وهو يظلِّل شعبه كما قال إرميا: «روحُ أفواهنا مسيحُ الربّ، وعنه قلنا إنّنا بظلّه نحيا وسط الشعوب» (مرا ٤ : ٢٠). ففي ظلّ الملك يجلسون وهو يقوم على رأسهم. وحين سقط إكليل رؤوسهم صاروا بلا ظلّ. وإن قال أحدٌ إنّ هذه الكلمة قيلت عن المسيح فليَقبل بما أكتب له من دون نزاع، وليقتنع أنّها قيلت عن الملك. فقد قال إرميا من أجل الشعب: «ويلٌ لنا، سقط إكليلُ رأسنا» (مرا ٥ : ١٦). فالمسيحُ لم يسقط لأنّه

قام في اليوم الثالث. أمّا ملكُ بيت يهوذا فسقط ولم تقم قائمة لمملكته. وقال أيضًا: «أباده الكروبُ المظلّل» (حز ٢٨: ١٦). فالكروبُ الذي أباده هو نبوكدنصر كما كُتب عنه: «صنع عملاً في صور، ولم يعطَ له ولجيشه أجرٌ من صور» (حز ٢٩: ١٨- ١٩). وبدلَ عمله في صور وُهبت له أرضُ مصر. ذهب غناها في البحر ولم يأخذه نبوكدنصر. كان هناك كروبان، واحدٌ ممسوحٌ ومظلّل، وآخرُ مظلّلٌ وغيرُ ممسوح. قال عن الأوّل: «كنتُ مع الكروب الممسوح والمظلّل». وقال عن الثاني: «أبادَك الكروبُ المظلّل» ولم يقل الممسوح. فنبوكدنصر لم يُمسح بل داود وسليمان وسائر الملوك الذين جاؤوا بعدهما. وكيف يُقال عن نبوكدنصر إنّه المظلّل؟ في رؤية الشجرة. رأى الشجرة وسط الأرض وتحتَها تقيم كلّ وحوش البرّ وعلى أغصانها تسكن كلّ طيور السماء ومنها يتغذّى كلّ بشر (دا ٤: ٧- ٩). وحين فسّر دانيال له حلمه قال له: «أنت هو الشجرة، هذه الشجرة التي رأيتَ في وسط الأرض، وتحتك تقيم كلُّ الأمم» (دا ٤: ١٧- ١٩). من أجل هذا كان نبوكدنصر الكروب المظلّل الذي أباد ملكَ صور لأنّه شمت ببني إسرائيل الذين سُبوا بعيدًا عن أرضهم، ولأنّ قلبه ترفّع. وضُربت صور هي أيضًا سبعين سنة مثل أورشليم التي جلست في الخراب سبعين سنة. فقال عليها أشعيا: «تُنسى صور سبعين سنة مثل أيّام ملك واحد وتزني مع كلّ الممالك التي على وجه الأرض» (٢٣: ١٥، ١٧).

رؤيا دانيال: الحيوانات الأربعة

١٠ وأنت تترفّع وتتعالى؟ لا يضلّلك افتخارُ قلبك وتقول أصعد على أرض عامرة وضد وحوش قويّة. فالوحوش لا تُقتل بواسطة كبش حُطّم قرناه. فالتيسُ حطّم قرني الكبش. والآن صار التيسُ الحيوانَ القويّ.

لأنّه حين استولى بنو يافث على المُلك قتلوا داريوسَ ملكَ فارس. والآن ابتلع الحيوانُ الرابع الحيوانَ الثالث. الثالثُ هو يافث والرابعُ هو بنو سام أي بنو عيسو. حين رأى دانيال رؤيا الأربع حيوانات، رأى أوّلًا أبناءَ حام، وزرعَ نمرودَ الذين هم البابليّون، وثانيًا الفرس والماداييّن الذين هم بنو يافث وثالثًا اليونانيّين، إخوةَ الماداييّن، ورابعًا بني سام الذين هم بنو عيسو. كانت مشاركةٌ بين بني يافث وبني سام وأُخذ السلطان من يافثَ الصغير وأُعطي لسامَ العتيق. وحتّى اليوم، الأمور هي هي وستبقى إلى الأبد. وعندما يكون زمن نهاية سلطان بني سام سينال المُلكَ سلطانٌ يخرَج من بني يهوذا حين يأتي في مجيئه الثاني[٢].

تمثال الذهب ونبوكدنصر

١١ إليك الرؤيا التي رآها نبوكدنصر والتي عرَفها دانيال وبيّنها لنبوكدنصر حين رأى تمثالًا واقفًا قبالته: رأسُ التمثال من ذهب وذراعاه من فضّة وبطنه ووركه من نحاس وفخذاه ورجلاه من حديد وخزف (دا ٢: ٣١ـ ٣٢). وقال دانيال لنبوكدنصر: «أنت رأسُ الذهب» (دا ٢: ٣٨). ولماذا سُمّي رأس الذهب؟ لأنّ كلمة إرميا تمّت فيه. قال إرميا: «بابلُ كأسُ ذهب في يد الربّ الذي يسقي من خمرها كلَّ الأرض» (٥١ : ٧). وسُمّيت بابلُ أيضًا رأسَ كلّ الممالك كما كتب: «كانت بابلُ عاصمةَ مملكة نمرود» (تك ١٠ : ١٠).

١٢ وقال: كان صدرُ التمثال وذراعاه من فضّة، فدلّ على مملكةٍ أقلّ منه التي هي مملكة داريوس المادايّ. إنّ الله وضع المملكة في الميزان. زِينَت مملكةُ نمرود فوُجدت ناقصةً فنالها داريوسُ ناقصة. ولأنّها كانت ناقصة لم يتسلّط بنو ماداي على كلّ الأرض. كان بطنُ التمثال ووِركاه من نحاس. وقال: مملكةٌ ثالثةٌ تتسلّط على كلّ الأرض (دا

٢: ٣٩)، وهي مملكة بني ياوان الذين هم بنو يافث. إرتفع بنو ياوان على مملكة إخوتهم لأنّ ماداي وياوان هما ابنا يافث. كان ماداي ضعيفًا وأعجز من أن يدبّر المملكة إلى أن جاء ياوان أخوه الذي هو أحكمُ منه وأكثرُ حيلةً ليضع البلبلة في المملكة. وهكذا تسلّط الإسكندرُ بنُ فيلبّس في كلّ الأرض.

١٣ وكان فخذ التمثال ورجلاه من حديد. هذه هي مملكةُ بني سام، أي بني عيسو، التي هي قويّة كالحديد. وقال: «كما يسحَق الحديدُ ويدقّ كلّ شيء، هكذا تَسحق المملكةُ الرابعة كلَّ شيءٍ وتدوسه» (دا ٢: ٤٠). ولاحظ الرجلَين والأصابع، بعضُها حديدٌ وبعضُها خزف. فقال: «هكذا يختلطون في نسل الإنسان ولا يلتصق الواحد بالآخر كما لا يختلط الحديد مع الطين» (دا ٢: ٤٣). هذا ما قاله عن المملكة الرابعة. ففي مملكة بني عيسو لم يقم ملكٌ ابن ملك ليدبّر المملكة. بل حين اجتمع بنو عيسو في مدينة قويّة، صنعوا مجلسَ شيوخ ومنه يُقيمون رئيسًا للمدينة، رجلًا حكيمًا يدبّر المملكة. حين يَزِنُهم مدير مملكتهم يُوجدون ناقصين وتنتقل منهم المملكة كما انتقلت مملكة نمرود العظيمة وأعطيَت لبني ماداي البُلَداء (دا ٥: ٢٦-٢٨). والملكُ الذي يُقام يُبيد نسل الملك الذي سبقه، فلا يلتصق الواحد بالآخر. ولكنّ نسل الإنسان الذي شُبِّه بالطين يدلّ على الملك: يُختار للمملكة فيختلط بأصل مملكة الحديد (دا ٢: ٤١).

مملكة المسيح

١٤ وبيّن أنّه في أيّام هؤلاء الملوك الذين نالوا المُلك سيُقيم إلهُ السماء مملكةً لا تفنى ولا تزول إلى الأبد (دا ٢: ٤٤). هي مملكةُ الملك المسيح التي تُزيل المملكة الرابعة. وقال أعلاه: «رأيتُ الحجر الذي لم يُقطع بالأيديّ قد ضرب التمثال على رجليه اللتَين من حديد

فسحقتهُما سحقًا» (دا ٢: ٣٤). لم يقال إنّ الحجر ضرب رأسَ التمثال ولا صدرَه أو ذراعَيه ولا بطنَه وفخذَيه، بل رجلَيه، لأنّ الحجر جاء وضرب الرجلَين وحدَهما من التمثال كلّه. وفي الآية اللاحقة قال: «سُحق معًا الحديدُ والنحاسُ والفضّةُ والذهب» (دا ٢: ٣٥). بعد هؤلاء وحين يملك المسيحُ الملك، سيُذلّ المملكة الرابعة ويَسحق التمثال كلّه. العالم كلّه سُمّي تمثالاً رأسه نبوكدنصر، وصدرُه وذراعاه ملكُ ماداي وفارس، وبطنُه ووِركاه ملكُ اليونانيّين، وفخذاه ورجلاه مملكة بني عيسو. الحجر الذي ضرب التمثال وسحقه وملأ منه الأرضَ كلّها، هو مملكةُ الملك المسيح الذي يُزيل مملكةَ هذا العالم ويملك إلى أبد الآبدين.

تفسير رؤيا دانيال

١٥ واسمع أيضًا رؤيا الأربع حيوانات التي رآها دانيال صاعدةً من البحر وكلٌّ واحد يختلف عن الآخر. وهذا هو منظرُها. الأوّل كالأسد وله جناحا نسر. ورأيت أنّ جناحيه اقتُلعا وقام على رجلَيه كإنسان وأُعطي له قلب إنسان (دا ٧: ٥). والحيوان الثاني يشبه الدبّ. وقَف على جنبٍ واحد وكان له ثلاثُ أضلع في فمه بين أسنانه (دا ٧: ٥). الحيوان الثالث كان كالنمر وله أربعة أجنحة وأربعة رؤوس (دا ٧: ٤-٦). والحيوان الرابع كان مخيفًا وقويًّا وشديدًا جدًّا. له أسنان عظيمة، يأكل ويسحق ويدوس كلَّ ما بقي برجليه (دا ٧: ٧). فالبحر العظيم الذي رآه دانيال هو العالم، وهؤلاء الحيوانات الأربع تدلُّ على ممالك أربع صُوِّرت من فوق.

١٦ قال عن الحيوان الأوّل إنّه يشبه الأسد وله جوانح نسر. الحيوان الأوّل هو مملكة بابل وهو يشبه الأسد. هذا ما كتبه إرميا: «إسرائيل نعجةٌ صالحةٌ ضالّةٌ أضلّها الأسود. أكلها أوّلاً ملكُ أشور، والآخرُ

نبوكدنصر ملكُ بابل قوي عليه» (٥٠: ١٧). سمّاه إرميا الأسد. وقال دانيال: له جناحا نسر (٧: ٤). فهذا ما كُتب: حين خرج نبوكدنصر إلى الصحراء مع الحيوانات طال شعرُه كشعر النسر (دا ٤: ٣٠). وقال: «رأيتُ جناحيه قد اقتُلعا ووقف على رجليه كإنسان وأُعطي له قلب إنسان» (دا ٧: ٤). أوّلًا، في رؤيا التمثال شُبِّه بالذهب الذي هو أفضل ما في العالم. وفي رؤيا الحيوانات شُبّه بالأسد الذي هو بشدّته أفضل من كلّ حيوان. وشُبّه أيضًا بالنسر الذي هو أعظم من كلّ طائر. ما كُتب عليه تمّ فيه. قال عليه الربّ: «أنا أعطيتُه نيرًا من حديد ليضعَه على رقاب كلّ الأمم فيخدُمون ملكَ بابل سبعين سنة، وأعطيتُه حتّى وحشَ البرّ وطيرَ السماء ليخدُمه» (إر ٢٨: ١٤؛ ٢٥: ١١). حين صار ملكًا مثل الرأس الذهبيّ خدمه البشر كملك، ولمّا خرج إلى الصحراء خدَمته الحيوناتُ كالأسد، ولمّا صار شعره كشعر النسر خدمَته طيورُ السماء كالنسر. ولمّا ترفّع قلبه ولم يعرف أنّ السلطانَ أعطي له من السماء كسرَ نيرَ الحديد عن نير البشر فخرج مع الحيوانات وأعطي له قلبُ الأسد بدَل قلب ملك. ولمّا جُعل فوق الحيوانات انتُزع منه قلبُ الأسد ووُهب قلبَ طائر. وعندما نبتت أجنحته ترفّع على الطير. حينئذ اقتُلع جناحاه ووُهب له قلبٌ سافل. وحين عرف أنّ العليَّ سيّدٌ في مملكة البشر يعطيها لمَن يشاء حينئذ سبّح كما يفعل البشر.

١٧ وقال عن الحيوان الثاني إنّه يشبه الدبّ وهو واقف على أحد جنبيه. فحين قامت مملكة فارس وماداي قامت في الشرق فقط. وثلاث أضلع في فمه (دا ٧: ٥). فالكبش نطح الغرب والشمال والجنوب، ثلاثَ أرواح سماويّة. هذه الأرواح السماويّة أمسك بها ونطح بها على مثال الثلاث أضلع التي في فم الدبّ إلى أن خرج التيسُ من

الغرب وضرب الكبش وأخذ الضلع من فمه.

١٨ وقال عن الحيوان الثالث إنّه يشبه النمر وله كالطير جوانح أربعة على جانبيه وأربعة رؤوس. الحيوان الثالث هو الإسكندر المقدونيّ. هو شديد كالنمر. وهو حيوان له أربعة أجنحة وأربعة رؤوس. فقد وهب المملكةَ لأربعةٍ من أصدقائه ليدبّروها بعده. حين جاء وقتل داريوس سلّمهم الملك مكانه.

١٩ وقال عن الحيوان الرابع إنّه مخيف وقويّ وشديد جدًّا. يأكل ويسحق ويدوس ما يفضل برجليه. هو مملكة بني عيسو. فبعد أن تسلّط الإسكندر المقدونيّ تأسّست مملكة اليونانيّين، لأنّ الإسكندر كان منهم، فتمّت فيه رؤيا الحيوان الثالث فتوحّدت المملكة الثالثة والمملكة الرابعة. حكم الإسكندر اثنتي عشرة سنة، وبعد الإسكندر كان ملوكُ اليونان سبعة عشر ملكًا، وكانت سنو حكمهم مائتين وتسعين سنة من سلوقس نيقانور حتّى بطليموس. وكانوا قياصرة من أوغسطس حتّى فيلبّس القيصريّ. كانوا سبعة وعشرين ملكًا وحكموا مائتين وثلاثًا وتسعين سنة. أمّا سنوات ساويروس فكانت ثماني عشرة سنة.

رؤيا دانيال: القرن

٢٠ وقال دانيال: «تأمّلت القرون العشرة التي هي رأس الحيوان. القرونُ العشرة هي عشرةُ ملوك» (دا ٧: ٨، ٢٤) قاموا في ذلك الوقت حتّى أنطيوخس. وقال: صعد قرنٌ صغير من بين العشرة وسقط أمامه ثلاثة (دا ٧: ٨). حين قام أنطيوخس على المملكة، أذلّ ثلاثة ملوك وترفّع على قدّيسي العليّ (دا ٧: ٢٥) وعلى أورشليم، ونجّس بيتَ المقدّس، وأبطل الذبيحة والقرابين أسبوعًا ونصف أسبوع وهي عشر

سنين ونصف. وأدخل البغايا إلى بيت الربّ وأبطل فرائض الناموس وقتل الأبرار وأسلمهم لطير السماء ولوحش الأرض. فتمّت في أيّامه كلمة قالها داود: «يا الله، دخلت الأمم ميراثك ودنّسوا هيكلك المقدّس وجعلوا أورشليم خربة. جعلوا جثث عبيدك مأكلًا لطير السماء ولحم أبرارك لوحش الأرض. أسالوا دمهم كالماء حول أورشليم وليس مَن يرفق» (مز ٧٩: ١ـ ٣). هذه تمّت في ذلك الزمان حين قُتل شيخٌ كبيرُ السن اسمه أليعازر وأبناء المكرّمة شموني الذين كانوا سبعة (٢ مل ٧: ١ي)، وحين حارب يهوذا وإخوته أمام شعبهم وحين أقاموا في المخابئ، في ذلك الزمان حارب القرنُ القدّيسين (دا ٧: ٢١). فتغلّبت قوّتُهم. وقال أنطيوخس الملك الشرّير كلامًا على العليّ وبدّل الأزمنة والأوقات (دا ٧: ٢٥). وأبطل عهد إبراهيم، وحلّ سبت الراحة وأمر اليهود أن لا يُختَتنوا. من أجل هذا قال فيه دانيال: حسِب أن يبدّل الأزمنة والأوقات والنواميس ووهب في يده زمانًا ونصف زمان. فالزمان ونصف الزمان زمانٌ أسبوعيّ وهي عشر سنوات ونصف (٧: ٢٥). وقال أيضًا: «وثبت الحكم وأخذوا السلطان منه ليفسدوه ويبيدوه حتّى نهاية الملك» (دا ٧: ٢٦). حلَّ الحكمُ من السماء بأنطيوخس فمرض مرضًا خبيثًا شرّيرًا ومن رائحة النتن لم يقترب إنسان منه. وكان الدود يتحرّك ويخرج منه ويأكل لحمه لأنّه ضيّق على الدودة يعقوب (أش ٤١: ١٤). ونتن لحمه في حياته لأنّه ترك جثث بني أورشليم تنتن دون أن تُدفن. وصار نجِسًا في عينيه لأنّه نجَّس مقدس الله. وصلّى فلم يُسمع له لأنّه لم يَسمع أنين الأبرار الذين قتلهم. فكتب رسالة وأرسلها إلى بني يهوذا وسمّاهم أحبّاءه. ولكنّ الله لم يرحمه فمات في العذاب.

نبوءة الأسابيع

٢١ وقال أيضًا: «ويقبل المُلكَ قدّيسو العليّ» (دا ٧: ٢٧). ماذا نقول عن هذا؟ ألم يقبل بنو إسرائيل المُلكَ من العليّ؟ حاشى. هل يأتي الشعب على سحاب السماء؟ هذا ذهب عنهم. فقد قال فيهم أرميا: «سمِّهم فضّةً مرذولة لأنّ الربّ رذلهم» (٦: ٣٠). وقال أيضًا: «لا أنظر إليهم بعد» (مرا ٤: ١٦). وقال أشعيا فيهم: «أعبروا اعبروا ولا تقرُبوا من الأنجاس» (٥٢: ١١). أمّا عن قدّيسيّ العليّ فهذا ما قال فيهم دانيال: «يرثون المُلك إلى أبد الآبدين» (٧: ٢٧). هؤلاء استراحوا قليلًا من ثقل الملوك والسلاطين (هو ٨: ١٠)، من بعد موت أنطيوخس حتّى تمّت الأسابيع الاثنان والستّون. وأتى ابن البشر ليحرّرهم ويجمعهم فلم يقبلوه (يو ١: ١١). جاء ليأخذ منهم ثمرًا فلم يُعطوه لأنّهم كانوا لنفوسهم أغصانًا من جفنة سدوم ومن نصبة عمورة (تث ٣٢: ٣٢). فالكرمة نبت فيها الشوك وطلع فيها الخرّوب (أش ٥: ٢). خمرهم كان لهم خلًّا وثمارهم مرارة (تث ٣٢: ٣٢). لم يستطيعوا أن يليّنوا الشوك ولم يتحوّل الخلُّ إلى طبع الخمر ولا انقلب المرُّ إلى طبع الحلاوة.

مثَلُ الكرمة

٢٢ بدأ أشعيا فأقام عليهم قضاةً من يهوذا ونصب بينهم نصبة جديدة ومحبوبة (أش ٥: ١ي). هؤلاء القضاة هم الذين يجلسون على اثني عشر كرسيًّا ويدينون الأسباط الاثني عشر (مت ١٩: ٢٨). وقال لهؤلاء القضاة: «إحكموا بيني وبين كرمي. أيّها القضاة، ماذا يجب عليّ أن أعمل لكرمي ولم أفعل. نصبتُها فرع كرم فإذا هي جفنة غريبة. أحطتها بسياج من ملائكة السماء وبنيتُ برجًا هو الهيكل المقدّس وحفرت معصرة هي معموديّة الكهنة وأنزلت عليها كلام

الأنبياء مطرًا ونقّيتُها من أعمال الأموريّين وانتظرتُ أن تصنع عنب البِرّ فعملت خرّوب الإثم والخطيئة. إنتظرتُ العدل فإذا الظلم، والبرَّ فإذا العويل. أيّها القضاة، اسمعوا ما سأعمل بكرمي. أحطّم السياج فيدوسه الناس وأقتلع برجه فيسلبونه وأجعله خرِبًا لأنّه صنع خرّوبًا فلا يُفلح ولا يُقضب، وينبُت فيه الشوك والعوسج وآمر السحاب فلا ينزل عليه مطرًا» (أش ٥ : ٣ـ ٦). فابتعد ملائكة السماء عن سياج الكرم واقتُلع البرج، بيتُ اتّكالهم القويّ، وانقلبت المعصرة التي تنقّي ذنوبهم. حتّى وإن كانت الجفنة بلا عيب فهي لا تنفع. فالآن وقد أكلتها النار وخربت فكيف تنفع (حز ١٥ : ٥)؛ غصناها أكلتهما النار وداخلها خرِب. غصناها هما المملكتان وداخلها الذي خرِب هو أورشليم. أرسلَ إليهم ربُّ الكرم عبيدًا كثيرين فقتلوهم ولم يُرسِلوا ثمرًا إلى ربّ الكرم (لو ٢٠ : ١٠ي). وبعد عبيده أرسل ابنه الحبيب ليأخذ منهم ثمرًا ويحمله إلى مَن أرسله، فأمسكوه وأخرجوه خارج الكرم. وقطعوا أوتادًا من عُلّيق الكرم وغرزوها في يديه. جاء وطلب منهم طعامًا فأخذوا مرارةً من ثمار الكرم وأعطوه إيّاها. عطش وطلب منهم شرابًا، فوهبوا له خلًّا فلم يرد أن يشرب. وجدلوا من الشوك الذي نبت في الكرم وجعلوه على رأس ابن الكرم. من وقتٍ كان الكرم ظهرت فيه هذه الثمار، فاقتلعه سيّده ورماه في النار ونصب في كرمه جفناتٍ صالحة تعطي ثمارًا وتبهج الفلّاح. فالكرم هو المسيح وأبوه هو الفلّاح (يو ١٥ : ١ـ ٥) والجفنات تدلّ على الذين يشربون من الكأس. إذًا كان كرمٌ مكانَ كرمٍ فأسلم الربُّ بعد مجيئه المملكةَ إلى الرومان الذين دُعوا بنو عيسوٌ. وبنو عيسو هؤلاء يحرسون المملكة لمَن وهبهم إيّاها.

ملكوت السماء وممالك الأرض

٢٣ والشعب المقدّس الذي اختير مكان الشعب يرث الملكوت الأبديّ (دا ٧: ٢٧). أثارهم بشعب لم يكن شعبًا وأغضبهم بشعب أحمق (تث ٣٢: ٢١). وحرّر له شعبًا مقدّسًا. هذا هو كلّ عهد الله الذي حرّره من ثقل الملوك والسلاطين (هو ٨: ١٠). فإنّ عمل إنسان من أجل الوثنيّين يصبح حرًّا حالما يقترب من عهد الله. أمّا اليهود فخدموا العبوديّة بين الأمم. هذا ما قاله على القدّيسين: «يرثون الملكوت الذي تحت السماء» (دا ٧: ٢٧). فإن كان تكلّم عن اليهود فلماذا يخدمون العبوديّة بين الأمم؟ وإن أجابوا: هذا لم يحدث بعد. ولكنّ الملكوت الذي يُعطى لابن البشر سيكون من السماء أو من الأرض؟ ها قد وُسموا كأبناء الملكوت وقبلوا حرّيتهم من هذا العالم. بما أنّ الأمور هي هكذا فلا تريد المملكة أن تُستعبَد لقوّةِ ملكٍ أَتى ليأخذ مُلكه، بل تُحفظ رهائنه بإكرام لكي لا يأتي عليهم بغضب، إذا جاء يُبطل المملكة. متى يأتي مَن له الملك (تك ٤٩: ١٠) في مجيئه الثاني، يأخذ ما أعطى ويكون هو الملك لأبد الآبدين ولا يزول مُلكه لأنّه سيكون مُلكًا أبديًّا.

٢٤ في القديم أعطى المُلكَ لبني يعقوب واستعبد لهم بني عيسو كما قال إسحق لعيسو: تخدم أخاك يعقوب (تك ٢٧: ٤٠). وإذ لم ينجحوا في المملكة أخذها من بني يعقوب وأعطاها لبني عيسو إلى أن يأتي مَن له الملك (تك ٤٩: ١٠). فيسلّمون الوديعة إلى واهبها ولا يحتفظون بها. ويُستعبد حارسُ الملكوت لمَن يَستعبد له الكلّ. من أجل هذا فمملكة بني عيسو لا تسلَّم بيد جيوش مجتمعة يريدون أن يصعدوا عليها، لأنّ المملكة محفوظة لواهبها وهو يحفظها. عن هذا كتبتُ إليك، يا عزيزي، أنّ مملكة بني عيسو تُحفظ لواهبها، فلا

تَشكَّ في ذلك، فهي مملكة لا تُقهر لأنّ الرجل القويّ الذي اسمه يسوع أتى بقوّته، وسلاحه المحمول كلّه هو قوّة ملكوته. فتأمّل وانظر أنّه كُتب في جزية الرأس معهم، وكما سجل اسمَه في الإحصاء معهم فهو يساعدهم ورايته كبيرة في هذا المكان. ويتقلّدون سلاحه فلا يُقهرون في الحرب. وإن قلت لي: لماذا قهرهم الحيوان واستعبدهم في سني الملوك الذين قبل هؤلاء؟ أجيب: لأنّ الرؤساء والملوك الذي حكموا في ذلك الوقت في مملكة بني عيسو لم يريدوا أن يقودوا إلى الحرب الرجلَ الذي عُدَّ معهم في الإحصاء. من أجل هذا استُعبد الحيوان وقتًا قليلاً، إلّا أنّه لم يُقتل.

الغلبة لله

٢٥ ما كتبت لك، يا عزيزي، هو ما كُتب في دانيال. هذا لا يعني أنّني وصلتُ إلى النهاية بل ما زلت بعيدًا. فإن تحرّى عليها إنسان فقل له: لم تُختم هذه الكلمات لأنّ كلمات الله ليست محدودة ولا مغلقة. فالجاهل يقول: وصلت الكلمات حتّى الآن، ثمّ ليس له أن يزيد أو ينقص منها شيئًا. فغنى الله لا يُحسب ولا يُحدّ. فإن أخذتَ ماءً من البحر فلا تعرف إن كان نقص، وإن حملت رملًا من الشاطئ لا ينقص عدده، وإن عدّدت كواكب السماء فلن تصل إلى نهايتها، وإن أشعلت نارًا من الوقيد فهو لا يخفّ، وإن أخذت من روح المسيح فماذا ينقص المسيح؟ وإن سكن المسيحُ فيك فلن يتوقّف عندك وحدك، وإن دخلت الشمس في كوى بيتك لم تصل إليك الشمسُ كلّها. كلّ هذا الذي حسبتُه لك خُلق بكلمة الله. من أجل هذا، إعرَف أنّ الإنسان لا يصل إلى كلمة الله ولا نهايتها. من أجل هذا، لا تجادل على هذه الأمور فتقول: الأمور هي هكذا وكفى. فاسمع منّي هذه الكلمات واسأل عنها إخوتنا الذين يشاركوننا إيماننا. مَن يهزأ بكلام

أخيه فيقول: كلماتي حكيمة، فلا تسمع كلامه. أما ما كتبتُ لك عن الجيوش التي تجتمع للحرب، فما أعلمتُك به وكأنّه كُشف لي. واسمع الكلمات التي قلتها في بداية الرسالة: كلُّ مَن ارتفع اتّضع (لو ١٤ : ١١). فإن صعدت الجيوش وانتصرت فاعرف أنّ هذا عقابٌ من الله. وإن انتصرت فهي ستُدان دينونة عادلة. فاعلم أنّ الحيوان يُقتل في وقته. وأنت، يا أخي، فاجتهد، في هذا الزمان، في أن تطلب الرحمة ليحلّ الأمان على شعب الله.

تمّت المقالة في الحروب

الحواشي

(١) هذه السنة للسلوقيّين. تطرح منها ٣١١ فتكون السنة المسيحيّة، وهي ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) إنّه يسوع المسيح.

أبناء العهد أو المتنسّكون

تحريض على التوبة: الخطوة الأولى

١ لائقةٌ هي الكلمة التي قلتُها وأهلٌ للقبول: لنستيقظ من نومنا (روم ١٣: ١١) في هذا الزمان ونرفع قلوبنا مع أيدينا نحو إله السماء لعلّ الربّ يأتي فجأة، وحين يأتي يجدُنا متيقّظين (مت ٢٤: ٤٢). نترقّب ساعة الختَن المجيد لندخلَ معه إلى خِدره (مت ٢٥: ١٠). نهيّىء الزيت لقناديلنا لنخرج إلى لقائه بالفرح (مت ٢٥: ٤). نُعدّ الزاد في مسكننا لطريقٍ حرِجة وضيّقة (مت ٧: ١٤). ونرمي ونترك عنّا كلّ نجاسة لنلبس ثياب العُرس (مت ٢٢: ١٢). نُتاجر بالفضّة التي قبِلنا، لنُدعى عبيدًا مجتهدين (مت ٢٥: ٢١). نكون أمناء في الصلاة لنعبُرَ مكان الخوف. ننقّي قلوبَنا من الإثم لنرى العليّ في المجد. نكون رحماء كما كُتب (مت ٥: ٧؛ لو ٦: ٣٦) لكي يرحمَنا الله. يكون السلامُ بيننا لندعى أبناء المسيح (مت ٥: ٩). نكون جياعًا إلى البرّ لنشبع من مائدة ملكوته (مت ٥: ٦). نكون ملحَ الحقّ (مت ٥: ١٣)، لئلا نكون مأكلًا للحيّة. ننقّي زرعنا من الشوك لنعطي ثمارًا واحدًا بمئة (لو ٨: ٧ـ ٨). نجعل بنياننا على الصخرة فلا يتزعزع بسبب الرياح والأمواج (مت ٧: ٢٧). نكون إناءً مكرّمًا فيطلُبنا الربّ لحاجته (٢ تم ٢: ٢١). نبيع كلّ مقتنانا ونشتري اللؤلؤة التي بها

نغتني (مت ١٣ : ٤٦). نجعل كنزنا في السماء (مت ٦ : ٢٠)، وحين نذهب يفتحُ لنا الربُّ فنبتهج. نعود ربَّنا في المرضى (مت ٢٥ : ٣٦) ليدعوَنا فنقومَ عن يمينه (مت ٢٥ : ٣٣). نُبغض أنفسنا (يو ١٢ : ٢٥)، ونحبُّ المسيح كما أحبَّنا وبذل نفسه لأجلنا (أف ٥ : ٢). نكرم روح المسيح لنقبل منه النعمة. نكون غرباء عن العالم كما أنَّ المسيح لم يكن من العالم (يو ١٧ : ١٤). نكون متواضعين وصبورين ليورثَنا أرض الحياة (مت ٥ : ٤). نكون أمناءَ في الخدمة ليجعلنا خدَمًا في مسكنه المقدّس. نصلّي صلاته بنقاوة فندخل أمام الربّ العظيم. نكون شركاء في آلامه وهكذا نحيا بقيامته. نحمل إشارته على أجسادنا لننجو من الغضب الآتي، فمَن يستطيع أن يتحمّله (يؤ ٢ : ١١؛ ملا ٣ : ٢). مُحتدٌّ هو وسريعُ الغضب ويُهلك كلَّ الأشرار. نضع في رؤوسنا خوذة الخلاص (أف ٦ : ١٧) فلا نُجرَح ونموت في الحرب. نشدُّ أحقاءنا بالحقّ (أف ٦ : ١٤) فلا نوجد ضعفاء في القتال. نقوم ونوقظ المسيح (مت ٨ : ٢٥)، فيُسكت عنّا الأمواج. نأخذ الترس تجاه الشرّير كاستعداد لإنجيل مخلّصنا (أف ٦ : ١٦، ١٥). نقتبل من ربّنا القوّة لندوس الحيّات والعقارب (لو ١٠ : ١٩). نهدّىء فينا الغضب مع كلّ حدّة وشرّ. لا تخرج تجاديف من أفواهنا التي بها نصلّي إلى الله. لا نلعن لننجو من لعنة الناموس. نكون عمّالاً مجتهدين فنحصل على أجرنا مع الأوّلين. نحمل ثقل اليوم لنطلب الأجر الأفضل. لا نكون عمّالاً بطالين إن استأجَرَنا ربُّنا لكرمه (مت ٢٠ : ١ي). نُنصَب كجفنات في كرمه الذي هو الكرم الحقّ (يو ١٥ : ١ي)، نكون جفناتٍ طيّبة لئلا نُقلع من الكرم. نكون رائحةً طيّبة (٢ كور ٢ : ١٥) فنفوح على الذين يحيطون بنا. نكون فقراءَ في العالم فنُغني الكثيرين من تعليم ربّنا. لا ندعو لنا في الأرض أبًا لنكون أبناء الآب السماويّ (مت ٢٣ : ٩). حين لا يكون لنا شيء حينئذٍ نملُك

كلَّ شيء. حين لا يعرفنا أحد حينئذ نمتلك معارف عديدة. نفرح في رجائنا كلَّ حين ليفرح بنا رجاؤنا ومخلّصنا. ندين نفوسنا بالحقّ ونحكُم عليها لئلا نحني وجوهَنا أمام القضاة الذين يجلسون على الكراسي ويدينون القبائل (مت ١٩ : ٢٨). نأخذ لنا سلاحًا للقتال هو استعداد الإنجيل (مت ٦: ١٦). نقرع باب السماء ليُفتح أمامنا فندخلَ فيه (مت ٧: ٧). نسألُ المراحم بعناءٍ فنأخذُ منها قدر ما نحتاج. نطلب ملكوت الله وبرَّه لننال في الأرض زيادة (مت ٦: ٣٣). نتأمّل في العلاء، في السماويّات وبها نهتمّ، حيث المسيحُ مرتفعٌ ومتعال (كو ٣: ١ـ ٢). نترك العالم لأنّه لا يخصّنا لنصل إلى المكان الذي دُعينا إليه. نوجّه عيوننا نحو العلاء لنرى الضياء المتجلّي. نرفع أجنحتنا كالنسور لنرى حيث يكون الجسد (رج مت ٢٤: ٢٨). نُعِدّ القرابين للملك ثمارًا لذيذة هي الصوم والصلاة. نحفظ بالنقاوة عربونه لكي يأتمنّا على كلّ كنزه. فالذي يغشّ بعربونه لا يُسمح له أن يدخل كنزه. نحتاط لجسد المسيح لتقوم أجسادنا عند صوت البوق. نُنصت إلى قول الختن لندخل معه إلى جنانه. نهيّىء الهديّة للوليمة فنخرج للقائه بالفرح. نلبس اللباس المقدّس فنكون أوّل المختارين في وليمته.

تحريض على التوبة: الخطوة الثانية

مَن لا يلبسُ لباس العرس يخرجونه إلى الظلمة البرّانيّة (مت ٢٢: ١٣). مَن يستعفي من الوليمة (لو ١٤: ١٨) لا يذوق العشاء. مَن يحبّ المدن والتجارة يُمنع من مدينة القدّيسين. مَن لا يعطي ثمارًا في الكرم يُستأصل ويُرمى في العذاب. مَن أخذ الفضّة من سيّده يُعيدها لواهبها مع ربحها (مت ٢٥: ١٦). مَن رغب في أن يكون تاجرًا يشتري الحقل والكنز الذي فيه (مت ١٣: ٢٤). مَن يقبل زرعًا طيّبًا

(مت ١٣ : ٧) ينقّي أرضه من الشوك. مَن أراد أن يكون صيّادًا يرمي شبكته في كلّ وقت. مَن تربّى على القتال فليحفظ نفسه من العالم. مَن رغب في أن يأخذ الإكليل (١ كور ٩: ٢٤) فليركض في الجهاد كالمنتصر. مَن رغب في أن ينزل إلى الحلَبة ليصارع فليتعلّم تجاه عدوّه. مَن رغب في أن ينزل إلى القتال فليأخذ معه سلاح القتال ولينظّفه دائمًا. مَن أخذ شبه الملائكة صار غريبًا عن البشر. مَن أخذ نير القدّيسين فليُبعد عنه الأخذ والعطاء (أي التجارة). مَن طلب أن يملك نفسه يُبعد عنها مقتنى العالم. مَن أحبّ البيت السماويّ فلا ينزل ليعمل في بناء من طين. مَن ينتظر أن يُخطَف في السحاب لا يصنع له عربات مزيّنة. مَن ينتظر وليمة الختَن لا يحبّ ولائم هذا العالم. مَن يرغب في أن يلتذّ في الوليمة المحفوظة، يبعد عنه السُّكر. مَن دعا نفسه إلى الوليمة فلا يستعفي ويكون تاجرًا (لو ١٤: ١٨ـ ١٩). مَن نزل عليه زرع طيّب لا يترك الشرّير يزرع فيه الزؤان (مت ١٣ : ٢٤ـ ٢٥). مَن بدأ يبني برجًا يحسُب كلَّ نفقاته لئلا يكون أضحوكة لعابريّ السبيل (لو ١٤ : ٢٩). مَن يضع بناءً على الصخر يعمّق الأساس لئلا يقع بسبب الأمواج (مت ٧: ٢٤ـ ٢٥). مَن رغب أن يهرب من الظلمة يسير ما دام له النور (يو ١٢ : ٣٥). مَن يخاف أن يهرب في الشتاء (مت ٢٤ : ٢٠) يهيّىء نفسه منذ الصيف. مَن يرجو أن يدخل في الراحة يهيّىء نفقاته للسبت (عب ٤ : ١١). مَن يطلب من ربّه الغفران يغفر هو أيضًا لمَن أساء إليه (مت ١٨ : ٢٤ي). مَن لا يطالب بمئة دينار يترك له سيّده عشرة آلاف وزنة. مَن يضع فضّة سيّده على المائدة لا يُدعى عبدَ السوء (مت ٢٥ : ٢٧). مَن يحبّ التواضع (مت ٥ : ٤) يصير وارثًا في أرض الأحياء. مَن يرغب في أن يصنع السلام (مت ٥: ٩) يكون من أبناء الله. مَن يعرف إرادة سيّده يتمّمها لئلا يُضرب كثيرًا (لو ١٢ : ٤٧). مَن ينقّي قلبه من الغشّ فعيناه

تريان الملك في جماله (أش ٣٣: ١٧) مَن يقبل روح المسيح يزيِّن إنسانه الباطنيّ. مَن يُسمَّى هيكل الله ينقّي جسده من كلّ نجاسة (١ كور ٣: ١٦ـ ١٧). مَن يضايق روح المسيح فرأسه لن يرتفع فوق المضائق (مز ١٠٩: ٧). مَن يأخذ جسد المسيح يحفظ جسده من كلّ نجاسة. مَن يرمي خارجًا الإنسان العتيق لا يعود أيضًا إلى الأعمال القديمة (أف ٤: ٢٢). مَن يلبس الإنسان الجديد يحفظ نفسه من كلّ وصمة. مَن يلبس سلاحًا من مياه المعموديّة لا يرمي سلاحه لئلا يُقهر. مَن يأخذ الترس تجاه الشرّير يحفظ نفسه من سهام يرميه بها. مَن فترَت همّته لا يرضى به سيّده. مَن يتأمّل في ناموس ربّه لا تبلبله هموم الناس. مَن يلهج في ناموس ربّه يشبه شجرةً منصوبة عند المياه (مز ١: ١، ٣). مَن اتّكل على ربّه يشبه أيضًا شجرة ثابتة فوق النهر (إر ١٧: ٧ـ ٨). مَن اتّكل على البشر نال ويلات إرميا (١٧: ٥). مَن دعاه الختَن يهيّىء نفسه. مَن أنار سراجَه لا يتركُه ينطفىء. مَن ينتظر الصيحة (مت ٢٥: ٦) يأخذ زيتًا في إنائه. مَن يحرس الباب ينتظر ربّه. مَن يحبّ البتوليّة يتشبّه بإيليّا. مَن يحمل نير القدّيسين يجلس ويصمت (مرا ٣٣: ٢٧ـ ٢٨). مَن يحبّ السكوت ينتظر ربّه من أجل رجاء الحياة.

الحياة جهاد: خطّة العدوّ

٢ يا عزيزي، ماهرٌ هو عدوّنا ومحتالٌ ذلك الذي يقاتلنا، وهو يستعدّ للهجوم على أقوياء وظافرين ليجعلهم يتراخَون. فالضعفاء هم له وهو لا يحارب سبيّة سُلّمت إليه. مَن له جناحان يطير بهما عنه فلا تصل إليه سهامٌ يرميه بها. الروحانيّون يرونه يحارب فلا يتسلّط سلاحه على أجسادهم. كلّ أبناء النور لا يخافون منه لأنّ الظلمة تهرُب من أمام النور. أبناءُ الصالح لا يخافون من الشرّير لأنّه أعطي لأرجلهم أن

تدوسه (تك ٣: ١٥). حين يتشبّه بهم على مثال الظلمة فهم يكونون نورًا (مت ٥: ١٤) وعندما يزحف عليهم برغبة الأكل يغلبونه بالصوم على مثال مخلّصنا. وإن أراد أن يحاربهم بطريقة مكشوفة بالسلاح يقفون بوجهه. وإن أراد أن يدخل عليهم خلال النوم يستيقظون ويسهرون ويرتّلون ويصلّون. وإن جذبَهم بالمُقتنيات وهبوها للفقراء، وإن دخل عليهم كشيء حلو لا يذوقونه لأنّهم يعرفون أنّه مرّ، وإن ألهبهم بشهوة حوّاء يعيشون وحدهم لا مع بنات حوّاء.

خطر المرأة

٣ فقد دخَل على آدم بواسطة حوّاء فأغوى آدم لقلّة خبرته، ودخل على يوسف بواسطة امرأة سيّده، فعرف يوسف خبثه ولم يُرد أن يسمع له. حارب شمشون بواسطة امرأة إلى أن نزع منه علامة نَذره. كان رأوبين بكرَ كلِّ إخوته وبواسطة امرأة أبيه رمى فيه العدوّ العيب. وكان هارون كاهنًا عظيمًا في إسرائيل، وبسبب مريم أخته حسَد موسى. أُرسل موسى ليخلّص الشعب من مصر وأخذ معه المُشيرة بالقبائح. إلتقى الربُّ موسى وطلب أن يقتله إلى أن أعاد امرأته إلى مديان. ظفر داود في كلّ حروبه، ولكن وُجد فيه عيبٌ بواسطة ابنة حوّاء. كان منظر أمنون لائقًا وجميلًا فأسرَه العدوُّ بالشهوة نحو أخته وقتله أبشالوم لأنّه أذلّ تامار. كان سليمان أعظم ملوك الأرض كلّهم، وفي شيخوخته مالت النساء بقلبه. بواسطة إيزابيل بنتِ ايتبَعل كثُر شرُّ آحاب وتدنّس جدًّا. جرّب العدوُّ أيّوب ببنيه ومقتناه. وإذ لم يقدر أن يتسلّط عليه ذهب فجلب عليه سلاحه. رجع وجاء بابنة حوّاء التي غرّقت آدم وقالت بفمها لأيّوب الرجل البارّ: «جدِّف على الله» (أي ٢: ٩)، فازدرى أيّوب نصيحتها. وآسا الملك قهر لعنة الموت حين أراد العدوُّ أن يدخُل عليه بواسطة أمّه. عرف آسا خدعته وأبعد عن أمّه عظمتها

وحطّم الصنم ورماه. كان يوحنّا أعظم من كلّ الأنبياء فقتله هيرودس برقصة ابنة حوّاء. كان هامانُ الغنيُّ الثالثَ في المملكة فنصحته امرأته لِيُبيد اليهود. كان زمري رئيسًا في سبط شمعون فأفسدته كوزبي بنتُ رئيس مديان، ومن أجل امرأة واحدة سقط من إسرائيل، في يوم واحد، أربعةُ آلاف وعشرون رجلًا.

الفطنة

٤ من أجل هذا، يا إخوتي، كلّ رجلٍ متنسّك أو قدّيس[١] يحبّ الوحدة ويريد أن تسكن معه امرأة ناسكة، فالأفضل له أن يتّخذ امرأة على عيون الناس ولا يحترقَ بالشهوة (١ كور ٧: ٩). وكذلك المرأة هذا ما يليق بها: إن لم تُرد أن تنفصل عن رجل متنسّك فلتكن لرجل على عيون الناس. يليق بالمرأة أن تساكن المرأة، وعلى الرجل أن يساكن الرجل. أمّا الرجل الذي يريد أن يبقى في القداسة، فلا تسكن معه شريكةُ حياته، لئلا يعود إلى وضعه القديم فيُحسب عمله زنى. إنّها لائقة وواجبة وحسنة هذه النصيحة التي أعطيها لنفسي ولكم، يا أعزّائي النسّاك، الذين لم يتزوّجوا امرأة، وأنتنّ أيّتها البتولات اللواتي لم يكنّ لرجل. وللذين يحبّون القداسة (العفّة) أقول: إنّه حقٌّ وواجبٌ ولائقٌ أن يكون الإنسان وحدَه حتّى في وقت الضيق. ويليق به أن يسكن كما كُتب في إرميا النبيّ: «طوبى للرجل الذي حمل نيرَك في صباه، فجلس وحده صامتًا، لأنّه قبل أن يحمل نيرك» (مرا ٣: ٢٧ـ ٢٨). هكذا يليق، يا عزيزي، بمَن حمل نير المسيح أن يحفظ نيره بالنقاوة.

موسى وإيليّا وبولس...

٥ هذا ما كُتب، يا عزيزي، عن موسى: بعد أن تجلّى له القدّوس أحبّ

القداسة، وبعد أن تقدّس لم تعد تخدمه امرأته. وهذا ما كُتب: «كان يشوع بنُ نون خادمَ موسى منذ صباه» (خر ٣٣: ١١). وعن يشوع كُتب أيضًا: «لم يكن يترك الخيمة» (خر ٣٣: ١١). فالخيمة الزمنيّة لم تخدُمها امرأة لأنّ الناموس لا يسمح أن تدخل النساء إلى الخيمة الزمنيّة (خر ٢٨: ٨). فإذا أردنَ الصلاة أتينَ إلى باب الخيمة فصلّينَ هناك وعُدنَ. أمّا الكهنة فأمرَهم موسى أن يبقُوا مقدَّسين ولا يعرفوا نساءَهم في وقت خدمتهم.

وهذا ما كُتب عن إيليّا: أقام حينًا على جبل الكرمل وحينًا على نهر كريت وكان تلميذُه يخدمه. ولأنّ قلبه كان في السماء فقد كانت طيور السماء تأتيه بالطعام. وبما أنّه اتّخذ شبه ملائكة السماء فهؤلاء الملائكة أتوه بالخبز والماء حين هرب من أمام إيزابيل (١ مل ١٩: ٥- ٧). وبما أنّه جعل عقله في السماء خُطف إلى السماء في مركبة ناريّة (٢ مل ٤: ٩- ١٠)، فكان سُكناه هناك إلى الأبد.

وسار أليشاع على خطى معلّمه وأقام في علّيّة الشونميّة فخدمَه تلميذه. ففيه قالت الشونميّة: إنّه نبيُّ الله وقدّيس وهو يمرّ دومًا علينا. هكذا يليق بقداسته أن نصنع له علّيّة مع كلّ ما يحتاج إليه لخدمته (٢ مل ٤: ٩- ١٠). وإلامَ كان يحتاج أليشاع في علّيّته؟ إلى سرير وطاولة وكرسيّ وسراج فقط.

وماذا نقول عن يوحنّا؟ سكن بين البشر ولكنّه حافظ على البتوليّة بنقاوة ونال روح إيليّا. والرسول الفاضل قال عن نفسه وعن برنابا: «ألا يحقّ لنا أن نأكل ونشرب ونحيط نفوسنا بنساء؟» (١ كور ٩: ٤- ٥). ولكن هذا لا يليق وليس بواجب.

المرأة أيضًا

٦ أنتم تعرفون، يا إخوة، أنّ مدخل العدوّ إلى البشر كان بواسطة المرأة

وبها يكمّل أعماله حتّى النهاية. إنّها سلاح الشيطان وبواسطتها يحارب الأبطال. بها يُغنّي في كلّ وقت لأنّها كنّارته منذ اليوم الأوّل. بسببها فُرضت لعنةُ الخطيئة وبسببها كان لنا الوعدُ بالموت. بالأوجاع تلد بنيها (تك ٣: ١٦) وتُسلّمهم إلى الموت. بسببها لُعنت الأرض لتُنبت شوكًا وقطربًا.

ولكن الآن، وبمجيء ابن الطوباويّة مريم اقتُلع الشوك وانتفى العَرَق. لُعنت التينة وصار التراب ملحًا وصُلبت اللعنة على الصليب (كو ٢: ١٤) وأخذ السيف المسنون من أمام شجرة الحياة التي تهب الطعام للمؤمنين. تمّ الوعد بالفردوس للطوباويّين والبتولين والقدّيسين، ووُهبت ثمار شجرة الحياة مأكلًا للمؤمنين والبتولين وصانعي إرادة الله. فُتح الباب وشُقّت الطريق وجرى النبعُ وسقى العطاشَ. وُضعت الطاولة وهُيّئت الوليمة. ذُبح العجل المسمّن ومُزجت كأسُ الخلاص. هُيّىء العُرس واقترب الختَن وسيجلس إلى المائدة. أُرسل الرسلُ للدعوة وكَثُر عددُ المدعوّين.

كونوا مستعدّين

أيّها المختارون، هيّئوا أنفسكم. شعّ النور فبدا حلوًا جميلًا. أُعِدّت الثياب التي لم تصنعها الأيادي. الصَيحة قريبة. القبورُ تفتّحت والكنوزُ كُشفت والموتى قاموا والأحياءُ طاروا للقاءِ الملك. وُضع الطعام والقرن يشجّعنا. أسرعت الأبواق وركض ملائكة السماء. أقيم كرسيٌّ للديّان. فالذي تعب يفرح، والذي تراخى يخاف، والذي أذنب لا يقترب من الديّان. أبناء اليمين يرقصون والذين على الشمال يبكون ويولولون. هؤلاء يبتهجون في النور وأولئك يئنّون في الظلمة ليرطّب لسانهم (لو ١٦: ٢٤). مضت النعمة وملكت العدالة فلم يبقَ مكان للتوبة. إقترب الشتاء وولّى الصيف. جاء سبت الراحة وتوقّف العمل. زال الليلُ وسيطر النور. حُطّمت شوكة الموت الذي ابتلعته الحياة. الذين يرجعون إلى الجحيم

يبكون ويصرفون بأسنانهم، أمّا الذين يذهبون إلى الملكوت فيفرحون ويبتهجون ويرقصون ويسبّحون. الذين لم يتّخذوا نساءً سيخدمهم ملائكة السماء. والذين حافظوا على القداسة يرتاحون في مقدس العليّ. كلّ المتوحّدين يُفرحهم الابن الوحيد الذي في حضن أبيه. لن يكون هناك ذكرٌ ولا أنثى، لا عبدٌ ولا حرّ، بل يكونون كلّهم أبناءَ العليّ (غل ٣: ٢٨). كلّ البتولات النقيّات اللواتي خُطبن للمسيح سيُضئن هناك قناديلهنّ ويدخلنَ مع الختَن إلى خدره. كلّ اللواتي خطبَهنّ المسيح سيبتعدنَ عن لعنة الناموس ويخلصنَ من العقاب المفروض على بنات حوّاء. لم يكنَّ لرجالٍ لينلنَ اللعنة وتكون لهنّ الأوجاع. لن يُحسبنَ بين أهل الموت لأنّهن لم يُسلمنَه أبناء. لم يخطبنَ أنفسهنَّ لرجل مائت بل للمسيح. لم يلدنَ أبناءً ولكن يُعطى لهنَّ اسمٌ أفضلُ من البنين والبنات (أش ٥٦: ٥). وعوض وليمة بنات حوّاء سيتلُونَ أناشيد الختَن. وليمةُ بنات حوّاء تمتدّ سبعة أيّام، ووليمتُهنّ الحمَل الذي لا يزول أبدًا. زينة بنات حوّاء صوف يبلى ويفسد، وزينتهنّ لباس لا يبلى. جمال بنات حوّاء تُذبله الشيخوخة وجمالهنّ يتجدّد في وقت القيامة.

إلى البتولات

٧ فيا أيّتها البنات اللواتي خطبتنَّ نفوسكنَّ للمسيح، إن قال لكنَّ أحدُ المتنسّكين: أسكُنُ معكِ فتخدميني، هكذا تقلنَ له: أنا مخطوبةٌ لملِك وإيّاه وحدَه أخدم. فإن تركتُ خدمتَه وخَدمتُك غَضب عليّ وكتب لي كتابَ طلاق وطردني من بيته. فإ أردتَ أن تكون مكرّمًا لديَّ وأكون مكرّمةً لديك فلا تسمح بأن يكون ضررٌ لي ولك. لا تضعِ النار في صدرك لئلا تشعلَ ثيابك. إبقَ وحدَك فتُكرَم وأبقى وحدي فأُكرم. فما هيّأه الختَن لوليمته الأبديّة، اصنع لك منه هديّة وهيّىء نفسَك للقائه. وأنا أهيّىء لنفسي الزيت لأدخل مع الحكيمات فلا

أُرذَل خارج الباب مع البتولات الجاهلات (مت ٢٥: ١ـ ١٢).

إلى المتوحّدين

٨ واسمع، يا عزيزي، ما أكتب إليك وهو يليق بالمتوحّدين المتنسّكين من بتولين وقدّيسين. يجب أوّلاً على الإنسان الذي وضع النيرَ على نفسه أن يكون إيمانه متينًا كما كتبتُ لك في الرسالة الأولى. وأن يجتهد في الصوم والصلاة، ويشتعل بحبّ المسيح، ويكون متواضعًا ووديعًا وعاقلاً. أن تكون كلمته هادئة وعذبة ويكون ضميره نقيًّا ويتكلّم بتؤدة مع كلّ إنسان. أن يصنع سياجًا لفمه من الكلمات المضرّة ويبعد عنه الضحكَ الهائج. أن لا يحبَّ زينة اللباس. ولا يليقُ به أن يربّي شعرَه ويسرّحه. لا يليق به أن يطيِّب نفسه بالعطور وأن يشارك في الولائم. لا يليق به أن يلبس الثياب الفاخرة، ولا أن يترك نفسه تسعى إلى الخمر. أن يُبعد عن نفسه أفكار التكبّر. لا يليق به أن يمتلك الملابس المزيّنة ولا أن يتوشّح بالمشالح. أن يهرب من لسان المكر ويُبعد عن نفسه الحسَد والخصومة ويرمي بعيدًا عنه الشفاهَ الكاذبة. أن لا يسمع الكلمات التي تُقال في إنسان بعيد، ولا يقبلَ بها قبل أن يتحرّى عنها، فلا يخطىء. الاستهزاءُ عيبٌ بغيض، فلا يليق أن يصعد إلى قلبنا. أن لا يُقرض ليأخذ الفائدة وأن لا يحبَّ الطمع. أن يُظلَم لا أن يَظلُم، ويُبعدَ عنه الممالقة ولا يتلفّظَ بالكلام الباطل. أن لا يهزأَ بالإنسان التائب عن خطاياه، ولا يسخرَ بأخيه الذي يصوم، ولا يُخجلَ الذي لا يقدر أن يصوم.

حيث يُقبَل فليوبِّخ، وحيث لا يُقبل فليعرف كرامته. يقول كلمته حين تُقبَل وإلّا يبقى صامتًا. لا يحتقر نفسه بسبب متطلّبات بطنه، ويكشف سرّه لمَن يخاف الله. ليحفَظْ نفسه من الشرّير ولا يُحِبِّ الإنسان الشرّير أو الذي يبغضه. وهكذا فليقاتل نفسه لكي لا يكون له مبغض. إن حسَدوه لخير فيه

فليزد خيرًا على خير فلا يلقى ضررًا بسبب الحسَد. إن كان له وأعطى المساكين فليفرح، وإن لم يكن له فلا يحزن. لا تكن له علاقات مع الرجل الشرّير، ولا يتكلّم مع المستهزىء لئلا يصير هو أيضًا هزءًا. لا يجادلِ الرجلَ المجدِّف لئلا يلحقَ ربَّه التجديفُ بسببه. ليبقَ بعيدًا عن النمّام، فلا يمالق إنسانٌ إنسانًا بجميل الكلام. هذا كلّه يليق بالمتوحّدين الذين قبلوا النير السماويّ وصاروا تلاميذ للمسيح. هذا يليق بتلاميذ المسيح: أن يتشبّهوا بالمسيح ربّهم.

يسوع مثالنا

٩ فيا عزيزي، لنتمثّل بمُحيينا الذي إذ كان غنيًّا صار فقيرًا، وإذ كان رفيعًا تنازل عن عظمته، وحين كان مسكنُه في السماء لم يكن له مكانٌ يُسند إليه رأسه (مت ٨: ٢٠). وهو الذي سوف يأتي على السحاب ركب على جحش ودخل أورشليم (يو ١٢: ١٤- ١٥). وإذ كان الله وابنَ الله اتّخذ صورة العبد (فل ٢: ٧). هذا الذي استراح من كلّ أعماله، تعب من مشقّة الطريق (يو ٤: ٦). هذا الذي هو الينبوع الذي يُطفىء العطش، عطِش وطلب ماءً ليشرب. هذا الذي هو الشِّبَع ويُشبع جوعَنا جاع حين خرج إلى البرّيّة ليجرَّب (مت ٤: ٢؛ لو ٤: ٢). هذا المستيقظُ الذي لا ينام (مز ١٢٧: ٤) نام ورقد في المركب وسط الماء (مت ٨: ٢٤). هذا المخدوم في مسكن أبيه قَبِل خدمةَ أيديّ البشر. هذا الذي هو طبيب كلّ البشر المرضى، غُرزَت في يديه المسامير. هذا الذي يُخرج فمُه الخيرات أُعطي المرّ ليأكله. هذا الذي لم يضُرَّ ولم يُسيء إلى أحد تلقّى الضربَات واحتمل العار. هذا الذي هو محيي كلّ الموتى أسلم نفسه إلى موت الصليب.

١٠ هذا التواضع كلُّه بيّنه لنا محيينا في نفسه، فلنتواضع نحن أيضًا، يا أحبّائي. حين جاء ربُّنا وأخلى ذاته من طبعه سار حسَب طبعنا. فلنبقَ

نحن في حالنا ليشركنا في حاله، في يومَ الدين. أخذ منّا ربُنا عربونًا ومضى وترك لنا عربونًا منه وارتفع. هو الذي لا يحتاج إلى شيء وجد هذه الوسيلة بسبب الحاجة التي فينا. فما كان لنا كان له منذ البدء، ولكن مَن يهبُ لنا ما هو له؟ ما وعدنا به ربّنا هو حقّ: «حيث أكون أنا أنتم تكونون» (يو ١٤ : ٣). لأنّ ما أخذه منّا هو مكرّم لديه والتاج معقودٌ على رأسه، فيليق بنا أن نكرّم ما أخذناه منه. ما هو لنا مكرّم لديه، وهذا لا يرتبط بحالنا، فلنُكرّم ما هو له بحسب حاله. فإن كرّمناه ذهبنا إليه لأنّه رفع ما أخذه منّا. ولكن إن احتقرناه أخذ منّا ما وهبه لنا.

إن هَزِئنا بعربونه هناك أخذ منّا ما هو له وحرمنا ممّا وعدنا به. فلنعظّم جمال ابن الملك الذي هو عندنا ليكون لنا كعربون يحلّ محلّه. مَن كرّم ابنَ الملك نال من الملك الهدايا العديدة. ما هو لنا مكرّم عنده والتاج معقود على رأسه ويجلسه مع الملك. ونحن المساكين ماذا نستطيع أن نصنع لابن الملك الذي هو عندنا؟ لا يطلب منّا إلّا أن نزيّن هياكلنا من أجله. وعندما ينتهي الزمن ويذهب إلى أبيه يقبل الاعتراف منّا لأنّنا أكرمناه.

حين جاء إلينا لم يكن له شيء أخذه منّا، ولم يكن لنا شيء أخذناه منه، مع أنّ الطبعين يخصّانه ووالدَه. فحين بشّر جبرائيل الطوباويّة مريم التي ولدته، حمل الكلمة من العلى وجاء، والكلمة صارت جسدًا وحلّت فينا (يو ١ : ١٤). وحين عاد إلى مرسله ذهب وأخذ ما ليس له كما قال الرسول: «رفعنا وأجلسنا معه في السماء» (أف ٢ : ٦). وحين ذهب إلى أبيه أرسل لنا روحه وقال لنا: «أنا معكم حتّى نهاية العالم» (مت ٢٨ : ٢٠). فالمسيح الجالس عن يمين أبيه هو المسيح الساكن وسط البشر. يقدر أن يكون في الأعالي والأسافل

بحكمة أبيه ويسكن في الكثيرين مع أنّه واحد. يظلّل كلّ المؤمنين واحدًا واحدًا ولا ينقُص كما كُتب: «أقسمه على الكثيرين» (أش ٥٣: ١٢). وإذ هو مقسوم على الكثيرين يجلس إلى يمين أبيه. هو فينا ونحن فيه كما قال: «أنتم فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). وقال في مكان آخر: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠).

الله الواحد يقيم في البشر

١١ وإذا كان ضمير إنسان ما أقلّ من معرفته فقد ناقش هذه الأمور وقال: إذا كان المسيح واحدًا، وإذا كان أبوه واحدًا فكيف يسكن المسيح وأبوه في البشر المؤمنين؟ وكيف يكون البشر الأبرار هياكل لله فيسكن فيهم؟ إن كان الأمر هكذا، يصل إلى كلّ البشر المؤمنين مسيحٌ والله الذي في المسيح. وإذا كان الأمر هكذا يجب أن يكون هناك آلهة عديدة ومسحاء لا يُحصَون.

فاسمع، يا عزيزي، الردّ الواجب لهذه الكلمة، وإن مَن يتكلّم هكذا يتلقّى البرهان ممّا يُرى. كلّ إنسان يعرف أنّ الشمس ثابتةٌ في السماء وشعاعَها منتشرٌ على الأرض فيدخل في الأبواب العديدة وكوى البيوت. وحين تسقط لمعة شمس ولو على قدر الكفّ تسمّى شمسًا، وحين تلج أمكنة عديدة تسمّى هكذا، أمّا جوهر الشمس فهو في السماء. فإذا كان الأمر كذلك، هل هناك شموس عديدة؟ وكذا نقول عن مياه البحر الكثيرة. حين تأخذ منها كأسًا تسمّى ماء، وحين تقسّمها على آلاف الأوعية تسمّى ماء. وحين تُشعل النار من النار في أمكنة عدّة، فالتي أخذت منها وأشعلت لم تَنقص وتسمّيها أيضًا نارًا. فإذا قسّمتها على أمكنة كثيرة لن تسمّيها بأسماء كثيرة. وحين تأخذ التراب من الأرض وترميه في أمكنة متعدّدة فالترابُ لا ينقص. ولا تستطيع أن تسمّيه بأسماء كثيرة. هكذا نقول أيضًا عن الله ومسيحه:

هما واحد وإن سكنا في بشر كثيرين. هما يقيمان في السماء بجوهرها ولا ينقصهما شيء إن سكنا في الكثيرين، كما أنّ الشمس لا تنقص في السماء حين تحلّ قوّتُها في الأرض. فكم هي عظيمة قوّة الله الذي بقوّته تقوم الشمس!

عطيّة الروح

١٢ وأذكّرك أيضًا، يا عزيزي، بما يقول الكتاب. هذا ما كُتب: حين ثَقُل على موسى أن يقود المخيّم وحده قال له الربّ: «ها أنا آخذ من الروح الذي عليك وأهبُه لسبعين رجلًا من شيوخ بني إسرائيل» (عد ١١: ١٧). فحين أخذ من روح موسى، فامتلأ منه السبعون رجلًا، فهل نقص من موسى شيء؟ وهل شعر الناس أنّ الروح هو أقلّ ممّا كان؟ وقال الرسول الفاضل: «قسَّم الله روحَ مسيحِه وأرسله في الأنبياء» (١ كور ١١: ٢٨؛ روم ١٢: ٣، ٦). فالمسيح لم يتضرّر لأنّ أباه لم يُعطِه الروح بقياس (يو ٣: ٣٤). بهذا المعنى تقدر أن تقتنع بأنّ المسيح يسكن في البشر المؤمنين. لا يتضرّر المسيح في شيء حين يتوزّع على الكثيرين. فمن روح المسيح نال الأنبياء كلّ واحد حسب ما يقدر أن يحمل. ومن روح المسيح أيضًا يُفاض اليوم على كلّ بشر (يوء ٣: ١ـ ٢؛ أع ٢: ١٧ـ ١٨) فيتنبّأ البنون والبنات والشيوخ والشبّان والعبيد والجواري. فينا من المسيح، والمسيح هو في السماء من عن يمين أبيه. والمسيح لم ينل الروح بقياس بل أحبّه أبوه وسلّم إليه كلَّ ما في يده وسلّطه على كلّ كنوزه. فقال يوحنّا: «لم يُعطِ الآب ابنه الروحَ بقياس بل أحبّه وسلّمه كلّ ما في يده» (يو ٣: ٣٤ـ ٣٥). وقال ربُّنا أيضًا: «كلُّ شيء سُلّم إليّ من أبي» (مت ١١: ٢٧). وقال أيضًا: «الآب لا يدين أحدًا ولكن أعطى الابن كلَّ دينونة» (يو ٥: ٢٢). وقال الرسول أيضًا: «كلُّ شيء يَخضع للمسيح

ما عدا أبوه الذي أخضع له كلَّ شيء. وعندما يخضع له كلُّ شيء بواسطة الآب، حينئذٍ يخضع هو أيضًا لله أبيه الذي أخضع له كلَّ شيء، ويكون الله كلًّا في كلّ شيء وكلّ إنسان» (١ كور ١٥ : ٢٧ـ ٢٨).

إيليّا ويوحنّا، أليشاع ويسوع

١٣ وشهد ربُّنا عن يوحنّا قال: هو أعظم الأنبياء (مت ١١ : ٩؛ ١٩ : ٤ـ ٩)، وبكيلةٍ نال الروح، لأنّ يوحنّا نال الروح بالقدر الذي ناله إيليّا. كما أنّ إيليّا أقام في البرّيّة، كذلك اقتاد روحُ الله يوحنّا فأقام في البرّيّة وعلى الجبال وفي الكهوف. أطعمت الطيورُ إيليّا، وأكل يوحنّا الجراد الطائر. ربط إيليّا حقويَه بحزام من جلد، وربط يوحنّا حقويَه بحزام من جلد. إضطهدت إيزابيل إيليّا، وهيروديّا اضطهدت يوحنّا. وبّخ إيليّا آحاب، ويوحنّا وبّخ هيرودس. فلَق إيليّا الأردنَّ وفتح يوحنّا المعموديّة. حلّ سهمان من روح إيليّا على أليشاع، ووضع يوحنّا يدَه على مخلّصنا الذي قبل الروح من دون قياس. فتح إيليّا السماء وصعد، ورأى يوحنّا السماء مفتوحة وروحَ الله ينزل ويحلّ على مخلّصنا.

نال أليشاعُ ضعفَ روح إيليّا، ونال مخلّصنا روح يوحنّا والروحَ السماويّ. أخذ أليشاعُ رداءَ إيليّا، ومخلّصُنا وَضْعَ يد الكهنة. حوَّل أليشاع الماء زيتًا، ومخلّصنا حوّل الماء خمرًا. أشبع أليشاع من خبزٍ قليلٍ مئة رجل، وأشبع مخلّصنا من خبزٍ قليل خمسة آلاف رجل ما عدا الأطفال والنساء. طهّر أليشاع نعمان الأبرص، وطهّر مخلّصنا البرُص العشرة. لعَن أليشاع الأولاد فأكلتهم الدببة، وبارك مخلّصنا الأولاد. شتم الأولاد أليشاع، أمّا مخلّصنا فسبّحه الأولاد بأوشعنا (مت ٢١ : ١٥). لعن أليشاع تلميذه جيحزي، أمّا مخلّصنا فلعن يهوذا تلميذه

وبارك سائر التلاميذ. أحيا أليشاع ميتًا واحدًا فقط، أمّا مخلّصنا فأحيا ثلاثة. عظامُ أليشاع أعادت الحياة إلى ميْت، أمّا مخلّصنا فنزل إلى مقرّ الموتى وأحيا الكثيرين وأقامهم. وكثيرة هي الآيات التي صنعها روحُ المسيح الذي قبله الأنبياء.

الروح في المؤمنين: المعموديّة والقيامة

١٤ ونحن، يا عزيزي، نلنا من روح المسيح، والمسيحُ يسكن فينا كما كُتب، لأنّ هذا الروح يقول بفم النبيّ: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢١: ١٢). إذًا فلنهيّئ هياكلنا لروح المسيح ولا نحزنه فيتركَنا. تذكّروا ما نبّهكم إليه الرسول: «لا تُحزنوا الروح القدس الذي ختمتم به ليوم الخلاص» (أف ٤: ٣٠).

بالمعموديّة نلنا روحَ المسيح، وفي الساعة التي يدعو فيها الكهنة الروح، فتح الروح السماء ونزل ورفرف على المياه فلبسه الذين اعتمدوا. فكلّ مولوديّ الجسد يبتعد الروحُ عنهم إلى أن يأتوا إلى الولادة بالماء. في الولادة الأولى يولدون بروح نفسيّة خُلقت داخل الإنسان وهي لا تموت كما قال الرسول: «جُعل الإنسان نفسًا حيّة» (تك ٢: ٧؛ ١ كور ١٥: ٤٥). وبالولادة الثانية، ولادةِ المعموديّة، ينالون الروح القدس جزءًا من اللاهوت وهو أيضًا غير مائت. فحين يموت الناس تُطمر الروحُ النفسيّة مع الجسد وتُؤخذ منهم الحواسّ. فالروح النفسيّة التي نالوها تعود حسب طبعها إلى المسيح. هذان الشيئان علّمنا إيّاهما الرسول. قال: «يُدفن الجسد نفسانيًّا ويقوم روحانيًّا» (١ كور ١٥: ٤٤). فالروحُ تذهب إلى المسيح حسَب طبعها. ويقول الرسول أيضًا: «عندما نترك الجسد نكون لدى ربّنا» (٢ كور ٥: ٨). إلى ربّنا يعود روحُ المسيح الذي قبلَه الروحانيّون. والروحُ النفسيّة حسَب طبعها تُدفن وتؤخذ منها الحواسّ.

فالذي حفظ روحَ المسيح بالنقاوة يقول له عندما يعود إليه: الجسدُ الذي ذهبتُ إليه والذي لبستُه في مياه المعموديّة حفظني في القداسة. ويدفع الروحُ القدُس المسيح إلى أن يقيم هذا الجسد الذي حفظ الروح بالنقاوة. ويسعى الروح إلى أن يتّحد به أيضًا ليقوم هذا الجسدُ بالمجد. والإنسان الذي ينالُ الروحَ من الماء ويُحزنه، يتركه قبل أن يموت، ويذهب، حسَب طبعه إلى المسيح ويشتكي على الرجل الذي أحزنه. وحين يكون زمن الانقضاء ويقترب وقت القيامة، فالروحُ القدسُ الذي حُفظ في النقاوة ينال قوّة عظيمة توافق طبعه. يأتي قبل المسيح ويقف على باب القبور حيث دُفن الناس الذين حفظوه بالنقاوة وينتظر الصيحة. وعندما يفتح الملائكةُ أبوابَ السماء أمام الملك، حينئذٍ يدعو القرنُ وتهتف الأبواق، والروحُ الذي ينتظر الصيحة يسمع، فيُسرع ويفتح القبور ويقيم الأجساد وما دفن فيها ويُلبس المجدَ ذلك الذي جاء معه. يكون الروحُ في الداخل لقيامة الجسد ويكون المجدُ في الخارج لزينة الجسد. أمّا الروحُ النفسيّ فيبتلعه الروحُ السماويّ بحيث يصبح الإنسان كلُّه روحانيًّا مع جسده. فيُبتلع الموت بالحياة والجسدُ بالروح، وبفعل الروح يطير هذا الإنسان للقاء الملك ويقبّلُه بفرحٍ ويستقبل المسيحُ بعذوبة الجسدَ الذي حفظ الروحَ بنقاوة.

أمثلة من الكتاب

١٥ فيا عزيزي، هذا هو الروح الذي ناله الأنبياء ونلناه نحن أيضًا. ولا يوجد دومًا لدى الذين نالوه. فتارةً يذهب إلى مَن أرسله، وتارة يأتي إلى مَن قَبِله. إسمع ما قال ربّنا: «لا تحتقروا واحدًا من هؤلاء الصغار المؤمنين بي لأنّ ملائكتهم في السماء يعاينون دومًا وجه أبي» (مت ١٨: ١٠). فهذا الروح يذهب دومًا ويقف أمام الله ويشاهد وجهه.

وَمَن يضرّ الهيكلَ الذي يحلّ فيه الروح، فالروح يشتكي عليه لدى الله.

١٦ وسأعطيك براهين مقنعة في ما كتب أنّ الروح لا يوجد دومًا لدى مَن يقبله. فهذا ما كُتب: الروح القدس الذي قَبله شاول حين مُسح ملكًا، تركه لأنّه أحزنه (١ صم ١٦: ١٤ي)، وأرسل له الله روحًا يعذّبه. وحين كان شاول يتضايق من الروح الشرّير، كان داود يضرب له بالكنّارة فيأتي الروحُ القدس الذي قبِله داودُ حين مُسح ملكًا فيهرب من أمامه الروح الشرّير الذي كان يعذّب شاول. والروح القدس الذي قبِله داودُ لم يوجد دومًا لديه، بل كان يأتي حين يضرب بالكنّارة. فلو كان لديه دومًا لما كان تركه يخطأ مع امرأة أوريا. فحين صلّى عن خطاياه واعترف بجهالاته أمام الله قال: «وروحَك القدّوس لا تنزعه منّي» (مز ٥١: ١٣).

وهذا ما كُتب أيضًا عن أليشاع. حين ضرب بالكنّارة أتى إليه الروح فتنبّأ وقال: «هذا ما قال الربّ: لن ترَوا الهواءَ ولا المطر، وهذا الوادي يصنع آبارًا وآبارًا» (٢ مل ٣: ١٥ـ ١٧). وحين جاء إلى الشونميّة من أجل ابنها الذي مات، قال لها: «أخفى الربُّ عنّي هذا ولم يُعلمني به» (٢ مل ٤: ٢٧). وحين أرسل إليه ملكُ إسرائيل واحدًا ليقتله، أعلمه الروح بذلك قبل أن يصل الرسول إليه، فقال: «ها إنّ ابن الشرّ أرسل مَن يطلب رأسي» (٢ مل ٦: ٣٢). وأعلمه الروح أيضًا بالوفر الذي سيكون في السامرة في الغد، كما أعلمه أنّ جيحزي سرق الفضّة وخبّأها.

تمييز الأرواح

١٧ فيا عزيزي، حين يترك الروحُ القدس إنسانًا قَبِلَه، وبين أن يذهب

ويعود، يُصلي الشيطان هذا الإنسانَ حربًا ليحيد به عن الطريق ويُبعد عنه نهائيًا الروحَ القدس. فما دام الروح مع الإنسان، يخاف الشيطان أن يقترب منه.

أنظر، يا عزيزي، فربُّنا الذي وُلد من الروح لم يجرّبه الشيطان قبل أن ينال الروح بالمعموديّة التي من علُ. حينئذٍ أخرجه الروحُ ليُجرَّب من الشيطان. هذه وسيلة للإنسان. ففي الساعة التي يحسّ فيها بالبلبلة وأنّ روحَه بردت وقلبَه سقط في أفكار دنيويّة، فليعرف أنّ الروح لم يعد فيه. ليقم ويصلِّ ويسهر ليأتي إليه روح الله فلا يقهره العدوّ. فالسارقُ لا ينقب البيت قبل أن يرى سيّده قد تركه. وهكذا لا يقدر الشيطان أن يقترب من البيت الذي هو جسدنا قبل أن يتركه روحُ المسيح.

واعرف، يا عزيزي، أنّ السارق لا يعرف إن كان ربُّ البيت داخل البيت أم خارجه، فيبدأ بأن يتنصّت ويرى. فإن سمع صوت ربّ البيت الذي هو في الداخل يقول: يجب أن أعبر سبيلي. وحين يفتّش ويرى أنّ ربَّ البيت ترك بيته ليقوم بأعماله، حينئذٍ يأتي اللص وينقب البيت ويسرق. وإن سمع صوت ربّ البيت ينبّه أبناء بيته ويوصيهم بأن يسهروا ويحرسوا بيته ويقول لهم: أنا في داخل البيت، حينئذٍ يخاف السارق ويهرب لئلا يُمسَك ويُضبط. وهذه هي حال الشيطان. هو لا يملك العلم المُسبق الذي يجعله يرى ويعرف متى يترك الروحُ الإنسانَ ليأتي ويسلُبه. فيُنصت وينتظر ويتقدّم. فإن سمع أنّ الإنسان الذي يسكنُ فيه المسيح يقول كلمات بغيضة أو يغضب ويخاصم ويقاتل، حينئذٍ يعرف الشيطانُ أنّ المسيح ليس معه فيأتي ويتمّ فيه إرادته. لأنّ المسيحَ يسكن في المسالمين والوضعاء ويحلّ في الذين يتّقون كلمته. كما قال بالنبيّ: «مَن أنظر، وعند مَن أسكن إلّا عند

المسالمين والوضعاء الذين يتّقون كلمتي؟» (أش ٦٦: ٢). وقال ربُّنا: «مَن يسلك حسب وصاياي ويحافظ على حبّي نأتي إليه ونصنع عنده مسكنًا» (يو ١٤: ٢٣). فإن سمع الشيطان أنّ الإنسان يسهر ويصلّي ويهذّ بشريعة ربّه نهارًا وليلاً، حينئذٍ يعود لأنّه يعرف أنّ المسيح معه.

الشيطان يحارب الكثيرين

وإن قلتَ كم يوجد شيطان؟ ها إنّه يحارب الكثيرين! إسمع واقتنع ممّا فسّرته لك أعلاه عن المسيح. يتوزّع في كثيرين ولا ينقُص منه شيء. فالبيتُ الذي يدخل من كوّته قليلٌ من الشمس يستنير كلُّه. والإنسان الذي يدخل فيه قليلٌ من الشيطان يُظلم كلُّه. فاسمع ما قال الرسول: «إن تشبّه الشيطان بملاك النور، فلا عجب أن يتشبّه خدّامه بخدّام البرّ» (٢ كور ١١: ١٤ـ ١٥). وقال ربّنا لتلاميذه: «وهبتُ لكم سلطانًا أن تدوسوا قوّة العدوّ» (لو ١٠: ١٩). وعرّفتنا الكتبُ أنّ له جيشًا وخدّامًا. وقال عنه أيّوب (٤٠: ١٤): «صنعه الله ليحاربه». فهؤلاء الخدّام الذين له يرسلهم في العالم ليحاربوا. ولكن اعلم أنّه لا يحارب جهارًا. فمنذ مجيء مُحيينا وُهب لنا عليه سلطانٌ من قبل الله. إلّا أنّه لا يزال يسرق وينهب.

آدم الأوّل وآدم الثاني

١٨ وسأشرح لك، يا عزيزي، هذه الكلمة التي قالها الرسول والتي تتعثّر بها تعاليمُ خبيثة هي أدوات الشرّير. قال الرسول: «يوجد جسدٌ حيوانيّ (نفسانيّ) ويوجدُ جسدٌ روحانيّ. كما كُتب: كان آدمُ الأوّل في نفس حيّة وآدمُ الثاني في روح محيية» (١ كور ١٥: ٤٤ـ ٤٥). فقال الهراطقة: يوجد آدمان. أما الرسول فقال: كما لبسنا صورة آدم الذي من الأرض هكذا نلبس صورة آدم الذي من السماء (١ كور

١٥ : ٤٩). فآدم الأرضيّ هو الذي خطىء وآدم السماويّ هو مُحيينا وربّنا يسوع المسيح. فالذين يقبلون روح المسيح يتشبّهون بآدم السماويّ الذي هو مُحيينا وربُّنا يسوع المسيح. إنّ الروحانيّ يبتلع الحيوانيّ كما كتبت لك أعلاه. والإنسان الذي يُحزن روح المسيح سيكون حيوانيًا في القيامة لأنّ لا روحَ سماويّة لديه لتبتلع الروحَ الحيوانيّة. ولكن عندما يقوم يثبت في طبعه عاريًا من الروح. لأنّه عرَّض للعُري روحَ المسيح يُعطى له أن يكون عاريًا كلَّ العُري. أما الذي كرّم الروحَ المخفيّ فيه بالنقاوة، ففي ذلك اليوم يحميه الروح فلا يوجد عريانًا كما قال الرسول: «نتمنّى أن نلبسَ ولا نوجد عُراة» (٢ كور ٥: ٣). وقال أيضًا: «سنرقد كلّنا، ولكن لا نتبدّل كلّنا بالقيامة» (١ كور ١٥ : ٥١). وقال أيضًا: «إنّ هذا المائت مزمعٌ أن يلبس ما لا يموت وهذا الفاسد ما لا يفسد. ومتى يلبس هذا المائتُ ما لا يموت وهذا الفاسد ما لا يفسد حينئذٍ تتمّ الكلمة المكتوبة: إبتُلع الموت بالظفر» (١ كور ١٥ : ٥٣ـ ٥٤). وقال أيضًا: «سريعًا وبلمحة بصَر يقوم الموتى بلا فساد ونحن نتبدّل» (١ كور ١٥ : ٥٢). والذين يتبدّلون يلبَسون صورة آدَم السماويّ ويكونون روحانيّين، والذين لا يتبدّلون يبقون في الروح الحيوانيّة وفي الطبع الترابيّ الذي فيه خُلق آدم. ويبقَون في طبعهم من الأرض السفلى. وحينئذٍ يُختطف السماويّون إلى السماء، والروح الذي لبسوه يجعلهم يطيرون فيرثون الملكوت الذي أُعدّ لهم منذ البدء. أمّا الحيوانيّون فيُترَكون على الأرض بسبب ثقل أجسادهم ويعودون إلى الجحيم «وهناك يكون البكاء وصريف الأسنان» (مت ٨: ١٢).

نصيحة أخيرة

كتبتُ لك هذا، يا عزيزي، وكتبتُه لنفسي: أحِبَّ البتوليّة التي هي جزءٌ

من السماء واختلاطٌ بملائكة السماء. لا شيء يقابلها، والذين هم هكذا يسكن المسيحُ فيهم. قَرُب وقتُ الصيف وأفرخت التينة وخرجت أوراقها (مت ٢٤: ٣٢؛ نش ٢: ١٢ـ ١٣). والآيات التي وهبها مخلّصنا بدأت تتمّ. قال: «تقوم أمّةٌ على أمّة ومملكةٌ على مملكة، وتكون مجاعاتٌ وأوبئةٌ ومخاوفُ من السماء» (لو ٢١: ١٠ـ ١١). وهذه كلّها تمّت في أيّامنا.

إذًا، إقرأ ما كتبتُ لكَ أنت والإخوة المتنسّكين الذين يحبّون البتوليّة. إحذر المستهزئين. فمَن يهزأُ بأخيه ويحتقرُه تتمّ فيه الكلمةُ في الإنجيل، حين أراد ربُّنا أن يُلفت انتباهنا إلى الطمّاعين والفرّيسيّين. فقد كُتب: هزئوا به لأنّهم كانوا يحبّون الفضّة (لو ١٦: ١٤). والآن كلّ الذين لا يتمّمون هذا يهزأون به أيضًا. إقرأ وتعلّم وواظب على القراءة والعمل وليكن ناموسُ الله دومًا موضع تفكيرك. وحين تقرأ هذه الرسالة، بحياتك، يا عزيزي، قم وصلِّ وتذكّر في صلاتك حالتي الخاطئة.

تمّت المقالة في المتنسّكين

الحواشي

---

(١) أي يتوخّى العفّة.

في التائبين

يسوع وحده بلا خطيئة

١ بين كلّ المولودين الذين لبسوا جسدًا، واحدٌ هو البريء. إنّه ربّنا يسوعُ المسيح كما يشهد عن نفسه. قال: «أنا غلبتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣). وشهد عليه النبيّ أيضًا: «لم يصنع إثمًا ولم يوجد في فمه غشّ» (أش ٥٣: ٩). وقال الرسول الفاضل: «هذا الذي لم يعرف الخطيئة جعله خطيئةً من أجلنا» (٢ كور ٥: ٢١). وكيف جعله خطيئة؟ لأنّه حمل الخطيئة وهو لم يرتكبها وسمّرها على الصليب (كو ٢: ١٤). وقال الرسول أيضًا: «كثيرون هم الذين يركضون في الحلَبة ولكن واحدًا يحصل على الإكليل» (١ كور ٩: ٢٤). بالإضافة إلى ذلك، فليس في البشر واحدٌ نزل إلى المعركة ولم يُجرح أو يُضرب لأنّ الخطيئة سيطرت منذ تجاوز آدمَ الوصيّة (روم ٥: ١٤). فضربَتِ الكثيرين وجرحَتِ الكثيرين وقتلَتِ الكثيرين. ولكن بين الكثيرين لم يقتُلها أحدٌ قبل أن يأتي مخلّصنا ويأخذَها ويسمّرها على صليبه. وحين سُمّرت على الصليب كان لها شوكة تنخز الكثيرين إلى أن تأتي النهاية وتحطّم شوكتها.

التوبة دواء

٢ لكلّ الأمراض دواءٌ وهي تُشفى إن وجدنا طبيبًا حكيمًا. والذين جُرحوا في جهادنا فلهم دواءُ التوبة يضعونه على جراحهم فتُشفى. فيا أيّها الأطبّاءُ تلاميذُ طبيبنا الحكيم، خُذوا لكم هذا الدواءَ الذي به تشفون جراح المرضى. فالمحاربون الذين أصيبوا في الحرب بيد مَن تقاتلوا معهم، إن وُجد لهم طبيب حكيم، فهو يقدّم الدواء الذي يداوي جراحهم. وعندما يعيد الطبيبُ الصحّة إلى الذين أصيبوا في الحرب ينال الهدايا والكرامة من الملك. فيا عزيزي، هذه حال مَن يتعب في جهادنا. فإن جاء عدوُّه عليه وجرحه، يجب أن نعطيه دواء التوبة، ما دامت ندامة المجروح قويّة، لأنّ الله لا يرذل التائبين. فقد قال حزقيال: «لا أريد موت الخاطىء المائت، بل أن يتوب عن طريقه الشرّيرة ويحيا» (٣٣: ١١؛ ١٨: ٢٣، ٣٢).

أيّها المصابون

٣ مَن أصيب في الحرب لا يستحيي أن يسلّم نفسه إلى يد طبيب حكيم لأنّه غُلب على أمره وأُصيب. وحين يُشفى لا يرذله الملك بل يعدّه ويحسبه مع جيشه. هكذا يجب ألّا يستحيي الإنسان الذي جرحه الشيطان من أن يعترف بجهالته ويبتعد عنها، ويطلب لنفسه دواء التوبة. فمَن يستحيي أن يُبيّن جرحه يصل إليه الاهتراء ويبلغ الضرر إلى جسده كلّه. ومَن لا يستحيي يُشفى جرحه ويعود إلى القتال. والذي أصيب بالاهتراء لا يقدر أن يشفى ولا أن يستعيد السلاح الذي تركه. هذه هي حال مَن غُلب في جهادنا. له وسيلة أن يشفى إن قال: خطئت، وطلب التوبة. والذي يستحيي لا يقدر أن يشفى لأنّه لا يريد أن يُعلم بجراحِه الطبيبَ الذي أخذ دينارين ليداوي كلَّ الجرحى (لو ١٠: ٣٥).

أيّها الأطبّاء رؤساء الجماعة

٤ وأنتم أيّها الأطبّاء تلاميذُ طبيبنا المجيد، يجب ألّا تمتنعوا عن تقديم الدواء لمَن يحتاج إليه. مَن يبيّن لكم جرحَه، فأعطوه دواءَ التوبة، ومَن يستحيي أن يبيّن مرضه فانصَحوه ألّا يخفيَه عنكم، وعندما يقرّبه لا تعلنوه خوفًا من أن يُحسب الأبرياء مُذنبين من قِبَل الأعداء والخصوم. هذا الخطّ الذي فيه يسقط القتلى يُحسب انهيارًا كاملاً لدى الأعداء. فإن وُجد مَن هم جرحى، فالذين لم يُجرحوا فليداووا أمراضهم بأنفسهم ولا يكشفوها للأعداء. فإن أعلموا بها كلّ إنسان فالمعسكر ينال صيتًا عاطلاً. والملك الذي يقود الجيش يغضب على الذين كشفوا عُري معسكره، فتصيبهم ضرباتٌ أسوأ من تلك التي أصابتهم في الحرب.

٥ فإن لم يُرِدِ الذين جُرحوا أن يكشفوا عن جراحهم فلا لومَ على الأطبّاء لأنّهم لم يشفوا المرضى الذين جُرحوا. وإن أراد الذين جُرحوا أن يُخفوا أمراضهم فلا يستطيعون أن يلبسوا السلاح لأنّ الاهتراء أمسك بأجسادهم. أصابهم الاهتراء وتجرّأوا على لبس السلاح، فحين ينزلون إلى القتال يسخن سلاحهم عليهم وتفسُد جراحُهم وتُنتن فيُقتَلون. وعندما يكتشف جثَثهم هؤلاء الذين أخفوا عنهم جراحهم يسخرون من محاولاتهم إخفاءَ أمراضِ جراحهم. ولا يهبون قبرًا لجثثهم لأنّهم يحسبونهم جهّالاً وأشرارًا ومتعنّتين.

٦ فالذي بيّن جرحه وشُفي منه، فلينتبه إلى المكان الذي شُفي لئلا يصابَ مرةً ثانية. فمَن أصيب مرةً ثانية يصعب شفاؤه، حتّى على الطبيب الحكيم. فالجُرح الذي يكون فوق أثر الجرح لا يُشفى، وإن شُفي فلا يستطيع الإنسان أن يلبس السلاح. فإن تجرّأ ولبس السلاح يعتاد أن يُقهر.

فنّ الحرب والتوبة

٧ يا مَن لبستم سلاحَ المسيح تعلّموا فنون الحرب لئلا تُقهروا وتتراخوا في القتال، فعَدوُّنا محتالٌ وماهر، إلّا أنّ سلاحه أضعفُ من سلاحنا. فيليق بنا أن نرجع عليه ونأخذ سلاحه سهرًا في النوم. نحن لا نراه حين يحاربنا فلنلتفت نحو مَن يراه ليأخذَه عنّا.

أمثلة من العهد القديم

٨ وأحرّضكم أنتم يا مَن جُرحتم ألّا تخجلوا أن تقولوا: تراخَينا في القتال. خذوا لكم الدواء الذي لا يشبهه دواء، توبوا واحيوا قبل أن تُقتلوا.

وأنتم أيّها الأطبّاء، أذكّركم بما كُتب في أسفار طبيبنا الحكيم الذي لا يرفض التوبة.

حين خطىء آدمُ دعاه الله إلى التوبة فقال له: آدم، أين أنت؟ (تك ٣: ٨). أمّا هو فأخفى خطيئته عن فاحص القلوب وتعلّل في أنّ حوّاءَ أضلّته. هو لم يعترف بجهالته فأصابه حكمُ الموت هو وكلّ أبنائه.

وقايين الممتلىء غشًّا، لم يتقبّل الله قربانه. قدّم له التوبة فلم يقبلها. فقال له: «إن أحسنتَ قبلتُ قربانك، وإن لم تحسن ترافقكَ خطيئتُك» (تك ٤: ٧). فقتل أخاه بغشٍّ قلبه ولُعِن وصار خائفًا شاردًا في الأرض (تك ٤: ١٢).

والجيل الذي كان في أيّام نوح، أعطاهم الربُّ مئةً وعشرين سنة من التوبة، ولكنّهم لم يتوبوا، فمحاهم بعد مرور مئة سنة.

نينوى وإسرائيل

٩ تأمّل، يا عزيزي، كم يحسُن بالإنسان أن يعترف بإثمه ويبتعد عنه لأنّ

إلهنا لا يرذل التائبين.

فخطايا أهل نينوى كانت فظيعة، ولكنّهم قبلوا كرازة يونان الذي دعاهم للرجوع إلى الله. تابوا فرحمهم الله.

أمّا بنو إسرائيل الذي كَثرت ذنوبهم فدعاهم الله إلى التوبة. غير أنّهم لم يُقبلوا إليها. دعاهم بواسطة إرميا وقال لهم: «توبوا أيّها الأبناء الجاحدون، وأنا أشفي تمرّدكم» (٣: ٢٢). وكرز في آذان أهل أورشليم فقال: «توبوا إليّ كابنةٍ تتوب» (إر ٣: ١٢). وقال أيضًا لبني إسرائيل: «توبوا وارجعوا عن طرقكم الشرّيرة وعن أعمالكم السيّئة» (يون ٣: ٨). وهذا ما قاله للشعب: «إن تبت إليّ عدت إليك فتقف أمامي» (إر ٤: ١). وهذا ما قاله أيضًا مبكّتًا: «قلتُ لكِ، توبي إليّ يا ساكنة إسرائيل من كلّ قلبك، فما تبتِ» (إر ٣: ٧، ١٠). وأخذ مثلاً عليهم وذكّرهم ما كتب في الشريعة وقد أراد أن يجعل الشريعة كاذبة بسبب توبتهم. قال: «عندما يأخذ رجل امرأة فتخرج من عنده لتكون لرجل آخر، فإن مات الرجل الآخر الذي أخذها، أو تركها، فعادت إلى زوجها الأوّل، فلا يحقّ لزوجها الأوّل أن يستعيدَها بعد أن تنجّست. فإن أخذها تكون الأرض كلُّها مدنّسة. وأنتِ يا أورشليم، أخذتُكِ فصرتِ لي وخرجت من عندي وزنيتِ مع الحجر والخشب. فالآن توبي إليّ وأنا أقبلُكِ وبسبب توبتكِ أحلُّ الناموس» (إر ٣: ١؛ تث ٢٤: ٤).

الرجاء بالله

١٠ لا تخافوا أيّها التائبون أن تقطعوا الرجاء المكتوب عنه في الكتب. ويليق بروح الله أن يُنبّهكم إلى ذلك. فقد أرسل تحذيرًا مُخيفًا في النبيّ حزقيال حين قال له: «إن عَمِل إنسان كلّ يوم البرّ والعدلَ وفي

أيّامه الأخيرة صنع الشرّ، فهو يموت في شرّه. وإن صنع إنسان الشرَّ كلّ أيّامه وتاب وعمل البِرّ والعدل فنفسه تحيا». بهذه الكلمة الواحدة نبّه الصدّيق لئلا يخطأ ويخسر سعيه. ووهب رجاءً للشرّير أن يبتعد عن شرّه ويحيا (٣٣: ١٢_ ١٥؛ ١٨: ٢١_ ٢٤). وقال أيضًا لحزقيال: «إنّي وإن قطعت رجاء الشرّير فأنت نبّهه مرارًا، وإن شجّعت الصِدّيق فأنت ضع المخافة أمامه ليَحذر. فعندما أقول للخاطىء موتًا تموت، وأنت لم تُحذّره، فهذا الخاطىء يموت بشرّه، ولكنّي أطلب دمه من يديك لأنّك لم تُحذره. وإن نبّهت الخاطىء فهذا الخاطىء يحيا لأنّك نبّهته وتنجو نفسك. وحين تقول للصِدّيق حياة تحيا فاتّكل على قولك، عليك أن تُنبّهه لئلا يترفّع ويخطأ. هو يحيا لأنّه قَبِلَ التنبيه، وأنت تكون قد خلّصت نفسك» (٣: ١٧_ ٢١؛ ٣٣: ٧_ ٩).

فاسمعوا أيّها التائبون. فيد الربّ ممدودة وهي تدعوكم إلى التوبة. فقد تكلّم بواسطة إرميا النبيّ ووهب التوبة. وهذا ما قاله: «إن قلت على شعب وعلى مملكة إنّي أقلعها وأهدمها وأقلبها وأدمّرها، فتاب هذا الشعب عن شرّه، فأنا أيضًا أرجع عن الشرّ الذي حكمتُ به عليه. وإن قلت على شعب وعلى مملكة إنّي أبنيها وأنصبها، فاتّكل على هذا الكلام وصنع ما هو شرّ قُدّامي، فإنّي أستعيد منه الخير الذي وعدته به وأُهلِكه بشرّه وخطيئته» (إر ١٨: ٧، ١٠).

رجوع إلى الكتاب

١١ واسمعوا أيضًا، أنتم يا مَن تُمسكون مفاتيح أبواب السماء، فافتحوا الأبواب للتائبين. إقتنعوا بما يقوله الرسول الفاضل: «إن كان إنسان منكم مُتعبًا في زَلّة، فأنتم الروحيّون أصلحوه بروح متواضعة واحذروا أنتم أيضًا أن تُجرَّبوا» (غل ٦: ١). خاف الرسول فنبّههم، وقال عن

نفسه: «أخاف أن أرذل أنا الذي بشّرت الآخرين» (١ كور ٣: ٢٧). فمَن أتعب بينكم بزلّة، فلا تُمسكوه كعدوّ بل انصحوه ونبّهوه كأخ، لأنّكم حين تفصلونه عنكم سيضربه الشيطان. وقال أيضًا: «علينا نحن الأقوياء أن نحمل ضُعْف الضعفاء» (روم ١٥: ١). وقال أيضًا: «لئلا ينهدم الأعرج بل يُشفى» (عب ١٢: ١٣).

١٢ ولكم أقول أيّها التائبون، أن لا تمنعوا عن نفوسكم هذه الوسيلة المُعطاة لكم للشفاء. فقد قال في الكتاب: «مَن يُقرّ بخطاياه ويبتعد عنها يرحمه الله» (أم ٢٨: ١٣). تأمّلوا الابن الذي بدّد أمواله؛ حين تاب إلى أبيه فَرِحَ به أبوه وقبّله وذبح له العجل المُسمّن. فرح أبوه بتوبته ودعا أحبّاءه ليفرحوا معه. ضمّه أبوه وقبّله وقال: «إبني هذا كان ميتاً فعاش وضالاً فوُجد» (لو ١٥: ٣٢)، ولم يوبّخه أبوه على الأموال التي بدّدها.

١٣ وشجّع ربُّنا التائبين فقال: «ما أتيت لأدعو الصِدّيقين إلى التوبة بل الخاطئين» (لو ٥: ٣٢). وقال أيضًا: «يكون فرح في السماء بسبب خاطىء يتوب، أكثر من تسعة وتسعين صِدّيقًا لا يحتاجون إلى التوبة» (لو ١٥: ٧). فالنعجة التي ضلّت عن القطيع كلّه، يهتمّ بها الراعي أكثر من التي لم تضلّ. ومات المسيح من أجل الخطأة لا من أجل الصِدّيقين كما قال النبيّ: «حَمَلَ خطايا الكثيرين» (أش ٥٣: ١٢). وقال الرسول: «حين كُنّا خطأة تصالح الله معنا في موت ابنه، فكم نحيا بحياته بعد أن تصالحنا معه» (روم ٥: ١٠).

١٤ مَن يعترف بخطيئته يغفر له الله. فحين أخطأ داود جاء إليه ناتان النبيّ وأعلمه بخطيئته وبالعقاب الذي سيناله. حينئذ أقرّ داود بخطيئته وقال: «خَطِئْت». وقال له النبيّ: «والربّ أجاز عنك خطيئتك لأنّك أقررت بها» (٢ صم ١٢: ١٣). وحين صلّى داود قال: «لك وحدك

خَطِئْتُ والشرور أمامك صنعتُ» (مز ٥١ : ٦). وطلب أيضًا من الله فقال: «لا تُدخِل عبدك في قضاء لأنّه لا يُبَرّ أيّ حيّ أمامك» (مز ١٤٣ : ٢). وهذا ما قاله سليمان: «مَن يقدر أن يقول قلبي بارّ وأنا نقيّ من كلّ خطيئة» (أم ٢٠ : ٩). وكُتِبَ في الشريعة أنّ موسى صلّى أمام الله فقال: «أنت تغفِر الإثم والخطيئة، وأمّا أن تُبرّر فأنت لا تُبرّر» (خر ٣٤ : ٧؛ عد ١٤ : ١٨). وإذ أراد الربّ أن يمحو شعبه لأجل خطاياهم، قال موسى طالبًا مُتوسّلاً: «إغفر لشعبك جهالته كما غفرت لهم من مصر إلى هذا اليوم». فقال له الربّ: «غفرت لهم بحَسَب كلمتك» (عد ١٤ : ١٩ـ ٢٠).

بعض التائبين

١٥ أنتم يا مَن تطلبون التوبة، تشبّهوا بهارون رئيس الكهنة حين جعل الشعب يخطأ بالعجل. أقرّ بخطيئته فغفر له ربّه. وداود، رأس ملوك إسرائيل، اعترف بجهالته فغُفر له. وسمعان رئيس التلاميذ، أنكر أنّه رأى المسيح وأعلن ذلك بقَسَم: «لا أعرفه» (مر ١٤ : ٧١؛ مت ٢٦ : ٧٤؛ لو ٢٢ : ٦٠). ولكن أقتربت منه الندامة، فذرف دمعًا كثيرًا. قبِله ربّنا وجعله أساسًا، وسمّاه صخرًا (أي بطرس)، وبنيان كنيسة.

١٦ لا تكونوا جُهلاء مثل آدم الذي خَجِلَ أن يعترف بخطيئته. ولا تتشبّهوا بقايين الذي وُبّخ لأنّه قتل أخاه فقال: «لا أعرف أين هو هابيل لأنّي لست حارسه» (تك ٤ : ٩). ولا تتمسّكوا بعواطف مترفّعة مثل الجيل الفاسد (تك ٦ : ٥) ولا تزيدوا شرًّا على شرّ ولا تُكثروا خطاياكم وتزكّوا نفوسكم وأنتم خطأة.

فاسمعوا آباءنا الأوّلين الذين جعلوا نفوسهم في التواضع مع أنّهم كانوا صِدّيقين. فقال إبراهيم: «أنا تراب ورماد» (تك ١٨ : ٢٧)،

وتصاغر جدًّا. وقال داود أيضًا: «أيّام الإنسان كالبُخار» (مز ١٤٤: ٣) وقال سليمان مُحذّرًا: «إن كان يصعُب على البارّ أن يحيا، فالخاطىء والشرّير أين نجدهما» (أم ١١: ٣١)؟

١٧ أطلب منك، يا عزيزي، بمراحم الله، أن لا تنطلق ممّا كتبت لك أنّ الله لا يرذل التائبين فتتراخى عن اجتهادك وتعتبر أنّك لا تحتاج إلى التوبة. فالتوبة لا تُعطى إلّا للذين يحتاجون إليها، والأمر عائد إليك أن تكون محتاجًا إلى التوبة. فهي يد ممدودة للخطأة ولكنّ الأبرار لا يطلبونها. فالصَدَقة تُعطى للفقراء، والأغنياء لا يحتاجون إليها. والرجل الذي سلبه اللصوص يُعطى ثيابًا ليلبس فيستر عُريه الذي يخجل منه. لا تضيّع ما لك لئلا تتعب من جديد في طلبه، وأنت لا تدري هل ستجده أم لا. وإن وجدت ما لك فهو لا يُشبهه. فالذي أخطأ وتاب لا يُشبه ذلك الذي أبقى الخطيئة بعيدة عنه.

نداء إلى الكمال

أنت الذي أحببت الحِصّة الرفيعة ابتعد عن كُلّ حقارة. تقوّ بسلاحك لئلا تُجرح في القتال فتحتاج أن تطلب الدواء، وتتعب في الذهاب إلى الطبيب. وإذا شُفيتَ شفاءً تامًّا، فآثار الجراح تبقى معروفة. لا تحسب أنّك نِلْتَ الشفاء فتعطي لنفسك اسمًا عاطلًا ولكن كن أكبر من التوبة.

مَن تمزّق ثوبه يحتاج إلى رَفْوِه، ولو رفاه حسنًا، فكلّ الناس يميّزونه. ومَن فُتح سياجه يبنيه بجهد، وإن بناه بجهد، فهو يُسمّى ثُغرة. والذي ثقب اللصوص بيته، فهذا البيت يكون مثقوبًا من الداخل، والثقب يكون معروفًا، وبالتعب الكثير يستعيد الإنسان ما أضاعه. ومَن قطع شجرة مُثمرة، فهي تحتاج إلى وقت طويل لتنمو وتُعطي ثمرًا. والذي

فتح تُرعة في نبعه، فهو يتعب ليُغلقها، ولو أغلقها حسنًا فهو يخاف أن تكثر المياه وتُفتَح التُرعة من جديد. ومَن قطف كرمه في وقت إزهاره، يُحرم من أكل عنبه. ومَن سرق احمرَّ وجهه خجلاً، ويتعب ويشقى ليُعفى عنه. ومَن تراخى بعمله في الكَرْم، يأخذ أجرًا ويُنكّس رأسه ولا يقدر أن يُطالب بأكثر. ومَن يُمسك نَزوة الشباب، يفرح أمام قديم الأيّام، ومَن لا يشرب مياهًا مسروقة (أي يزني، أم ٩: ١٧) يرتاح على ينبوع الحياة.

١٨ وأنتم يا مَن دُعيتم إلى القتال، اسمعوا صوت البوق وتشجّعوا، وأقول لكم يا مَن تُمسكون الأبواق، أيّها الكهنة والكتبة والحُكماء: إدعوا الشعب كلّه وقولوا له: مَن يخاف، فليرجع بعيدًا عن القتال، لئلا يتحطّم قلب أخيه كقلبه. ومَن نَصَب كرمًا فليعُد إلى فلاحته، لئلا يُفكّر فيه فيُغلب في القتال. ومَن خطب امرأة وأراد أن يتزوّجها، فليرجع وليفرح مع زوجته. والذي بنى بيتًا فليعُد إليه لئلا يتذكّر بيته فلا يعود يُحارب بملء قلبه.

يليق القتال بالمتوحّدين، لأنّهم جعلوا وجوههم إلى ما هو أمامهم، وما تذكّروا شيئًا ممّا هو وراءهم. كنوزهم هي أمامهم، وسَلْبُهم يكون لهم، وما ينالونه من رِبْحٍ يكون زيادة.

مياه جدعون والمعموديّة

ولكم أقول أيضًا يا مَن تهتفون في الأبواق: عندما تنتهون من التنبيه، أنظروا الذين يتراجعون، وراقبوا الذين يبقون، وانزِلوا إلى مياه التجربة الذين نذروا نفوسهم للحرب. كلّ باسل تختبره المياه، والذين هم كسالى يُعرَفون.

١٩ فاسمع، يا عزيزي، هذا السرّ الذي سبق لجدعون وأبان صورته.

فحين جمع الشعب للقتال، نبّه الكتبةُ الشعب إلى أقوال الشريعة والكلمات التي كتبتها أعلاه، فعاد من الجيش شعب كبير. وإذ بقي الذين اختيروا للحرب، قال الربّ لجدعون: «أنزلهم إلى الماء واختبرهم هناك. فالذي يلعق الماء بلسانه فهو معجّل وشجاع ويقدر أن يذهب إلى الحرب. ومَن يرتمي على بطنه ليشرب الماء فهو مائع وضعيف ولا يقدر أن يذهب إلى الحرب».

عظيم هو هذا السرّ، يا عزيزي، وقد بيّنه جدعون مُسبقًا: إنّه رمز المعموديّة وسرّ الجهاد ومثال المتوحّدين. فقد سبق له وحذّر الشعب قبل اختبار المياه، وحين اختبرهم بالماء اختار من العشرة آلاف ثلاثمائة رجل ليُحاربوا. فتمّت كلمة ربّنا الذي قال: «المدعوّون كثيرون ولكن المُنتخَبين قليلون» (مت ٢٠: ١٦).

٢٠ من أجل هذا يليق بالهاتفين بالأبواق والكارزين في الكنيسة، أن يدعوا كلّ مُتنسّك لله، وأن ينبّهوه قبل المعموديّة. فالذين نذروا نفوسهم للبتوليّة والقداسة، الشبّان والشابات، البتولات والقدّيسون، فلينبّههم الكارزون ويقولوا لهم: مَن اختار حالة الزواج فليتزوّج قبل المعموديّة، لئلا يسقط في الجهاد ويُقتل. ومَن يخاف أن يُشارك في القتال، فليرجع لئلا ينسحق قلب أخيه كقلبه. ومَن يُحبّ المُقتنيات فليترك الجيش، فحين يشتدّ القتال يتذكّر مُقتنياته ويعود. ومَن أدار ظهره للقتال فالعار عليه. ومَن لم ينذُر نفسه ولم يلبس بعدُ السلاح، لا يتجنّى عليه أحد إن هو رجع. ولكن مَن نذر نفسه ولبس السلاح، فإن رجع من الحرب صار أضحوكة. فالحرب تليق بمَن تخلّى عن ذاته، لأنّه لا يتذكّر شيئًا ممّا وراءه، فيعود إليه.

٢١ وعندما يكرزون ويبشّرون وينبّهون كلّ المُتنسّكين لله، فليقترب من مياه المعموديّة، الذين اختيروا للجهاد وليُختبروا. وبعد المعموديّة نرى

مَن هم بواسل ومَن هم ضعفاء. ونشجّع البواسل، أمّا المائعون والضعفاء، فيرجعون من القتال على عيون الجميع، لئلا يأتي وقت قاس يُخبّئون فيه سلاحهم ويُهزَمون. قال الربّ لجدعون: «أنزِل إلى المياه الذين نذروا نفوسهم» (قض ٧: ٤). وحين نزل الشعب إلى المياه، قال الربّ لجدعون: «كلّ الذين يلعقون كما يلعق الكلب بلسانه، هم الذين يذهبون معك إلى القتال» (قض ٧: ٥). وكلّ الذين يرتمون ليشربوا ماء، يجب أن لا يذهبوا معك إلى القتال. يا عزيزي، عظيم هو هذا السرّ الذي سبق الله وأظهره لجدعون. قال له: «كلّ مَن يلعق الماء كالكلب، يليق به أن يذهب إلى القتال». فبين كلّ الحيوانات التي خُلقت مع الإنسان، ليس مَن يحبّ سيّده كالكلب. فهو يحرُسه دومًا في النهار والليل. وإن ضربه سيّدُه وأكثر من ضربه، فهو لا يُبارحه. وإذا خرج مع سيّده للصيد وصادف سيّدُه أسدًا شديد البأس، فهو يسلّم نفسه إلى الموت عن سيّده. هكذا يكون البواسل الذين عُرفوا في المياه. يسيرون كالكلاب على خُطى سيّدهم، ويبذُلون نفوسهم للموت من أجله. يُحاربون بشجاعة، ويحرسونه ويضعونه على عيونهم، ويلحسونه بألسنتهم كما يلحس الكلب سيّده. والذين لا يَهُذّون بالشريعة يسمّون كلابًا صمّاء لا تقدر أن تنبح. وكلّ الذين لا يهتمّون بالصوم، يُدعون كلابًا شرهة لا تعرف الشبَع. والذين يجتهدون في طلب الرحمة، يحصلون على خُبز الأبناء فيُرمى لهم.

٢٢ وقال الربّ لجدعون أيضًا: «الذين يرتمون ليشربوا الماء، لا يذهبون معك إلى القتال، لئلا يسقطوا في القتال فيُقهَروا». فالذين شربوا الماء متكاسلين، بيّنوا مُسبقًا سرّ السَقْطة. من أجل هذا، يا عزيزي، يليق بالذين ينزلون إلى القتال، أن لا يتشبّهوا بهؤلاء الكَسالى، فيتركون

القتال ويصيرون عارًا أمام كلّ رفاقهم.

مَثل العبد وسيّده

٢٣ واسمع، يا عزيزي، هذه الكلمة: أقنعتك، انطلاقًا من الكُتب، أنّ الله لا يرذُل التائبين، فلا تتّكل على هذه الكلمة لتتجرّأ وتخطأ. وقلت لك هذا، فلا يجب أن يتراخى الذي أصيب فلا يطلب التوبة. يليق به كلّ يوم أن يبقى في الحُزن فلا يترفّع فيُذنب. فالعبد الذي اقترف ذَنْبًا أمام سيّده، يغيّر لباسه ليُصالحه سيّده. يأتي إليه باكرًا وعند المساء، طالبًا أن يقبله أمامه. وعندما يرى سيّده أنه دومًا عنده، يغفر له ذنبه ويُصالحه. فإن قال لسيّده: أخطأت إليك، يتحنّن عليه سيّده. وإن قال لسيّده: ما أخطأت، مع أنّه أذنب، يزيد غضب سيّده.

تذكّر، يا عزيزي، الابن الذي بدّد أمواله. فحين اعترف لأبيه غفر له أبوه ذنوبه. وتذكّر الخاطئة التي كَثُرت ذنوبها. إقتربت من ربّنا، فغفر لها خطاياها الكثيرة وتحنّن عليها. وزكا العشار كان خاطئًا، فاعترف بخطاياه، فغفر له ربّنا.

وقد قال ربّنا أيضًا: «ما جئت لأدعو الصِدّيقين إلى التوبة بل الخطأة» (لو ٥ : ٣٢). فربّنا مات من أجل الخطأة، ولم يكن مجيئه عَبَثًا. وقال الرسول عن نفسه: «كنت مُجدِّفًا ومُضطهِدًا ومُفتريًا، ولكنّ الله رحمني» (١ تم ١ : ١٣). وقال أيضًا: «مات المسيح من أجلنا» (١ تس ٥ : ١٠). فالنعجة التي ضلّت عن كلّ القطيع طلبها ربّها فوجدها وفرح بها. ويكون فرح لملائكة السماء، عندما يتوب خاطىء عن إثمه (لو ١٥ : ٧). لا يريد الآب السماويّ أن يهلك أحد من هؤلاء الصغار الذين خطئوا، والذين يحتاجون إلى توبة (مت ١٨ : ١٤). ما جاء ربّنا ليدعو الصِدّيقين إلى التوبة، بل الخطأة (لو ٥ : ٣٢).

المحبّة الأخويّة

مَن مرض بيننا نحمل آلامه، ومَن سقط نثبُت مكانه.

٢٤ إن حلّ مرضٌ بأحد أعضائنا، فلنعالج الجُرح حتّى يشفى. وإن كان أحد أعضائنا أهلاً للمديح فالجسد كلّه جميل وحسن. وإن حصل مرض لأحد أعضائنا فالجسد كلّه يتحمّل الحُمّى. كلّ مَن يُعْثِرُ واحدًا من هؤلاء الصغار، يسقط في البحر ورحى الحمار في عُنقه (مت ١٨ : ٦). ومَن يفرح لشرّ أخيه يصيبه الشرّ عاجلاً. ومَن داس أخاه برجليه لا يجد مغفرة. لا دواء لجُرح المُستهزىء، ولا غفران لخطايا الساخر. مَن حفر حُفرة وقع فيها ومَن دحرج حجرًا عاد إليه. مَن زَلِقَ وسقط لا يَقُلْ: ليتشبّه بي كلّ إنسان. ولا يَقُل الغنيّ الذي يُصيبه الفقر: يا ليت كلّ الأغنياء يكونون مثلي. فإن سُمِعَت طَلِبَتُه مَن يلبّي حاجته.

تذكّر الدينونة

٢٥ كتبت لك كلّ هذا، يا عزيزي، لأنّ أناسًا في جيلنا، نذروا نفوسهم ليكونوا متوحّدين ونسّاكًا وقدّيسين. نحن نحارب خصمنا، وخصمنا يحاربنا، ليُعيدنا إلى الحال التي انفصلنا عنها بُحرّيتنا. فمنّا مَن قُهروا وأصيبوا، وإذ هم خطأة يزكّون نفوسهم. نحن نعرف جهالات هؤلاء الذين يكتفون برأيهم، ولا يريدون أن يتقرّبوا من التوبة. وبسبب خَجَلهم يموتون الموت الثاني، ولا يتذكّرون فاحص الكُلَى. وهناك مَن يعترفون بجهالتهم، فلا تُعطى لهم التوبة (والمُصالحة).

فيا ربّ بيت المسيح، هَب التوبة (المُصالحة) لصاحبك، وتذكّر أنّ سيّدك لا يرذُل التائبين. زُرِع الزؤانُ في الحقل، ولكنّ ربّ الزرع لا يترك عبيده ينقّون الزؤان من الحنطة قبل زمن الحصاد (مت ١٣ : ٢٤ـ

٣١). بُسطت الشبكة في البحر، ولكن لا تُنَقَّى الأسماك قبل أن تصعد على سطح المياه. قَبِل العبيد الفضّة من سيّدهم، ولكنّ العبد السافل سيدينُه سيّده. مُزجت الحنطة والتبن معًا، والربّ يميّز البيدر وينقّيه. كثيرون هم المدعوّون إلى وليمة العُرس، ولكن مَن ليس له الثياب، يُخرجه سيّده إلى الظُلمة. تَقِفُ الحكيمات والجاهلات معًا، وربّ الخِدْر يعرف مَن يُدخِل معه.

تحريض أخير

٢٦ فيا أيّها الرُعاة، يا تلاميذ ربّنا، إرعوا القطيع ودبّروه أحسن تدبير. قوّوا المرضى، أسنِدوا الضُعفاء، جبّروا العَظْم المكسورِ، واشفوا العُرج، وحافظوا على الخِراف السِمان لسيّد القطيع. لا تتشبّهوا بالراعي الأبله والجاهل الذي لا يقدر لجهالته أن يرعى القطيع، لأنّ ذراعه يابسة وعينه عمياء، فيقول: «لتَمُت النعجة التي يجب أن تموت، ولتضلّ التي يجب أن تضلّ، وإن بقيت واحدة فلتأكل لحم رفيقاتها» (زك ١١ : ٩). وعندما يأتي سيّد الرعاة، يُعاقب الراعي الأبله والجاهل الذي لم يهتمّ برفاقه الاهتمام الحسن. فالذي رعى القطيع ودبّره حسنًا، يُدعى عبدًا صالحًا ومجتهدًا، لأنّه جاء بالقطيع سالمًا إلى سيّده.

أيّها الرُقباء، راقبوا حسنًا، وحذّروا الشعب كلّه من السيف لئلا يأتي ويأخذ نفوسهم. هذه النفس تُؤخذ بخطاياها، وأطلب دمها من أيديكم. وإن أُخِذَت النفس بعد التحرير والتحذير، فهذه النفس تُؤخذ بخطاياها وأنتم لا تُلامون.

أيّها الخِراف السِمان، لا تضربوا الضُعفاء بقُرونكم، لئلا تُعاقَبوا حين يدينكم راعينا العظيم في مجيئه.

٢٧ فيا عزيزي، إقبَل هذا التحريض بأن تُقرّب التائبين وتحذّر الأبرار. فهذا العالم هو عالم النعمة، وفيه تَجد توبة قبل أن ينتهي. جاء زمن تزول منه النعمة وتسود العدالة، فلن يكون حينئذ توبة، فتبقى العدالة وتتغلّب بقوّتها على النعمة. وعندما يقترب زمن العدالة لا تقبل النعمةُ الذين يُقبلون إلى التوبة، لأنّه وُضِع لها حدّ هو الخروج من هذا العالم.

فاقرأ، يا عزيزي، وانظُر واعرف أنّ كلّ إنسان يحتاج إلى قليل أو كثير. لأنّ الذين يركضون في الحَلْبَة كثيرون، ولكنّ الرجل المُنتصر، يأخذ الإكليل، وينال كُلّ واحد أجْرَه على حسب تَعَبِه (١ كور ٩: ٢٤).

تمّت المقالة في التائبين

في قيامة الموتى

١ كانت المُجادلات دومًا: كيف يقوم الموتى وبأيّ جسد يأتون (١ كور ١٥ : ٣٥)؟ ها قد بلي الجسد وفسد. وإن طال الزمن، حتّى العظام تُسحق فلا تعود تُعرف. وإن دخلتَ قبرًا، دُفِن فيه مئة من الموتى، فلن تجد هناك مِلء كفّك من التراب.

هذا ما يقوله الذين يفكّرون: نعرف أنّ الموتى يقومون، إلّا أنّهم يلبسون جسدًا سماويًّا وصُورًا روحانيّة. فإن لم يكن هكذا، فهؤلاء الموتى المئة الذين دُفنوا في قبر واحد، والذين لم يَبقَ منهم شيء بعد زمن طويل، فعندما يحيا الموتى، سيلبسون جسدًا ويقومون. ولكنّهم سيلبسون جسدًا سماويًّا. فمن أين يأتي هذا الجسد ولم يَبْقَ منه شيء في القبر؟

٢ مَن يفكّر هكذا هو جاهل تنقُصه المعرفة. فحين دخل الموتى القبور كانوا بعض الشيء. وبعد أن مكثوا هناك زمنًا طويلًا صاروا لا شيء. وعندما يأتي وقت يقوم فيه الموتى، فهذا اللاشيء يُصبح شيئًا حَسَب طبعه الأوّل، ويُزاد تبديلٌ على طبعه.

مَثَل الزَرْع في الكتاب المقدّس

كم أنت جاهل حين تفكّر هكذا. فاسمع ما يقول الرسول الفاضل،

حين يريد أن يُقنِع جاهلاً مِثْلك. يقول: «يا جاهل، الزرع الذي تزرعه إن لم يَمُت لا يَعِش، وهذا الشيء الذي تزرعه ليس كالذي ينبُت في عشبه، بل حبّة واحدة عُريانة من الحنطة أو من الشعير أو من سائر الزروع. ولكلّ من الزروع يُعطى جسدٌ خاصّ به. فالله يُلبس زرعَك جسدًا كما يشاء» (١ كور ١٥: ٣٦ـ ٣٨).

٣ فاقتنع بهذا أيّها الجاهل: إنّ كلّ زَرْع يلبس الجسد الخاصّ به. فهل زرعت يومًا حنطة وحصدت شعيرًا؟ وهل نصبت جَفْنة فأنبتت تينًا؟ فكلّ شيء يسير بحسب طبعه. هكذا الجسد الذي سقط في الأرض، فهو ذاته يقوم. فبالنسبة إلى الجسد الذي فَسُد وبلي، يجب عليك أن تقتنع من مثل الزرع.

فحين يسقط في الأرض يتشوّه ويفسد، ومن هذا الفساد ينبُت ويُفرخ ويُثمر. والأرض المفلوحة التي لم يسقط فيها زرع، لا تُعطي ثمرًا رغم كلّ المطر الذي شربت منه. والقبر الذي لم يُدفن فيه ميت، لا يخرج منه إنسان وقت بَعْثِ الموتى، حتّى ولو هتف في داخله صوت البوق. وإن كانت الأرواح الأبرار، كما يقولون، تصعد إلى السماء وتلبس جسدًا سماويًا، فهي في السماء، الذي يُقيم الموتى يسكن في السماء، وحين يأتي مُحيينا مَن يُقيم من الأرض؟ ولماذا كُتب لنا: «ستأتي ساعة وهي الآن حاضرة إذ يسمع الموتى صوت ابن الإنسان، فيحيون ويخرجون من القبور»؟ (يو ٥: ٢٥ـ ٢٩). فليس الجسد السماويّ هو الذي يدخل القبر ثمّ يخرج منه ثانية.

من جسد أرضيّ إلى جسد سماويّ

٤ وهذا ما يقوله البُلداء: لماذا قال الرسول: «الجسد السماويّ غير الجسد الأرضيّ» (١ كور ١٥: ٤٠). مَن استطاع أن يسمع، فليسمع

أيضًا هذه الكلمة الأخرى التي قالها الرسول: «يوجد جسد حيوانيّ ويوجد جسد روحانيّ» (١ كور ١٥: ٤٤). وقال أيضًا: «كلُّنا نرقد ولكنّنا لا نتحوّل كلُّنا» (١ كور ١٥: ٥١). وقال أيضًا: «هذا المائت مُزمع أن يلبس ما لا يموت، وهذا الفاسد أن يلبس ما لا يفسد» (١ كور ١٥: ٥٣). وقال أيضًا: «يجب علينا كلّنا أن نقف أمام منبر المسيح، فيُجازى كلّ واحد في جسده على ما صنعه من قبل، أَخَيْرًا كان أم شرًّا» (٢ كور ٥: ١٠). وقال أيضًا: «ماذا يصنع هؤلاء الذين يعمّدون عن الموتى؟ فإن كان الموتى لا يقومون، فلماذا يعمّدون عنهم» (١ كور ١٥: ٢٩). وقال أيضًا: «إن لم يكن من قيامة للموتى، فالمسيح لم يَقُم هو أيضًا. وإن كان المسيح لم يَقُم، فباطل إيمانكم، وكرازتنا باطلة. وإن كان الأمر هكذا وُجدنا شهودًا كذبة، لأنّنا شهدنا أنّ الله أقام المسيح وهو لم يُقِمْه» (١ كور ١٥: ١٣ـ ١٥). «فإن كان الموتى لا يقومون، فلا دينونة أيضًا. وإن لم تكن دينونة، فلنأكل ونشرب لأنّنا غدًا نموت. لا تضلّوا فالعِشْرَة الشرّيرة تُفسد الأفكار العذبة» (١ كور ١٥: ٣٢ـ ٣٣). فهذه الكلمة التي قالها الرسول: الجسد السماويّ غير الجسد الأرضيّ (١ كور ١٥: ٤٠)، يجب أن نفهمها كما يلي: حين يقوم جسد الأبرار ويتغيّر، يُسمّى سماويًّا، والذي لا يتغيّر يسمّى أرضيًّا بحسب طبعه.

٥ فاسمع يا عزيزي الكلمة التي تُشبه هذه والتي قالها الرسول أيضًا: قال: «الرجل الروحانيّ يحكم على كلّ شيء ولا يحكم عليه أحد» (١ كور ٢: ١٥). وقال أيضًا: «والذين من الروح يفكّرون في ما هو للروح، والذين من الجسد يفكّرون في ما هو للجسد» (روم ٨: ٥). وقال أيضًا: «لمّا كنّا في الجسد كانت أوجاع الخطايا تعمل في أعضائنا لنصير ثمارًا للموت» (روم ٧: ٥). وقال أيضًا: «إن كان

روح المسيح فيكم فأنتم روحانيّون» (روم ٨: ٩). فهذا كلّه قاله الرسول، حين كان لابسًا الجسد وكان يعمل أعمال الروح. وهكذا وقت قيامة الموتى، يحصل تحوّل للأبرار، وتبتلع الصورةُ السماويّة الصورةَ الأرضيّة، ويُسمّى الجسد سماويًّا. أمّا الذي لا يتحوّل فيُدعى أرضيًّا.

الخلق والقيامة

٦ وأودّ، يا عزيزي، أن أُقنِعك قدر استطاعتي بقيامة الموتى. في البدء خلق الله آدم، من التراب جبله وأقامه. فإن كان صنعه من لا شيء يوم لم يكن شيء، كم يكون أسهل عليه، أن يُقيمه الآن، لأنّه زُرع زرعًا في الأرض! الله يصنع الأشياء السهلة في عيوننا، فلا تبدو أعماله خارقة، لأنّ بين البشر أناسًا حاذقين، يصنعون أشياء مُذهلة. والذين ليسوا حاذقين في مثل هذه الأعمال، يتعجّبون منها، لأنّ عمل رفاقهم بدا صعبًا في عيونهم. فكم يجب أن ننذهل من أعمال الله!

ليس بكثير على الله أن يُحيي الموتى. حين لم يُزرع زرع في الأرض، ولدتِ الأرض شيئًا لم يسقط فيها، وحين لم تَحبَل ولدت وهي بتول. فأيّ صَعب أن تُنبت الأرض أيضًا ما وقع فيها، وأن تلد ما حَبِلت به؟ ها قد قرُبت أوجاع الولادة، كما يقول النبي أشعيا. «مَن رأى مثل هذا، ومَن سمع مثل هذه الأمور؟ فالأرض حبلت في يوم واحد، وتلد شعبًا في ساعة واحدة» (أش ٦٦: ٨). نبت آدم ولم يُزرع، ووُلد ولم يُحبل به. والآن زُرع أولاده وهم ينتظرون المطر لينبُتوا. الأرض حَبِلت وقَرُب وقتُها لتلد.

إبراهيم، يعقوب ويوسف

٧ كلّ آبائنا انتظروا وسعوا على رجاء القيامة وبَعْثِ الموتى، كما يقول

الرسول الفاضل: «لو كان الأبرار انتظروا هذه المدينة التي خرج منها إبراهيم، لكان لهم وقت أيضًا ليرجعوا إليها ويذهبوا، ولكنّهم بيّنوا أنّهم ينتظرون أفضل منها، تلك التي هي في السماء» (عب ١١ : ١٥-١٦). إنتظروا أن يُعتقوا ويذهبوا إليها على عجل. فافهم ممّا كتبت لك واعرف أنّهم كانوا ينتظرون القيامة.

فأبونا يعقوب حين كان يموت، استحلف يوسف ابنه وقال له: «إدفني في قبر آبائي، قرب إبراهيم وسارة وإسحق ورفقة» (تك ٤٩ : ٢٩-٣١). فلماذا، يا عزيزي، لم يُرِد يعقوب أن يُدفن في مصر بل مع آبائه؟ لقد أبان مُسبقًا أنّه ينتظر بَعْثَ الموتى. حين تكون الصيحة وصوت البوق، تكون قيامته قريبة من قيامة آبائه. وفي زمن القيامة لا يختلط مع الأشرار الذين يعودون إلى الجحيم والعذاب.

٨ ويوسف استحلف إخوته وقال لهم: «عندما يذكركم الله أَصعِدوا عظامي معكم من هنا» (تك ٥٠ : ٢٤). وصنع إخوة يوسف بحسب كلمته، وحَفِظوا قَسَمهم مئة وخمسًا وعشرين سنة. ويوم خرجت جيوش الربّ من أرض مصر، حينئذٍ حملِ موسى عظام يوسف وخرج. وكانت عظام يوسف، الرجل الصدِّيق، أثمن وأفضل من الذهب والكنوز التي حملها بنو إسرائيل، وسلبوها من مصر. وظلّت عظام يوسف أربعين سنة في البرّيّة. وحين رقد موسى أورثها ليشوع بن نون. فعظام يوسف جدّه، كانت في نظره أفضل من كلّ سَلَبِ هذه الأرض التي استولى عليها. ولماذا وهب موسى عظام يوسف ليشوع؟ لأنّه كان من سِبْطِ إفرائيم، ابن يوسف. ودفن يشوع العظام في أرض الموعد، لتكون كنزًا في هذه الأرض التي دُفنت فيها عظام يوسف.

وحين كان يعقوب يموت، بارك الأسباط، وبيّن لهم ما سيحصل لهم في آخر الأيّام. فقال لرأوبين: «رأوبين، أنت بِكرى، قوّتي وأوّل

قُدرتي. ضللت وما رفدت كالمياه لأنّك صعدت على مضجع أبيك. حقًّا دنَّست سريري حين صعدت عليه» (تك ٤٩ : ٣ـ ٤). فمنذ رقد يعقوب إلى أن رقد موسى، مرّت مائتان وثلاث وثلاثون سنة. حينئذ أراد موسى أن يعفو بكهنوته عن رأوبين الذي أذنب وخطىء، لأنّه نام مع بلهة، جارية أبيه. وحين يقوم إخوته، لا يُحذف من عدادهم. قال في بدء بركاته: «ليحيَ رأوبين ولا يمُت وليكن في عدادهم» (تث ٣٣ : ٦).

موسى

٩ ولمّا جاء الوقت الذي فيه سيرقد موسى مع آبائه، إكتأب وحزن وطلب من ربّه وتوسّل إليه، أن يَعبر إلى أرض الموعد. ولماذا، يا عزيزي، حزن موسى، الرجل البارّ، لأنّه لم يدخل في أرض الموعد؟ لأنّه أراد أن يُدفن مع آبائه، ولا يُدفن في أرض أعدائه، في أرض موآب. فالموآبيّون استأجروا بلعام بن فغور ليلعن إسرائيل. لهذا ما أراد موسى أن يُدفن في هذه الأرض، فيأتي الموآبيّون وينتقمون منه ويكشفون عظام الرجل البارّ ويرمونها بعيدًا.

وأنعم الربّ على موسى، فأصعده جبل نبو، وبيّن له كلّ الأرض، حين أجازها أمامه. وحين نظر موسى كلّ الأرض، وشاهد جبل اليبوسيّين، حيث سيحلّ المسكن المقدّس، حزن وبكى إذ رأى القبر في حبرون، حيث دُفن آباؤه إبراهيم وإسحق ويعقوب. فهو لن يُدفن بقربهم، ولن تُرمى عظامه فوق عظامهم، ليقوم معهم يوم القيامة. ولمّا رأى كلّ الأرض، شجّعه ربّه وقال له: «أنا أدفنك وأخفيك فلا يعرف أحد قبرك» (تث ٣٤ : ٥ـ ٦). ومات موسى بحسب كلمة الربّ، فدفنه الربّ في الوادي، في أرض موآب، قُبالة بيت فغور، حيث أخطأ إسرائيل، ولم يُعرف قبره إلى يومنا هذا. مَنح الربُّ

موسى أمرين صالحين، حين لم يُعلِم بني إسرائيل بموضع قبره. أوّلًا، لئلا يعرف أعداؤه فيطرحون عظامه خارج قبره. ثانيًا، لئلا يعرف شعبه فيجعل قبره موضع عبادة، لأنّه كان يُحسب إلهًا في عين شعبه.

إفهم من هذا، يا عزيزي، ما قالوه حين تركهم موسى وصعد الجبل: «موسى هذا الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعرف ما الذي حصل له» (خر ٣٢: ١). وصنعوا لنفسهم عجلًا، وسجدوا له، ولم يذكروا الله الذي أصعدهم من مصر بواسطة موسى، بيدٍ قويّة وذراع رفيعة. لهذا تحرَّز الله في ما خصّ موسى فلم يُعلمهم بقبره. فإذا أعلمهم بقبره سيضلّ أبناء هذا الشعب ويصنعون لهم صنمًا يسجدون أمامه ويقدّمون له الذبائح، فيبلبلون بخطاياهم عظام الرجل البارّ.

١٠ وموسى هذا كرز بصورة مكشوفة عن بَعْث الموتى، فقال وكأنّه يتكلّم بفم إلهه: «أنا أميت وأنا أحيي» (تث ٣٢: ٣٩). وقالت حنّة في صلاتها: «الربّ يُميت ويُحيي، يُنزل إلى الجحيم ويُصعد» (١ صم ٢: ٦). وقال النبيّ أشعيا: «سيحيا موتاك يا ربّ، وتقوم جُثَثُهم. والذين يرقدون في التراب، يستيقظون ويسبّحون» (٢٦: ١٩). وكرز داود أيضًا، قال: «ها أنت تعمل عجائب للموتى، فيقوم الجبابرة ويعترفون بك، ويُخبرون في القبر بنعمتك» (مز ٨٨: ١١ـ ١٢). فكيف يُخبرون في القبر بنعمة الله؟ حين يسمعون صوت البوق يدعو، والصور يزعق من العلاء، فتكون ضجّة، وتُفتح القبور، ويقوم الجبابرة بالمجد، ويُخبر الواحد الآخر في القبر، قائلًا: ما أعظم النعمة التي جُعلت لنا. كان قد قُطع رجاؤنا، وها قد عاد رجاؤنا. كنّا سجناء في الظُلمة فخرجنا إلى النور. زُرعنا في الآلام وقُمنا بالمجد. طُمرنا نَفْسًا حيّةً فقُمنا نفسًا روحانيّة. زُرعنا بالضعف فقُمنا بالقوّة.

هذه هي النعمة التي يُخبِرون بها في القبور.

إيليّا، أليشاع، حِزقيال

١١ وما اكتفى الله بالكلام، فقال: أحيي الموتى، بل بيَّن لنا ذلك بالأعمال، من خلال شهادات عديدة. ولكي لا يبقى شكّ في عقلنا، سبق فأظهر لنا ذلك جليًّا. وبواسطة إيليّا بانت المُعجزة أنّ الموتى يقومون، وأنّ الراقدين في التراب يُبعثون. مات ابن الأرملة فأحياه إيليّا وردّه إلى أمّه. وأحيا أليشاع تلميذُه ابنَ الشونمية. وهكذا تقوم لنا وتثبت شهادة شاهدين. ورمى بنو إسرائيل ميتًا على عظام أليشاع فعاد إلى الحياة وقام. هذه الشهادة الثالثة ثابتة.

١٢ وظهر بعث الموتى جليًّا أيضًا بواسطة حِزقيال النبيّ. فحين أخرجه الله إلى السهل، أراه العظام الكثيرة وأجازه عليها، وقال له: «هل تحيا هذه العظام يا ابن البشر»؟ فأجابه حِزقيال: «أنت تعرف يا ربّ الأرباب». قال له الربّ: «تنبّأ يا ابن البشر على هذه العظام تنبّأ وقل للعظام اليابسة: إسمعي كلمة ربّ الأرباب». وحين أسمعها هذه الكلمات حدثت ضجّة وصوت، فتجمّعت العظام حتّى التي كانت محطّمة ومسحوقة سحقًا تامًّا. ورآها النبيّ فتعجّب. جاءت من كلّ مكان، فقبّل العظم رفيقه، واقترب العظم المخلّع من صاحبه، وتركّب الواحد على الآخر. ترطّب يباسها وتغطّت المخالع بالأعصاب، وسرى الدم في العُروق، وغطّى الجِلْد اللحم، ونبت الشعر بحسب طبعه. ولكنّها ظلّت مرميّةً، لأنّه لم يكن فيها روح. حينئذٍ أمر الربّ النبيّ مرّةً ثانيةً: «تنبّأ على الروح، وقل له: «تعال أيّها الروح من الرياح الأربع، وانفُخ على هؤلاء القتلى فيَحْيون». وحين أسمعهم هذه الكلمة الثانية دخل الروح فيهم فعادت إليهم الحياة، فقاموا جيشًا كبيرًا جدًّا.

القيامة الأخيرة

١٣ لماذا، يا عزيزي، لم يقم هؤلاء الموتى بكلمة واحدة من حزقيال فتتمّ قيامة العِظام والروح معًا؟ فبكلمة تركّبت العظام وبأخرى جاء الروح؛ لأنّ الكمال يبقى في ربّنا يسوع المسيح، الذي بصوتٍ واحد وكلمة واحدة، يُقيم في النهاية كلّ جسد آدم. لا، لم تكن الكلمة ضعيفة، ولكنّ حاملها كان صغيرًا. وبهذا إفهم وتأمّل أنّه حين ردّ إيليّا وأليشاع تلميذُه، الحياة إلى الموتى، لم يُقيماهم بكلمة واحدة، بل صلّيا وتضرّعا وأطالا صلاتهما زمنًا غير قصير ثمّ أقاماهم.

١٤ وفي مجيء ربّنا الأوّل أحيا ثلاثة موتى، لتتأكّد من شهادة مثلّثة، وأقام كلّ واحد منهم بكلمتين. فحين أحيا ابن الأرملة، دعاه مرّتين، وقال له: «يا شابّ، يا شابّ، قم» (لو ٧: ١٤)، فعادت إليه الحياة وقام. ودعا ابنة رئيس المجمع مرّتين، فقال لها: «يا صبيّة، يا صبيّة، قُومي» (مر ٥ :٤١). فعادت إليها روحها وقامت. وحين مات لَعَازر، ذهب يسوع إلى القبر. وبعد أن صلّى كثيرًا، ناداه بصوت عالٍ، وقال: لعازر، تعال خارجًا» (يو ١١: ٤٣). فعادت إليه الحياة، وخرج من قبره.

١٥ قلت هذا، لأقنعك أنّ هؤلاء الموتى قاموا بكلمتين، لأنّه ستكون لهم قيامتان. الأولى، هذه القيامة، والثانية، تلك الآتية. فبعد هذه القيامة التي فيها يقوم كلّ الموتى، لا يسقط أحد. فبكلمة واحدة من الله، يُرسلها بواسطة مسيحه، يقوم كلّ الموتى سريعًا وكرفّة عَيْن. فرسوله ليس صغيرًا ولا ضعيفًا، لأنّه بكلمة واحدة يُعلنها، تسمعه كلّ أقاصي الأرض، فيقفز كلّ المرميّين في التراب ويقومون. لا تعود الكلمة فارغة إلى مَن أرسلها ولكن، كما كُتب في أشعيا النبيّ الذي يُقابل الكلمة بالمطر والثلج، فيقول: «كما ينزل المطر والثلج من السماء،

وإلى هناك لا يعودان إلّا بعد أن يجعلا الأرض تُنبت وتُولد لتعطي الزارع زرعًا وخُبزًا للمأكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، فهي لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما أريد وتُتِمّ ما أرسلتُها فيه» (أش ٥٥ : ١٠ـ ١١). لا يرجع المطر والثلج إلى السماء لأنّهما يُتمّان إرادة مُرسلهما على الأرض. أمّا الكلمة التي يُرسلها بواسطة مسيحه الذي هو كلمته وجوابه، فهي ترجع إلى الله بجيش عظيم. فحين جاء وأتى بها، نزل مثل المطر والثلج، فنبتت به كلّ الزروع وحملت ثمار برّ، وعادت الكلمة إلى مرسلها، ولم يكن رجوعها فارغًا. وهذا ما يقول أمام مرسِله: «ها أنا والابناء الذي وهبتهم لي يا ربّ» (أش ٨ : ١٨ ؛ يو ١٧ : ١٢). وهذا هو الصوت الذي به يحيا الموتى. ويشهد على هذا مخلّصنا حين يقول: «ستأتي ساعة يسمع فيها الموتى صوت ابن البشر» (يو ٥ : ٢٥)، فيخرجون من قبورهم كما هو مكتوب: «في البدء كان الصوت الذي هو الكلمة» (يو ١ : ١). وقال أيضًا: «وصارت الكلمة جسدًا وحلّت فينا» (يو ١ : ١٤). فهو صوت الله، هذا الذي يصرخ من العلاء، فيُقيم جميع الموتى.

الأبرار أحياء لله

١٦ وأراد سيّدنا أن يقنع الصدّوقيّين ببَعْثِ الموتى. جاؤوه بمثَل امرأة كانت زوجة لسَبْعة رجال. قالوا له: «كانت امرأة الجميع. ففي بَعْث الموتى، لِمَن تكون» (مت ٢٢ : ٢٨)؟ حينئذ أجابهم ربّنا: أنتم تَضِلّون كثيرًا ولا تعرفون الكتب وقوّة الله. فالذين هم أهلٌ لذلك العالم وللقيامة من بين الأموات، لا يتزوّجون نساء ولا تكون النساء لرجال، لأنّهم لا يموتون بل يكونون مثل ملائكة الله وأبناء القيامة. أمّا القيامة التي يقوم بها الموتى، أما قرأتم في الكتاب ما قاله الربّ لموسى في العليقة: أنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. فالله ليس إله

أموات وكلّهم يَحْيَون فيه (مت ٢٢: ٢٩_ ٣٩).

١٧ وهناك أناس، وإن أحياء، فهم مائتون لله. فهو قد وضع الوصيّة لآدم، وقال له: «يوم تأكل من الشجرة موتًا تموت» (تك ٢: ١٧). ومن بعد أن تجاوز الوصيّة وأكل من الشجرة عاش تسعمائة وثلاثين سنة، ولكنّه حُسب لله ميتًا بسبب خطاياه. ولكي تتأكّد أنّ الخاطىء يُدعى ميتًا وإن كان حيًّا، فأنا أقدّم لك برهانًا مُقنعًا. إليك ما كُتب في حزقيال النبيّ (١٨: ٢٣، ٣٢؛ ٣٣: ١١): «حيّ أنا، يقول ربّ الأرباب، لا أرضى بموت الخاطىء المائت».

١٨ وقال ربّنا أيضًا لهذا الرجل الذي قال له: «أذهب وأدفن أبي ثمّ أعود إليك». فأجابه ربّنا: «أترك الموتى يدفنون موتاهم، وأنت فاذهب وبشّر بملكوت الله» (لو ١١: ٥٩: ٦٠). فكيف تفهم هذه الكلمة يا عزيزي؟ هل رأيت يومًا أمواتًا يدفنون موتاهم؟ أو كيف يقوم المَيت ليدفن ميتًا؟ خُذ منّي هذا التعليم: الخاطىء، وإن حيًّا، مَيْت لله. والبارّ، وإن ميتًا، حيّ لله.

الموت رقاد

فهذا الموت هو رقاد، كما يقول داود: «أرقد وأنام وأستفيق» (مز ٣: ٦). وقال أشعيا أيضًا: «الراقدون في التراب يستيقظون» (٢٦: ١٩). وقال ربّنا عن ابنة رئيس المجمع: «ليست الصبيّة ميتة. إنّها ترقد رُقادًا» (مت ٩: ٢٤؛ لو ٨: ٥٢). وعن لعازر، قال لتلاميذه: «حبيبنا لعازر رقد، وأنا ذاهب لأُوقظه» (يو ١١: ١٢). وقال الرسول: «كلّنا نرقد ولكن لا نتحوّل كلّنا» (١ كور ١٥: ٥). وقال أيضًا: «أمّا الراقدون فلا ينبغي أن تحزنوا عليهم» (١ تس ٤: ١٣).

١٩ يجب أن نخاف من الموت الثاني، المملوء بُكاء وصريف أسنان

ونواحًا وبؤسًا، ذلك الذي يسكن في الظلمة البرّانيّة. طوبى للمؤمنين والأبرار بالقيامة التي ينتظرون أن يستيقظوا فيها ويقبلوا الخيرات الموعود بها. أمّا الأشرار الذين لا يؤمنون بالقيامة، فويل لهم ممّا ينتظرهم. من الأفضل لهم ألّا يقوموا، فهم بذلك يؤمنون. لأنّ العبد الذي يهيّىء لنفسه من عند سيّده، العذابات والقيود، فعندما يرقد لا يريد أن يُوقظه أحد، لأنّه يعرف أنّه عندما يأتي الصباح ويوقظونه، سيُعذّبه معلّمه وسيُقيّده. والعبد الصالح الذي وعده سيّده بالعطايا، فهو ينتظر متى يأتي الصباح لينال العطايا من سيّده. وحين ينام فهو يرى في حُلمه، كيف يُعطيه سيّده ما وعده به، فيفرح في حلمه ويرقُص ويبتهج. أمّا الشرّير فلا يستعذب نومه، لأنّه يُفكّر أنّ الصباح أتى، فينسحق قلبه في حلمه. ينام الأبرار ولكنّ نومهم عذب في النهار والليل. لا يُحسّون بكلّ الليل الطويل، فيحسبونه في عيونهم كساعة واحدة. ومنذ هجعة الصباح يستيقظون فرحين. أمّا الأشرار فالنوم ثقيل عليهم، ويشبهون رجلًا مصابًا بحمّى ثقيلة جدًّا. يتقلّب الشرّير هنا وهناك في فراشه، ويُحيط الرعب بليله الذي يطول عليه، فيخاف من الصباح الذي فيه يُعاقبه سيّده.

٢٠ يُبيّن لنا إيماننا أنّ الناس عندما يرقدون، ينامون مثل هذا النوم ولا يميّزون الخير من الشرّ. فلا ينال الأبرار ما وُعدوا به ولا الأشرار عِقاب الشرّ، قبل أن يأتي الديان ويفصل أهل اليمين عن أهل الشمال.

إقتنع بما كُتب: حين يجلس الديّان وتُفتح الكتب أمامه، وتُقرأ الأعمال الصالحة والأعمال الشرّيرة، فالذين عملوا الصالحات، يقبلون ما هو صالح من الصالح، والذين عملوا السيّئات، ينالون ما هو سيّء من الديّان العادل. وهو لا يغيّر طبعه بالنسبة إلى الصلاح

ويكون عادلاً لأنّه يُعاقب الكثيرين بالعدل. ولكنّه يغيّر طبعه بالنسبة إلى الأشرار. وفي هذا العالم تحلّ العدالة محلّ النعمة فيكون عادلاً للجميع. لا تُشارك النعمة العدالة، ولا تُساعد النعمة الهلاك، ولا العدالة النعمة. فالنعمة هي بعيدة عن الديّان، والعدالة تحرّك الديّان. فمَن اقتربت منه النعمة يعود إليها فلا تسلّمه إلى يد العدالة، لئلا تحكم عليه حين تُحاسبه عمّا اقترفت يداه. ومَن ابتعدت عنه النعمة، تُدخله العدالة إلى الاختبار وتُدينه فيذهب إلى العذاب.

الدينونة والجزاء الأخير

٢١ فاسمع، يا عزيزي، هذا البرهان المقنع بأنّ هناك جزاء في النهاية. فحين يفصل الراعي قطيعه يُقيمه عن يمينه وعن شماله. قَبِل الصَلاح من الصالحين فأورثهم الملكوت، ووبّخ الأشرار وحكم عليهم. حينئذ يسلّمهم إلى العذاب. فالذين أرسلوا رسلاً وراء الملك وقالوا: لا نريد أن يكون هذا ملكًا علينا، فعندما يأخذ الملك، يذبح أعداءه أمامه (لو ١٩ : ١٤ـ ٢٧). والعمّال الذين ركضوا وتعبوا في الكرم لا يأخذون أجرهم قبل أن ينتهي العمل. والتجّار الذين حصلوا على الفضّة، حين يأتي سيّد الفضّة، سيطالبهم بالفائدة. والبتولات اللواتي انتظرن الختن، نمن ورقدن، لأنّ مجيئه تأخّر. وعندما يسمعن الصوت يستيقظن ويُهيّئن مصابيحهن. فتدخل الحكيمات وتُترك الجاهلات خارجًا. والذين تعبوا بإيمان لن يكمّلوا بدوننا.

٢٢ فافهم، يا عزيزي، وتأكّد أنّه حتّى الآن لم يَنَلْ أحد جزاءه. فلا الأبرار ورثوا الملكوت، ولا الأشرار ذهبوا إلى العذاب. فالراعي لم يَفْصِل بعد قطيعه، والعمّال تعبوا في الكرم وإلى الآن لم يأخذوا أجرهم. والتجّار عادوا بالفضّة وإلى الآن لم يأتِ سيّدهم ليأخذ الحساب. والملك ذهب ليأخذ ملكه وإلى الآن لم يأتِ مرّةً ثانيةً. وهؤلاء

البتولات اللواتي ينتظرن الختن يرقدن حتّى الآن، وما زِلْنَ ينتظرنَ الصيحة ليستيقظنَ. والأوّلون الذين تعبوا بالإيمان لا يكمَّلون إلى أن يأتي الآخرون.

٢٣ ويقول مَن هم صبيان في تفكيرهم: إذا كان الإنسان لا ينال جزاءه، لماذا يقول الرسول: «عندما نُفارق الجسد نكون عند ربّنا» (٢ كور ٥: ٨). تذكّر، يا عزيزي، أنّي أعلمتك بذلك في مقالة المتوحّدين. فالروح التي ينالها الصدّيقون تذهب إلى ربّنا بحسب طبعها لتلبس الجسد الذي سكنت فيه. كما قال أشعيا النبيّ عن كنيسة الأمم: «يكونون أمينين وثابتين الذين يذكرونك أمام الربّ، ولا تُعطيهم راحةً» (٦٢: ٦ـ ٧). أمّا الأشرار فليس لهم مَن يذكرهم أمام الربّ، لأنّ الروح القدس بعيد عنهم، ولأنّهم كائنات حيوانيّة وسيُدفنون ككائنات حيوانيّة.

٢٤ والتعاليم التي هي أدوات الشرّير، تتعثّر بالكلمة التي قالها ربّنا: «لم يصعد أحد إلى السماء إلّا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو ٣: ١٣). ويقولون: ها إنّ ربّنا يشهد أنّ الجسد الأرضيّ لا يصعد إلى السماء. هذا المعنى لا يدركه هؤلاء الجُهّال. فحين فسّر ربّنا لنيقوديمس، فلأنّ نيقوديمس لم يُدرك قوّة كلمته. حينئذ قال له ربّنا: «لم يصعد أحد إلى السماء وينزل ليُخبركم ماذا يكون هناك. كلّمتكم عمّا على الأرض فلم تؤمنوا، فكيف إن كلّمتكم عمّا في السماء تؤمنون» (يو ٣: ١٢). لم ينزل من هناك معي أيّ شاهد آخر، ليشهد عمّا في السماء فتؤمنوا. إيليّا صعد إلى هناك ولم ينزل ليشهد معي، فتثبُت شهادة شاهدين.

خاتمة

٢٥ فأنت، يا عزيزي، لا يكن لك شكّ في قيامة الموتى لأنّ الفم الحيّ يشهد: «أنا أميت وأنا أُحيي» (تث ٣٢: ٣٩). ومن الفم الواحد خرج هذان الأمران. وكما أنّنا متأكّدون أنّه يميت، يبدو لنا أكيدًا وثابتًا أنّه يُحيي. وما بيّنته لك فاقبله، وآمِن أنّه في يوم القيامة يقوم جسدك كاملاً، ومن ربّك تقبل جزاء إيمانك، فتفرح وتبتهج بما به آمنت.

تمّت المقالة في قيامة الموتى

في التواضع

التواضع في الكتاب

١ التواضع صالح في كلّ وقت وينجّي، من كلّ ضيق، الذين يقتربون منه. ثِمارُه عديدة ويلد خيرات كثيرة. منه يُولد الكمال وبه حَسُن نوح أمام الله فخلّصه، كما هو مكتوب، وقال له: «رأيت أنّك بارّ وكامل في جيلك» (تك ٧: ١).

والشواهد عن التواضع كثيرة. فقد جاء في الكتاب: «المتواضعون يرثون الأرض، ويقيمون عليها إلى الأبد» (مز ٣٧: ١١، ٢٩؛ مت ٥: ٥). وقال النبيّ أشعيا: «إلى مَن أنظر وفي مَن أسكن إلَّا في الهادىء والمتواضع والمرتعد من كلمتي» (٦٦: ٢). وجاء في الكتاب أيضًا: «المتواضع الروح والمتواضع العينين، أفضل من الذي يستولي على مدينة» (أم ١٦: ١٩، ٣٢). وجاء أيضًا: «برّ الكامل يسير أمامه» (أم ١١: ٥). وعن موسى الرجل المؤمن قال الكتاب: «كان مُتواضعًا أكثر من أيّ إنسان على وجه الأرض» (عد ١٢: ٣).

مديح في التواضع

٢ فالتواضع شهادة الخيرات، شهادة مخافة الله. وعديدة هي المواهب

التي يقتنيها بالتواضع، مَن يحبّ التواضع. فحين تبحث عن الرحمة تجدها في المُتواضعين، لأنّ التواضع مَسْكِنُ البرّ. التعليم موجود عند المُتواضعين، والمعرفة ينابيع شِفاههم. التواضع يلد الحكمة والفهم، والمتواضعون يقتنون الفطنة. وحين تطلب الفطنة والصبر، تجدهما في المتواضعين، وحياة النسك تبدو لهم جميلة ولذيذة. عذبة كلمة المتواضع، ومشرق وجهه وهو يضحك ويفرح. والحبّ جميل لدى المتواضعين، وهم يعرفون سرّ جماله. يصوم المتواضعون عن كلّ الشرور، فيشعّ وجههم من صلاح قلبهم. يتكلّم المتواضع فيليق به الكلام، وتضحك شفتاه فلا يُسمع صوتُ ضحكه.

يخاف المتواضع من الخصام لأنّ الخصام ابن الحسد. حين يسمع المتواضع كلمات الغضب، يُصِمُّ أُذُنيه لئلا تدخل قلبه. أفكار المتواضع تلد كلّ خير، وحواسّ عقله تفكّر بما هو جميل. يشرب المتواضع التعليم كالماء فيدخل فيه كالزيت في العروق. المتواضع يتواضع، ولكنّ قلبه يرتفع إلى الأعالي العُلويّة. حيث يكون كنزه هناك ترنو أفكاره. عينا وجهه تنظران إلى الأرض، وعينا عقله إلى الأعالي العلويّة. يخاف المتواضع، في كلّ وقت، أن يكون له مع الآخرين كلمة لوم. يتأمّل المتواضع شريعة ربّه، ومنها يأخذ الدواء الذي يطلب. يفرح المُتواضع بالخير عند قريبه، ويحسب صديقه كنفسه. يتقرّب المتواضع من المُترفّع والمُنتفخ، فيسبيه ويأخذ منه عقله. يقلب التواضع الحصون الصعبة ويُبعد الغضب والعداوة.

٣ تواضع يعقوب، فانتصر على غضب عيسو أخيه والأربعمائة رجل الذين معه. تواضع يوسف فانتصر على غضب إخوته الذين حسدوه وأبغضوه. وانتصر موسى بتواضعه وأخزى كلّ ترفّع فرعون. وانتصر

تواضع داود على تشامخ جُليات الذي اندفع عليه بغضب. وانتصر تواضع حزقيا على كلّ تهديد سنحاريب الذي اندفع مجدّفًا. وانتصر تواضع مردخاي على كلّ تشامخ هامان. وانتصر دانيال ورفاقه بتواضعهم على الأشرار الذين افتروا عليهم.

٤ يمنع المتواضعون أنفسهم، عن الغيرة والحسد والخصام. المتكبّر رجس في عيونهم ولا يُشاركون في العنف. يُبعدون عنهم الكذب ويتنكّرون للنميمة. يُخرجون العداوة ويرمونها خارجًا، لأنّهم أبناء السلام. يُخرجون التكبّر من بينهم ويرمونه خارجًا، لأنّهم يهتمّون باسمهم الصالح. لا يعرفون العناد لأنّهم يُحبّون البساطة والبرّ، وهم هادئون ومُتحفّظون. ينتظرون الختن ويتنكّرون للعالم. التعجرف بعيد عنهم، والمستهزئون في نظرهم مبغضون. أخدار قلوبهم مليئة بالكنوز الصالحة، وضمائرهم نقيّة من الغش. عيون عقلهم ثابتة في العلاء، وهي تنظر جمال ربّهم وفي كلّ وقت يفرحون به. يحبل قلبهم بكلّ جمال وتلد شفاههم ثمارًا صالحة. إقتبلوا من ربّهم زرعًا صالحًا، فاقتلعوا أشواك الشرّ ورموها. أعطى زرعهم ثمارًا، واحدًا بمئة، لأنّهم سقوه من ينبوع الحياة. غُرس فيهم التواضع، فأنبت ثمار الإيمان والمحبّة. لبسوا المسيح ثوبًا صالحًا، وحفظوه من كلّ نجاسة. يسكن فيهم الروح الذي نالوه، يُحبّونه ولا يُحزنونه. يُهيّئون هياكلهم للملك العظيم الذي يدخل ويحلّ في الهادئين والمتواضعين. يجعلون ميناءَهم على صخرة الحقّ، ولا يخافون الأمواج والرياح. أعمالهم تُضيء كالسراج، فيشعّ نورهم أمامهم. يُهيّئون الهديّة للختن الآتي، وينتظرون أن يدخلوا في خِدْره. حملوا الفضّة وعادوا بها، ويريدون أن يرثوا عشر وزنات. يُخرجون فضّتهم ويبدّدونها، فلا يجمعون فضّة ولا يُخبّئون. يمشي جسدهم المنظور على الأرض،

ولكنّ أفكارهم كلّها موضوعة لدى ربّهم. يمشون ويسيرون في طريقٍ صغير وضيّق، فيدخلون في باب الملكوت الضيّق. يُضيِّقون على إرادتهم لتحفظ الشريعة التي بها يَهْذّون في كلّ آن. يُفكّرون ويتصرّفون في هذا العالم كغرباء، وينتظرون المدينة التي في السماء. أفكارهم مخطوفة وموضوعة في السماء، وهناك إلى بيت المقدس ينتظرون أن يدخلوا. عيونهم مفتوحة وهي تنظر إلى هناك فتشاهد الختن الذي يهيّىء نفسه. يذهب رُسُلهم إلى هناك كلّ يوم فيحملون الأمان والسلام ويأتون بهما. أسماؤهم مكتوبة في سِفر الحياة فيصلّون وينوحون لئلا يُمحوا منه. يُصعّدون قرابينهم تقدمةً وصومًا وصلاةً، نحو ذلك الذي يحقّ له أن يكتب ويمحو. يكتبون على قلوبهم شريعة ربّهم لتُكْتب أسماؤهم في سِفْر الأبد. يمحون خطاياهم في كلّ وقت لئلا تُمحى أسماؤهم من سِفْر الحياة. يُحبّون مضايقَ هذا الزمن ليُبعَدوا عن عذاب الأبد. تتمرّن ألسنتهم على تراتيل المسيح ليلتذّوا في مكان أناشيده العذبة والحلوة. يرغبون أن يتأمّلوا هذا المكان، وهم محتاجون ليحصلوا على ما إليه يحتاجون.

مسيح السلام

٥ هؤلاء هم الذين يُحبّون التواضع الذين يعيشون بسلام عظيم مع كلّ إنسان. المتواضعون هم أبناء العليّ وإخوة المسيح، هذا الذي بُشِّرَ به فجاء إلينا من أجل السلام، فقبلته مريم بسبب تواضعها. فحين بشّر جبرائيل الطوباويّة مريم، قال لها: «السلام لك يا مباركة بين النساء» (لو ١: ٢٨). فقد حمل جبرائيل السلام، وجاء بالثمرة المباركة، فزرع في داخل مريم ولدًا محبوبًا. فسبّحت وعظّمت الربّ الذي رَضِيَ بتواضع أمته. هو لم يَرْضَ بالمُتكبّرين والعظماء. فالعليّ يرفع كلّ المتواضعين (لو ١: ٤٨ـ ٥٢). فتأمّل، يا حبيبي، كيف يسعى

السلام إلى المتواضعين.

٦ حين وُلد معلّم التواضع، هكذا سبّحه ملائكة السماء، قالوا: «السلام في السماء والمجد على الأرض، والرجاء الصالح لبني البشر» (لو ٢: ١٤). حين علَّم التواضع بمجيئه، قال: «مَن ضربك على خدّك، فقرّب له الآخر. ومَن سخّرك معه ميلاً فاذهب معه ميلين آخرين، ومَن أراد أن يأخذ ثوبك فَهب له رداءك أيضًا» (مت ٥: ٣٩_ ٤١). فكلّ هذه الأشياء التي علّمنا إيّاها مخلّصنا، يستطيع المتواضعون أن يقوموا بها.

على الإنسان أن يتواضع ولا يتكبّر

فالترفّع والعظمة لا يليقان بالمتواضعين، ولا التاج على رأس المساكين. فالمُتواضع الذي يترفّع يُبغضه ربّه، والمسكين الذي يضع على رأسه التاج يقتُله الملك. فالرِفْعة والعظمة هما تاج ملكنا البهيّ. من أجل هذا تليق به وحده العظمة، لأنّها تخصّه ولأنّها علامة مملكته. وبطبعه تليق الرِفعة، ولكنّها بغيضة ومحتقرة في عيون البشر. فعلامات وإشارات الملك، تليق بالملك، لا بصغار القوم.

من أجل هذا، يا عزيزي، فما يُبغضه الله عندنا ويُحبّه عنده، لا يوجد عندنا. فيبقى له ما هو له، ونبقى نحن في طبعنا. بنا يليق التواضع وله الرفعة والعظمة. هو يُعطينا ما هو لنا، أي التواضع، فلا نأخذ ما لم يهبه لنا. وحين يُعطينا خيرًا فهو يجرّبنا تجربة، لأنّ مَن يأخذ ما ليس له، يُحسب خبيثًا ودجّالاً، ومَن يثبت في طبعه الوضيع فالعليّ يرفعه. ولذلك يجب أن لا يذهب بنفسه وراء العظمة.

٧ «لا يستطيع إنسان أن يخدم ربّين» (مت ٦: ٢٤). لا يُجمع الترفّع مع التواضع والعجرفة مع العفّة. لا تُجمع الجسارة مع الفطنة والتسرّع مع

الخضوع. مَن لا يقبل التواضع منذ الآن يحرمه منه العالمُ الآتي. ومَن يحبّ التواضع يرفع في مكان العظمة. فالغنيّ لبس الأرجوان وترفّع وتعالى وتكبّر. وحين ذهب إلى هناك سقط في العذاب. ولعازر الذي وضع نفسه رُفع وجلس في حضن إبراهيم. وصلّى الفرّيسيّ والعشّار في الهيكل. ترفّع الفرّيسيّ وبرّر نفسه فعاد إلى بيته غير بارّ وتواضع العشّار فرجع إلى بيته بارًّا.

الحسد

جُعل الشرّ تجاه الخير، والظلمة تجاه النور، والعداوة تجاه البرارة. تجاه الحسد جُعل التواضع، وتجاه الخصومة الصمت. لا يقوى الشرّ أن يقف أمام الخير، وتهرب الظلمة حين ترى النور. الحلاوة تخفّف المرارة، والتواضع ينتصر على العداوة. البرارة تبطل الحسد والصمت يُطفىء الخلاف.

لا تحسد الظلمة العتمة ولا العداوة العصيان. والحسد لا يسخر من الخصومة، والمرارة لا تُبغض العلقم. أمّا الأشرار فيحسدون الأخيار، والكفّار يغارون من الأبرار، والمترفّعون يتكبّرون على المتواضعين، والدجّالون يسخرون بأهل الحقّ، والجهّال يحتقرون الحكماء. فمَن لا حقيقة عنده لا يريد أن يُوجد أبرار في العالم، ومَن لَبِسَه الترفّع فالمتواضع، في نظره، يُشبه القاتل. ومَن مَزَج يديه بالإثم لا يرضى بالإنسان الصِدّيق، ومَن امتلأ فمه بالكذب يبدو الحقّ في عينيه بغيضًا ودنيئًا.

٨ لا دواء للحسد إلّا الصمت والتواضع، ونتيجة الحسد جزاء سيّء. حسدت الحيّة آدم في الفردوس، فنالت عقابها ثلاث لعنات: أخذ منها أرجلَها فمشت على بطنها، أخذ منها طعامَها وأعطاها التراب،

وجعلها عدوّة فأعطى الإنسان أن يدوسها. وقايين الذي قتل هابيل حسدًا نال اللعنات لسبعة أجيال، وصار خائفًا تائهًا في الأرض. وعيسو حسد يعقوب أخاه واضطهده. أمّا يعقوب المتواضع فنال البكوريّة والبركات، واستُعبد المترفّع لهذا المتواضع. والذين حسدوا يوسف المتواضع! رُفع يوسف وسقط أعداؤه وسجدوا له. وحسد فرعون الشعب العبرانيّ وأمر أن يُفنى أولادهم في البحر. فدين بهذه الدينونة التي بها دان، فنال جزاء خطاياه. وحسد قورح ورفاقُه موسى، فحلّ فيهم الجزاء السيّء، فتحت الجحيم فمها وابتلعتهم واشتعلت نارٌ فأكلتهم. وهارون ومريم حسدا موسى المتواضع فتجلّى القدّوس ليُبيدهما، وأصاب البرص مريم سبعة أيّام. وحسد شاولُ داود المتواضع وأبغضه، فجاز عنه الروح القدس، وحرّكه روح معذِّب. وحسد أحابُ نابوت وقتله. وفي المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت، لحست دمه أيضًا. واضطهدت إيزابيل إيليّا فما استطاعت أن تؤذيه، بل أكلتها الكلاب وصعد إيليّا إلى السماء. والنمّامون الذين حسدوا الرجال الأبرار، أكلهم لهيب النار، أمّا الرجال الأبرار فنجوا منها. والكلدانيّون الذين افتروا على دانيال ملأوا بذواتهم الحفرة التي حفروها له. وهامان الذي حسد مردخاي وشعبه، لم ينجح في الأمر الذي أصدره، فنال هو وأبناؤه الموت صلبًا. والشعب الجاهل الذي لم يقبل الملك المسيح المتواضع، استأصلهم من مكانهم وبدّدهم. وعندما يأخذ الملك ويعود، سيُدمَّر أعداؤه أمامه.

كلّ هذا الذي كتبته، يا عزيزي، أذكّرك به دون أن أسأم، لتتحقّق من هذه الكلمة، أنّ الأشرار ينالون من أيدي المتواضعين العقاب السيّء.

٩ من أجل هذا، يا عزيزي، تأكّد أنّ كلّ مَن يلبس الحسد يسكن الشرّير

فيه، ويسكن فيه الروح النَجِس الذي سكن في شاول. ضرب داود على الكنّارة ليريح شاول، أمّا شاول الذي ارتدى الحسد فرمى الحربة على مَن صنع خيرًا له. مَن يوجد فيه التواضع يحلّ فيه الهادىء والمتواضع، ويكون مسكنًا للمسيح. وتذكّر ما كتبت لك أعلاه: لا يحسد الصلَّاح الأشرار، بل الأشرار يحسدون الصلَّاح. وما رأيت يومًا غنيًّا يحسد المساكين، ولا الصدّيقين الأشرار. لا يحسد الأبرار الكفّار، ولا المسالمون المقلقين، ولا المحقّون الدجّالين. لا يحسد المستقيمون المجرمين، ولا الأعفاء الفاسدين.

ممارسة التواضع

لهذا أسرعْ وراء التواضع الذي ينتصر على الحسد ويُزيل الخصومة، واجمع معه الصمت والصبر، فتعفي نفسك من خصومات كثيرة. أَحِبَّ التواضع واقتَنِ العفّة واجمع معهما الصبر. كثيرون يحبّون المتواضعين، أمّا المترفّعون فيبغضهم الأشرار الذين هم مثلهم. أبغِضِ الغضب فتنجو من القبائح. لا تفتح فمك للغضب، ولا تهب له وجهك بألف لون ولون، ولا تُبيّن له لسانك لئلا تلد منه ثمار الشرّ. لا تسمح أن يُزرع فيك بذار الغضب لئلا ينبت فيك ويكثر بأفكار عديدة.

١٠ حين يحبل فيك الغضب، يصبح جرحًا، فلا تترك لسانك يلده ولا تربطه بشفتيك. وكلّ الأفكار التي تصعد إلى قلبك، أُطمُرها في غرفتك الداخليّة. والأمور الصالحة التي يحبل بها قلبك، هبها للسانك فيتعلّم فمك الكلمات الحلوة. ردّد الكلمة في قلبك أيّامًا عديدة وانظر إذا كانت تليق بلسانك. وإن لم تَلِقْ فلتمت في قلبك واطمُرها في فكرك.

إحفظ لسانك من شهادة الزور لئلا تحرق النار جسدك كلّه. فابن

الملك الذي يسكن فيك يزداد حسنًا فلا تجعل معه أشياء عاطلة وسيّئة. وهو يريد أن يسكن وحده في البشر، ولا يسكن مع صاحب الأفكار العديدة. ليُحِبّ لسانك الصمت لأنّه يلحس جراحات ربّك. ولتحذر شفتاك الشقاق لأنّك بها تقبل ابن الملك. لا يخرج من فمك الباطل لئلا ينفصل الربّ عنك، ولا يعود يسكن فيك.

ثمار التواضع

١١ أحِبَّ التواضع فهو سور حصين يشبه الحديد. أحِبَّ العفّة، فمَن أكل من ثمارها العذبة، تشبع نفسه فيفرح ويبتهج. تُعرف الأشجار من طعم ثمارها، وأفكار الإنسان من طعم فمه. عندما يقترب حكيم من إنسان، تُعرف أفكاره من لسانه، لأنّ الشفاه تتكلّم من فيض القلب (لو ٦: ٤٥). والإنسان الذي يخاف من الله لا يتفوّه دومًا إلّا بكلّ خير، ويردّد شريعة ربّه ويتحدّث بها. وحين يسمع كلمات المزح لا يتوقّف ليسمعها، بل ليتفوّه بكلّ كلمة خيّرة ولا يكون في فمه كلام الضرر، لأنّ فكره لم يحبل بشيء بغيض. هكذا يُعرف الإنسان الذي يهُذّ بشريعة ربّه، وهذه هي ثمار الشجرة الصالحة. والإنسان الذي يفكّر في الشرّ يعرفه الحكيم من شفتيه. فإن قال كلمات المزح والسخرية والشتيمة والتجديف، فالذي يسمعه يعرفه. حُبل بكلماته ثمّ وُلدت، لأنّ كلّ شيء يُحبل به ثمّ يولَد.

تذكّر ما قاله مخلّصنا: «الشجرة الصالحة تُعطي ثمارًا صالحة والشجرة الرديئة تعطي ثمارًا رديئة. لا تستطيع الشجرة الرديئة أن تعطي ثمارًا صالحة ولا الشجرة الصالحة أن تعطي ثمارًا رديئة. فمن الثمار تُعرف الشجرة. هكذا هو الرجل الصالح. من كنوزه الخيّرة التي في قلبه يُخرج الأمور الصالحة ويقولها. والرجل الشرّير يُخرج من كنوزه السيّئة التي في قلب الأمور السيّئة ويقولها فمن فيض القلب تتكلّم

الشفاه» (مت ٧: ١٧ـ ١٨؛ لو ٦: ٤٤ـ ٤٥).

١٢ فإن كانت على شجرة ألف ثمرة، تكفيك واحدة لتعرف طعم كلّ الشجرة. فإن ذقت ثمرةً واحدة من بين الثمار العديدة والطيّبة والعذبة، ترجو نفسك أن تأكل وحدها كلّ ثمار تلك الشجرة. وهكذا هو الرجل الحكيم. حين يقترب من رجل شرّير فهو يتعرّف إليه أوّلاً من كلامه، فإن رأى أنّ كلماته فاسدة حاول عدم سماعها. فإن اقترب الحكيم من رجل حكيم وفهيم، يجلس بقربه وينتظر حتّى يعرف طعم كلماته. فإن رأى أنّها طيّبة وعذبة ومليئة بالمعرفة والفهم، راح يحاول أن يسمع كلّ كلماته ويتعلّمها. والإنسان الذي يُدعى مُتواضعًا يُميّزه الحكيم من كلماته. هناك إنسان يبدو كاملاً صامتًا متواضعًا، وقلبه يفكّر بالمفاسد، فهذا المتواضع الجاهل وسط الحكماء المتواضعين الذين يفكّرون بالخير، يشبه الزعرور المرّ الذي يُمزج مع السفرجل. شكله شكل السفرجل أمّا طعمه فمرّ المذاق.

حبّ التواضع

١٣ أَحبّ التواضع، يا عزيزي، لأنّ له رائحة عذبة وطعمًا حلوًا. المتواضع الذي يتواضع في رفعته محبوب لدى العظماء ولدى المتواضعين. فإن حصل له ما يُذلّه فلا يشتمه أحد، لأنّه يتصرّف حسب الطبع الذي كان فيه سابقًا. والعظيم الذي لا يتواضع، إذا حصل له إذلال يكون سقوطه كبيرًا، لأنّه لم يتواضع في رفعته. أحبّاء المتواضع كثيرون، ومسالموه لا عدّ لهم، وعديدون هم الذين يردّدون مدائحه. تواضعه يستُر ذنوبه، لا يقول شرًّا عن أحد في قلبه. يجلس المتواضع ويتأمّل الحكمة، وفكره مُنبسط نحو أعالي السماء. يُنصتون إلى كلمة المتواضع ويسمعونها لأنّه يكوّنها ويخرجها بفطنة. أعماق قلبه مملوءة بالكنوز الصالحة، ولسانه يَلِدُ ثمارًا عذبة.

التواضع ينبوع سلام، تسيل منه سواقيّ أمان. أحَبَّ نوح التواضع فحفظته من مياه الطوفان. واقترب إبراهيم من التواضع فصار وارثًا في أرض الحياة، لأنّه ارتمى أمام الله وواضع نفسه كالتراب والرماد. وتربّى إسحق على التواضع فعرفه الملوك وأحبّوا عهده. وكان يعقوب كاملًا فسكن في خيمة وقبل من أبيه بركات عيسو. كلّ واحد من آبائنا الأوّلين، كان مُتواضعًا وعفيفًا وفَطِنًا، فرفع العليُّ المتواضعين وواضع العظماء وأنزلهم إلى الصَغَارة. أحَبَّ أيّوب التواضع فشهد له ربّه على كماله. حسده الشيطان الشرّير، ولكنّ أيّوب أخجل العدوّ الذي يخاصم الأبرار؛ ورفع الربّ أيّوب الذي ثابر في كماله، كما شهد بذلك فمه.

آدم ويسوع

١٤ أَحِبّ، يا عزيزي، هذه الحالة التي يُقيم بها أبناء الجسد. هذه هي البرارة، أن يواضع الإنسان نفسه. طبع آدم تُرابيّ، وهو من الأرض. وربّه وضع له وصيّة ليحفظها. فإن حفظ الوصيّة، يوصله ربّه إلى طبع أسمى. ولكنّه أراد أن يأخذ بنفسه الرفعة التي ليست من طبعه، فأعاده ربّه إلى الضعة، إلى طبعه الأوّل. وعلى هذا شهد مخلّصنا، فقال: «كلّ مَن يرتفع يتّضع، وكلّ مَن يتواضع يرتفع» (مت ٢٣ : ١٢). ترفّع آدم فوُضع ورجع إلى التراب، إلى طبعه الأوّل. وتواضع مخلّصنا العالي والبهيّ، فرُفع وتعالى إلى طبعه الأوّل، وزيد له المجد وأخضع له كلّ شيء. تواضع مخلّصنا فنال المجد ونال أكثر من المجد. ترفّع آدم فنال الضعة وقبل اللعنات فوق الضعة.

من أجل هذا، يا عزيزي، يجب ويليق بكلّ إنسان أن يحبّ الله ويتعلّق بالتواضع ويثبت فيه، لأنّ أصل التواضع مزروع في الأرض وثماره ترتفع أمام ربّ العظمة. في التواضع نجد الثمار الشهيّة من فطنة وعفّة

وأفكار عذبة. المتواضعون بسطاء وصبورون، محبّون وكاملون، أبرار وحاذقون في الخير، ماهرون وهادئون، حكماء ومتنبّهون، رائقون ورحماء، تائبون ورؤوفون، عميقون وثابتون، جميلون ومرغوبون. مَن يحبّ هذه الشجرة التي تحمل مثل هذه الثمار، فطوباه لأنّه يحلّ في الراحة، والله الذي يرضى بالهادئين والمتواضعين يسكن فيه.

تمّت المقالة في التواضع

في الرعاة

سهر الرعاة

١ يقيم الرعاة على رأس القطيع ويهبون الخراف طعام الحياة. مَن سهر وتعب من أجل القطيع يهتمّ برعيّته، وهو تلميذ راعينا الصالح الذي وهب نفسه من أجل الخراف. مَن لا يقود القطيع حسنًا، يُشبه الأجير الذي لا يهمّه الخراف (يو ١٠: ١٣).

فيا أيّها الرعاة، تشبّهوا بهؤلاء الرعاة الأبرار الأوّلين. رعى يعقوب قطيع لابان وحرسه، وتعب وسهر فنال أجره. قال يعقوب للابان: «لي عشرون سنة معك. خرافك وقطعانك لم تسقط. لم آكل كباش غنمك. ما جئتك بالمكسورة مع أنّك كنت تطلبها منّي. في النهار أكلني الحرّ، وفي الليل الجليد، وكان النوم يهرب من عينيّ» (تك ٣١: ٣٨ـ ٤٠).

فيا أيّها الرعاة، تأمّلوا هذا الراعي كيف يهتّم برعيّته. يبقى في الليل يقظًا يحرسه ويسهر، ويتعب في النهار ليرعاه. كان يعقوب راعيًا، ويوسف راعيًا مع إخوته الرعاة، وموسى راعيًا، وداود راعيًا، وعاموس راعيًا. كلّهم كانوا رعاة، رعوا القطيع وقادوه القيادة الحسنة.

٢ ولكن لماذا، يا عزيزي، بدأ هؤلاء الرعاة فرعوا الخراف ثمّ اختيروا ليرعوا البشر؟ ليتعلّموا كيف يهتمّ الراعي بخرافه ويسهر ويتعب من أجلها. وحين تعلّموا أساليب الرعاة اختيروا لتدبير الجماعة. رعى يعقوب غنم لابان وتعب وسهر وقاد الخراف قيادة حسنة. ثمّ رعى أبناءه ودبّرهم حسنًا، وعلّمهم أصول الرعاية. ورعى يوسف الخراف مع إخوته، وفي مصر كان مدبّرًا لشعب كثير، فقادهم كما يقود الراعي الصالح قطيعه. ورعى موسى غنم يترو حَميه، واختير من وراء الغنم ليرعى شعبه، ودبّر أمرهم كالراعي الصالح. أخذ موسى عصاه على كتفه وسار على رأس شعبه يدبّره. رعاهم أربعين سنة، وسهر وتعب من أجل غنمه كراع غيور وصالح. وحين أراد ربّه أن يمحوهم من أجل خطاياهم، لأنّهم عبدوا العجل، صلّى موسى وطلب من ربّه، فقال: «إغفر لشعبك خطيئتهم وإلّا فامحُني من سِفْرك الذي كتبت» (خر ٣٢: ٣١- ٣٢). هذا هو الراعي المجتهد الذي أسلم نفسه من أجل خِرافه. هذا هو المدبّر المجيد الذي وهب نفسه من أجل خِرافه. هذا هو الأب الرحيم الذي يحتضن بنيه ويُربّيهم.

وموسى العظيم والراعي الحكيم الذي يعرف أن يقود قطيعه، علّم يشوع بن نون، الرجل الروحانيّ الذي دبَّر القطيع أي معسكر إسرائيل كلّه. فدمّر ملوكًا واستولى على أرضهم وأعطى شعبه أرضًا يرعون فيها، وقسّم لخرافه الحظيرة والمربض.

ورعى داود غنم أبيه، ومن الخراف انتقل ليرعى شعبه. رعاهم بقلب كامل وتدبَّرهم بيد فطنة. وحين أحصى داود خراف قطيعه، صعد عليهم غضب الربّ وأخذوا يفنون. حينئذ سلّم داود نفسه من أجل خرافه فصلّى، وقال: «أيّها الربّ الإله، أنا خطئت حين أحصيت إسرائيل. لتكن يدك عليّ وعلى بيت أبي. أمّا هذه الخراف البسيطة

فبماذا أخطأت» (٢ صم ٢٤ : ١٧)؟ فكلّ الرعاة المجتهدين يهبون هكذا نفوسهم من أجل خرافهم.

الرعاة الجهال

٣ والرعاة الذين لم يهتمّوا بالخراف هم أجراء لا يرعون إلّا أنفسهم. لهذا يدعوهم النبيّ ويقول لهم: «أيّها الرعاة، أنتم تبيدون وتبدّدون خراف رعيّتي. إسمعوا كلمة الربّ. هذا ما قاله الربّ: ها أنا أفتقد غنمي كما يفتقد الراعي قطيعه في يوم عاصف، وأطلب خرافي من أيديكم.

«أيّها الرعاة الجهال، تلبسون صوف الغنم، وتأكلون لحم السمان، ولا ترعون الغنم. لم تداووا النعجة المريضة، ولم تعصبوا المكسورة ولم تقووا الضعيفة ولم تجمعوا الضالّة والمشتّتة. لم تحرسوا القويّات السمينات بل تسلّطتم عليها بالعنف. ترعون أنتم في مرعى صالح، وما فضل تدوسونه بأرجلكم. تشربون المياه العذبة وما فضل تعكّرونه بأقدامكم. فرعى غنمي ما داسته أرجلكم وشرب المياه التي عكّرتها أقدامكم» (حز ٣٤: ٢ـ ١٩).

هؤلاء هم الرعاة الجشعون والسافلون والأجراء الذين لا يرعون القطيع ويدبّرون أموره حسنًا ولا ينقذونه من الذئاب. فحين يأتي الراعي العظيم، يدعو رئيس الرعاة، ويزور خرافه ويتفقّد قطيعه، ويأتي بهؤلاء الرعاة ويحاسبهم فيحكم عليهم بسبب أعمالهم. والذين رعوا الغنم الرعاية الحسنة يُفرحهم رئيس الرعاة ويورثهم الحياة والراحة.

فيا أيّها الراعي البليد والجاهل. تركت غنمي في يدك اليمنى وبحراسة عينك اليمنى. ولكنّك قلت على هذه الخراف: «لتَمُت النعجة التي

يجب أن تموت ولتبد تلك التي يجب أن تبيد، والتي تبقى تأكل لحم رفيقاتها» (زك ١١ : ٩). «من أجل هذا أنا أعمي عينك اليمنى وأيبس ذراعك الأيمن. عينك التي نظرت الهدايا ستعمى، ويدك التي لم تتصرّف بعدل ستُقطع» (زك ١١ : ١٧). وغنمي، غنم مرعاي، أنتم أيّها البشر، وأنا الربّ إلهكم (حز ٣٤ : ٣١). من الآن أرعاكم في مرعى صالح ودسم.

٤ الراعي الصالح يهب نفسه من أجل خرافه (يو ١٠ : ١١). وقال أيضًا: «لي نعاج أخرى، وهذه يجب أن آتي بها إلى هنا، فيكون القطيع كلّه واحدًا والراعي واحدًا. من أجل هذا يحبّني أبي، لأنّي أهب نفسي من أجل الخراف» (يو ١٠ : ١٦ـ ١٧). ثمّ قال: «أنا هو باب الخراف، كلّ مَن يدخل بي يحيا، فيدخل ويخرج ويجد المرعى» (يو ١٠ : ٩).

أيّها الرعاة، تشبّهوا بهذا الراعي المتيقّظ، رأس كلّ الرعيّة، وتأمّلوا كم اهتمّ بالقطيع. قرَّب البعيدين وأعاد الضالّين، وزار المرضى وقوّى الضعفاء، وعصب المكسورين وحفظ السمان. أسلم نفسه من أجل قطيعه واختار رعاة مجيدين وعلّمهم وسلّم الخراف إلى أيديهم وسلّطهم على كلّ رعيّته. قال لسمعان بطرس: إرْعَ خرافي، حُملاني، نِعاجي. فرعى سمعان خرافه، ولمّا تمّ زمانه أسلم الرعيّة ومضى. فارعوها أنتم ودبّروها حسنًا. فالراعي الذي يهتمّ بخرافه لا يعمل عملاً آخر، فلا يجعل له كرمًا ولا ينصب جنائن، لئلا يقع في هموم هذا العالم. هل رأيتم راعيًا يترك خرافه في البرّيّة ويذهب إلى التجارة، أو يترك قطيعه يضلّ ليكون فلاّحًا؟ فإن ترك قطيعه وعمل هذه الأعمال، يكون كمَن سلّم رعيّته للذئاب.

٥ تذكّر، يا عزيزي، أنّي كتبت لك عن آبائنا الأوّلين الذي تعلّموا كيف يرعون الغنم، فاقتنوا خبرة في هذه العناية. إختيروا لتدبير البشر، لأنّهم تعلّموا كيف يهتمّ الراعي برعيّته. وكما دبّروا الخراف باجتهاد هكذا يكمّلون هذا التدبير.

إختار الله يوسف من وراء الغنم ليدبّر المصريّين في وقت الضيق. واختار موسى من وراء الغنم ليدبّر شعبه ويرعاهم. وأخذ داود من وراء الغنم ليكون ملكًا على إسرائيل. وأخذ الربّ عاموس من وراء القطيع وجعله نبيًّا على شعبه. وأخذ أليشاع من وراء المحراث ليكون نبيًّا في إسرائيل.

ما عاد موسى إلى غنمه ولا ترك رعيّته التي سلّمت إليه. وما عاد داود إلى غنم أبيه بل دبّر شعبه بكمال قلبه. وما عاد عاموس ليرعى القطيع ويلتقط الحطب، لكنّه اهتمّ بنبوءته وأتمّها. وما عاد أليشاع إلى محراثه بل خدم إيليّا ثمّ حلّ محلّه. والراعي الذي كان له المقتنيات، والذي أحبّ الضيع والتجارة والكرم والزيتون والعمل، لم يُرده له تلميذًا، ولا سلّم رعيّته إلى يديه.

٦ أسألكم، أيّها الرعاة، أن لا تُقيموا في الرعيّة رعاة جهّالًا وبلداء وطمّاعين ومحبّين للمقتنيات. كلّ مَن يرعى الخراف يأكل من لَبَنها، ومَن يقود المحراث يستفيدُ من عمله. ويجب على الكهنة أن يقاسموا المذبح، واللاويّين أن يأخذوا العشور. مَن يأكل من اللبن يكون قلبه على رعيّته، مَن يستفيد من عمل المحراث يكون متيقّظًا في الفلاحة. والكهنة الذين يُقاسمون المذبح يخدمون المذبح بالبهجة، واللاويّون يأخذون العشور، لأنّ ليس لهم حصّة في إسرائيل.

فيا أيّها الرعاة، تلاميذ راعينا العظيم، لا تتشبّهوا بالأجراء، لأنّ الأجير لا يهتمّ بالخراف. بل تشبّهوا براعينا العذب الذي لم يحبّ نفسه أكثر من خرافه. ربّوا الشبّان، أكرموا البتولات، أحبّوا الخراف وربّوها في أحقائكم. وعندما تذهبون إلى رئيس الرعاة، تقرّبون إليه خرافكم كلّها كاملةً، ويعطيكم ما وعد به: «حيث أكون تكونون أنتم أيضًا» (يو ١٢ : ٢٦).

هذه أشياء قليلة تكفي الرعاة الوكلاء.

خاتمة المقالات السابقة

٧ كتبت لك أعلاه، يا عزيزي، فذكّرتك كيف يليق بك أن تدبّر كلّ الرعيّة. وفي هذه المقالة كتبت لك عن الرعاة المدبّرين للقطيع. ذكّرتك بكلّ هذا يا عزيزي، حسب ما سألتني في رسالتك المحبّبة.

٨ أدخَلني ربُّ البيت كنز الملك ودلّني هناك على خيرات كثيرة. وحين رأيتها سُبِيَ عقلي بعظمة الكنز. وحين نظرتها بُهرت عيناي وسُبيت أفكاري وضاعت حواسي بأشكال عديدة. مَن يأخذ منه يغتني ويُغني، لأنّه مفتوح ومتروك أمام كلّ الطالبين. وحين يأخذ الكثيرون منه فهو لا ينقص، وحين يعطون ممّا أخذوا يزداد ما لهم ازديادًا. الذين أخذوا مجّانًا، يُعطون مجّانًا كما أخذوا. هو لا يباع بأيّ ثمن، لأنّ لا شيء يعادله. هو كنز لا ينقصه شيء والذين يأخذون منه لا يشبعون. يشربون فيحرقهم العطش ويأكلون فيظلّون جائعين. مَن لا يعطش لا يقدر أن يشرب ومَن لا يَجُع لا يقدر أن يأكل. الجوع إليه يُشبع الكثيرين، والعطش إليه يفجّر الينابيع. فالرجل الذي يقترب من مخافة الله يُشبه رجلًا عطشان، وصل إلى نبع فشرب منه وارتوى، ولم تنقُص مياه النبع. والأرض التي تشرب تحتاج أيضًا أن تشرب،

والنبع لا يخفّ جريانه. هكذا هي معرفة الله. كلّ الناس يأخذون منها ولا نقص فيها، لأنّ أبناء البشر لا يستنفدونها. مَن يأخذ منها لا يستطيع أن يأخذ كلّ شيء، وإن أعطى فلا ينقصه شيء. حين تأخذ نارًا من الموقد للسراج، تشعل منها سرجًا عديدة، فلا الموقد ينقص حين تأخذ منه، ولا السراج يضعف إذا أشعلت منه سرجًا كثيرة. لا يستطيع إنسان واحد أن يأخذ كنز الملك كلّه، وكذلك العطشان حين يشرب من النبع لا يستنفد المياه كلّها. وحين يقف إنسان على جبل عالٍ، لا تُدرك عينه القريب والبعيد معًا. وإن قام ليُحصي نجوم السماء، فهو لا يستطيع أن يحيط بجند السماء. وحين يقترب من خوف الله، لا يقدر أن يأخذه كلّه. وإن إخذ شيئًا كثيرًا، لا يعرف أنّ هناك نقصًا. وحين يعطي ممّا أخذ، لا يحرم منه ولا يصل إلى نهايته.

تذكّر، يا عزيزي، ما كتبت لك في المقالة الأولى عن الإيمان: مَن يأخذ مجّانًا يجب عليه أن يعطي مجّانًا، كما قال ربّنا: «أخذتم مجّانًا فمجّانًا أعطوا». فمَن يحتفظ بشيء أخذه، فالذي ناله يؤخذ منه. من أجل هذا يا عزيزي، أرسلت إليك ما استطعت أن آخذه في هذا الوقت، من هذا الكنز الذي لا ينقصه شيء، وحين أرسلته إليك بقي كلّه عندي. فالكنز الذي لا ينقصه شيء هو حكمة الله. وربّ البيت هو ربّنا يسوع المسيح كما يشهد هو، ويقول: «كلّ شيء سُلِّم إليّ من أبي» (مت ١١: ٢٧). وهو معطي الحكمة كما يقول الرسول أيضًا: «المسيح هو قوّة الله وحكمته» (١ كور ١: ٢٤). هذه الحكمة وُزّعت على الكثيرين ولا شيء ينقصها كما بيّنت لك أعلاه، لأنّ من روح المسيح أخذ الأنبياء والمسيح لم ينقص منه شيء.

كتبت لك يا عزيزي، عشر مقالات، فأجبتك عمّا سألتني، ولم أطلب شيئًا منك، وما لم تطلبه منّي وهبته لك. سألت نفسي سؤالك وكتبت

لك، لأفسّر لك قدر استطاعتي. تأمّل كلّ حين في ما كتبت لك، واجتهد أن تقرأ الكتب التي تُقرأ في كنيسة الله. هذه الكتيّبات المتقطّعة التي كتبتها لك، يكمّل واحدها الآخر، ويُبنى الواحد على الآخر، فلا تفصلها عن بعضها. كتبت لك من الألف إلى الياء، حرفًا بعد رفيقه. إقرأ وتعلّم أنت وإخوتك المتنسّكون الذين ظلّ الاستهزاء بعيدًا عنهم، كما كتبت لك أعلاه. وتذكّر ما رسمتُه لك. ما وصلت بعدُ إلى نهاية هذه الكلمات. حاشا. ولكن اسمع منّي هذه الكلمات من دون خصام، ولاحق إخوتنا المتنسّكين. كلّ ما تسمعه، وهو يبني فخُذْه، وكلّ ما يبني تعاليم أخرى (ضالّة) فردّه ودمّره كلّيًا، لأنّه لا يقدر أن يبني شيئًا. أنا، يا عزيزي، كنحّات قرّبت الحجارة للبناء، وبنّاؤون حكيمون ينحتونها ويضعونها في البناء، وكلّ العمّال الذين تعبوا في البناء، ينالون اجرهم من ربّ البيت.

تمّت المقالة في الرعاة

في الخِتانة

بركة إبراهيم أب الشعوب

١ حين بارك الله إبراهيم وجعله على رأس كلّ المؤمنين والصدّيقين والأبرار، لم يعطه أن يكون أبًا لشعب واحد بل لشعوب كثيرة حينما قال له: «لا يُدعى اسمك أبرام لأنّي أعطيتك أن تكون أبًا لشعوب كثيرة» (تك ١٧: ٥).

جدال مع اليهود

فاسمع، يا صديقي العزيز، عن العلامة التي نشير إليها وعن أساس الخلاف الذي يجب أن نعرضه أمام هذا الشعب الذي سبقنا، واعتبر نفسه أنه زرع إبراهيم. لا يفهمون أنّهم دُعوا: «حكّام سدوم وشعب عمورة» (أش ١: ١٠)، «وأنّ أباهم أموريّ وأمّهم حثّيّة» (حز ١٦: ٤٥)، وأنّهم «فضّة مرذولة» (إر ٦: ٣٠) «وأبناء متمرّدون» (أش ٣٠: ١). فموسى قائدهم شهد عليهم، فقال لهم: «تمرّدتم من يوم عرفتكم» (تث ٩: ٢٤). وردّد في نشيد الشهادة: «جفنتكم من جفنة سدوم ومن نصبة عامورة. عنبكم عنب مرّ وعناقيدكم مرارة» (تث ٣٢: ٣٢). ورمز في تسبحة الشهادة إلى الشعب الآتي من الشعوب، فقال لهم: «أغيركم بشعب ليس بشعب وأغضبكم بشعب جاهل» (تث ٣٢: ٢١). وفي أشعيا يشهد

القدّوس فيقول: «نصبت كرمة وفلحتها وبدل العنب أنبتت الخروب» (٥: ٢). وقال إرميا أيضًا عن مجمع الشعب: «نصبتك فرعًا لزرع الحقّ كلّه، فعدت إلى أصلك وتمرّدت عليّ كجفنة غريبة» (٢: ٢١). وشهد حزقيال على الجفنة: «أكلت النار أغصانها، وسطها خرب فلا تفيد في عمل شيء» (١٥: ٤).

فالفرع الذي نصب كزرع حقّ هو آباؤهم الأوّلون، ولكنّ الأبناء عادوا إلى أعمال الأموريّين النجسة. هم قبل كلّ الشعوب يدعون أبناء ووارثين لإبراهيم أبيهم إن مارسوا العدل. ولكن حين يعمل أبناء إبراهيم الأعمال النجسة الخاصّة بالأمم الغريبة، يصبحون من أهل سدوم وشعب عامورة، كما شهد عليهم أشعيا فقال: «إسمعوا كلمة الربّ يا حكّام سدوم ويا شعب عامورة» (١ : ١٠). ولكن بيِّن لي أيّها الحكيم، أيّ حكّام وشعب كانوا في سدوم وعامورة في أيّام أشعيا النبيّ. فمن أيّام لوط انقلبت المدينتان بالغضب الإلهيّ، وحتّى الآن لم تعودا مأهولتين. وبيّن حزقيال إثم سدوم وسمّاها أخت أورشليم، فقال: «سدوم أختك هي، وبناتها لم يعملن أعمالاً شرّيرة، كما فعلت أنت وبناتك. وهذا هو إثم سدوم وبناتها: لم تُمسك بيد البائس والمسكين. فحين رأيت فيها هذه الأعمال قلبتها» (١٦: ٤٨_ ٥٠). بما أنّ سدوم ورفيقاتها كانت مقلوبة منذ القديم لماذا قال أشعيا: إسمعوا يا حكّام سدوم ويا شعب عامورة؟ لكي يوبّخ الذين دعاهم لأنّهم مارسوا وعملوا أعمال سدوم. كانوا مختونين وغير مختونين، مختارين ومرذولين. كانوا يفتخرون قائلين: نحن مختونون ومختارون ومعروفون أكثر من كلّ الشعوب.

ما الختان بدون الإيمان؟

٢ من الواضح لكلّ عاقل، أنّ الختان بدون الإيمان لا نفع فيه، لأنّ الإيمان سابق للختان والختان يسبق العماد. أعطي العهد لإبراهيم كما

قال له الله : «هذا هو عهدي، تحفظونه فتختنون كلّ ذكر» (تك ١٧ : ١٠). فما دام الختان يرضي واهبه فإن حُفظ مع وصايا الشريعة كان مفيدًا ومُحييًا. وحيث لا تُحفظ الشريعة يصير الختان بلا فائدة.

خُتن يربعام بن ناباط وهو من أبناء يوسف ومن سبط إفرائيم كما أمر القدّوس إبراهيم، وكما نبّه موسى في الشريعة. وكلّ الملوك الذين ساروا حسب ناموس يربعام، ختنوا وتميّزوا عن غيرهم، ولكنّنا لم نحتفظ منهم بذكر طيّب بسبب خطاياهم. ماذا استفاد يربعام من ختانه، هو وكلّ ملوك إسرائيل الذين ساروا على خطاه؟ أيّ نفع وفائدة لمنسّى بن حزقيا الذي تكاثرت خطاياه فلم يقدر الله بعد هذا أن يغفر لأورشليم؟

الإيمان قبل العهد

٣ وهب الله عهوده لكلّ جيل وأمّة، وهبها لكلّ جيل كما حَسُنَ له. حُفظت هذه العهود في وقتها ثمّ تبدّلت. أمر آدم أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ، وإذ لم يحفظ الوصيّة والعهد حُكم عليه. وأخنوخ أرضى الله فنُقل حيًّا، لا لأنّه حفظ وصيّة الشجرة بل لأنّه آمن. فإرضاء الله لا يُشبه الوصية التي تمنع الأكل من الشجرة. ونوح حفظ الكمال والبرّ فأنقذه الربّ من غضب الطوفان. أقام معه عهدًا له ولأجياله من بعده، لكي ينموا ويكثروا؛ هو عهد القوس في الغمام بين الله والأرض وكلّ بشر.

لم يُعطَ الختان مع أيّ من هذه العهود. وحين اختار الله إبراهيم لم يدعُه من أجل الختان. إختاره وسمّاه ليكون أبًا لكلّ الأمم، بل دعاه من أجل الإيمان، ومن بعد أن آمن أمره بالختان. فلو كانت الحياة بالختانة، لخُتن إبراهيم أوّلًا ثمّ آمن. ولو أعطي الختان كفائدة للحياة

الأبديّة، لكان الكتاب أعلمنا أنّ إبراهيم ختن فحسبت ختانته برًّا. ولكن هذا ما كتب: «آمن إبراهيم بالله فحسب له إيمانه برًّا» (تك ١٥ : ٦).

فالذين يؤمنون يَحْيَون، وإن لم يختتنوا، والذين ختنوا ولم يؤمنوا لا ينفعهم ختانهم في شيء. فهابيل وأخنوخ ونوح ويافث وسام لم يرضوا الله بالختانة، بل لأنّ كلّ واحد منهم حفظ العهد في زمانه، آمنوا أنّ ذلك الذي يهب العهود لكلّ جيل كما يريد هو واحد. كان ملكيصادق كاهن الله العليّ. يوم لم يكن مختونًا بارك إبراهيم؛ ومن الواضح أنّ الأصغر يقبل البركة ممَّن هو أفضل منه (عب ٧ : ٧).

عهد إبراهيم

٤ فاسمع إذًا، يا حبيبي، فأبيّن لك بأيّ شكل أعطي الختان. حين آمن إبراهيم وخرج من أور الكلدانيّين، وأتى وسكن في حاران، لم يأمره الله بالختان. وحين أقام في أرض كنعان أربعًا وعشرين سنةً، لم يختن. لم يكن وُلد له ولد، ابن الموعد الذي منه يولد الصدّيقون والملوك والكهنة والمسحاء. ولكن حين كان ابن تسع وتسعين سنة، أعلمه القدّوس أنّه في تمام المئة سنة، سيُولد له ابن فختنه. حين كان ابن مئة سنة وُلد له إسحق. فأمره الله أن يختتن لحم غرلته كعلامةٍ وآيةٍ للعهد. وهكذا، حين يكثُر نسله يكون مفصولاً عن كلّ الأمم الذين يسير بينهم، ولا يمتزج بأعمالهم النجسة. وختن إبراهيم لحم غرلته وهو ابن تسع وتسعين سنة، وختن إسماعيل ابنه وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكلّ المولودين في بيته والمشترين بفضّة ختنهم إبراهيم في ذلك اليوم، كما تكلّم معه الله. وبعد أن ختن إبراهيم، حبل بإسحق وولد وختن في اليوم الثامن. وحفظ الختان في نسل إبراهيم بواسطة إسحق وإسماعيل، وبواسطة يعقوب وأبنائه، وبواسطة عيسو وابنه مدّة مئة

وتسعين سنة، إلى أن دخل يعقوب إلى مصر. وفي مصر حفظ الختان بنو يعقوب، مدّة مائتين وخمس وعشرين سنة، إلى أن خرجوا إلى البرّيّة. وحين رأى لوط أنّ عمّه إبراهيم ختن، ختن هو أيضًا ابنه، بعد أن انفصل عن إبراهيم. وأخذ بعادة الختان من دون الإيمان.

ختان الجسد

٥ فلو كانت الحياة بالختان، فأبناء إسماعيل وأبناء قطورة وأبناء لوط وأبناء عيسو هم أيضًا أحياء لأنّهم ختنوا. ومع أنّهم ختنوا فما زالوا يعبدون الأصنام الكثيرة. ولكنّ النبيّ إرميا بيّن جليًّا أنّ كلّ المختونين الذين لا يؤمنون، هم غير مختونين وأنّهم لا ينجون من الغضب بختانهم، قال: «ها أنا أفتقد كلّ مَن ختن غلفته، المصريّين واليهود، أهل موآب وأدوم وكلّ بني عمون، وكلّ المقصوصي الشعر الذين يقيمون في البرّيّة. فكلّ هؤلاء الشعوب غير مختونين. أمّا كلّ بيت إسرائيل فغير مختونين في قلوبهم» (٩: ٢٥-٢٦). فلو استفاد اليهود من الختان فلماذا يحسبون مع المصريّين والأدوميّين والموآبيّين والعمونيّين، وكلّ مقصوصيّ الشعر الذين هم أبناء هاجر وأبناء قطورة. ولكن من الواضح أنّ ختانهم كان غرلة، لأنّ الغضب الإلهيّ عاقب اليهود كما عاقب غير المختونين. حين رأى القدّوس أنّهم يقولون: نحن أحياء لأنّنا أبناء إبراهيم، ولأنّنا مختونون، فما حنوا رقابهم القاسية في خدمة الشريعة، قال لهم بالنبيّ: «إختنوا غلفة قلوبكم ولا تقسّوا رقابكم». من الواضح أنّ مَن لم تختن قلفة قلبه، لا ينفعه ختان الجسد في شيء، ولا يفيد أن تكون قلفته مختونة.

الختان علامة شعب الله

٦ ولكي تتأكّد، يا عزيزي، أنّ الختان كان رسمًا يدلّ على الانفصال عن

الأمم النجسة، عليك التأمّل في ما يلي: حين أخرجهم من مصر، وساروا في البرّيّة أربعين سنة، لم يختتنوا لأنّهم كانوا شعبًا واحدًا، ولم يختلطوا بالأمم الأخرى. ولم يَسِمهم هناك لأنّهم كانوا يرعون وحدهم. وإن وَسَمَ نسل إبراهيم، فهو لم يفصل نسل إبراهيم كقطيعه الخاصّ، لأنّ كلّ الشعوب لم تكن له، بل ترك كلّ الشعوب يسيرون بسبب أعمالهم لأنّهم كانوا يعملون أعمال الوثنيّين الشرّيرة. وإن وسَمهم كشعبه، فلم يكن ذلك ليعرِّفَ نفسه أنّهم نسل إبراهيم، لأنّه كان يعرفهم قبل أن يسمهم، ولكن ليعرفوا بعضهم بعضًا، ولا يتستّروا لأسباب كاذبة. فالأمر كان يمكن أن يحصل لو لم يوسموا، أن يوجد بينهم مَن يعبدون الأصنام أو يزنون أو يفجرون أو يسرقون أو يعملون ما هو خارج الناموس. فهؤلاء الذين وُجدوا، وهم يعملون هذه الأعمال، كذبوا وأنكروا أنّهم أبناء إبراهيم، لئلا يُقتلوا وينالوا العقاب، لأنّ حكم الموت مكتوب في الشريعة ضدّ الذين يقومون بهذه الأعمال. ولكن مَن وُجد وهو يتجاوز الناموس، ويعمل إحدى هذه القبائح، لا يُمكنه أن يتستّر لعلّة كاذبة ويقول إنّه ليس من نسل إبراهيم وأبنائه. فإن حصل له أن ينكر ذلك يعرف من ختانته، فيُفرض عليه العقاب بسبب جهالته.

فإن لم يعطَ الختان من أجل هذا الهدف، لكان من الضروريّ أن يختتنوا في البرّيّة. ولأنّهم كانوا مفصولين عن الشعوب، وكانوا يرعون وحدهم في البرّيّة، لم يوسموا بالختان. وحين عبروا الأردن، أمر الربّ يشوع بن نون وقال له: «عد واختن بني إسرائيل مرّةً ثانيةً» (يش ٥: ٢). ولماذا قال ليشوع أن يختتنهم مرّةً ثانيةً؟ لأنّهم كانوا مختونين في قلوبهم، كما قيل بالنبيّ: «إختتنوا غلفة قلوبكم ولا تُقسّوا بعد رقابكم» (تث ١٠: ١٦). فعاد يشوع وختنهم ووسمهم في لحمهم

مرّةً ثانيةً. وإلّا فكيف نفسّر: ختن يشوع الشعب مرّةً ثانيةً؟ لأنّهم لم يكونوا مختونين في لحمهم. فبعد أن ختنهم يشوع شهد الكتاب: «ختن يشوع كلّ الذين وُلدوا في البرّيّة، لأنّ كلّ ولدٍ وُلد في البرّيّة لم يختن» (يش ٥: ٥ـ ٦).

وتأمّل، يا عزيزي، وتعجّب. فالمختونون الذين خرجوا من مصر، ماتوا في البرّيّة بسبب خطاياهم. أغضبوا روح القدّوس ولم يؤمنوا به. من الواضح أنّهم لو آمنوا، لما مُنعوا من دخول أرض الموعد: فيشوع بن نون وكالب بن يفنة، بقيا أحياء من الستمائة ألف الذين خرجوا من مصر، ودخلا الأرض وورثاها. والذين وُلدوا في البرّيّة وآمنوا، وإن لم يختتنوا، بقوا أحياء ودخلوا وورثوا الأرض. ختنهم يشوع قبل أن يدخلوا أرض الكنعانيّين، فحُسبت لهم هذه الختانة ختانتين.

٨ ولمّا غضب على كلّ الذين ختنوا، لماذا حسب المصريّين الذين ليسوا من نسل إبراهيم، كالموآبيّين والعمونيّين الذين هم أبناء لوط الذي هو ابن أخ إبراهيم، وكالأدوميّين الذين هم أبناء عيسو، وكأصحاب الشعور المقصوصة الذين يسكنون في البرّيّة، أبناء إسماعيل وأبناء قطورة؟ واليهود هم نسل إبراهيم. فكلّ هؤلاء هم نسل بيت إبراهيم. أمّا المصريّون فقبلوا الختان، لا بالإيمان بل بالعادة من بني إسرائيل، حين أقاموا بينهم. قبلوه من يوسف الذي ختن منسّى وإفرائيم حين ولدا. تعلّموه من يوسف وأخذوا يختنون أولادهم، لأنّ أوامر موسى معمول بها داخل أرض مصر.

موسى

ويا عزيزي، هناك أناس يقولون إنّ ابنة فرعون حين وجدت موسى،

عرفت من أثر العهد الذي في جسده، أنّه من بني إسرائيل. ولكنّ الأمر غير ذلك، كما يُستدلّ من معنى الكتاب الحرفيّ. فختانة موسى لم تكن تتميّز عن ختانة أبناء مصر. والذي لا يعرف أنّ المصريّين كانوا مختونين، فليأخذ البرهان من إرميا. حين وجدت ابنة فرعون موسى، ورأت أنّه يعوم على النهر، عرفت أنّه من بني إسرائيل. لأنّ المصريّين لم يؤمروا أن يرموا أولادهم في النهر، كما أمر فرعون بني إسرائيل وقال: «كلّ ابن ذكرٍ يُولد يُرمى في النهر» (خر ١: ٢٢). عرفت حدوث ذلك خوفًا من الأمر الملكيّ، ورأت أنّهم وضعوه في سلّة من الخشب فعرفت أنّ الناس صنعوا له سلّة ورموه في البحر، لأنّهم لم يقدروا أن يخفوه. فلو تميّز بنو إسرائيل بختانهم، حين لم يكن المصريّون مختونين، لما استطاع موسى أن يتربّى في بيت فرعون. إذ كان بالإمكان، في صباه، أن يعرف دومًا أثر العهد في لحمه. وإن تجاوزت ابنة فرعون ناموس أبيها وأمره، فلن يُطاع في كلّ مصر أمر فرعون وناموسه.

أبناء قطورة وغيرهم

٩ وأبيّن لك ذلك مع أبناء قطورة الذين يعيشون على حدود بني إسماعيل. فحين اجتمع المديانيّون، الذين هم أبناء قطورة، وأبناء المشرق الذين هم أبناء إسماعيل، وجاؤوا ليقاتلوا إسرائيل في أيّام جدعون بن يوآش، حين جاؤوا تشاركوا وأرادوا أن يخضعوا بني إسرائيل فأسلموا إلى أيدي جدعون ورجاله الثلاث مئة. أعطيتك هذا المثل عن أبناء قطورة، لأنّ مسكنهم وبني إسماعيل كان في البرّيّة. فمنذ أن أرسل إبراهيم هاجر وإسماعيل إلى البرّيّة، فهناك كان مسكن إسماعيل وأبنائه كما كتب: «أقام في البرّيّة وتعلّم شدَّ القوس، لتكون يده على الجميع، وتكون يد الجميع عليه. وأقام عند حدود كلّ إخوته» (تك ٢١: ٢٠). وعلى أحد جوانبه، في الشرق، أقام بنو

عيسو، أي الأدوميّون. ولمّا خرج بنو إسرائيل من مصر، التفوا حول أرض بني أدوم أي جبل عيسو. وكانت حدود العمّونيّين والموآبيّين تجاههم في الشمال. وأقام بنو قطورة على الحدود إلى الشرق مع الأدوميّين، أبناء عيسو. وحين أرسل إبراهيم أبناء قطورة، فإلى الشرق أرسلهم. أمّا بنو هاجر فاستولوا على كلّ أرض الجنوب. وأقام الأدوميّون، بنو عيسو، شرقيّ الجميع حتّى البصرة. لهذا أمر الربّ موسى: «لا تقتربوا من أرض بني عيسو، لأنّي لا أهبكم من أرضهم حتّى موطىء قدم، لأنّي منحت عيسو جبل سعير. ولكن اشتروا منهم الخبز بفضّة وكلوا، واشتروا منهم الماء بفضّة واشربوا» (تث ٢: ٥ـ ٦). فصنع موسى كما أمره الربّ ولم يضيّق على بني عيسو. ولكنّه حين وصل إلى راقم البهيّة[1] أرسل رسلاً وحمّلهم كلام سلام إلى ملك أدوم، وقال له: «هذا ما يقوله أخوك يعقوب. أنت تعرف كلّ التعب الذي أصابنا في الطريق، وأنّ المصريّين استعبدونا. والآن نحن في راقم، المدينة التي في أقصى حدودك. نودّ الآن أن نعبر في أرضك ونسير في الطريق الملكيّ. بيعونا خبزًا لنأكل، وماء لنشرب، نحن ومواشينا، ونعطيكم فضّة بالمقابل، فقال لإسرائيل: لن تعبروا في تخومي وإلّا أخرج إلى لقائكم بالسيف» (عد ٢٠: ١٤ـ ١٨). فابتعد بنو إسرائيل عنهم حين رأوا أنّهم لم يقتنعوا. ولكن حين عبر بنو إسرائيل عند حدودهم، أخذوا مدينة البصرة التي في البرّيّة وورثوها وجعلوها مدينة ملجأ (يش ٢١: ٢٧). فمَن أراد برهانًا أنّ البصرة كانت لبني عيسو الذين هم الأدوميّون، فليسمع قول النبيّ أشعيا حين رأى القدّوس آتيًا من أدوم، وثيابه حمر من بصرة. يدوسهم ويسحقهم فينتقم من بني عيسو الذين لم يقبلوا إخوتهم. ولهذا احتفظ إلى الأبد بغضبه (أش ٦٣: ١ـ ٤؛ عا ١: ١١). ومَن لم يقتنع بعد، أنّ البصرة خضعت للأدوميّين في قديم الزمان، فليسمع

أيضًا سفر التكوين عن الملوك الذين حكموا في أدوم: «ملك يوباب بن زارح من بصرة» (تك ٣٦: ٣٣). وقال أشعيا: «ها إنّ السيف ينزل على الأدوميّين، على الشعب الذي استحقّ الدينونة» (٣٤: ٥). وقال داود: «على أدوم أرمي نعلي» (مز ١٠٨: ١٠)، لأنّ عيسو أفسد مراحمه إلى الأبد، فإلى الأبد حفظ غضبه ولم يترك أخاه يعبر داخل حدوده. لأجل هذا استحق الدينونة لأنّه حفظ حقده إلى الأبد. وحين مال إسرائيل عن عيسو أخيه، أرسل رسلًا إلى الموآبيّين، بني لوط، ليعبر في تخومهم. فلم يسمعوا له ولم يقتنعوا، بل استأجروا بلعام بن فغور ليلعنهم. ولم يترك الموآبيّون والعمونيّون بني إسرائيل يعبرون بأمان في تخومهم، لهذا لن يدخلوا في جماعة الربّ حتّى الجيل العاشر، لأنّهم لم يقدّموا الخبز والماء لإسرائيل في الطريق، بل ذهبوا إلى لقائهم ليحاربوهم، حين كانوا تعبين ومنهوكين. ولكنّ الربّ لا يأمر إسرائيل أن ينبذوا المصريّين والأدوميّين. فقد سكنوا أرض المصريّين، والأدوميّون إخوتهم.

١٠ هذا كلّه فسّرته لك وعرضته عليك، لتعرف أنّ إسماعيل أقام على حدود كلّ إخوته، وكان حمارًا وحشيًّا للبشر. أمّا أبناء قطورة فأعطاهم إبراهيم عطايا، وأرسلهم إلى إسماعيل أخيهم، لئلا يرثوا مع إسحق، ابن الموعد. فلو كانت الحياة بالختانة، لافتخر بها أيضًا بنو إسماعيل وبنو قطورة وبنو لوط (الموآبيّون والعمّونيّون) وبنو عيسو (الأدوميّون) والمصريّون. فهؤلاء كانوا مختونين مع أنّهم كانوا يسجدون للأصنام العديدة. إذًا من الواضح أنّ لا فائدة من الختان بدون الإيمان. ولكن كلّ مَن يختتن غرلة قلبه، يصبح مؤمنًا ويحيا، ويكون ابن إبراهيم. وهكذا أتمَّ الله الكلمة التي قالها لإبراهيم. «أعطيتك أن تكون أبًا لشعوب كثيرة» (تك ١٧: ٥).

عهود عابرة وعهد أبديّ

١١ تبدّلت الشريعة والعهد في كلّ شيء. أوّلاً بدَّل الله عهد آدم ووهب عهدًا آخر لنوح. وأعطى أيضًا عهدًا لإبراهيم. وبدَّل عهد إبراهيم ووهب عهدًا آخر لموسى. وإذ لم يُحفَظ عهدُ موسى، أعطى عهدًا آخر في جيل آخر، عهدًا لا يتبدّل.

أعطى آدم عهدًا أن لا يأكل من الشجرة، ونوحا القوس في السحاب. واختار إبراهيم أوّلاً من أجل إيمانه، وبعدها أعطاه الختان كختم ووسم لأبنائه. وعهد موسى كان حملاً يقدَّم في الفصح لأجل الشعب. ولا عهد من هذه العهود يشبه العهد الآخر.

فالختان الذي يريده واهب العهود هو الذي تكلّم عنه إرميا: «إختتنوا غرلة قلوبكم» (٤: ٤). فإن كان ذلك العهد الذي وهبه الله لإبراهيم حقيقيًّا، فهذا العهد هو أيضًا حقيقيّ وثابت، ولا يقدر أن يضع ناموسًا، يحلّه الذين هم خارج الشريعة أو الذين هم تحت الشريعة. وهب الله لموسى الناموس مع فرائضه وعهوده. وإذ لم يحفظوا الناموس وعهوده، أبطله ووعد أن يعطيهم عهدًا جديدًا لا يكون كالقديم، لأنّ الذي أعطى العهدين واحد. وهذا هو العهد الذي وعد أن يعطيه: «كلّهم يعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم» (إر ٣١: ٣٤). لا نجد في هذا العهد، لا ختانة اللحم ولا وسم شعب.

العماد والختان، يسوع ويشوع

نحن نعرف حقًّا، يا عزيزي، أنّ الله وضع الشرائع في كلّ جيل، فخدمت الزمن الذي أراده، ثمّ تبدّلت كما قال الرسول: «في القديم أقام ملكوت الله في كلّ زمن بأشكال مختلفة» (عب ١: ١). فهذا واضح وجليّ لدى الحكماء والفهماء، أنّ كلّ إنسان من العهد، يمكنه

أن يُرذل بعد الختان بسبب الفسق والفجور. هو مختون، ولكنّه لم يفهم ما قال الرسول: «فيا ليت الذي يفسدونكم، يخصون خصيًا» (غل ٥: ١٢). الله حقّ هو، وعهوده ثابتة جدًّا. وكلّ عهد حقّ في وقته وثابت. والمختونون في قلوبهم، هم أحياء، ويختتنون مرّة ثانيةً على الأردنّ الحقيقيّ، من أجل معموديّة غفران الخطايا.

١٢ ختن يشوع بن نون الشعب مرّةً ثانيةً بسكاكين من صوّان، حين عبر الأردنّ هو وشعبه. ويسوع مخلّصنا ختن مرّةً ثانية بختان القلب، الشعوب الذين آمنوا به وغطّسهم في المعموديّة. ختنهم بالسكّين أي كلمته التي هي أحدّ من سيفٍ ذي حدّين (عب ٤: ٢). أعبر يشوع بن نون الشعب إلى أرض الموعد، ويسوع مخلّصنا وعد بأرض الحياة كلّ الذين يعبرون الأردنّ الحقيقيّ ويؤمنون، ويختتنون غرلة قلبهم. أقام يشوع بن نون حجارة للشهادة في إسرائيل، ويسوع مخلّصنا سمّى سمعان الحجر الحقيقيّ، وأقامه شاهدًا مؤمنًا بين الشعوب. صنع يشوع بن نون الفصح في سهل أريحا، في أرض ملعونة، وأكل الشعب من خبز الأرض. ويسوع مخلّصنا صنع الفصح مع تلاميذه في أورشليم، المدينة التي لعنها، وقال إنّه لن يُترك فيها حجر على حجر (مت ٢٤: ٢). ووهب هناك السرّ بواسطة خبز الحياة.

حكم يشوع بن نون على عاكان الطمّاع الذي سرق، وأخفى ما سرق. ويسوع مخلّصنا حكم على يهوذا الطمّاع الذي سرق الفضّة من الصندوق الذي بيده وأخفاها. أباد يشوع بن نون الأمم النجسة، ويسوع مخلّصنا طرد الشيطان وجيشه. أوقف يشوع بن نون الشمس في السماء، ويسوع مخلّصنا جعل الشمس تغيب في الظهيرة حين صلبوه. دعي يشوع بن نون مخلّص شعبٍ، وسمّي يسوع مخلّص الشعوب.

فطوباكم أيّها الآتون من الغرلة، والمختونون ختانة القلب، ويا أيّها المولودون مرّةً ثانيةً من مياه الختان. صرتم وارثين مع إبراهيم، رأس المؤمنين وأبي كلّ الشعوب الذي حُسب له إيمانه برًّا.

تمّت المقالة في الختانة

الحواشي

(١) كذا في الترجوم. في التوراة: قادش.

في الفصح

الفصح الأوّل

١ أمر القدّوس موسى أن يصنع الفصح في الرابع عشر من الشهر الأوّل[١]. قال لموسى: «مر جماعة بني إسرائيل أن يأخذوا لهم حملاً ابن سنة، حملاً لا عيب فيه. يأخذونه من الخراف والجداء، وكلّ بني إسرائيل يصنعون الفصح للربّ» (خر ١٢: ٣ـ ٦). وقال لموسى: «ليأخذوا حملاً من العاشر من الشهر، ويحفظوه عندهم حتّى الرابع عشر من الشهر. وليذبحوه عند مغرب الشمس ويرشّوا من دمه على باب بيوتهم، لئلا يدخل عليهم المفسد، حين يعبر داخل أرض مصر. كلّ الجماعة تأكل الحمل بسرعة. يأكلونه وهم هكذا: أحقاؤهم مربوطة، نعالهم في أرجلهم، وعصيّهم في أيديهم» (خر ١٢: ٧ـ ١١). نبّههم أن يأكلوه بسرعة، وأن لا يأكلوا منه شيئًا نيّئًا أو مطبوخًا في الماء، بل مشويًّا في النار، ولا يخرجون منه إلى خارج البيت، وعظمًا منه لا يكسرون. فصنع بنو إسرائيل هكذا. أكلوا الفصح في الرابع عشر من الشهر الأوّل الذي هو نيسان، في شهر الزهور، الشهر الأوّل من أشهر السنة.

٢ فتأمّل، يا عزيزي، هذه الأسرار التي أمر بها القدّوس للاحتفال

بالفصح. نبّههم عن كلّ شرائعه وقال لهم: «يؤكل في بيت واحد ولا يخرجون منه خارج البيت» (خر ١٢: ٤٦). وهذا ما أمرهم به موسى: «عندما تدخلون الأرض التي وهبكم إيّاها الربّ، تصنعون الفصح في وقته. لا يسمح لك أن تذبح الفصح في مدينة من مدنك، بل في الموضع الذي يختاره الربّ إلهك. فافرح بالعيد أنت وأهل بيتك» (تث ١٦: ٥ـ ٦، ١٦). وهذا ما أمرهم به أيضًا: «الغريب والأجير لا يأكلان من الفصح بل العبد المشترى بفضّة، الذي يكون لك. فحين تختن لحم غرلته، يمكنه أن يأكل من الفصح» (خر ١٢: ٤٤ـ ٤٥).

إتّهام اليهود

٣ عظيمة هذه الأسرار وعجيبة، يا عزيزي. حين كان إسرائيل في أرضه، لم يسمح له أن يصنع الفصح إلّا في أورشليم فقط. وفي أيّامنا، بعد أن تبدّد وسط كلّ الشعوب والألسنة، وبين النجسين وغير المختونين، فهم يأكلون خبزهم بالنجاسة وسط الأمم، كما يقول عنهم حزقيال. فحين بيَّن الله له علامة أن يأكل خبزه بالنجاسة، طلب منه، فقال: «يا ربّ الأرباب، لم تتدنّس نفسي، ولا دخل فمي لحم نجس» (حز ٤: ٤). فقال الربّ لحزقيال: «هذه علامة. هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم بالنجاسة وسط الأمم حيث أبدّدهم» (٤: ١٣). فإن كان كما قلت لك أعلاه، أنّه حين كان إسرائيل في أرضه لم يسمح له أن يذبح الفصح في أيّ مكان، بل أمام المذبح الواحد في أورشليم، فاليوم أين يستطيع أن يصنع سرّ الفصح، بعد أن تبدّد وسط الشعوب الغريبة؟ حقًّا. لا يسمح لهم. وهذا ما يشهد به النبيّ: «سيبقى بنو إسرائيل أيّامًا عديدة، ولا ذبائح لهم ولا مذبح، ولا مَن يلبس أفودًا ويضع بخورًا» (هو ٣: ٤). وقال أيضًا لأورشليم: «أبطل

أفراحك وأعيادك ورؤوس شهرك وسبوتك» (هو ٢: ١١). وقال في تابوت العهد: «لن تتكلّموا بعد عن تابوت عهد الربّ، ولن تتذكّروه، ولن تصنعوا واحدًا آخر» (إر ٣: ١٦). إذًا قال: لن تتذكّروه، ولن يصنع من جديد، ولن تفكّروا فيه بقلوبكم، فكيف يتجرّأون على صنعه؟

فموسى قال مسبقًا عنهم: «أغيركم بشعب ليس بشعب، وأغضبكم بشعب جاهل» (تث ٣٢: ٢١). والآن أسألك، أيّها المجادل الحكيم في الشعب الذي لا يتأمّل كلمات الشريعة: بيِّن لي متى كملت هذه الكلمة أنّ الله يغير شعبه بشعب ليس بشعب، ومتى يغضبه بشعب جاهل. إذا كنت تحسُد الشعب الآتي من الشعوب، تكمل الكلمة المكتوبة والتي سبق لموسى أن دلّك عليها في الكتاب. وإذا صنعت الفصح في أيّ مكان حيث يُقيم الغريب، فأنت تعمل ما تعمل متجاوزًا الوصيّة، لأنّه كتب لكم كتاب طلاق.

٤ وإن لم تقتنع بعد، فاسمع إرميا النبيّ يقول: «تركت بيتي، تركت ميراثي، تركت حبيبتي لأيدي أعدائها. طير ملوّن صار ميراثي» (١٢: ٧ـ ٩). ما هو هذا الطير الملوّن، أسألك؟ الطير الملوّن هو كنيسة الأمم. تأمّل لماذا يسمّيها ملوّنة. لأنّها تجمع ألسنة مختلفة، وتقرّب شعوبًا بعيدة. وإن لم تقتنع أنّ الشعوب يكونون ميراث الله، إسمع أيضًا كيف يتكلّم إرميا، حين يدعو الشعوب ويرذل إسرائيل، فيقول: «قوموا على الطرقات وانظروا واسألوا سبل العالم. أنظروا أيّها الطريق الجميلة واذهبوا فيها. فقلتم لا نذهب» (إر ٦: ١٦). وقال أيضًا: «أقمت عليكم رقباء لتسمعوا صوت البوق. فقالوا: لا نسمع» (إر ٦: ١٧). وإذ لم يسمعه بنو إسرائيل، التفت إلى كنيسة الشعوب، وقال: «إسمعوا أيّها الشعوب، واعرفي أيّتها الكنيسة التي في وسطهم

(إر ٦ : ١٨). وقال داود: «أذكر كنيستك التي اقتنيت منذ القديم» (مز ٧٤ : ٢). وقال أشعيا: «إسمعوا أيّها الشعوب ما صنعت، واعرفوا أيّها البعيدون جبروتي» (٣٣: ١٣). وقال أشعيا أيضًا على كنيسة الشعوب المزمعة أن تأتي: «يكون في الأيّام الأخيرة، أنّ جبل بيت الربّ يثبت في رأس الجبال وفوق المرتفعات، وينتظره كلّ الشعوب» (أش ٢ : ٢). لماذا قال أشعيا: «إسمعوا أيّها الشعوب ما صنعت، واعرفوا يا بعيدون جبروتي. إرتعب الخطأة في صهيون وسقطت الرهبة على الوثنيّين»؟ (٣٣: ١٣ـ ١٤). ما هذا؟ كيف يُسمع البعيدين ما صنعه ويعرفوا جبروته، ويرهب الخاطئين في صهيون ويُنزل الرهبة بالوثنيّين؟ دعا الشعوب وجعل الشعب يغار منهم. عرَّف البعيدين جبروته حين جلب الغضب الذي يدين شعبه. أرهب الخاطئين في صهيون التي سمّاها مدينة القدّوس (أش ٥٢ : ١). وأسقط الرعدة بالوثنيّين الذين هم الأنبياء الكذبة كما قال على أنبياء أورشليم: «منهم خرجت الوثنيّة في كلّ الأرض» (إر ٢٣ : ١٥).

الفصح الحقيقيّ

٥ سمعت يا عزيزي، عن الفصح الذي كلّمتك عنه، أنّ سرّه أعطي للشعب السابق، وأنّ حقيقته تُسمع اليوم في الشعوب. كثيرون يبلبلون أفكار البشر البسطاء والجهّال عن هذا اليوم العظيم، عن هذا العيد، وعن طريقة فهمه والمحافظة عليه. فالحمل الحقيقيّ هو مخلّصنا. هو ابن سنة ولا عيب فيه، كما قال فيه النبيّ: «ليس فيه إثم ولم يوجد في فمه غشّ. ولكنّ الربّ أراد أن يذلّه ويؤلمه» (أش ٥٣ : ٩ـ ١٠). وسمّاه ابن سنة، لأنّه كان صغيرًا، وخارجًا عن الخطايا، كما قال لتلاميذه: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، لن تدخلوا ملكوت السماء» (مت ١٨ : ٣). وقال أشعيا عن البارّ: «الطفل الذي

يخطأ يموت كابن مئة سنة (وإن مات دون مئة سنة) فإنه ملعون» (٦٥ : ٢٠).

٦ أكل مخلّصنا الفصح مع تلاميذه في ليلة الرابع عشر المحفوظة. وضع لتلاميذه علامة الفصح الحقيقيّ. وبعد أن خرج يهوذا، من عندهم، أخذ خبزًا وبارك وأعطى تلاميذه وقال لهم: «هذا هو جسدي. خذوا كلوا منه كلّكم». ثمّ بارك الخمر وقال لهم: «هذا هو دمي العهد الجديد الذي يُراق من أجل كثيرين لغفران الخطايا. هكذا تصنعون لذكري عندما تجتمعون».

قال ربّنا هذه الكلمات قبل أن يقبض عليه. ثمّ قام ربّنا من المكان الذي صنع فيه الفصح، فأعطى جسده ليؤكل ودمه ليشرب، وذهب مع تلاميذه إلى المكان الذي سيُمسك فيه. فمَن أكل جسده وشرب دمه حسب من الأموات. فربّنا وهب بيديه جسده ليؤكل، وقبل أن يصلب وهب دمه ليشرب. وأوقف في ليلة الرابع عشر، ودين حتّى الساعة السادسة[٢]. ولمّا كانت الساعة السادسة، حكموا عليه ورفعوه وصلبوه. حين دانوه لم يتكلّم ولم يعط جوابًا لديّانيه. كان يقدر أن يتكلّم ويعطي جوابًا، ولكن لا يقدر أن يتكلّم مَن حُسب من الأموات. وكانت ظلمة من الساعة السادسة حتّى الساعة التاسعة[٣]. وأسلم روحه لأبيه في الساعة التاسعة. وكان بين الموتى في الليل الذي يضيء الخامس عشر[٤]، وليل السبت ونهار السبت كلّه ثلاث ساعات من يوم الجمعة. وفي الليلة التي تنير الأحد، في الساعة التي وهب فيها جسده ودمه لتلاميذه، قام من بين الأموات.

ثلاثة أيّام وثلاث ليال

٧ بيِّن لنا، أيّها الحكيم ما هي هذه الأيّام الثلاثة والليالي الثلاث التي كان

فيها مخلّصنا بين الموتى. فنحن أمام ثلاث ساعات الجمعة والليل الذي يُضيء السبت ويوم السبت كلّه. وفي ليلة الأحد قام. حدّد لي هذه الثلاثة أيّام والثلاث ليال، أين هي؟ أمامنا نهار وليل كاملان ولكن بالحقيقة فقد قال مخلّصنا: «كما كان يونان بن متاي في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض» (مت ١٢: ٤٠). فمن الوقت الذي وهب جسده ليؤكل ودمه ليشرب، هذه هي الثلاثة أيّام والثلاث ليال. فقد كان ليل حين خرج يهوذا من عندهم، وأكل التلاميذ الأحد عشر جسد مخلّصنا وشربوا دمه. إذًا هناك الليلة التي تضيء الجمعة. وحتّى الساعة السادسة التي فيها أدانوه، ها هو نهار واحد وليل واحد. وثلاث ساعات كان فيها ظلام، من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وثلاث ساعات بعد الظلمة. ها نحن أمام نهارين وليلين. والليل الكامل الذي يضيء السبت ونهار السبت كلّه. فتمّت لمخلّصنا الإقامة بين الأموات ثلاثة أيّام وثلاث ليال. وفي ليلة الأحد قام من بين الأموات.

الفصح القديم والفصح الجديد، موسى ويسوع

٨ فصح اليهود هو اليوم الرابع عشر بليله ونهاره. وفصحنا هو يوم الآلام العظيم، يوم الجمعة الخامس عشر بليله ونهاره. بعد الفصح أكل إسرائيل الفطير سبعة أيّام، حتّى اليوم الحادي والعشرين من الشهر. ونحن نحفظ الفطير كعيد مخلّصنا. هؤلاء أكلوا الفصح مع أعشاب مرّة، ومخلّصنا رذل كأس المرارة فانتزع كلّ مرارة الشعوب حين ذاقها، ولم يرد أن يشرب. يذكر اليهود خطاياهم زمنًا بعد زمن، ونحن نتذكّر صلب مخلّصنا وإهانته. بالفصح خرج هؤلاء من عبوديّة فرعون، ونحن في يوم الصلب نخلّص من عبوديّة الشيطان. هم ذبحوا حملًا من القطيع وبدمه نجوا من المفسد، ونحن خلّصنا بدم

ابن مختار من أعمال الفساد التي عملناها. كان لهم موسى قائدًا وكان يسوع لنا هاديًا ومخلّصًا. لهم شقّ موسى البحر وأجازهم، ومخلّصنا شقّ الجحيم وحطّم أبوابه ودخل ففتحها، ورسم الطريق أمام كلّ الذين يؤمنون به. لهم وهب موسى المنّ ليأكلوا. ولنا وهب ربّنا جسده لنأكله. لهم أخرج موسى الماء من الصخرة، ولنا أجرى مخلّصنا الماء الحيّ من صدره. وعدهم موسى بأرض الكنعانيّين ميراثًا، ووعدنا ربّنا بأرض الحياة ملكًا. لهم رفع موسى حيّة نحاسيّة بحيث أنّ مَن ينظر إليها يبقى حيًّا رغم جرح الحيّة، ولنا علّق يسوع نفسه بحيث أنّ مَن ينظر إليه، ينجو من جرح الحيّة التي هي الشيطان. لهم صنع موسى الخيمة الزمنيّة ليقدّموا فيها الذبائح والقرابين فيطهّروا من خطاياهم، ويسوع أقام مسكن داود الذي سقط (عا ٩: ١١؛ أع ١٥: ١٦) وقام كما كان قد قال لليهود: «حين تدمّرون هذا الهيكل الذي ترونه، فأنا أقيمه في ثلاثة أيّام» (يو ٢: ١٩). فهم تلاميذه أنّه تكلّم عن جسده الذي يقيمه بعد ثلاثة أيّام حين يدمّرونه. ففي هذه الخيمة وعدنا بالحياة، وبها تطهر خطايانا. سمّى خيمتهم خيمة زمنيّة لأنّها تخدم زمنًا قصيرًا، وسمّى خيمتنا هيكل الروح القدس الذي يدوم إلى الأبد.

تفسير الخروج ف ١٢

٩ وأقدّم لك براهين مقنعة، يا عزيزي، عن حمل الفصح هذا. لماذا أمر القدّوس أن يؤكل الفصح في بيت واحد لا في بيوت عدّة؟ البيت الواحد هو كنيسة الله. وقال أيضًا: «لا يأكل منه الأجير والغريب» (خر ١٢: ٤٥). مَن هم هؤلاء الأجراء والغرباء؟ هم المتعلّقون بتعاليم الشرّير الذين لا يحقّ لهم أن يأكلوا من الفصح. وقال عنهم مخلّصنا: «الأجير الذي ليست الخراف له، حين يرى الذئب آتيًا،

يترك الخراف ويهرب» (يو ١٠ : ١٢). وقال: «لا تأكلوا منه وهو نيّء ولا تطبخوه بالماء» (خر ١٢ : ٩). واضح وجليّ أنّه القربان الذي يرتفع في كنيسة الله، يُشوى على النار ولا يطبخ في الماء ولا يقرّب نيّئًا. وقد قال: «تأكلونه وأحقاؤكم مشدودة، ونعالكم في أرجلكم وعصيّكم في أيديكم» (خر ١٢ : ١١). هذه أسرار عظيمة جدًّا. مَن يأكل من المسيح، حمل الحقّ، يشدّ حقويه بالإيمان، ويجعل في رجليه تهيئة الإنجيل، ويمسك بيده سيف الروح الذي هو كلمة الله. وقال أيضًا: «وعظم منه لا يكسر» (خر ١٢ : ٤٦). هذا ما تمّ يوم الصلب، حين كسر الجنود سوق اللذين صلبا مع يسوع. أما يسوع فلم يكسروا ساقيه. فقال الإنجيليّ: «لكي تتمّ الكلمة المكتوبة: «لم يكسر له عظم» (يو ١٩ : ٣٦). وقال أيضًا: «العبد المشترى بفضّة الذي ختن لحم غرلته يأكل من الفصح» (خر ١٢ : ٤٤). فالعبد المشترى هو الإنسان الخاطىء الذي يتوب، فيشترى بدم المسيح. وحين يختن قلبه من أعمال الشرّ، يقترب من المعموديّة التي هي ملء الختان الحقّ، ويختلط مع شعب الله، ويشترك في جسد المسيح ودمه. وقال أيضًا: «كلوه بسرعة» (خر ١٢ : ١١). هذا ما يمارس في كنيسة الله؛ يأكلون الحمل بسرعة وخوف ورعدة، وهم واقفون على أرجلهم، لأنّهم معجّلون أن يأكلوا الحياة من موهبة الروح الذي قبلوه.

الفصح وسرّ العماد

١٠ غُطِّس إسرائيل وسط البحر في ليلة الفصح، وفي يوم الخلاص. وغسل مخلّصنا أرجل تلاميذه ليلة الفصح الذي هو صورة المعموديّة. واعرف يا عزيزي، أنّه في هذه الليلة، وهب مخلّصنا معموديّة الحقّ. فحين كان يروح ويجيء مع تلاميذه، كان هناك معموديّة الناموس التي

يعمِّد بها الكهنة، المعموديّة التي قال عنها يوحنّا: «توبوا عن خطاياكم» (مت ٣: ٢). ولكن في تلك الليلة، بيَّن لهم يسوع صورة المعموديّة التي هي آلام موته، كما قال الرسول: «دُفنتم معه بالمعموديّة للموت، وقمتم معه بقوّة الله». (روم ٦: ٣ـ ٤؛ كو ٢: ١٢).

فاعلم، يا حبيبي، أنّ معموديّة يوحنّا لا تحمل غفران الخطايا بل التوبة. فقد جاء في أعمال الرسل الاثني عشر «عندما سئل التلاميذ الذين دُعوا من الشعوب ومن إسرائيل» ألم تعتمدوا؟ أجابوا: «تعمّدنا بمعموديّة يوحنّا» (١٩: ٣ ي). حينئذ عُمّدوا بالمعموديّة الحقيقيّة التي هي صورة آلام مخلّصنا. وشهد مخلّصنا على هذا، حين قال لتلاميذه: «يوحنّا عمّد بالماء، وأنتم تعمّدون بالروح القدس» (أع ١: ٥). وأخذ مخلّصنا الماء وصبّه في لَكَنِ الغسيل، وأخذ منديلاً شدّ به حَقَويه، وشرع يغسل أرجُل تلاميذه؛ ولمّا وصل إلى سمعان الصفا، قال له: «أأنت يا ربّي تغسل رجلي»؟ قال له يسوع: «إن لم أغسلهما لك، فليس لك نصيب معي». قال له سمعان: «إذًا، يا ربّ، لا تغسل لي رجليّ فقط بل يديّ ورأسي أيضًا». قال له يسوع: «مَن استحمّ، لا يحتاج إلّا إلى غسل رجليه فقط». وحين غسل أرجل تلاميذه، أخذ ثيابه وجلس إلى المائدة وقال لهم: «أنتم تدعونني معلّمًا وربًّا، وإنّي لهو. فإن كنت أنا ربّكم ومعلّمكم غسلت أرجلكم، فكم يجب عليكم أنتم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. أظهرت لكم هذا المثال. فكما صنعت هكذا تصنعون» (يو ١٣: ٤ـ ١٥).

إتّهام اليهود أيضًا

١١ هذه بعض كلمات كتبتها إليك كدفاع تجاه اليهود، لأنّهم يصنعون

طقس الفصح في الزمن المحدّد، فيخالفون الشريعة، وهذا ما لا يُسمح به. يصنعون الصندوق وتابوت العهد وهم لم يؤمروا بذلك. ولا يفهمون النبيّ الذي قال: «لا تقولوا بعد: تابوت عهد الربّ، ولا يخطر على بالكم ولا تذكروه ولا تتفقّدوه ولا يُصنع من بعد» (إر ٣: ١٦). لا يصنع من بعد ولا يخطر على قلبكم ولا تتفقّدوه (لا تزوّروه). فاعرف، يا عزيزي، أنّ مَن يصنعه يتعدّى الوصيّة. وقال إرميا أيضًا: «أَبطل بنو إسرائيل وبنو يهوذا عهدي» (١١: ١٠). وذلك ما أعلنه عن العهد المُعطى للشعب فقال: «أقطع مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدًا جديدًا، لا كذلك العهد الذي وهبته لآبائهم يوم أمسكت بيدهم وأخرجتهم من أرض مصر. إنّهم أبطلوا عهدي وأنا أيضًا احتقرتهم» (إر ٣١: ٣١ـ ٣٢). وإن قالوا هو قال إنّه يعطي لإسرائيل ويهوذا عهدًا جديدًا. ولكنّه سمّى إسرائيل حكّام سدوم وشعب عامورة. وهو الذي دعا إبراهيم ووعده وباركه. وقال له: «لا يسمّى بعد اسمك أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأنّي وهبتك أن تكون أبًا لجموع كثيرة» (تك ١٧: ٥). وقال له أيضًا: «بنسلك يتبارك كلّ شعوب الأرض» (تك ٢٢: ٨).

الاحتفال بالفصح

١٢ حصلت على براهين مقنعة، وستقنع إخوتك أبناء الكنيسة الذين يستصعبون الحديث عن زمن الفصح هذا. لا يشقّ على العقول السليمة أن تعرف ذلك: إن وقع يوم فصح وآلام مخلّصنا في يوم الأحد، فيجب علينا، بحسب الشريعة، أن نحتفل به في اليوم التالي، لكي يحفظ الأسبوع كلّه في الآلام والفطير، وحتّى اليوم الحادي والعشرين (من الشهر). وإن وقع تذكار الآلام في يوم آخر من أيّام الأسبوع فلا نضطرب لذلك. فلنا يوم عظيم هو يوم الجمعة. وإن كان

في عداد الشهر يوم الصلب حيث تألّم مخلّصنا وكان لدى الموتى، هذا هو ليل ونهار اليوم الخامس عشر من الساعة السادسة من يوم الجمعة إلى عشيّة يوم الأحد. وفي يوم الأحد، اليوم السادس عشر، قام، لأنّه في عشيّة الرابع عشر أكل الفصح مع تلاميذه حسب ناموس إسرائيل، وفي يوم الجمعة، أي اليوم الرابع عشر، دين حتّى الساعة السادسة وصلب في الساعة التاسعة ونزل إلى الموتى في الليل الذي يضيء الخامس عشر. وفي يوم السبت الذي هو الخامس عشر كان لدى الموتى. وفي الليل الذي يضيء الأحد الذي هو اليوم السادس عشر قام وتراءى لمريم المجدليّة ولاثنين من تلاميذه كانا يسيران في الطريق.

فليفهم مَن يستصعب بعض الأمور بالنسبة إلى هذه الأيّام، أنّ ربّنا صنع الفصح عشيّة الرابع عشر، وأكل وشرب مع تلاميذه. ولكن من بعد أن صاح الديك، لم يأكل ولم يشرب، لأنّهم أخذوه وشرعوا يحاكمونه. وكما بيّنت لك أعلاه، كان عند الموتى في اليوم الخامس عشر بليله ونهاره.

١٣ وما يطلب منّا هو أن نحفظ العيد في وقته، من زمان إلى زمان، وأن نصوم بنقاوة، وأن نصلّي بثبات، وأن نسبّح باجتهاد، وأن ننشد المزامير كما يليق، وأن نعطي الوسم والمعموديّة كما يجب، والبركات المقدّسة في وقتها، وأن نتمّ كلّ العادات والتقاليد. فربّنا تألّم وقام وهو لا يموت أيضًا ولا يتسلّط الموت عليه، لأنّه مات للخطيئة مرّة واحدة، وحيي فكان حيًّا إلى الأبد (روم ٦ : ٩ـ ١٠). ونحن أيضًا، الذين متنا، أحيانًا معه.

فإن استصعبنا هذه الأمور، فلنهتمّ فقط بالرابع عشر لا بالعيد الذي يعود من زمان إلى زمان. لنحبّ المحافظة على الرابع عشر من كلّ

شهر، ونبكِ يوم الجمعة من كلّ أسبوع. ولكن ما يجب علينا هو أن نصنع في كلّ أيّام الأسبوع ما هو حسن أمام الربّ إلهنا.

إذًا فاقتنع بهذا القليل الذي كتبت لك. لا تتبلبل بجدالات صعبة لكلمات لا فائدة فيها. ولكن لنحفظ بقلب نقيّ، الوصيّة والعيد، وأزمنة فرائض هذا اليوم المجيد.

تمّت المقالة في الفصح

الحواشي

(١) هو نيسان، ويوافق ١٥ آذار ـ ١٥ نيسان في حسابنا الشهريّ الحاليّ.

(٢) أي: ظهرًا.

(٣) أي: الثالثة بعد الظهر.

(٤) من شهر نيسان كما في الروزنامة القديمة.

في السبت

وصيّة السبت

١ أمر الربّ موسى عبده، أن يحفظ بنو إسرائيل يوم السبت، وهذا ما قاله لهم: «في ستّة أيّام تعمل عملك، واليوم السابع هو سبت راحة مقدّسة للربّ إلهك. لأنّه في ستّة أيّام صنع الربّ السماء والأرض والبحار وكلّ ما فيها، وسكن واستراح في اليوم السابع. لهذا بارك الله اليوم السابع وقدّسه، لأنّه به استراح من كلّ أعماله التي صنع» (خر ٢٠ : ٩_ ١١؛ تث ٥ : ١٢_ ١٤). وهذا ما نبّههم إليه: «تستريح أنت وعبدك وجاريتك وثورك وحمارك» (خر ٢٣ : ١٢). وزاد على هذا فنبّههم: «يستريح الأجير والغريب وكلّ بهيمة تتعب وتعمل خاضعة لك».

يوم السبت هذا ينتفخ ويفتخر شعب اليهود فيقولون: إن كانت لنا الحياة فلأنّنا نحفظ السبت والتقاليد. سأعلمك قدر استطاعتي، بكلمات قليلة، كما علّمتك بشأن الختان والفصح.

السبت للراحة لا للخلاص

٢ لم يجعل السبت حدًّا فاصلًا بين الموت والحياة، بين البرّ والخطيئة.

ولكنّه أعطي للراحة كسائر الوصايا التي بها يحيا الناس. وإن لم يصنعوها يموتون.

فحين حفظ السبت، أعطي للراحة، فيستريح لا الناس فقط بل البهائم أيضًا. قال: «يستريح ثورك وحمارك وكلّ بهائمك» (خر ٢٠: ١٠؛ ٢٣: ١٢). فإن وضع السبت حدًّا فاصلاً بين الموت والحياة، وبين البرّ والخطيئة، أيّ نفع للحيوان أن يحفظ السبت، أو أيّ ضرر يكون له حين لا يحفظه؟ نحن نرى أنّ الحيوان يعمل في الأيّام الأخرى، فالخدمة والعمل المتعب يبرّران وجوده أكثر من يوم السبت، ولأنّه يعمل ويتعب في حمل الأثقال والحراثة، فلا وقت لديه ليقترف الخطايا. أمّا في يوم السبت حيث الحمار والثور وكلّ حيوان يمتنع عن العمل، لا شيء يمنعه من التجامع مع الأمّ والأخت وكلّ قريب باللحم فيخطأ. ولكن لا أحد يوبّخه على هذه الخطايا التي يقترفها يوم السبت، لأنّ تلك هي شريعة كلّ حيوان.

ولكن اعلم أنّه إذا لم يكن من خطيئة على الحيوان أن يتصرّف هكذا، فلا برارة له أيضًا، لأنّ لا مكافأة لبرارة، حين بعث الموتى، لمَن عمل أعمال البرّ إلّا في العالم الآتي، ولكن لا قيامة للحيوان ليجازى الجزاء المحفوظ للسبت أو ليقرَّب إلى الدينونة. وبما أنّ الناموس لم يفرض على الحيوان وصيّةً أخرى يحفظها، فالسبت أيضًا لا ينفعه في شيء. فقد أمر القدّوس في شريعته: «لا تزنِ» (خر ٢٠: ١٤)، والحيوان يفجر بكلّ حرّيّة، ويزني على عيون الجميع. وأمر الناموس ونبَّه: «ملعون مَن أخذ أخته أو كلّ قريب من لحمه» (لا ٢٠: ١٧). وهذا كلّه يفعله الحيوان. وكتب أيضًا: «لا تقتل» (خر ٢٠: ١٣). والحيوان بسبب عدم المسؤوليّة، يقتل شبيهه ويأكل من لحمه. وكتب أيضًا: «إذبح كلّ شيء وكُلْ، ولكن دمًا لا تأكل» (تث ١٢:

١٥ـ ٢٣). والحيوان يلحس حتّى دمه ويجد لذّة كبيرة في أكل اللحم النجس. فلو كان من فائدة للحيوان أن يحفظ السبت، لكان الناموس منعه من هذه النجاسات، ثمّ برّره بأن يحفظ السبت.

٣ وهذا هو برهان ما كتبت لك: أُعطي السبت لراحة كلّ خليقة تتعب. فإن لم يكن أُعطي السبت لراحة كلّ جسد يتعب، لوجب، في الأيّام الأولى، على الخلائق التي لا تتعب أن تحفظ هي أيضًا السبت لتتبرّر. ولكنّنا نرى الشمس تسرع والقمر يمشي، والنجوم تركض والرياح تنفخ، والسحاب يطير والطير يسرع، والينابيع تفور عند خروجها والأمواج تنتصب، والبروق تركض وتنير الخلائق، والرعود ترعد بقوّة في وقتها، والأشجار تُفرخ ثمارًا ونموّ كلّ شيء يقوى. ولا نرى شيئًا من هذا يستريح في يوم السبت ما عدا الإنسان والحيوان اللذين هما تحت عبوديّة العمل.

٤ فلو أعطي السبت للتبرير لكان أعطي لأدم، قبل أن يعطي لبني إسرائيل، ليحفظه فيتبرّر به، ولما كان الله فرض عليه الوصيّة أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ لئلا يموت. ولأنّه لم يُعطَ لآدم أن يعمل قبل أن يتجاوز الوصيّة، لم يُعطَ له السبت. وبعد أن تجاوز الوصيّة ونال عقابه العمل والتعب، وأجبر على العمل على الأرض كخاطىء ومذنب، حكم عليه بالموت.

الأبرار والسبت، نوح

٥ فلو كان التبرير في السبت، لكان أخنوخ وكلّ الأجيال من بعده أرضوا الله به. ولم يسمَّ نوح كاملًا ومتجرّدًا من الخطيئة لأنّه حفظ السبت. ولكن قال الله لنوح: «رأيت أنّك بارّ وكامل في هذا الجيل» (تك ٧: ١). تبرّر لا لأنّه حفظ السبت بل لأنّه حافظ على الكمال في جيل

فاسد، كما يفهم من المعنى الحرفيّ للكلمة. ولم يكتب أيضًا أنّه شارك في حياة العالم. فقد كان نوح ابن خمسمائة سنة حين تكلّم الربّ معه وقال له: «رأيت أنّك بارّ وكامل أمامي في هذا الجيل». وكان كماله، على ما يبدو، على الشكل التالي: حين رأى أنّ نسل شيت اختلط ببيت قايين الملعونين، قرّر في ضميره أن لا يأخذ امرأة ولا أن يلد لئلا يختلط ويلعن مع بيت قايين النسل الملعون. وحين رأى الله قلبه النقيّ والكامل، أراد أن يتمّ به تبديل العالم الذي عزم على محوه بسبب إثمه. حينئذ تكلّم معه لمّا كان ابن خمسمائة سنة وقال له: «رأيت أنّك كامل قدّامي في هذا الجيل». لم يكن بعد له ابن، لأنّ نوحًا لم يكن أخذ امرأة في كلّ هذا الوقت، كما وصل إلينا الخبر وكما أشرت إلى ذلك أعلاه، إلى أن تكلّم معه الله وقال له: «رأيت أنّك كامل أمامي في هذا الجيل، فاصنع لك سفينة من خشب لتحتمي فيها» (تك ٧: ٦؛ ٦: ١٤). سمع نوح أنّ الله يأمره أن يصنع سفينة ويقول له سأمحو البشر كلّهم عن وجه الأرض، لأنّ طريقهم فسدت (تك ٦: ٧، ١٢ـ ١٣)، وكان ذلك في السنة الخمسمائة. حينئذ أخذ نوح امرأة من بنات شيت نسل الأبرار المبارك، ووُلد له سام وحام ويافث. ونبّه نوح أولاده الثلاثة هؤلاء، أن لا يأخذوا نساء من بنات قايين، وأعطاهم نساء من نسل الصدّيقين ليحفظ بهم نسل على وجه الأرض، وتقوم بهم للعالم قائمة. ولكي تعرف أنّ الأمور كانت هكذا، سأبيّن لك ذلك من حساب السنين.

٦ بعد الطوفان بسنتين كان لسام، بكر نوح، ابن هو أرفكشاد. وكان سام هذا ابن مئة سنة حين ولد أرفكشاد، سنتين بعد الطوفان. من هذا نعرف أنّ نوحًا كان ابن خمسمائة وسنتين حين ولد سامًا. ومن هذا الحساب نفهم أنّ نوحًا لم يأخذ امرأة، قبل أن يكلّمه الله، ولم يعطِ لأبنائه امرأة قبل الوقت الذي فيه دخل السفينة. فلو أخذ امرأة في

صباه لكان ولد أبناء مثل آدم الذي ولد شيتًا وهو ابن مئة وثلاثين سنة. وشيت ولد أنوش وهو ابن مئة وخمس سنوات. وأنوش ولد قينان وهو ابن تسعين سنة. وقينان ولد مهللئيل وهو ابن سبعين سنة. ومهللئيل ولد يارد وهو ابن خمس وستّين سنة. ويارد ولد أخنوخ وهو ابن مئة واثنتين وستّين سنة. وأخنوخ ولد متوشالح وهو ابن خمس وستّين سنة. ومتوشالح ولد لامك وهو ابن مئة وسبع وثمانين سنة. ولامك أبو نوح ولد نوحًا وهو ابن مئة واثنتين وثمانين سنة.

٧ لو أخذ نوح امرأة قبل أن يتكلّم الله معه، لكان ولد كآبائه لأنّ الفقر لم يكن يهدّده، ولأنّ أبناء آدم كانوا في ذلك الوقت مباركين، لينموا ويكثروا بتوالدهم بحيث يمتلىء العالم منهم. وحافظ نوح على الكمال، لا لأنّه خاف من نفسه أن يختلط مع نسل بيت قايين الملعون، بل لأنّه بعد أن أخذ امرأة وولد بنين، خاف أن يتجاوز أبناؤه الشريعة، ويأخذوا نساء من ذلك النسل. ولكن لمّا رأى أنّ الله يتكلّم معه ويقول له: «سأمحو البشر عن وجه الأرض، وإيّاك وحدك أنجّي» (تك ٦: ٧)، أخذ امرأة ليكون له نسل به يقوم العالم من جديد، وليكون هو أبًا للأبرار والصدّيقين.

واختاره الروح القدس، ليولد من نسله المسيح، مُحيي العالم ومبطل لعنة آدم. حينئذ سارع فأخذ امرأة من النسل المبارك، فولد سامًا أب الصدّيقين في السنة الخمسمائة والثانية من حياته، وفي السنة الثانية بعد أن تكلّم الله معه. وحين ولد ثلاثة بنين شرع يصنع السفينة، ونبّه بنيه أن لا يأخذوا نساء قبل الوقت الذي يدخلون فيه السفينة، لئلا يكون لهم أبناء ولئلا يفسدوا طريقهم، فلا ينجون، بسبب خطاياهم، من الغضب المزمع أن يأتي. وحفظ أبناءه في العفّة سبعًا وتسعين سنة، وأخذ لهم نساء من نسل أبيه المبارك. وفي السنة ستمائة من حياة نوح تكلّم الله معه وقال له: «أدخل السفينة أنت وامرأتك وبنوك

ونساء بنيك معك» (تك ٧: ١؛ ٦: ١٨). فدخل نوح السفينة وهو ابن ستمائة سنة. وكان سام ابنه ابن سبع وتسعين سنة، حين دخل السفينة. وحينئذ كان الطوفان وباد الجيل الفاسد. وكان نوح وبنوه في السفينة إلى أن مرّ اثنا عشر شهرًا وعشرة أيّام. وبنوح كان العالم الثاني، لأنّه حافظ على الكمال في جيل فاسد، ولم يتبرّر لأنّه حفظ السبت أو حتّى الختان، بل للسبب الذي بيّنته لك.

إبراهيم وأبناؤه

٨ ووُلد من نوح رجل مؤمن ورأس الصدّيقين، هو إبراهيم الذي حفظ الناموس، يوم لم يوضع له ناموس. ووُلد إسحق، ابن الموعد، ويعقوب رئيس الشعب. وهؤلاء الآباء الصدّيقون لم يحفظوا السبت، لكنّهم تبرّروا بسبب إيمانهم كما كُتب: «آمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا» (تك ١٥: ٦). وسار إسحق ويعقوب ابناه، بحسب وصيّة أبيهما وشريعته، فتبرّرا بالإيمان لا بالسبت. ويوسف تبرّر في أرض مصر لا لأنّه حفظ السبت بل بسبب تقواه. وحين رفعت امرأة سيّده عينيها عليه، لتفعل معه قباحة، كلّم سيّدته وقال لها: «كيف أفعل هذا الشرّ العظيم وأخطأ إلى الله» (تك ٣٩: ٩)؟ بهذا تبرّر يوسف لا بالسبت.

٩ فلو كان السبت حدًّا فاصلًا بين الموت والحياة، بين الإثم والبرّ، لأعطي السبت لهؤلاء الصدّيقين الذين ذكرت لك أسماؤهم أعلاه، ليحفظوه ويحيوا. ولكن أعطي السبت ليستريح العبيد والجواري، والأجراء والغرباء، والحيوان الأبكم. أعطي ليستطيع أن يرتاح الذين تعبوا من عملهم. لأنّ الله يهتمّ بكلّ خليقته حتّى الحيوانات والبهائم والطيور ووحوش البرّ. فحين ردّد موسى الناموس على الشعب قال: «ستّ سنين تزرع أرضك وتجمع غلالك، وفي السنة السابعة تفلحها وتتركها، فيأكل مساكين شعبك، والباقي يأكله حيوان البرّ» (خر ٢٣:

١٠_ ١١). وهذا ما أمر به القدّوس العصافير بواسطة عبده موسى: «حين تجد عشّ عصافير أمامك في شجرة أو على الأرض، وكان للأمّ صغار أو فراخ، والأمّ تحضن الصغار والفراخ، لا تأخذ الأمّ مع أولادها، بل اترك الأمّ تطير وخذ لك الصغار، ليباركك الربّ إلهك» (تث ٢٢: ٦_ ٧). وقال داود. «أبناء الغراب يصرخون إليه وهو يقوتهم» (مز ١٤٦: ٩). وقال داود أيضًا: «وأنت يا ربّ تخلّص البشر والبهائم» (مز ٣٦: ٧). وقال أيّوب أيضًا: «مَن سرّح الحمار الوحشيّ حرًّا وفكّ عنه النير؟ مَن صنع في السهل بيته ومسكنه في مكان الملح» (٣٩: ٥_ ٦). وقال أيّوب «يُعدّ مأكلًا لأبناء النسر» (٣٨: ٤١؛ ٣٩: ٣١). وقال أيضًا وهو يفكّر بالطيور والبهائم: «كلّهم ينتظرون أن تعطيهم طعامهم في حينه. تعطيهم فيقتاتون، تفتح يدك فيشبعون، وإن حوّلت وجهك يضطربون» (مز ١٠٤: ٢٧_ ٢٩). وقال أشعيا أيضًا: «هناك يجتمع الصقور، الواحد قرب الآخر، وهو يأمرهم، بفمه وروحه يجمعهم ويده تقسّم لهم مساحات يرثونها» (٣٤: ١٥_ ١٧). تأمّل كيف أنّ الله يهتمّ بكلّ خليقته، وأنّ لا شيء يفلت من يده. لذلك نبّه وأمر أن يكون السبت يوم راحة.

الله لا يتعب

١٠ واسمع أيضًا ما يقول الكتاب: «في ستّة أيّام صنع الله السماء والأرض، وسكن واستراح من كلّ أعماله. من أجل هذا بارك الله اليوم السابع وقدّسه» (تك ٢: ١_ ٣). ما معنى أنّ الربّ استراح في اليوم السابع؟ إسمع فأبيّن لك أنّ الله لم يتعب بعمله في هذه الأيّام الستّة، وأنّه لم يتعب ليستريح في اليوم السابع. حاشا لنا أن نقول إنّ الله تعب. أمّا معنى الكلمة فهو هذا: أتمّ الله في ستّة أيّام كلّ أعماله، وسكن في اليوم السابع من كلّ أعماله التي صنع. واسمع البرهان أنّ

الله لا يتعب. قال داود: «لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (مز ١٢٢ : ٤). ومَن لا ينعس ولا ينام لا يتعب أيضًا. وقال أشعيا لبني إسرائيل: «هذا ما قال الربّ، لأنّ هذه الأفكار خطرت على قلبكم: الله لا يقدر أن يخلّصنا» (٥٠ : ١ـ ٣). قال لهم بواسطة أشعيا: «هل حصدت يدي حصادًا وتوقّفت، أوليس بي قوّة لأنجّي؟ بتوبيخي سأخرّب البحر وأجعل الأنهر كالصحراء فتنتن أسماكها لعدم وجود المياه وتموت. وألبس السماء ظلمة، وأجعل كسوتها المسح». «كما يبّست بحر سوف في أيّام آبائكم، وفتحت ثغرة في الأردنّ وأجزتهم، فالآن أيضًا تكفي يداي لأن أخلّصكم. ولكن بسبب خطاياكم بعتكم، وبسبب ذنوبكم طلّقت أمّكم». أنا الذي لا أتعب اتعبتموني، وكما يقول ملاخي النبيّ: «أتعبتم الربّ بكلامكم» (٢ : ١٧).

١١ إسمع الآن، فأبيّن لك أنّ الله لا يتعب، وأنّه لم يشقَ حين خلق كلّ أعماله. قال الكتاب: «بكلمة الربّ صُنعت السماوات وبروح فمه كلّ جنودها» (مز ٣٣ : ٦). وصنع آدم وحده بيديه، ولم يُكتب أنّه تعب حين صنعه. وحين صنع كلّ الخلائق بكلمة فيه: «قال فكانت» (مز ١٤٨ : ٥)، بلا تعب ولا مشقّة. ولكن إليك كيف تفهم أنّ الله سكن واستراح من كلّ أعماله في اليوم السابع. إن كان الله الذي لا يتعب سكن واستراح من أعماله، كم بالأحرى الإنسان الخاضع للعمل والعبوديّة يجب أن يستريح. فقد قال أشعيا عن الله: «لا يتعب ولا ينعس ولا إمكانيّة بحث عن فهمه» (٤٠ : ٢٨). وفي مكان آخر قال عن خطايا الشعب: «أخضعتني وأتعبتني» (أش ٤٣ : ٢٤). كلّ هذه الكلمات كتبت حسنًا ويفهمها الحكماء باقتناع كما قال الرسول: «الناموس حسن إن قرأه الإنسان باعتقاد» (١ تم ١ : ٨). وقال النبيّ أيضًا: «طرق الربّ مستقيمة والأشرار يعثرون بها، أمّا الصدّيقون فيسيرون فيها ويمشون بسهولة» (هو ١٤ : ١٠). واستراح الله من

أعماله، يفهمها الجهّال وكأنّه يتعب. فحين أراد أن يمحو البشر بسبب خطاياهم التي كثرت قال: «ندمت لأنّي صنعتهم» (تك ٦: ٧). ولكن اسمع الرسول يقول: «إن لم يكن هكذا فكيف يدين الله العالم» (روم ٣: ٦)؟

تعدّوا على السبت وحسنًا فعلوا

١٢ فاسمع، يا عزيزي، أعلمك عن السبت كما أعلمتك عن الختان الذي افتخر به شعب إسرائيل دون جدوى. وسأشرح لك أنّهم ينتفخون بالسبت دون جدوى، حين يحفظونه.

فيشوع بن نون لم يرحهم في السبت يوم حرب أريحا كما يقول الرسول المجيد. «لو أنّ يشوع بن نون أراحهم لما كان تكلّم أيضًا عن السبت، ولكن بعد هذا أقيم سبت الله» (عب ٤: ٨ـ ٩).

والمكابيّون أيضًا، هجم عليه أعداؤهم في يوم السبت. أرادوا أن يحفظوا السبت، بحسب الشريعة، وحين حفظوه، جاء أعداؤهم في السبت، وأفنوا منهم عددًا كبيرًا. وحين رأوا أنّهم احتالوا عليهم ليحاربوهم أيضًا، منتظرين منهم أن يحفظوا السبت، دنّسوا السبت وحاربوا وانتصروا على أعدائهم ولم يوبّخوا لأنّهم أحلّوا السبت.

ولم يكونوا وحدهم مَن يُحلّ السبت. فالكهنة أيضًا يدنّسون السبت في الهيكل، ويكونون من دون خطيئة، لأنّ الكهنة يقرّبون التقادم يوم السبت: يذبحون (الحيوانات) ويسلخونها ويشقّقون الحطب ويشعلون النار ولا يوبّخون. أحلّوا السبت لأنّهم هكذا أمروا أن يصنعوا. فالكهنة الذين ينبّهون الشعب ليبتعد عن الخطايا ينجّسون السبت، فلماذا لم يفعلوا ما يفعلون في مكان بسيط (ليس الهيكل) لا حيث تمحى كلّ الخطايا؟ ما كانوا يفعلونه لم يكن جهالة ولا خطيئة.

فلماذا ينتفخون حين يحفظون السبت الذي لم يعطَ إلّا للراحة، كما شرحت لك؟

السبت الحقيقيّ، العمل بإرادة الله

١٣ ولكن اسمع أيّ سبت يريد الله. قال لهم أشعيا: «هذه هي راحتي: أريحوا المنهكين» (٢٨ : ١٢). وقال أيضًا: «مَن يحفظ السبت ولا يدنّسه يتقوّى بعهدي ويختار ما يرضيني» (أش ٥٦ : ٤). وقال للذين لا ينجّسون السبت الذي هو راحة الله وعدهم أنّه يعطيهم الراحة: «أعطيهم في بيتي وداخل أسواري اسمًا خيرًا من البنين والبنات» (أش ٥٦ : ٥). فالسبت لا يفيد الأشرار ولا القتلة والا السارقين بل الذين اختاروا ما يرضي الله وحفظوا أيديهم من الشرّ. فيهم يحلّ الله وفيهم يسكن كما قال: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (٢ كور ٦ : ١٦). حفظوا السبت في أيّام أشعيا، ولكنّهم ساروا بحسب أعمال الأمم النجسة، وصنعوا كأعمال سدوم وعمورة وقالوا للأمم: «إنفصل عنّي بعيدًا، لأنّي مقدّس» (أش ٦٥ : ٥). لهذا قال لهم أشعيا. «هؤلاء يكونون دخانًا في غضبي ونارًا تتّقد كلّ يوم». وحملهم ورماهم بعيدًا عن أرضه، وبدّدهم في كلّ الأمم، لأنّهم لم يحفظوا راحة الله فاكتفوا بحفظ السبت حسب الجسد.

أمّا نحن فلنحفظ سبت الله، أي فلنرح إرادته لندخل في سبت الراحة، الذي فيه تَسبتُ السماء والأرض وتتوقّف كلّ الخلائق عن العمل وترتاح. ولا نهرب كما قال مخلّصنا: «لا يكن هربكم في الشتاء أو في سبت» (مت ٢٤ : ٢٠). وقال الرسول: «إلى أن يقوم سبت الله» (عب ٤ : ٩).

كتبت لك هذه الشروح القليلة عن السبت ضدّ الذين يفتخرون به.

تمّت المقالة عن السبت

في البراهين المُقنعة

مقدّمة الرسالة

١ إرتأينا كلّنا، حين كنّا مجتمعين، أن نكتب هذه الرسالة إلى كلّ إخوتنا أبناء الكنيسة هنا وهناك.

من الأساقفة والقسوس والشمامسة وكلّ كنيسة الله، مع كلّ أبنائها الذين هم عندنا، إلى إخوتنا الأعزّاء والمحبوبين الأساقفة والقسوس والشمامسة، مع كلّ أبناء الكنيسة الذين عندكم، وكلّ شعب الله الذي في سليق وقطيسفون (أو المدائن)، بربّنا ومُحيينا الذي أحيانًا بواسطة المسيح وقرّبنا إليه، سلامًا وافرًا.

الشقاء الحاضر

٢ نعرفكم يا إخوتنا وأعزّاءنا، وحين نعرفكم، نعرف نفوسنا أيضًا، ونتذكّر ما حدث في أيّامنا، بسبب خطايانا التي كثرت واشتدّت وفاضت. أظلمت عقولنا فحرمت من الفهم، وما أيقظنا نفوسنا ليعود إلينا الله، كما قال النبيّ: «إلتفتوا إليّ فألتفت إليكم» (زك ١ : ٣). وقال هوشع أيضًا: «خذوا معكم كلامًا والتفتوا إلى الربّ» (١٤ : ٣). وقال أشعيا: «أطلبوا الربّ وعندما تجدونه ادعوه. وحين يكون

قريبًا، ليترك الخاطىء طريقه ورجل الإثم أفكاره» (٥٥: ٦ـ ٧). وكتب أيضًا: «إن طلبتم الربّ يوجد لكم، وإن تركتموه ترككم» (٢ أخ ١٥: ٢). وقال داود: «راقب الربّ من السماء ليرى إن كان من عاقل يطلب الربّ. كلّهم ضلّوا ورذلوا، وليس مَن يعمل الصلاح ولا واحد» (مز ٥٣: ٣ـ ٤). وقال إرميا: «طلبت في شعبي رجلًا يسيّج سياجًا، ويقف في الثغرة من أجل الأرض لئلا تفسد فلم أجد» (بل حزقيال ٢٢: ٣٠). وقال الربّ أيضًا لإرميا: «إذهب وقل لرجال يهوذا ولسكّان أورشليم: إلى متى لا تقبلون التوبيخ»؟ (٣٤: ١٣). وقال أيضًا بالنبيّ: «دعوتُكم فما أجبتم، فتصرخون في أذنيّ بصوت عالٍ فلا أسمعكم» (إر ٧: ١٣؛ حز ٨: ١٨). وكتب أيضًا: «ليس مَن يندم على شرّه ويقول: ماذا فعلت» (إر ٨: ٦)؟

خطايا الرؤساء

٣ قام الرؤساء في شعبنا فتركوا الشريعة وافتخروا بالإثم. إقتنوا خيرات فانتصر عليهم الطمع. يُقرضون بالربى ويأخذون الفائدة ولا مَن يذكر ما كتب: «لا تأخذ الربى ولا مرابحة» (لا ٢٥: ٣٦). وقال أيضًا: «مَن أراد أن يسكن في خيمة الربّ لا يعطي الفضّة بالربى» (مز ١٥: ١، ٥). وقال أيضًا: «مَن لا يأخذ الفائدة، ولا يُقرض بالربى» (١٨: ٨). إنّ مَن لا يعمل هذه النجاسات التي يعدّدها حزقيال يرضى الله عنه.

هناك أناس، في هذا الزمن، يتصرّفون بعنف ويعوّجون الحكم، ويحابون الوجوه ويبرئون المذنب ويجرّمون البريء. أَحبّوا الأغنياء وابغضوا الفقراء، رعوا نفوسهم وبدّدوا الخراف. أعماهم العالم فأحبّوا الرشوة ورفضوا الحقّ. أبغضوا التوبيخ وأحبّوا الشرّ. أبغضوا المتواضعين وأحبّوا المترفّعين والمتجاهين والمتفاخرين. في أيّامهم

أظلم النور وخسر الملح طعمه. غشي على العلم وبردت الشريعة. خرب الكرم ونبت الشوك. نام الناس وزرع الشيطان زؤانه (مت ١٣: ٢٥). وقفت الأمواج وقويت الرياح. سقط الحوذيّ وانقلبت المركبات. نام الملّاحون وغرقت السفن. ربطت الشريعة وختم على الشهادة. صار الكاهن كالشعب (هو ٤: ٩). طلب الحاكم ذهبًا، وحكم القاضي بالرشوة، وتكلّم بحسب نزوته. إحتقروا المساكين وأفنوا بائسيّ الأرض. ينهشون بأسنانهم وهم يعلنون السلام، ومَن لا يرمي لهم شيئًا في أفواههم، يعلنون الحرب عليه (مي ٣: ٥). يرذلون الحكم، ويخطّئون ما هو قويم. يبنون صهيون بالدم وأورشليم بالإثم. الرؤساء يحكمون بالرشوة والكهنة يعملون بالأجر. الأنبياء يمارسون العرافة بالفضّة وعلى الربّ يتّكلون ليقولوا: «ها إنّ الربّ بيننا» (مي ٣: ٩ـ ١١). من أجل هذا لهم الليل والظلام بدل العرافة (مي ٣: ٦). إمتلأوا غضبًا ونفخوا الحقد، أحبّوا العار ورضوا بالفخاخ. هناؤهم الهزء بعضهم ببعض، كإنسان يأكل العسل ويمتصّ الشهد. الحقّ عثر والتوبيخ هرب. ذهب المكرّمون واحتقر المعلّمون. يسمّون الخير شرًّا والشرّ خيرًا. يجعلون النور ظلمة والظلمة نورًا. يسمّون المرّ حلوًا والحلو مرًّا. هم حكماء في عيون أنفسهم وعقلاء أمام وجوههم. يبرّئون المذنب من أجل رشوة وبراءة البريء يمرّون عليها. زالت الرؤى واختفت النبوءة (أش ٥: ٢٠ـ ٢٣).

٤ هذا ما فعلناه، وهذا ما حصل لنا. نحن مسروقون مضطهدون ومشتّتون. الذين ما كانوا يحنّون إلى العطاء يسألوننا أن نعطيهَم بسخاء. لأنّنا أبغضنا بعضنا بعضًا، كثر المبغضون مجّانًا (مز ٦٩: ٥) لأنّنا شَتَمنا شُتِمنا، لأنّنا احتقَرنا احتُقِرنا، لأنّنا كَذَبنا نحتمِل الكذِب،

لأنّنا ارتفعنا انحططنا. لأنّنا ظَلَمنا ظُلِمنا، لأنّنا حَرَمنا حُرِمنا.

فيا أعزّاءنا، هكذا تصرّف أناس منّا. ما حكموا بحسب الحقّ ولا تعقّبوا التقوى، ولم يعد مَن يذكر النبيّ الذي قال: «تعقّبوا البرّ وأحسنوا إلى المظلومين» (أش ١: ١٧).

رحمة الله على الأبرار

٥ إنّ الله في رحمته الواسعة، حرّض البشر زمانًا بعد زمان حين يخطئون، ودخل مع الناس في محاكمة. وإذ كانت له السلطة لم يتدبّر بالعنف. فقال أشعيا النبيّ: «وقف الربّ ليدين، وقف الربّ ليدين شعبه. دخل الربّ في المحاكمة مع شيوخ شعبه ومع عظمائهم، لأنّهم أحرقوا الكرم وجمعوا أسلاب الفقراء، وقهروا الضعفاء وأخجلوهم» (٣: ١٣ـ ١٥). وقال إرميا: «أدينكم، قال الربّ، كما دنت آباءكم» (بل حز ٢٠: ٣٦). وقال ميخا: «الربّ يدين شعبه ويوبّخ إسرائيل» (٦: ٢؛ أش ٤١: ٢١). وقال أشعيا: «قدّموا اتّهاماتكم، قال الربّ، قدّموا آراءكم، قال ملك يعقوب» (٤١: ٢١). وقال موسى لإسرائيل: «إصنع لك قضاةً وكتبة في كلّ أسباطك وليحكموا للشعب حكم الحقّ. لا تقبل رشوة ولا تأخذ بالوجوه، بل تسمع للصغير كما للكبير ليباركك الربّ» (تث ١٦: ١٨ـ ١٩). وحين دان إلهنا الصالح سدوم دينونة رهيبة، أطال روحه وأظهر حبّه لإبراهيم حين قال له: «إنّ الحكم لا يصنع بالغضب». وأجاب أيضًا حزقيال بمناسبة الحكم القاسيّ حين خرج المدمّر ليدمّر أورشليم. وشرع النبيّ يلومه: «لماذا تفني إفناءً كلّ مَن بقي من إسرائيل» (خر ٩: ٨-١٣)؟ وأعطاه السبب حين بيّن له نجاسة عشرين رجلًا، فاقتنع النبيّ أنّ الأشرار نالوا بحقّ جزاءهم. وأقنع يونان بنموّ القرع. أشفق عليه يونان لأنّه يبس، فقال له الربّ: «أنت أشفقت على نبتةٍ من

القرع، نمت في ليلة ويبست في ليلة. وأنا لا أشفق على نينوى، المدينة العظيمة التي فيها أكثر من مئة وعشرين ألف رجل، ما عدا الأولاد والأطفال الذين لا يميّزون يمينهم من شمالهم، وبهائم كثيرة» (يون ٤ : ١٠-١١). وحين أراد أن يستأصل كرمه لأنّه أنبت خرّوبًا عوض العنب، أجلس في القضاء رجال يهوذا وسكّان أورشليم وقال: «أحكموا بيني وبين كرمي» (أش ٥ : ٣).

٦ تأمّلوا، يا أعزّائي، رحمة خالقنا الصالح. إذ يبيد الأشرار بالغضب، ينقذ الأبرياء وينجّيهم. أفنى جيل أيّام نوح لأنّهم أذنبوا، ونجّى نوحًا وأهل بيته بحسب مراحمه. قلب سدوم ورفيقاتها، ونجّى لوطًا من داخل الدمار. حين قتل في مصر أبكار المصريّين، أبقى في الحياة أبكار بني إسرائيل. وحين دمّر المدينة في أيّام حزقيال، جعل وسمًا بين أعين الرجال الأبرار ونجّاهم. إنّ الله لا يحكم بدون دينونة.

الرؤساء أيضًا

٧ ولكن يوجد اليوم في شعبنا قضاة حكماء فيهم معرفة سابقة. فقبل أن يدخلوا إنسانًا إلى القضاء، دانوه وحكموا عليه. ولكن ما هو أقسى، هو أنّه رغم المعرفة المسبقة التي فيهم، لا يحكمون فقط في قضائهم على أناس يميّزون يمينهم من شمالهم بل يحكمون أيضًا على كثير من الأطفال والرُضّع الذين لا يزالون في بطون أمّهاتهم ولم يُولدوا بعد، وعلى ربوات الفقراء والبائسين والمتنسّكين.

٨ ويوجد عندكم واحد هو أخ لنا. إعتمر التاج إلّا أنّ منطقته لا تطيقه. وإذ رفضت منطقته أن تقبله، ذهب إلى ملوك آخرين بعيدين عنه، وطلب منهم سلاسل وقيودًا، وشرع يوزّعها على منطقته ومدينته. حسبنا أنّ هذا الملك الذي اعتمر التاج، وجب عليه أن يطلب من

الملوك رفاقه لا السلاسل بل الهدايا، يُوزّعها على عظمائه وأبناء منطقته ومدينته، بدل السلاسل والقيود. ليسمع الحكيم ويفهم. ولأجل هذا كتبنا هذه الأمور يا أعزّائي.

حين يعتمر ملك التاج وسط مدينته ويقبل الملك بين عظمائه، وحين يكون الكلّ راضين به، حينئذ يدخل إلى الكنز ويأخذ المواهب والهدايا الكثيرة، ويوزّعها على عظمائه، ويأمر بعفوٍ في كلّ مملكته، ويسقط السلاسل في كلّ السجون التي تحت سلطانه. ويحلّ الأسرى ويخرج المحبوسين، ويروّح عن المتضايقين، لأنّه نال الملك حديثًا. حينئذ يثقون أنّه سيكون قويًّا في حكمه، وسيكون ملكًا على الشعب كلّه. ولكنّ جهالته كانت شرًّا من جهالة رحبعام، وقضاته يتمتّعون بمعرفة أقل من معرفة الأولاد الذين هم أعضاء مشورة رحبعام.

سيكون عقابهم قاسيًا

٩ واسمعوا أيضًا يا أعزّائي. إن حصل لملك أن يقيم قهرمانًا على كلّ مقتناه وعلى كلّ بيته. فذهب هذا القهرمان الجاهل، وترفّع على رفاقه وتعالى على خدّام الملك، وأوقفهم وأسرهم وضربهم وشتمهم من دون حكم ولا تهمة. وحكم عليهم القاضي دون أن يستعلم ويعرف إن كانوا مذنبين أو أبرياء. فيصرخ هؤلاء العبيد من الحبس ومن السجن ويعلمون سيّدهم: قهرمانك هذا قيّدنا ولا خطأ عندنا. فلا حاكمَنا ولا سألنا ولا وجَّه إلينا تهمة.

ماذا تقولون يا إخوتنا؟ هل يكيل لقهرمانه المدائح. إنّه لأمر معروف أنّ القهرمان الذي جعل في القيود رفقاءه من دون حكم وشتمهم، سينزع منه الملك سلطانه ويعمل به كما عمل بزملائه. وهذا ما كتبه لنا الملك العظيم: «بالدينونة التي بها تدينون تدانون» (مت ٧: ٢). ويتّهمهم

ويحذّرهم قائلًا: «تأمّلوا في ما سمعتم. بالدينونة التي بها تدينون تُدانون» (مر ٤ : ٢٤، ٧ : ٢).

١٠ فالترفّع والعجرفة صرعت الكثيرين. بالترفّع خرج آدم من الفردوس، وصار التراب مأكلًا للحيّة. وترّفع قايين فقتل أخاه، وصار خائفًا شاردًا في الأرض (تك ٤ : ١٤). وترفّع حام وهزىء بأبيه، فَلُعِن وصار آخر عبيد إخوته (تك ٩: ٢٥). وأضاع عيسو حقوقه كبكر بسبب ترفّعه. وقسّى فرعون قلبه وترفّع، فغرق في بحر سوف هو وجيشه. وترفّع بنو عالي الكاهن على الشعب، فرذلوا من الكهنوت المقدّس. وذلّ جليات الفلسطينيّ وخذل، بسبب تعجرفه على داود، فسقط من رفعته. وأبيملك بن جدعون ترفّع على إخوته وقتلهم، فحلّت به لعنة يوتام أخيه. وترفّع أبشالوم واختطف الملك، فسقط وذلّ أمام عبيد داود. وأدونيا ابن حجيت سرق الملك فلم يقوَ على المحافظة عليه، ولا نجح بسبب تعاظمه. واحيتوفل الناصح بالقبائح ذلّت رفعته بيده. ويربعام بن ناباط وعبد سليمان، زرع الانقسام في الشعب، فصار ذكرًا سيّئًا في إسرائيل. وأحاب بن عمرى قهره طمعُه فعوقب في ميراث يزرعيل. وملك أدوم ترفّع على أحاب، فلم يجد مَن يحلّ ومَن يربط (١ مل ٢٠ : ١١). وهامان ترفّع على مردخاي، فجوزي بالصلب هو وأبناؤه. والبابليّون افتروا على دانيال، فسحقت الأسود عظامهم. ويهوذا أسلم مخلّصنا، فسقط في البحر، وحجر الرحى في عنقه (مت ١٨ : ٦). هؤلاء كلّهم أذلّهم ترفّعهم كما كتب: «ترفُّع الإنسان يُذلّه، والإكرام يَكثُرُ للمتواضع الروح» (أم ٢٩ : ٣٣).

جزاء المسالمين

١١ فتأمّلوا، يا أعزّائي، أنّه من زمان إلى زمان، ومن جيل إلى جيل، يُحقّق الله مآثر عظيمة بواسطة أناس حُكماء، ليجعلوا الأمان والسلام

لدى المنقسمين، وليس بيد رجال فقط بل بيد نساء أيضًا.

فامرأة تقوع صالحت أبشالوم مع داود، عملاً بنصيحة يوآب. وبواسطة امرأة كان الأمان لإسرائيل حين تمرّد شابع بن بكري على داود. وتكلّمت امرأة حكيمة من على السور مع يوآب، وقالت له: «إسمع يا يوآب اسمع». فقال: «أنا سامع». فقالت له: «كانوا يقولون في القديم: سألوا الأنبياء وبعد هذا بادوا. هل سأُجازى أنا بسبب أخطاء إسرائيل، فتُبيد الطفل وأمّه في إسرائيل»؟ قال لها يوآب: «حاشا لي. لن أدمّر ولن أبيد ولن يكون الأمر هكذا. ولكنّ رجلاً اسمه شابع بن بكري، رفع يده على الملك داود، هبوه لنا فنذهب». فقالت له: «الآن يُرمى رأسه عن السور». وذهبت وكلّمت كلّ الشعب فقطعوا رأس شابع بن بكرى ورموه من على السور ليوآب. وكان الأمان في إسرائيل بواسطة امرأة (٢ صم ٢٠: ١٦_ ٢٢).

وكانت دبورة أمًّا فقضت قضاء في إسرائيل (قض ٥: ٧؛ ٤: ٤). وأبطلت ياعيل، امرأة جابر القيني، مجد سيسرا رئيس جيش يابين ملك حاصور ورمت به إلى الأرض. أنفذت الوتد في صدغه. وهؤلاء القينيّون هم بيت حمي موسى الذين قال فيهم بلعام بن فغور متنبّئًا: «مسكنك متين وعشّك موضوع في صخرة» (عد ٢٤: ٢١). ورفقة أمّ الأبرار ألقت الأمان بين عيسو ويعقوب، حين أرسلت يعقوب إلى لابان.

وملكنا ومخلّصنا الملك الأعظم، صالح العالم المتمرّد مع أبيه. حين كنّا جهّالاً، أخذ جهالة كلّنا وصار رسول المصالحة بين الله وخليقته. وحين كنّا جهلة ومتمرّدين، طلب منّا أن نتصالح معه، كما قال الرسول: «صار رسول المصالحة، هو صالحنا مع أبيه» (٢ كور ٥: ١٨). كان يجب أن يطلب ويتوسّل، لأنّنا أذنبنا وخطئنا، لكي

نتصالح مع خالقنا. هو طلب منّا أن نصالحه. وهذا الذي دمَّر الشرّ، قبل جزاءه عقاب الشرّ.

الحيّة الحاسدة

١٢ بسبب نصيحة الحيّة التي نصحت حوّاء، خرج آدم من الفردوس. وكان عقابها قويًّا وقاسيًا. أخذ الله منها المأكل، وأعطاها التراب. فسقطت على الأرض وسارت على بطنها. صنعها بلا رجلين، فتسرح بهما وتركض على آدم. تأكل التراب كلّ أيّامها إلى الأبد، لأنّها أطغت حوّاء بالمأكل. جعلها عدوّة للإنسان، وسلّطه على رأسها ليدوسه.

وعلى مثال الحيّة التي أضلّت آدم، قام بيننا أناس مضلّون أشرار متهوّرون ماكرون كافرون. يبنون الإثم ويدمّرون البرّ، يزرعون الشرّ ويقتلعون الصلاح، يربّون الزؤان ويبيدون الحنطة، يشتمون الأبرار ويباركون الأشرار، يحبّون المتكبّرين ويبغضون المتواضعين. يمدحون الدجّالين ويوافقونهم الرأي، ويحتقرون أهل الحقّ ويتّهمونهم بالكذب. ينذرون الإثم ويكمّلون المكر. يحبلون بأقوال الفساد ويلدونها، يقلبون ألسنتهم ويتكلّمون بالباطل. هم فارغون من الصلاح ومنتفخون بالكذب، لا ثمار فيهم تؤكل، لأنّ سمّ الحيّة صبَّ فيهم.

نتيجة الحسد

١٣ أيّ نفع من الخصام، وماذا أفاد الحسد صانعيه؟ فصل الحسد قايين عن أخيه الذي أحبّ والخصام جعل قايين ملعونًا. باع الحسد يوسف، وأهلك فرعون، وطرد يعقوب، وابتلع قورح وأباد رفاقه، وقتل زمري ورجم عاكان، وأكمل على عالم (أو هورام. يش ١٠:

٣٣) وقلب سيسرا وضرب يابين، وبلبل شاول ومحا جليات، وداس عماليق وألقى أبشالوم في الجبّ، ومال بأدونيا وجعل يربعام يخطأ، وقسم الشعب وأباد جبع ودمّر سكّانها، ومال بسنحاريب ودمّر معسكره. أزال هامان وسخر بالنمّامين. إقتلع إسرائيل وبدّدهم وسط كلّ شعب. كلّ هؤلاء أبادهم الحسد والخصام.

ثمار المحبّة

١٤ ونعود إلى مخلّصنا الذي قال لنا: «هذه هي وصيّتي أن تحبّوا بعضكم بعضًا» (يو ١٥ : ١٢). وقال الرسول: «لا يكن لأحد دين عليكم إلّا أن يحبّ الواحد الآخر» (روم ١٣ : ٨). وعظّم المحبّة وزاد فقال: «لو عملت ما هو حسن وجميل، ولم يكن فيّ حبّ فأنا لست بشيء» (١ كور ١٣ : ٢). المحبّة تخفي القبائح. المحبّة تمحو الخطايا. المحبّة تبعد عن التشامخ. المحبّة تحرّر من الترفّع. المحبّة تخلّص من الخصام. المحبّة أرفع من الحسد. المحبّة أعلى من الانقسام. المحبّة تتنكّر للطمع. المحبّة غريبة عن الهزء. المحبّة تفلت من الشرّ.

ثمار المحبّة محبوبة ومرغوبة وبهيّة ولائقة. المحبّة خلّصت نوحًا من الطوفان، ونجّت راحاب من سيف يشوع، وعظّمت داود ومحت خطاياه. المحبّة خلّصت حزقيا من يد أعدائه، وبرّرت آسا وطهّرت يوشيا. المحبّة أطفأت نار الأتّون عن حنانيا وأخويه في أرض بابل، وأصعدت دانيال من الجبّ، ونجّت أستير ومردخاي من يدي هامان.

المحبّة تنتصر على البغض وتمحو الخطايا، وتبعد الإثم وتزيل الحسد، وتبطل الخصومة وتحلّ العداوة، وتضع الأمان عند الغضوبين وتحطّم حبال الشرّ. أحبّاء المحبّة كثيرون وصلاحها

فائض. المحبّة تتعرّض للشتيمة وتقتبل السباب. المحبّة تحتمل. المحبّة تصالح الأعداء وترمي الأمان بين المنقسمين. المحبّة تقبل الظلم.

المحبّة تحبّ الصمت، تحبّ المتواضعين، تحبّ الودعاء، تحبّ الحكماء. تحبّ الصوم، تحبّ الصلاة، تحبّ الصدقات. تحبّ البسطاء، تحبّ الكاملين، تحبّ الفاضلين، تحبّ التائبين، تحبّ أبناء الأمان. المحبّة ترحم، تحمي، تجمع، تُقرِّب، تُشجِّع، تفرح. إذا احتُقرت المحبّة، أمسكت بنزوتها واحتملت وسكنت وسكتت وقبلت الظلم. المحبّة لا ترضى بالغضب، ولا تفرح بالانقسام، ولا تستعذب الطمع. المحبّة لا تهتمّ بالأيّام، ولا تشغل بالها بما ستكون السنون. المحبّة طويلة الروح وعذبة وهادئة وواسعة القلب. أفكارها واسعة وحواسّها هادئة.

المحبّة لا تحتقر ولا تتجنّى، لا تهزأ ولا تتبختر، ولا تتعجرف ولا تترفّع ولا تتعالى. المحبّة ترى نفسها كما هي وتعرف طبيعتها. هي تهدأ وتسكت وتسكن. تحبّ كلّ إنسان، وهي محبوبة من كلّ إنسان. المحبّة تحبل بالأمان وتلد السلام، تتعاطى مع الصالحات وتتأمّل في الجمالات. المحبّة لا يقهرها الشرّ. المحبّة نور. المحبّة ملح. المحبّة معين الخيرات. المحبّة ختم صالح ولؤلؤة مفضّلة وكنز. وختم كلّ شيء هو المحبّة. هي تتأمّل بالحكمة ومعاطاتها معها عذبة. المحبّة معرفة صحيحة، وفكر فاضل وقصد الرجاء، وتفكير كامل وضمير ثابت. مَن يقتني المحبّة فطوباه، لأنّ بها تكمل الثمار المحبوبة. المحبّة بعيدة عن التشويش الذي هو مضرّ بالسلام.

يا ملك العوالم

١٥ فيا ملك العوالم، نسجد لك لأنّك تطيل روحك على كلّ خليقتك. كلّ أعمال الظلمة ظاهرة أمامك، وأنت تعرف أفكار كلّ البشر. كثيرون يكفُرون بك ويقبلون معوناتك، وينكرون جميلك في صنائعك. وأنت كربّ صالح تطيل روحك على البشر. ما أقمتنا أمامك في الدين، ولا اتّهمتنا ولا حكمت علينا. أنت لا تمنع نعمتك بل تشرق عليهم شمسك، وتنزل عليهم مطرك وتنفخ فيهم روحك، تقوتهم وتطعمهم وتربّيهم وتريحهم. تترك الأشرار مع الأخيار في هذا العالم، والزؤان مع الحنطة، والخاطئين مع الصدّيقين، والمذنبين مع الأبرياء. بسبب الحنطة يُحفظ الزؤان إلى الحصاد، وبسبب الأخيار يُترك الأشرار حتّى النهاية. ومن أجل الأبرار يبقى الأثمّة حتّى الآخرة. ومن أجل الصدّيقين لا يُدان الكفّار حتّى يوم الدين. فلو وُجد عشرة صدّيقين، لنجت المدن الخمس بسببهم. وبسبب لوط لم تنقلب صوعر. ولو وُجد في أيّام إرميا مَن يقف في الثغرة ويصلح السياج ربّما لم تخرب أورشليم. كما قام أيضًا موسى في الثغرة من أجل شعبه، وأصلح يشوع بن نون السياج، وارتمى حزقيا في الصلاة، وقرّب آسا التضرّع، ونقّى يوشيا الأرض، وأعاد دانيال السَبْي، وبيّن مردخاي المأثرة. قام كلّ واحد من الصدّيقين في زمانه في الثغرة من أجل شعبه، وارتمى ليتوسّل فأرضى مراحم العليّ.

تحريض إلى الناس في الزمن الحاضر

١٦ وفي هذا الزمان، مَن هو الطبيب الحكيم الذي يقف في الثغرة ويصلح السياج، لئلا تتمّ فينا كلمة النبيِّ، حين عيَّر الأنبياء الكذبة في شعبه، وقال لهم: «كالثعالب في الخرائب هكذا هم أنبياؤك يا إسرائيل. لا

صعدتم على ثغرة ولا أصلحتم سياجًا لبني إسرائيل» (حز ١٣ : ٤-٥). طوباه الطبيب الحكيم الذي أخذ الأدوية وتعب من أجل المرضى. لينبّه الرقيب الناجح الشعب من السيف المستلّ، ولينتصر المحارب المجتهد في القتال، فلا يكون ضعيفًا في الحرب. وليُعمّق البنّاء الحكيم الأساس، لئلا يسقط بنيانه بسبب الأمواج. وليجمع الفلّاح المجتهد غلّاته منذ الصيف، لئلا يحتاج إلى شيء في الشتاء. وليحفظ الحارس الباب، لئلا يغلبه النعاس. وحين يقرع سيّده، يفتح له سريعًا (لو ١٢ : ٣٦). وليبع التاجر الفطن مقتنياته ويشتر اللؤلؤة فيغتني، (مت ١٣ : ٤٥). وليحرس الملّاح الساهر سفينته، لئلا تغرق وتبيد تجارته. وليمسك الحوذيّ الحكيم مركبته، لئلا يسقط فيهزأ به. ليحارب المقاتل الناجح في الحلبة، لئلا يضيع إكليله ويصير أضحوكة رفاقه. وليهتمّ القهرمان الصالح بحاجات زملائه، ولا يقل في قلبه إنّ سيّدي سيتأخّر مجيئه (مت ٢٤ : ٤٨). وليتعب العمّال المستأجرون في الكرم، ليطلبوا أكثر وهم واثقون. وليهيّء شبّان الختن ثيابهم، لكي يدخلوا خِدْر سيّدهم حين يأتي. والذين يُطعمون الفقراء فليبدّدوا خيراتهم، ويُرسلوا كنوزهم إلى المنطقة التي قدّامهم (مت ٢٠ : ١٠). وليُطفيء الخصومة أبناءُ السلام، ليستحقّوا أن يكونوا أبناء للآب السماويّ. ولينبّه النافخون بالأبواق الشعب، لئلا تطلب منهم أيّ نفس أُخذت من أيديهم. وليقم أسرى العزلة في الحصن، ولينتظروا بسكوت، أن يقوم الجزاء. وليفتح الممسكون بالمفاتيح الباب للذين يدخلون، لئلا يغلق في وجههم باب الملكوت. والذين وُلدوا من الماء وخُلّصوا بدم كريم، فليحذروا النار والظالمة البرانيّة. والذين لبسوا الدرع فليُظهروا بسالتهم، لئلا يكونوا أضحوكة لكلّ رفاقهم. والذين ينتظرون الصيحة، ليُهيّئوا سُرُجهم لئلا يكونوا محتاجين إلى الزيت، كالبتولات الجاهلات. والذين يَبنون البرج

فليحسبوا النفقات، لئلا يكونوا أضحوكة لعابري السبيل. وليتفقّد الرعاة الأفاضل قطعانهم، ليقبلوا الجزاء من ربّ الرعاة. والذين أخذوا الفضّة ليبيّنوا ربحهم، لئلا يخرجوا إلى الظلمة مع العبيد الأشرار. وليترك سلماء الضمير أمراضهم، ولا يخافوا من الضجيج والأمواج الواقفة. والمدعوّون إلى العرس، فليهيّئوا الهديّة ويلبسوا الثياب، ليؤهّلوا لخِدْر الملك. والذين يحملون النير، ليتحمّلوا العار، ولتُهيّئ البتولات الحكيمات سُرُجهن.

تحريض إلى الكهنة

١٧ لنسِر، يا أعزّاءنا، في التعب والمشقّة، في السهر والطلب، في الصوم والصلاة والتوسّل الباكيّ، لئلا نُؤخذ سريعًا من هذا العالم، ونُدان بدينونة الله العادلة. لا نحتقر خدمة القدّوس لئلا يرذلنا، كما قال بالنبيّ: «لأنّك رذلتَ شريعة الله، أرذلك من الكهنوت» (هو ٤ : ٦). وكتب أيضًا: «أُكرِم الذين يُكرمونني، والذين يحتقرونني يُهانون» (١ صم ٢ : ٣٠).

١٨ تأمّل أيّ عقاب نال الكهنة الذين أهملوا الخدمة. كان ناداب وأبيهو كاهنين مقدّسين. لبسا الأفود وارتديا الصدرة. شدّا وسطهما بالكتّان وتزيّنا بالأرجوان. وضعا التاج والإكليل والعمامة. قدّما القرابين وطهّرا إسرائيل. علّما الشعب وقدّسا الجماعة. ولكن حين دخل عليهما قليل من العمى، وأهملا خدمة القدّوس، وأصعدا نارًا غريبة، لم تكن بوقتها، اشتعلت نار من مبخرتهما وأحرقتهما. فأخرجوهما ورموهما خارج المحلّة.

وليس فقط ناداب وأبيهو بل حفني وفنحاس ابنا عالي، أكرما نفسيهما أكثر من الخدمة التي طلبت منهما، فأخذا بشراهةٍ صدقةً من الشعب،

وأهانا النساء اللواتي كنّ يصلّين في المعبد. أمّا عالي أبرهما فلم يوبّخهما بشدّة وغضب، بل أنبّهما برخاوة وضعف. وحين سمع من الشعب كلّه، أنّ هناك خلافًا، لأنّ الكهنة المسؤولين عن التعليم، يتصرّفون بالسوء، دعاهما وقال لهما: «يا ابناي، ما هذه السُمعة التي أسمعها عنكما من كلّ الشعب؟ أنتما تُهينان شعب الله. لا يا ابناي. ليست حسنة السمعة التي أسمعها عنكما. إن خطىء رجل إلى رجل، يطلب المغفرة من الربّ، ولكن إن خطىء رجل إلى الربّ، فممَّن يطلب المغفرة» (١ صم ٢: ٢٣_ ٢٥). هذا هو التأنيب الضعيف الذي وجّهه إلى ابنيه. ثمّ سكت. أمّا هما فحين أنبّهما لم يقبلا التأديب. أيا عاليّ الكاهن ورئيس الشعب، حين لم يسمعك ابناك، هذان الرجلان الشرّيران، ما كان يجب أن تشرك الكهنوت الذي تمارسه، في خطايا يرتكبها ابناك. ولكن من الواضح أنّه أنبّهما على عينيّ الشعب، لا من كلّ قلبه.

١٩ من أجل هذا نبّهنا مخلّصنا: «إن شككتك عينك، فاقلعها وارمها عنك، أو يدك أو رجلك، وكلّها أعضاء مكرّمة في الجسد. العين ترى واليد تعمل والرِجل تسير. فإن شككتك هذه الأعضاء، اقطعها وارمها عنك» (مت ٥: ٢٩_ ٣٠) لئلا تحرم أنت، أقلّه، من الحياة. ونبّه موسى مثل مخلّصنا: «إن جاء ابنك أو ابنتك أو امرأة عهدك أو صديقك الذي مثل نفسك، إن جاء أحد من هؤلاء يُغريك ويقول لك: أترك الربّ وتعال نذهب، فنعبد آلهة أخرى، لا تسمع ولا تقتنع ولا ترأف بهم ولا تخفهم، بل بالحجارة يُرجمون فيموتون» (تث ١٣: ٦_ ١٠). الابن والابنة وامرأة الصبا، هم أعضاء أعزّاء، العين واليد والرِجل هي مكرّمة وعزيزة في كلّ جسد. وقال ربّنا أيضًا: «مَن لا يحبّني أكثر من أبيه وأمّه، وأكثر من نفسه، لا يقدر أن يكون لي

تلميذًا» (لو ١٤ : ٢٦؛ مت ١٠ : ٣٧). وقال موسى: «أحبب الربَّ إلهك من كلّ نفسك، ومن كلّ قوّتك ومن كلّ قدرتك» (تث ٦ : ٥). هذا ما علّمته الكتب المقدّسة. لنجتهد فيها ليحبّنا الله ويدخلنا ملكوته الكريم.

٢٠ إنّ ابني هارون، اللابسي الكهنوت، رُميا بسبب إثمهما، من المخيّم إلى مكان نجس، من دون مغفرة. وبسبب إثم ابني عالي، سقط شعب إسرائيل بسيف الفلسطيّين الذين أخذوا تابوت العهد، وأدخلوه إلى أشدود في هيكل داجون، وهو هيكل نجس. وعزّة الكاهن الذي أهمل خدمة تابوت الله، مزّقه الربّ فمات.

تابوت العهد والعجلة

ويا أعزّاءنا، ما كان إهمال عزّة؟ جعل التابوت على عجلة وتجاوز الناموس، وصنع ما لم يأمر به موسى. فحين قرّب عظماء إسرائيل تقدِماتهم لتدشين المعبد، أمر القدّوس موسى عبده بما يخصّ الثيران والعجلات، فقال له: خذ منها وأعطِ اللاويّين، ليستخدموا هذه العجلات لأعمال المعبد وليحملوا على العجلات كلّ أواني المعبد. وقال له: هب لبني جرشون عجلات بحسب خدمتهم. أمّا بنو قاهات فلا تعطهم، لأنّه سلّم إليهم خدمة المقدس. على أكتافهم يحملونه بإكرام وبهاء ومجد (عد ٤ : ٤ـ ٩).

تعرفون، يا إخوتنا، أنّ تابوت العهد، لم يحمل على عجلة إلى الوقت الذي أرسله فيه عظماء الفلسطيّين. وضعوه على عجلة تجرّها بقرتان، حُرمتا من صغارهما. وحين تقبّل بنو إسرائيل التابوت، أنزله اللاويّون عن العجلة التي أرسله عليها الفلسطيّون، ووضعوه في بيت أبيناداب على التلّة. بهذا الشكل أرادوا أن يحملوه على أكتافهم، كما أمر القدّوس

موسى، وأمر موسى الكهنة. وعزّة لم يلاحظ أنّ الله أمر يشوع بن نون حين عبر الأردنّ، فقال له: «ليحمل الكهنة التابوت، ويمضوا أمام الشعب فينقسم الأردنّ، وكلّ الشعب يرتحل من المخيّم» (يش ٣: ١٣ـ ١٤). كان على عزّة أن يلاحظ ذلك، ولهذا نال بحقّ حكم الغضب وحين رأى داود أنّ الربّ مزّق عزّة، خاف أن يُدخل عنده تابوت الله. وأدخله بيت عوبيد أدوم الجتي، لأنّ عوبيد أدوم كان من جت الفلسطيين، من شعب نجس لا من إسرائيل. وعرف أنّ مَن لا يُكرم تابوت الله يضربه الله بالأمراض المرّة والجروح السيّئة، كما ضرب الفلسطيّين بالبواسير والعقرونيّين الذين ولولوا وقالوا: «يذهب التابوت إلى جت» (١ صم ٥: ٦ي). وفي الوقت الذي عرف فيه عوبيد أدوم أنّ الفلسطيّين جاؤوه بالتابوت، في ذلك الوقت صنع قربانًا للتابوت.

قُتل ابنا عالي حفني وفنحاس الكاهنان اللذان احتقرا الخدمة. وخاف الفلسطيّون، فكرّموا تابوت الله. وحين أرسلوه، أرسلوه مع القرابين، وقد حسبت في عيونهم كأنّها للإله العظيم. فقبل هذا، حين رأوا التابوت آتيًا إلى المعسكر، قالوا: ويل لنا. ها إنّ الله جاء إلى مخيّم العبرانيّين. تقوّوا أيّها الفلسطيّون، لأنّ هذا هو الإله الذي أباد المصريّين بكلّ الضربات (١ صم ٤: ٧ـ ٩). تأمّلوا يا أعزّاءنا تبارك عوبيد أدوم الجتي لأنّه أدخل تابوت الله إلى بيته. وحين أصعده داود من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة صهيون، أمر الكهنة أن يحملوه على أكتافهم. وإذ كان الملك يمشي على رجليه، ويفرح ويلعب أمام التابوت، هزئت به ميكال، ابنة شاول.

الطمع أساس كلّ شرّ

٢١ كان من الضروريّ لنا، يا أعزّاءنا، أن نكتب هذه الأشياء، لنذكّر أنفسنا ونذكّركم أيضًا، أنّه لأنّنا أهملنا خدمة القدّوس، حصل لنا هذا كلّه في الزمن الحاضر. ولأنّنا لم نكرمه، جعلنا للهزء أمام أعدائنا،

واحتقرنا كما كتب: «الذين يحتقرونني يهانون» (١ صم ٢: ٣٠).

٢٢ أظلمت عقولنا بالترفّع، وقهرنا الطمع، وطمرت منابع الحكمة. مبادىء التعليم أظلمت بالطمع وبالترفّع.

دخلت الخطيئة إلى العالم، بإغراء الطمع حين أخطأ آدم بأكله من الشجرة، فخرج من الفردوس. فالقدّوس ترك أمام آدم، كلّ أشجار الفردوس الحاملة الثمر المبارك، وقال له: «تأكل منها كلّها، ولكن لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ لئلا تموت» (تك ٢: ١٧). ولم يكفِ الطمع الفردوس كلّه الذي كان واسعًا، وأفضل من كلّ الأرض حيث يُزرع بنو آدم الآن. وفي النهاية، كلّ الصدّيقين سيجدون الراحة، في الوقت الذي يُلغى سُلطان الطمع، كما قال مخلّصنا للذي عن يمينه: «الحقّ أقول لك: اليوم تكون معي في جنّة عدن» (لو ٢٣: ٤٣). وكتب أيضًا بالنبيّ: «الأبرار يرثون الأرض، ويُقيمون فيها إلى الأبد» (مز ٣٧: ٢٩). لا يرثونها من جيل إلى جيل، لأنّها عابرة كما كتب: «السماء كالدخان تزول، والأرض كاللباس تبلى» (أش ٥١: ٦). وقال ربّنا أيضًا: «السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول» (مت ٢٤: ٣٥). فالسماء التي فوقنا، والتي تُدعى رقيعًا، تزول؛ وهذه الأرض التي هي قشرة يابسة تبلى. أمّا أرض الحياة والسماوات التي فوق الرقيع، فهي لا تبلى ولا تزول.

٢٣ كلّ هذه الأرض وكلّ الفردوس لم يكفيا الطمع الذي دخل على آدم. كان يحترق شهوةً، فأخذ وأكل من الشجرة التي أمر أن لا يأكل منها.

وبسبب الطمع باع عيسو بكوريّته فرذل من البركة. وبسبب طمع فرعون ضربت أرض مصر. ما اكتفى بكلّ شعبه يقوده بل أراد أيضًا أن يستعبد بني إسرائيل. وابنا هارون استسلما للطمع، فرُذلا من

الكهنوت. وبنو إسرائيل رغبوا مأكلاً بفعل الطمع من زمان إلى زمان، فصعد عليهم الغضب القاتل والحيّات وضربات أخرى من كلّ نوع. ورُجم عاكان من أجل شهوة الطمع بالحجارة وهلك من وسط شعبه. والكاهنان الشرّيران، ابنا عالي، أفقدهما الطمع الحياة. والملك شاول، مختار الشعب، طمع بما حرّم الربّ عليه عند أبيمالك، فسقط من عظمته ونزعت مملكته. وآحاب بن عمرى، ملك إسرائيل، اشتهى فأخذ كرم نابوت، فسقط في الحرب في راموت جلعاد. وجيزى تلميذ أليشاع، ألبسه الطمع البرص. والطمع قتل الكثيرين وحرمهم الحياة. لم يشبع الطمع يهوذا الأسخريوطيّ، أحد الاثني عشر، فسرق بل وصل به الطمع إلى أن يأخذ دم الكريم. بطمعه انفصل عن رفاقه التلاميذ. وقهر الطمع أيضًا حنانيا، فظهرت العجيبة حين سقط أمام أقدام التلاميذ (أع ٥: ١ـ ١١).

٢٤ الطمع لا يكفيه العالم كلّه. فللملوك كلّ شعوبهم وألسنتهم، ولا يكتفي كلّ واحد منهم بمنطقته. يجمعون الجيوش ويعلنون الحرب. ويدمّرون المدن ويسلبون المناطق الأخرى، يسبون السبايا ويمتلكونها ولا شيء يكفيهم. يتعبون ويشقون ليتعلّموا الحروب. يقتلعون الحصون ويقومون بتصيّد الناس. يصعدون ويصلون إلى القمم، وينزلون إلى الوديان، ولا يشبع الطمع فيهم ولا يمتلىء. حين يكثر الغنى، يزداد الطمع، وحين تفيض الخيرات يتقوّى الطمع.

المسكين يكتفي بالخبز اليوميّ، أمّا الغنيّ فيهتمّ بالسنين التي لن يكون فيها على قيد الحياة. لباس مرقّع يكفي المساكين، ولباس من كلّ زهو ومن كلّ منطقة، يجعل الطمّاع وكأنّه عريان. يُوضع فراش الفقير على الأرض وهذا يكفيه، ومرقد الغنيّ أسرّة زاهية وفرش من كلّ نوع، وهذا قليل من أجل الطمع. شراب المسكين ماء يكتفي به،

ويشرب الغنيّ النبيذ المعتّق ولا يزال يحترق. الذهب والفضّة قِنْية الأغنياء، بهما يعثرون، ولأجلهما يتقاتلون. النعاس يهرب من كلّ محبّيّ الطمع، أمّا مرقد الفقير فهادىء مريح. يفكّر المسكين أن يكسر من خبزه للمحتاج، ويتطلّع الغنيّ كيف يضرب مَن هو أضعف منه. طوبى لمَن لا يخدم سيادة البطن. طوبى للرجل الذي لم يقهره الطمع، وطوبى للإنسان الذي يتأمّل في المعرفة التي بها نقطع أصول الطمع.

طمع الرعاة سبب الشرّ

٢٥ تعرفون، يا أعزّاءنا، ممّا كتبنا لكم، أنّه بعلّة الطمع، بان البغض والحسد عند الممسكين بالشريعة والمتسلّطين في شعبنا. إن تعليمنا يوافق مشيتنا. مشينا عكس ما تعلّمنا. فوضع اليد المقدّس الذي قبله بعض الناس منّا، يحسبونه وضع يدٍ فقط. ولا نجد في زمننا مَن يسأل: «مَن هو الذي يخاف الله»؟ ولكن: «مَن هو الأقدم بوضع الأيدي»؟. فإن قالوا: «فلان أقدم»، قالوا له: «يليق بك أن تجلس إلى رأس المائدة». وليس مَن يتذكّر كلام المخلّص، حين وهب الويل للكتبة والفرّيسيّين، وقال لهم: «ويل لكم، لأنّكم تحبّون المتكآت في المجامع، والأسرّة في الولائم، وتحبّون أن يدعوكم الناس: رابي رابي» (لو ١١: ٤٣؛ مر ١٢: ٣٩؛ مت ٢٣: ٥-٦).

فيا إخوتنا، إنّ الألقاب لا تدخلنا إلى الحياة ولا تنجّينا من الموت كما لم تُنجِّ ناداب وأبيهو، ولم تُنجِّ حفني وفنحاس. فمع الألقاب تطلب الأعمال الصالحة، لأنّ الأعمال بدون ألقاب تنجّي الذين يعملون بها، والألقاب بدون أعمال صالحة لا تفيد ولا تنفع شيئًا، كما كتبنا لكم أعلاه. أمّا إخوتنا، فيفتخرون بالألقاب التي قبلوها، بحيث يقيّدون الآخرين ويحرمونهم، ويطلبون الإكرام قائلين: أنا صاحب

السلطان. وهكذا كَمُلَ اليوم ما قال النبيّ: «يتكلّم العظيم حسب إرادته» (مي ٧: ٣). وقال أيضًا: «تبدّد قطيعي وصار بلا راعٍ» (حز ٣٤: ٥). وقال أيضًا: «رعى الرُعاة أنفسهم، وخِرافي لم يرعَوْا» (حز ٣٤: ٨). وقال أيضًا: «أيّها الرعاة الذين تهلكون وتبدّدون خِراف رعيّتي» (إر ٣٣: ٢). وقال أيضًا للرعاة: تَرعَون المرعى الحسن، وما تبقَّى تدوسونه بأرجلكم. والمياه العذبة تشربون، وما تبقَّى تُفسدونه بأرجلكم. وخِرافي ترعى ما داسته أرجلكم، وتشرب المياه الفاسدة التي تركتموها وراءكم» (حز ٣٤: ١٨ـ ١٩).

الراعي الفاسد

٢٦ فيا أيّها الراعي الذي لا يعرف كرامته، «أنت مَن أنت لتَدين عبدًا ليس لك. فإن ثبُت فلربّه يثبت، وإن سقط فلربّه يسقط. ولكنه سيثُبت ثباتًا» (روم ١٤: ٤). فإن كنت لا تستطيع أن تبرّر نفسك، لماذا تُخطىء دائمًا. إن كنت تترفّع عليّ بضميرك وتقول: أنا عليك معلّم وملك؛ وإن لم أقبلك وضعتني في القيود. كيف تعلّمني التواضع، وأنت تترفّع وتتجاهى وتنتفخ؟ وكيف تعلّمني فتقول: «أحبّوا بعضكم بعضًا» (يو ١٥: ١٢)، وأنت مملوء بغضًا وغضبًا؟ وكيف تعلّمني فتقول: «إن أخذ أحد مالك فلا تطالبه به» (لو ٦: ٣٠)، وأنت تطالب بما هو لك وتأخذ الفائدة؟ وكيف تعلّمني العفّة، وأنت عاهر وثرثار ومتجبّر؟ وكيف تعلّمني أن أترك هذا العالم، وأنت سقطت فيه واختنقت؟ وكيف تعلّمني أن أخفّف عن المساكين (أش ٢٨: ١٢)، وأنت تضطهد المساكين زملاءك؟ وكيف تعلّمني أن أغفر ما في قلبي (مت ٦: ٤)، وأنت تحتفظ في داخلك بالخمير العتيق؟ وكيف تعلّمني أن أسالم أخي (مت ٥: ٢٤) وأنت تبلبل العالم الواسع؟ إن وجدتُ فيك ثمارًا لا تليق قلت لي: إن كنت أثيمًا شرّيرًا فتصرّف فقط

حسب أقوالي. ولكنّ الذي يعلّم ويعمل يُدعى عظيمًا، والذي ينقض ما يعلّم يُدعى صغيرًا (مت ٥: ١٩).

نلت الفضّة وكدّستها، وسلِّم إليك المفتاح فأغلقت الباب. أنت ما دخلت، ولم تترك الآتين يدخلون. أنت عين الجسد، فصرت أعمى وأظلم الجسد (لو ١١: ٣٤)؛ بعد أن صار بلا عين. صرت أعمى، وفَقَدَ الجسد البصر. هل للأعمى أن يقود الأعمى؟ أنت تريد أن ترمي جسدك كلّه في الحفرة (مت ١٥: ١٤). الملح الذي يخسر طعمه (مت ٥: ١٣)، يُرمى خارجًا، والعبد الذي يصرّ الفضّة (مت ٢٥: ٣٠)، ينزل إلى الظلمة. العبد الذي يضرب رفاقه (مت ٢٤: ٥١)، يطلب منه سيّده حسابًا، والراعي البليد تقلع عينه وتيبس ذراعه (زك ١١: ١). ما قال الكهنة: أين هو الربّ؟ والممسكون بالشريعة لم يعرفوه. الرعاة كذبوا ضدّه (إر ٢: ٨). من أنبياء أورشليم خرجت الوثنيّة على كلّ الأرض (إر ٢٣: ١٥). المسلّطون على شعبي يُبيدونه، والنساء تسلّطن عليه (أش ٣: ١٢). أمّا ونحن لا نخاف الربّ، فماذا سيفعل لنا الملك العظيم. ويلٌ لنا! ماذا حدث لنا، لنترك الشريعة ونمدح أناسًا منّا بسبب آثامهم. يجب علينا أن نجلس ونسكت ونبقى في ذهول.

تقول لي: تعال فتكون شريكًا في كلّ ما أصنع. إذًا أيّها المعلّم، فيك تتمّ الكلمة التي قالها ربّنا: «تدورون البحر والأرض اليابسة، لتصنعوا مستهديًا، وعندما يصير، تصنعونه ابن جهنّم» (مت ٢٣: ١٥). ضلّ النبيّ وكذب على رفيقه؛ ولأنّ رفيقه سمع كلامه، أسلم إلى أظافر الأسد فسحقه (١ مل ١٣: ١١ي). وحين ضلّ كهنة وأنبياء كثيرون في أيّام آحاب، استبقى الله سبعة آلاف، لم يحنوا ركبهم ولم يسجدوا للبعل (١ مل ١٩: ١٨) (ولم يُحسب إيليّا معهم) ولم يذهبوا وراء

الكهنة الأشرار والعميان الذين يجرّونهم إلى الهلاك. إذا قسّم رحبعام المملكة، فهل أذهب أنا وراءه؟ حاشا لي. إن ترك يربعام إلهه، فهل سأركض في إثره؟ نجّاني الله من هذا.

٢٧ تقول لي: أنا لائق ومقبول، واختارني الله، وإيّاي مسح، لأملك على أبناء شعبي. فاقتنع أيّها الرجل. أقسم الله لفنحاس بن أليعازر، ووعده أن يكون عهد الكهنوت له ولأبنائه إلى الأبد. وخدم فنحاس الكهنوت كلّ أيّام القضاة أي مدّة ثلاثمائة وخمس وستّين سنة. ثمّ قام عالي بعده، وحين تجاوز عالي وأبناؤه الشريعة، أخلف القدّوس بوعده وقال لعالي بواسطة النبيّ: «كنتُ قلت لك، أنّك وبيت أبيك تخدمون أمامي إلى الأبد. ولكن حاشا لي منذ الآن، يقول الربّ. فالذين يكرمونني أكرمهم، والذين يحتقرونني يُهانون» (١ صم ٢: ٣٠).

وإسحق أبونا أراد أن يُبارك عيسو بكره، فاختير يعقوب من بطن أمّه وقبل البركات، كما قيل لرفقة: «الكبير يخدم الصغير» (تك ٢٥: ٢٣). واختار القدّوس شاول ليكون ملكًا، ولكنّه لم يعمل إرادته، فاختار داود ورذل شاول.

يُزيّنون لنا الأمور، ويأتوننا، أيّها الإخوة، بجواب تافه لا يصلح، فيقولون: لأنّ الأيّام سيّئة، أقامنا الله رؤساء على شعبه، على مثال ياهو الذي مسح في الغرفة. فإن سألك أحد أيّها الكاتب الحكيم: متى وُعِدَ ياهو أنّه سيُمسح، ومتى وصلت إليه المسحة؟ ماذا تقول له؟

أمر الله إيليّا على جبل حوريب، وقال له: «إذهب وامسح ياهو، ليملك على بيت إسرائيل ويُبيد بيت آحاب» (١ مل ١٩: ١٦؛ ٢ مل ٩: ٧). تلقّى إيليّا الأمر، وخدم الله سنوات عديدة، إلى أن أُصعِدَ

إلى السماء. ومن بعده قام أليشاع. وحين جاء وقت ياهو، وفاض كَيْل خطايا بيت آحاب، أرسل أليشاع واحدًا من بني الأنبياء، فذهب ومسح ياهو كما أُمر. ويشبّهون الحالة بياهو! هكذا أُمر كاهن أن يقوم على الشعب، وعندما قام أن يُبيد كلّ إخوته ويقيّدهم ويحرمهم كما دمّر ياهو بيت آحاب وأباده. هذا الجواب يُشبه جواب إيزابيل. حين رأت أنّ ياهو صار ملكًا، تزيّنت وراقبته من الكوّة، وقالت له: «تعال بسلام يا زمري قاتل سيّده» (٢ مل ٩ : ٣٠ي). فحكم عليها كلامها. فقتلها ياهو هي أيضًا، ومزّقها ورماها للكلاب.

وإن اختير من بطن أمّه مثل يعقوب، يقولون لنا: تقدّس من الرحم مثل إرميا، وأُعدّ للملك، وسُمّي ابن الله مثل سليمان، واختير قبل أن يُحبل به مثل يوشيا، وأعاد بناء الهيكل مثل كورش.

فاقتنع يا رجل! لم يمدَح هارون نفسه، حين صار رئيس الكهنة (عب ٥ : ٥). وحين أراد الربّ أن يصنع من موسى إلهًا لفرعون ورئيسًا لأبناء شعبه (خر ٧ : ١) رفض موسى مرارًا قبل أن يُرسله الربّ إلى مصر، ليخلّص الشعب من الضيق العظيم، ويصنع بيده آيات وعجائب.

٢٩ هل ننظر إلى علوّ القامة كما عند شاول، أو المنظر الجميل كما عند الباب، أو كمال الحسن كما عند أبشالوم. الله لا يريد المنظر ولا المتكبّرين ولا المنتفخين. قال صموئيل: «الربّ يختبر القلب. أمّا الإنسان فينظر إلى العينين» (١ صم ١٦ : ٧). وقال الرسول: «إختار الله جهّال العالم ليُخجِل بهم الحُكماء، واختار الضعفاء ليُخْجِل بهم الأقوياء، واختار الناقصيّ النَسَب والصغار والمرذولين، والذين ليسوا بشيء، ليُبْطِل الذين هم شيء، فلا يفتخر أيّ بشر أمام الله. وكذلك أنتم» (١ كور ١ : ٢٧ـ ٣٠) وقال إرميا أيضًا: «لا يفتخر القويّ بقوّته،

ولا الغنيّ بغناه، ولا الجبّار بجبروته، فمَن يفتخر فليفتخر بالربّ» (إر ٩ : ٢٣؛ ١ كور ١ : ٣١). فكلّ البشر هم خلائق الله، وليس أمامه عبد وحُرّ، غنيّ وفقير، بل كلّ الذين يخدمونه هم متساوون أمامه. وإن افتخر البشر بكثرة الكلام وكمال المعرفة، فلا يقدرون أن يظفروا بشيء. لأنّه كُتب: «لا يستجيب الله لكثرة الكلام، والرجل الثرثار لا يبرَّر بكلامه» (أي ١١ : ٢). وكُتب أيضًا: «يُزيل الكلمة ممَّن يثقون بها، ويأخذ حسّ الشيوخ» (أي ١٢ : ٢٠). وذلك مع أشياء كثيرة كُتبت حول هذا الموضوع.

تحريض على السلام والصلاح

٣٠ وأنتم، يا إخوتنا، فاسعوا وراء الأمان، واعملوا بالسلام، وأطفئوا الشرّ، وأزيلوا العداوة، وصالحوا المتمرّدين. فالحقّ لا يغلبه الإثم، والتقوى لا يجرفها الشرّ، والسلام لا تسكته الخصومة، والحقيقة لا يكذّبها الرجل.

لا يتوافق البارّ مع الأثيم، والصدّيق مع الشرّير، والصالح مع الطالح، والوديع مع المعاند، والظلمة مع النور، والضياء مع العتمة، والتفاهة مع الملح، والخمير مع العجين الجديد، والنار مع الماء، ولا أبناء الأمان مع المقلقين، ولا المؤمنون مع الهازئين، ولا معتمرو التاج مع أسرى القيود، ولا أبناء اليمين مع أبناء الشمال، ولا أبناء الملكوت مع أبناء جهنّم، ولا خائفو الله مع الذين يُقلقون الرعيّة، ولا كنيسة القدّوس مع تعاليم الشرّير.

الإثم لا يُستر والتدجيل لا يُخف. مَن أراد أن يركض ويتعب في الأمان والسلام، يقبل الطوبى التي يهبها مخلّصنا: «طوبى لصانعيّ السلام فإنّهم يُدعَون أبناء الله» (مت ٥ : ٩). ومَن لا يرغب في أن

يكون ابن الآب الذي في السموات وأخ المسيح الملك؟!

٣١ تأمّلوا، يا إخوة، كم هم أهل للذِكْر الطيّب، هؤلاء الذين يتعبون في صلح الشعب وسلامه. ماذا كان يجب على مخلّصنا للموت؟ هل اقترض من الجحيم شيئًا؟ إذ هو الحيّ مات من أجل المتمرّدين، وصالحهم مع أبيه، ودخل الجحيم وأخرج المحبوسين فيها. تقاتل مع الشرّير وانتصر عليه وداسه، وفتح ثُغْرة في أرضه. سلبه مقتناه وحطّم أبوابه وانتزع مغاليقه. إنتزع شوكه وجعله على رأسه. وَسَمَنا بدمه وحلّ الأسرى من جبّ الحَبْس. فتح ثُغرة في السياج وثلمة في الحربة المسنونة. أخذ اللعنة وسمّرها على صليبه. جمع المتبدّدين وصالح المعاندين، أشبع الجياع وسقى العِطاش، فتح عيون العُميان وشفى المرضى. رفع المحنيّين وجعل العُرج يمشون. أخذ أوجاعنا وشفى جروحنا وداوى أمراضنا. كنّا بعيدين فقرّبنا إليه. كنّا مشتّتين فجمعنا وجعلنا من أهل بيته. أغنانا بفقره وشفانا بمرضه، وآسانا بصلبه وأراحنا بضيقاته.

من أجل كلّ هذا الذي احتمله لأجلنا، وهبه أبوه اسمًا أفضل من كلّ الأسماء، لكي باسم يسوع، تركع كلّ ركبة، ليس من أهل الأرض وحسب بل من أهل السماء أيضًا، وحين يركعون ويسجدون يقولون: يسوع المسيح هو الربّ لمجد الله أبيه (فل ٢: ٩ـ ١١). وصار ديّانًا وربًّا للأموات والأحياء، كما قال في إنجيله: «إنّ الآب لا يدين أحدًا، لكنّه يُعطي الابن الدينونة كلّها» (يو ٥: ٢٢). وهذا هو أجر مخلّصنا من أجل تعبه: إسمٌ عظيم ومفضّل، لأنّه صالح أرض التمرّد. والذين يشتركون معه ويصنعون الصلح والسلام، يكونون إخوة له وأبناء الله، ويرثون الملكوت، ويكونون خُدّامًا ويخدمهم ملائكة السماء، الذين لا يغارون ولا يحسدون ولا يتعبون ولا ينامون،

والذين يفرحون بالخاطئين التائبين عن خطاياهم.

العالم مزيج يبرز فيه الصلاح

٣٢ فيا أعزّاءنا، لا يكفي أن نتعلّم أن نقرأ كتب الله، بل أن نعمل بها، وهذا ظاهر لنا. ما زال الإنسان يحبّ التأنيب والخصومة فصلاته غير مقبولة وطَلباته غير مسموعة، وقربانه لا يرتفع عن الأرض وصدقاته لا تكون لغفران الخطايا. وما دام لا يوجد صلح وسلام، فالباب مفتوح للشرّير. توبيخ وتمرّد، لا حكم ولا بَحْث. تُغَرْبَلُ الحِنطة ويُمزَج الزؤان وينمو الشوك، ويكثر المقلقون ويتقوّى الساخرون ويفضّل الهازئون، لا توبيخ ولا تأنيب ولا فطنة. الملح تفاهة والعين ظلمة والجسد عتمة. بطلت التجارة، فلا سلام لمَن يدخل ويخرج. هذه هي الثمار التي تُولّدها الخصومة.

والآن يُعرف المجيدون ويميَّز المجتهدون ويُختبر الشجعان. الذين يركضون من أجل الصلح ويعملون من أجل السلام، لهم أجر ثابت وجزاء عظيم. هؤلاء يقفون في الثغرة ويصلحون السياج (حز ٢٢: ٣٠) ويهبون نفوسهم للعمل من أجل شعبهم، فيُوسَمون للذكر الطيّب مع المُجيدين والعمّال المُجتهدين.

الصغار يُرفعون

٣٣ فيا أعزّاءنا، من جيل إلى جيل، ومن زمان إلى زمان، كما حَسُنَ للصالح خالقنا، عظّم الصغار واحتقر المترفّعين. رفع المتواضعين وأذلّ المتجاهين، أفقر الأغنياء وأعلى المساكين، حطّ الأقوياء وقوّى الضعفاء، قلب الجبابرة وقوّى صغار القوم.

رفع شيتًا الصغير بَدَل قايين البِكر، ونوحًا بَدَل آدم، فصار أب العالم الثاني، وإسحق بَدَل إسماعيل، ويعقوب بَدَل عيسو، ويوسف بَدَل

رأوبين، وإفرائيم بَدَل منسّى، وأليعازر وإيتامار بَدَل ناداب وأبيهو، ويشوع وكالب بَدَل رفاقهم العشرة الجواسيس، وصموئيل بدَل عالي، وداود بدَل شاول، وسليمان بدَل أدونيا، ويربعام بدَل رحبعام، وياهو بدَل آحاب، ومردخاي بدَل هامان، ودانيال وإخوته بدَل حُكماء بابل، والشعوب بدَل الشعب.

وهكذا كان الأمر بالنسبة إلى النساء أيضًا: رفع سارة بدَل هاجر، والدة البِكْر، وراحيل بَدَل ليئة، وحنّة بدَل فننة، وأستير بدَل وشتي. وسُلّمت النُبوءة والقضاء إلى نساء أيضًا من زمان إلى زمان، كما أراد رافع المتواضعين. مريم كانت نبيّة، وحنّة كانت نبيّة، وحلدة كانت نبيّة، وأليصابات كانت نبيّة، ومريم، أمّ النبيّ العظيم، كانت نبيّة. ودبورة كانت نبيّة، فقضت لإسرائيل في أيّام باراق بن أبينوعم الملك.

أعمال الله

لا أحد يقدر أن يلوم إرادة الصالح إلهنا، لأنّ لا أحد يقدر أن يبحث في أحكامه. فطرُقُه لا تُبحث، وأحكامه لا تُحدّ، وعقله لا يُقاس.

٣٤ عظيمة هي أعمال الله، وعميقة ومُذهلة أفكاره. علّق السماء بلا عواميد، وثبّت الأرض بدون ركائز. جمع المياه في الخزّانات، وحَبَس الرياح والعواصف في أهراء إرادته. بَسَط الرقيع في الوَسَط كفاصل بين مياه ومياه. فصل اليابسة عن البحر، وعلّق النيّرات في الفَلَك. رفع الجبال على الأرض، وفصل النهار عن الليل، والنور عن الظُلمة والصيف عن الشتاء. جعل الرَمْل قيدًا للبحر، وحبس البحار في الأوقيانوس، فما استطاعت الأمواج المُرتفعة أن تتعدّى تُخومه. تسير الشمس بدون أرجل، ويُسرع القمر ليَحُلّ مكانها.

يركض السحاب بدون أجنحة، وتهبّ الريح بدون أكناف. تُسرع المياه ولا نفس حيّة فيها، وتعلّق المياه فوق الأرض وتجتمع في الأسس. لا منظر للريح ولا فم للهواء ولا شبه للسماء ولا معرفة للسحاب. قديرة حيوانات البحر، ومُذهلة التنانين التي في داخله. مُنبسطة أكناف العقل، ومفروشة أجنحة الفكر. حواسّ الضمير تجس، وعينا التفكير تحدّقان، ومنافذ السمع تُراقب، لترى وتعرف العاقبة. ولا أحد يُدرك كلّ حدودها.

٣٥ مَن أحسّ بمكان المعرفة، ومَن أدرك جذور الحكمة، ومَن تبيّن موضع الفَهْم؟ هذا أخفى من كلّ حياة وفِكْر وجسد. لا يشتريه بالذهب أيّ بليد، وكنزه مفتوح ومتروك للسائلين. نوره أفضل من الشمس، وبهاؤه أجمل وألمع من القمر. زوايا الضمير تجسّه وحواسّ الفكر تقتنيه، وترثه كنوز المعرفة. مَن فتح باب قلبه وجده، ومَن فتح كنفي عقله ورثه. يُقيم في الإنسان المجتهد، وينزرع في قلب الحكيم. جُذور هذا الرجل مُثبّتة بينابيعه، ويقتني به الكنز المدفون. يطير فكره إلى كلّ علاء وينزل عقله إلى كلّ عُمْق. يصوّر في أعماق قلبه المذهلات، وترى عينا حواسّه عَبْرَ البحار. كلّ الخلائق محبوسة في فكره، ويوسّع رغبته ليقتبلها. هو هيكل خالقه العظيم، فيدخل فيه العلاء ويحلّ فيه. يرفع عقله إلى العلاء ويطير فكره إلى بيت المقدس، ويبيّن له كنوزًا من كلّ لون. يضيع فكره بالرؤية، ويُسْبَى قلبه بكلّ حواسّه، يُبيّن له ما لا يُعرف ويُرى ويُحْدِق به فينزهل فكره في كلّ ما يرى. يركض كلّ الملائكة لخدمته، والساروفيم يُعلنون قداسة مجده، يطيرون بأجنحتهم السريعة ولباسهم أبيض جميل. يُخفون وجوههم من بهائه، وركضهم أسرع من الريح. هناك يُهيّأ عرش الملكوت، ويستعدّ الديّان للمحكمة. وتُوضع

الكراسي للصدّيقين الذين يدينون الأشرار يوم الدين.

كنز الحكمة الإلهيّة

عندما يرى الحكيم في ضميره، المنطقة الكثيرة الكنوز، يرتفع فكره ويَحبل قلبه ويَلِد كلّ خير، فيتأمّل بكلّ ما أمر. وجهه على الأرض وحواسّ عقله هي في الأعالي وفي الأعماق. فكره أسرع من الشمس ويطير شعاعه أسرع من الريح، يطير مثل جناح سريع في كلّ جهة. الحكيم ثابت في فكره، صغير وضعيف في نظره، مغمور ومملوء بكنز ثمين. في الليل يستنير الظلام ويُرسل أفكاره في كلّ جهة. عقله يجسّ كلّ الأسس، ويسلّم إليه كنز المعرفة. يرى ما تسمعه أذناه، ويُحِسّ ما لا تراه عيناه. عقله يعبر كلّ البحار، ولا تُحسب أمامه الأمواج القوّية، لأنّ فكره لا يطلب سفينة ولا ملاّحًا. كنز تجارته عظيم ومُفضّل. حيث يُعطي ممّا له لا ينقص، ويغتني من كنزه المساكين. لا حدود لعقله الذي يتجمّع ويحلّ في داخله. والمكان الذي يحلّ فيه الملك، وحيث يُخدم، مَن يقدر أن يحسب كنوزه؟ كثيرة هي غلاّته ونفقاته. إنّه كملك لا يحتاج إلى شيء.

الخلائق تُطيع إرادة الله

٣٦ إسمعوا، يا أعزّاءنا، ما نذكّر به نفوسنا ونذكّركم به، وهو كيف أنّ خلائق الله تصنع إرادته، ولا تعصي أمره. كلّ واحدة تعمل إرادته بسُرعة، على حسبِ ما أُمِرَت به. أمّا البشر، فمن وقت إلى وقت، يعصونه ولا يصنعون إرادته ولا يسمعون ولا يفهمون. فلقد لَعَن القدّوس بواسطة إرميا، أبناء شعبه، فقال لهم: «ألا تخافون منّي، يقول الربّ. ألا ترتجفون أمامي؟ وضعت الرمل حدودًا للبحر شريعة لا يتجاوزها أبدًا. يُقاتل ولا يقدر. ترتفع أمواجه ولا تتجاوزه. وهذا

الشعب كان لهم قلب مُعاند متمرّد، ولا يريدون أن يسمعوا الوصايا» (إر ٥: ٢٢ـ ٢٣). أنظروا العجائب المذهلة: البحر أسير الرمل، والأمواج مقيّدة بأمر، وكلّ العواصف ممسوكة بكلمة. تعلو وترتفع حتّى السماء، وتنخفض وتنزل حتّى الأعماق، ولكنّها لا تتجاوز الحدود التي أمرت بها. فإن قال إنسان: هي أسيرة بطبعها، فليفهم ما حدث في أيّام نوح. حين جاء الغضب بمياه الطوفان، أخذ الكلمة التي تربط أيديّ الغَمْر، ورفع الأمر عن الرمل الآسِر. وفتحت المياه ثُغرة وعبرت الحدود وانفتحت تُرعات السماء. شقّت الرقيع الذي هو الحدود بين ماء وماء، وكانت المحاكمة للأشرار. كان قد وُضِع الرقيع حدودًا بين المياه التي فوق الرقيع والمياه التي تحت الرقيع، كما كُتب: «صنع الله الرقيع في وسط المياه، ليكون فاصلًا بين مياهٍ ومياه» (تك ١: ٦ـ ٧). وعلّق فيه النيّرات وسمّاه سماء. وجمع المياه من على وجه اليابسة في مكان واحد، وسمّى مُجتمع المياه بحارًا، وسمّى اليابسة أرضًا. وحين أصدر حكمه على الأشرار، وأفنى الجيل الفاسد الذي تجاوز الوصيّة، عادت المياه السُفلى إلى الغمر ووقف الرمل ليحفظ الأمر وأمسكت ترعات السماء، وحفظ الرقيع المياه العُليا بحسب الأمر. يقف العالم بين المياه التي فوق الرقيع والمياه التي تحت الأرض. والمياه الكثيرة المحبوسة في السحب ممسوكة وموضوعة عند إرادته التي هي الأساس. وليست المياه وحدها التي تعمل إرادته بل أيضًا كلّ الخلائق تنفّذ أمره في كلّ وقت وبسرعة. المياه في أيّام نوح، والمياه والنار والظلمة والبعوض والجراد والبرد وكلّ الضربات التي حصلت لمصر بيد موسى. أطاعت الشمس والقمر وحجارة البرَدَ أمر يشوع بن نون حين قال: «يا شمس قفي في جبعون، يا قمر في وادي إيالون» (يش ١٠: ١٢). ولماذا وقفت الشمس في جبعون؟ لأنّ الجبعونيّين التجأوا إلى إله إسرائيل، فصعد

عليهم ملوك الأموريّين قبل أن يبيدهم يشوع، حين جمدت الشمس وتوقّف القمر. ونجوم السماء عملت إرادته، فقاتلت من أمكنتها وحاربت سيسرا ومديان في أيّام دبورة وباراق بن أبينوعم. وصنعت إرادته أيضًا الوحوش المفترسة: الدبّ مزّق الأولاد، أبناء الشرّير (٢ مل ٣: ٢٤). والأسود حرست دانيال بأمره. وسمك البحر أيضًا عمل إرادته، حين أمره، ابتلع يونان، وحين أمره أفلته على الأرض اليابسة (يون ٢: ١١). وعمل إرادته أيضًا الدود في نبتة القرع الذي أعطى الظِلّ ليونان. أمره قرض النبتة، وأيبستها الريح المحرقة بحسب الأمر. وعَمِلت أيضًا إرادته الغِربان، هذه الطيور المجنّحة، فأطعمت إيليّا في نهر كريت. وصنعت إرادته الأسماك العديدة حين اصطادها، بمعجزة، رُسُل مخلّصنا. وأعطت سمكة أخرى جزية الرأس من أجل مخلّصنا وسمعان تلميذه. فالسماء والأرض وكلّ المخلوقات تصنع إرادته في كلّ آن، ولا تعصي واحدة منها مشيئته.

الإنسان يرفض الله: المنازعات

٣٧ ولكن لا يوجد تجاوُز الشريعة إلّا عند آدم. فهو يتجاوز الشريعة منذ اليوم الأوّل وإلى الأبد.

فيا أعزّاءنا، هل من عِناد أعظم من هذا؟ فبسبب جوّ الفساد والمنازعات، خرج بين شعبنا أناس متهوّرون أشرار، منافسون ودنيئون، شتّامون ونمّامون، حسودون وغيورون، فاسدون ومحبّو الطمع، يفرحون بالدمار ويرضون بالفخاخ، يُبغضون الحقّ ويطردون التقوى، سالبون جائرون، دجّالون ومحتقرو رفاقهم. ثابتون في الزيف ومستترون بالشرّ، يهزأون بالأخيار ويجمعون الربح، يحتقرون الأبرار ويحبّون المنازعات، يُقلقون المُصلحين ويدفعون إلى الخصومات، يحبلون بالإثم ويلدون الزور، يشوّهون الكلام

ويبتعدون عن التأديب، مملؤون غضبًا وضميرهم مُعاند، يثبّتون نزواتهم ويُبغضون المساكين. مُفتخرون ومُترفّعون، سارقون وظالمون، مُمالقون وثرثارون، طمّاعون ونَجِسون، يغوون فيقودون إلى الهلاك، سكّيرون وشَرِهون، ماكرون وكذّابون، يُخفون الحسد ويحبّون الفساد السيّء، هم سبب الحسد ومُسبّبو الخصومات، مملوؤن غِشًّا وفارغون من الصلاح، يُقرضون الفضّة بالربى ويبيعونها مع الفائدة، عمّال أشرار وأجراء كسالى.

يأكلون باسم ربّنا، ويقبلون التكريم باسمه، يُدعون باسمه وهم فارغون من كلامه. هم عمّال خادعون، يصرّون الفضّة، وليست لهم منها فائدة. هم عبيد أشرار يخنقُون زملاءهم (مت ١٨ : ٢٨)، وزؤان وسط الحِنطة. هم ظلمة في النور، وأنبياء دجّالون، ومُسحاء كذبة. هم أبناء الشمال ووارثو الظلمة الذين يطلبون الماء من الأبرار (لو ١٦ : ٢٤). هم أشواك في الكرم، يبنون على الرمل بناء سيسقط (مت ٧ : ٢٦). يبتعدون من الجهاد، لأنّ إلههم بَطْنُهم ومدحهم خِزْيهم (فل ٣: ١٩). هم حائط مكلّس وجيش شرّير وأبناء الشيطان. هم حيّات قاسية، وكلاب بكماء لا تستطيع أن تنبح. هم مبرّرو نفوسهم، وحكماء للشرّ وليس فيهم فَهْم. هم رُماة المنازعات الذين يفرحون بالانقسامات ويرقصون للفخاخ. ينامون عن عمل الخير ويستيقظون للشرّ ويلدون القتال. هم أحبّاء نفوسهم، متكبّرون ومُبغضو المسيح. هم خمير عتيق وزقاق بالية وأثواب ممزّقة. هم حبّة بين الشوك وصخرة للزرع ورمل للبُنيان. هم مرفوضون من الملكوت، وتراب للحيّة وسراج تحت المكيال. هم ملح تافه، يُرمى في الخارج فلا يكون لفائدة. هم مفطومون عن الخير وفضّة زائفة وآنية محطّمة. هم كرم من الخروب وجفنة تحمل ثمارًا مرّة، ونصبة عمورة.

هم فضّة مرذولة رذلها الربّ، وسمّاهم أنجاسًا، وحُبًّا متقلّبًا، وبتولات جاهلات وحارسيّ الأبواب النائمين. هم يبرّئون المذنب ويُجرّمون البريء وأبناء الخِصام. هم يُبغضون التأنيب ويبيعون الكلام ويأكلون خبزهم وهم يروون القصص. يتحفّظون في كلامهم ويثرثرون في الخِفْية ويضربون بالخفاء. يُخطئون بالكلام وينظرون إلى مَن يهبهم العطايا، ويرمون الخِلاف بين الإخوة. هم ألسنة دجّالة وقلب يُحْسَب للشرّ والجَوْر. كلامهم حُلو ولكنّه أمرّ من العَلْقَم، إنّهم أوتاد. هم مُحاربون مغلوبون، وملّاحون غارقون، وصيّادون هالكون. هم رُقباء ماكرون ينتظرون سقوط الآخرين ويُثيرون الحروب. هم رسل ممالقون يرمون حجر العِثار ويُقلقون الممالك. هم سمّ الموت، وزُعاف الحيّة، وناب الأفعى. هم أعداء المصلوب، وحَجَر عثرة للصليب، ومُبغضو المسيح. هم أبناء يلدون الخِصام، وهم ثِمار الانقسام.

المسالمون

٣٨ فيا أعزّاءنا، يا أبناء الصلح، يا تلاميذ المسيح. أنتم نور العالم وملح الأرض وعين الجسد. أنتم أصدقاء الختن، والزرع الجيّد، والبناء الذي على الصخر. أنتم بنّاؤون حكماء، تحفرون الأساس وتكشِفون الاهتراء. أنتم فلّاحون مجتهدون تملأون الأهراء وتجمعون الغِلال. أنتم تجّار حكماء تأخذون الفضّة وتُبيّنون الربح. أنتم فَعَلَة مستأجرون تأخذون الأجر وتطلبون أكثر. أنتم مُمسكو المفاتيح والرُسُل المؤمنون الذين ينفُخون في البوق. أنتم قَهارِمة ووكلاء، أنتم زقاق جديدة وثياب مجيدة. أنتم رُسُل تُرافقون الختن، والعروس المزيّنة، والنور في الظلمة. أنتم أبناء السلام، وإخوة المسيح، وهيكل الروح. تركضون في الجِهاد، وتتعبون في الحَلَبة، وتأخذون الأكاليل. أنتم

جفنات في كَرم، وزرع حِنطة صالحة تُعطي ثمارًا، واحدًا بمئة. أنتم تُنيرون السُرُج فتدخلون في باب الملكوت الضيّق. أنتم أبناء اليمين الذين يُسرعون في الطريق الصغير الضيّق. أنتم المُخلَّصون بالصليب، المشترَون بدم المسيح وجسده. أنتم رُسُل المسيح والكارزون الحقيقيّون والمولودون من الماء. أنتم رائحة طيّبة، تفوح رائحتكم في كلّ مكان. أنتم عجين جديد ليس فيه خمير عتيق. أنتم مدعوّو الخَتَن، واللابسون الثياب التي تليق بالوليمة. أنتم حاملو النير، الجالسون في الصمت، وأسرى الكنيسة في العُزلة. أنتم أبناء الكنيسة، تُربّون أبناءها وتجمعون الرعيّة.

٣٩ أنتم الرعاة المجيدون، تُرجعون قطعانكم إلى المرعى الصالح.

يسوع رأس الرعاة

ويسوع مخلّصنا هو رأس الرعاة. هو نور في الظُلمة، وسِراج على منارة، يُنير العالم ويطهّر الخطايا. هو اللؤلؤة الحسنة. ونحن التجّار نبيع مُقتنياتنا ونشتريها. هو الكنز في حقل. فحين نجده نفرح ونشتريه. هو ينبوع الحياة ونحن العِطاش نشرب منه. هو المائدة المملوءة سَمِنًا وشِبَعًا، ونحن الجِياع أكلنا وتلذّذنا. هو باب الملكوت المفتوح أمام كلّ الداخلين. هو الخمرة المفرحة التي يشرب منها الباكون، فينسون أمراضهم. وهو اللباس والثوب المجيد الذي يلبسه كلّ المنتصرين. هو كرمة الحقّ، وأبوه الكرّام ونحن جفنات منصوبة فيه. هو البرج الذي عليه بُني الكثيرون. نحسب النفقة لنبني ونكمّل. هو الخَتَن، والرسل هم أصدقاؤه ونحن عروسه. لنُهيِّئ هديّة العرس. هو السُلّم التي تصعد إلى العلاء، لنعمل ونُجاهد لنصعد عليها نحو أبيه. هو الطريق الصغير الضيّق، لنُسرع على خُطاه ونبلغ الميناء. هو الكاهن وخادم القدس، ونحن نعمل لنكون أبناء بيته. هو الملك العظيم النبيل الذي ذهب ليأخذ ملكه (لو ١٩: ١٤).

لنكرّم ضعفه ليُشركنا في عظمته. هو الكارز ورسول العليّ. لنسمع كلماته ولْنَكُنْ أبناء سِرّه. هو الحبّة التي تُعطي الثمار العديدة. حين زُرعت كانت صغيرة، وصارت شجرة قويّة. هو الابن البِكر وابن مريم، لنقبل ضُعفه فيفرحنا بعظمته. هو الذي تألّم وعاد إلى الحياة، وصعد إلى العلاء. لنُؤمن حقًّا فنتقبّل مجيئه. هو ديّان الأموات والأحياء الذي يجلس على عرش ويدين القبائل. هو الذي يُورث الملكوت، ويُرسل إلى العذاب ولا يأخذ بالوُجوه ولا يقبل رَشْوة.

فالآن لنشكر أباه ونسجد لمُرْسِله. لنقدّس مُرسِله الذي ارتضى بنا واختارنا، وفرّحنا به ودعانا به، وصالح ضُعفنا مع عظمته. ليس لنا شيء نُقابل به هذه المراحم إلّا الشكر والسجود ومحبّة بعضنا. لنعمل بهذه الثمار التي تقودنا إلى حياة الأبد.

الابتعاد عن الطمع

٤٠ يليق بنا، يا أعزّاءنا، أن نلتفت نحو الله ونقرّب له توبة القلب، ولا نُشارك في قساوة فرعون ولا جَهْل رحبعام. لنبتعد عن الخُصومات والانقسامات التي تُريح إرادة الشيطان. إنّه يدخل بطريقة خَفيّة على البشر، فيثُيرهم بالشهوات التي هي كثيرة. يدخل على بني آدم بشَهْوة من الشهوات، ويُفرغهم من كلّ صلاح فيصبحون كآنية فارغة.

بدأ بأبيهم الأوّل، حين لم يكن فيه أيّة شهوة ليعرفها ويهرب منها، لأنّ حِيَل الماكر عديدة. بشهوة الطعام أخرج آدم من الفردوس، وبشهوة القَتْل فصل هابيل عن قايين أخيه، وبشهوة السُخرية جعل حاما آخر عبيد إخوته، وبشهوة الطمع أبعد عيسو عن البركات والبُكوريّة. وبشهوة الفِسْق سقط شكيم بن حمور بالسيف هو وكلّ شعبه. وبشهوة البُغْض والحسد، باع أبناء يعقوب يوسف أخاهم

للعرب. وبشهوة الفِسق، أرادت أن تُغري يوسف امرأة سيّده فأفلت من عُبوديّتها. وبشهوة الفُجور فَنِيَ أهل سدوم. هجموا على النار والجَمْر، فاحترقوا في التنّور. وبشهوة الغَيْظ، غَرِق فرعون ملك مصر في البحر هو وجيشه. وبشهوة نتانة أرض مصر، هلك بنو يعقوب في الصحراء الخربة.

بشهوة الطمع بالخيرات، حُرِم بنو رأوبين وجاد ومنسّى، ولم يدخلوا أرض الموعد مع إخوتهم. وبشهوة الطمع والسُكْر، احترق ناداب وأبيهو في المعبد. وبشهوة الطمع والسرقة، عكّر الربّ عاكان، فوقع بين يديّ يشوع. وبشهوة الفُجور عند زمري بن سالو، سقط من بني إسرائيل أربعة وعشرون ألفًا في ساعة واحدة. وبشهوة التحدّيّ والإثم، قتل أبيمالك بن جدعون إخوته السبعين. وبشهوة دليلة، المرأة الزانية، ضَعُفَت قوّة شمشون، فانتُزِعَت منه علامةُ نَذْره. وبشهوة النجاسة عند رجال جبع، سقط بالسيف من بني إسرائيل وبنيامين خمسة وستّون ألفًا. وبشهوة الطمع عند ابني عالي، رُذلا وخرجا من الكهنوت المقدّس.

بشهوة الشفقة والرأفة على عماليق، انتزع الله من شاول مملكته. وبشهوة تامار، أخت أبشالوم، قُتِل أمنون بِكْر داود. وبشهوة الترفّع عند أدونيا ابن حجيت، لم يَفُز بالمُلْك على بيت داود. وبشهوة النساء الكثيرات، مال قلب سليمان عن إلهه. وبشهوة جهالة رحبعام، قسّم الربّ مملكته وانتزعها منه. وبشهوة الإغراء عند يربعام بن ناباط، سقط من بني إسرائيل بيد أبيا بن رحبعام خمسمائة ألف في يوم واحد. وبشهوة كَرْم نابوت الذي اشتهاه، صعد آحاب إلى الحرب وسقط في راموت جلعاد. وبشهوة فضّة نعمان التي أخذها جيحزي، لبسه البَرَص هو ونسله إلى الأبد. وافتخر حزقيا بشهوة كنزه، فسُبي

مُقتناه وأبناؤه إلى بابل. وبشهوة التجديف عند سنحاريب، سقط جيشه بسيف العليّ. وبشهوة قلبه طُرِدَ نبوكدنصر من بين البشر، ليعيش مع وحوش البرّ. وبشهوة امتلاك خيرات اليهود، أراد هامان أن يُفْني نسلهم. وبشهوة الاتّفاق مع الأشرار، افترى الكلدانيّون على دانيال. وبشهوة السرقة، سلّم يهوذا المسيح الملك. وبشهوة العِناد، رَذَل إسرائيل المسيح وكفر بملكوته.

٤١ وهناك أمور كثيرة موجودة في الكتاب.

إنّ فخاخ الماكر مزروعة أنواعًا أنواعًا. فهو يبسط شبكته كالصيّاد الحكيم. يَسْبي ويحمل ويُوصل إلى الهلاك حسبما يشاء. شهواته عذبة وهو لا يتصرّف بالقوّة بل بالإغراء. يبدو حُلوًا بينما هو أمرّ من العَلْقَم. حين يغضب إنسان ثمّ يتصالح مع أخيه، يُولول الماكر ويبكي لأنّه أفلت من عُبوديّته. يحزن بالسلام ويحبّ البلبلة ويرمي حِبال شِباكه لأيّ سبب. يَطْمُر فِخاخه كالصيّاد الماهر الحكيم، ويرمي ويجمع عنده كلّ أبناء بيته. طُرُقه واسعة وسُبُله فسيحة، ويُسرع نحوه كلّ أبناء الخِصام. يراه الحكماء فيبتعدون عنه، ولا يصنعون مشيئته، لأنّهم يعرفون أنّه ماكر. وفِخاخه المطمورة يراها الحكماء. ومِصْيَدته الممدودة ظاهرة أمامهم. لا يُؤمنون بغواياته، ويُفلتون من طعمه لأنّه مرّ.

الإصلاح الأخويّ

٤٢ كلّ هذا الذي كتبناه لكم، يا أعزّاءنا، هو أيضًا لنُذكّر به نفوسنا. أنتم لا تحتاجون أن تتعلّموا منّا، ولكنّنا نعمل كناصحين ومُعاونين، كما كُتب: «الأخ الذي يساعده أخوه، يُشبه مدينة حصينة» (أم ١٨ : ١٩). وقال الرسول: «نحن مُعاونو فرَحِكم» (٢ كور ١ : ٢٤). وقال

أيضًا: «كانوا لنا مُعاونين في ملكوت الله» (كو ٤ : ١١). وكتب أيضًا في رسالة أخرى: «هكذا، ليس فيكم إنسان حكيم يستطيع أن يسوّي الأمور بين الأخ وأخيه» (١ كور ٦ : ٥). فالحكماء والذين يخافون الله، وإن خرجت الكلمة من إنسان بسيط، يقبلونها ولا يخجلون. موسى النبيّ، والرئيس العظيم لكلّ شعب إسرائيل، قَبِلَ النصيحة الصالحة من يترو كاهن مديان. وكُتب اسم يترو في الكتاب المقدّس، وثَبُتَت نصيحته في إسرائيل إلى الأبد.

فإن رفض إنسان قبول نصيحتنا، وما سعى وراء المُصالحة، فليفهم أنّ مثل هذه الأشياء حدثت منذ البدء، ووُجد في كلّ جيل أناس جُهّال لم يسمعوا النصيحة الصالحة، فحلّ بهم الشرّ في النهاية. أخطأ آدم فدعاه ربّه ليتوب، فلم يقبل وتستّر بعُذْر، وقال: «حوّاء أضلّتني» (تك ٣ : ١٢). فما ندم ولا تاب. وحين قتل قايين أخاه، تكلّم الله معه ليندم ويتوب فتستّر بعُذْر، وقال: «ما رأيته» (تك ٤ : ٩). وحاول الله مع أهل سدوم، فأرسل إليهم ملائكة لعلّهم يتوبون، ولكنّهم ثبتوا في عنادهم وهلكوا. إحترقوا كلّهم بالنار والكِبْريت. ونصح الملك فرعون عُظماؤه: ستهلك مصر بسبب خُصوماتك، فلم يسمع لنصيحة الحُكماء. ونصح رحبعامَ الذين تدبّروا شؤون المُلك مع أبيه، فرَذَل حِكمة الحكماء وأخذ بنصيحة الصبيان. فقُسّمت مملكته وحلّت به الإهانة.

أمّا أنتم، يا إخوة، فأنتم حُكماء علّمكم الله. لا تخافوا ولا تخجلوا أن تطلبوا السلام، وتركضوا وراء الأمان.

الحسد والخُصومة

٤٣ الحسد كالخصومة يُبلبل الممالك، ويخرّب المدن ويفني الشعوب،

ويقلب الحصون ويقتل كثيرين وبسببه يكثُر الخراب. الحسد كالخصومة يفصل الأخ عن أصدقائه، ويطردهم من مدينة إلى مدينة ويجعلهم غرباء ومُضطهدين في مناطقهم. فإنّهم وإن كانوا أحياء يمشون على الأرض، إلّا أنّهم يُحسبون أمواتًا لدى أبناء جنسهم. يفصل الحسد النساء عن رجالهن، ويجعل الأبناء ضدّ آبائهم، ويفصل بين المحبّين ويجعل من الأصدقاء أعداء. الحسد يُبلبل ويرفع الإنسان فوق رفيقه، ويقسم اثنين على ثلاثة وثلاثة على اثنين. يقتل الرجل رفيقه بلسانه ويضرّه بفمه ولا يرحم. يلد الحسد في الإنسان نُواحًا، يومًا بعد يوم، وأفكار شرّيرة تثبت في الذين يحبّون الخصومات. الخمير العتيق يختمر ويعتق فيهم. يحبلون بالاهتراء ويلدون الثمار المرّة. يُهَرّب النعاس في ليل طويل، ويُحوّل الصديق فيشتم صديقه.

إن حصل وطرق قلبه فكر حسن فالشرّير يطرده ويخرجه من قلبه. يزرع جذوره في زوايا عقله ويثبّت مساميره في أفكار قلبه. يأتيه بأفكار عديدة فتقيم داخل عقله. ما ولد من الشرّير يَلِجُّ ويزرع بذور الشجرة ومعاشرة الحكماء غريبة عنه. يختنق فيه الزرع الطيّب كما تَختنِق الحِنطة بسبب الأشواك. يزيل الثمار الحسنة من ضميره ويقلع الزرع الجيّد من قلبه ويرميه. يقيم الشرّير حُرّاسه على باب فكر الإنسان، فيبلبلون ضميره بإغراءات كثيرة، تدخل عليه شيئًا فشيئًا، وكالمياه فتسقيه. قلبه كصخر جامد. يسقط عليه الزرع الجيّد فيعجّل ويقبله، ولكنّ جذوره تيبس فلا يصنع ثمارًا. يقوم ويصلّي كعادته كلّ يوم، يبدأ ويكمّل ويختم صلاته، ولكنّ قلبه لا يُحسّ بما تُخرجه شفتاه. يُورد فمه التعليم العاديّ، وقلبه فارغ من الصالحات. أبعد عن باله تعليم الروح، فنسي عقله ما تعلّمه البارحة. وحين يتذكّر يُخرج نُواحًا فيشجّعه الشرّير ويملأ قلبه. فكر ماكر دخل فيه، فطاف قلبه كما

على بحيرة ماء عميقة. حلّت العتمة في قلبه والظلام في ضميره والعمى في وجدانه فيجسّ الأشياء ويروزها. يُمسكه الشرّير بيده ويركض به، ويقوده في سُبُل ومتاهات، لا في سويّ الطريق. يرذل ويرمي من أمامه كلّ فكر حسن ويجعله يفكّر في قباحاته، ويشجّعه قائلًا: لا تسمع البراهين المقنعة ولا تفرض على نفسك الاتّضاع والمصالحة. يضحك عليه الشرّير عندما يُمالقه، لأنّه اقتناه كعبد يصنع مشيئته، وهو لا يُحسّ أنّه بِيْعَ لقاء لا شيء، ولا يُلاحظ أنّ وِجدانه صار أعمى. يستنبط كلّ حيلة ويخدعه بها، ويرمي له الطعم كما لعصفور. يفرح قلب العصفور الصغير والعديم الخبرة، حين يرى الطعم المطمور على فم الفخّ. يقترب ليلتقطه وهو العديم الخبرة، فيُطبق عليه الفخّ. يحاول أن يُفلِت ولكنّه أُخِذَ. يفرح الصيّاد الحاذق بحظّه، لأنّ تسليته لم تكن باطلة. هكذا هو الإنسان الذي يحبّ الخصومة والحسد. يَنفخُه الشرّير ويملأه من ثماره المرّة، ويُغريه ويجتذبه كالعصفور. يرمي له الطُعم فيُطبِقُ الفخّ عليه. وعندما يصطاده بحلاوة غِواياته، يعلّمه براهين لم يسمعها. يعلّمه الدينونة ويلاحقه بالكلام ويُحيط ضميره ببراهين مضرّة. وإن حدث وتعلّم الصالحات، فهو يُنْسيه إيّاها، فتخرج من قلبه. وما هو للشرّير يحفظه في قلبه ككنز خفيّ. وتتثبّت جذور الشرّ في ضميره، فيحتاج إلى كثير من التعب والمشقّة قبل أن يقلع له أظافره التي هي كأظافر أسد تنغرز في فريسته. والطبيب الحكيم وحده يقتلع بكثير من الأدوية أظافر الشرّ من قلبه. فمهما طالت الأيّام، ومهما بقيت أفكار السوء في الإنسان، يلد قلبه ثمار الشرّ ويكوّن لسانه براهين ومماحكات. وشهوة الشرّير حُلوة وهي تجتذب الضمير، وآخرتها مرّة أكثر من سَمّ الحيّات. وكلّ مَن يُمسك في قلبه حِقْدًا، لا دواء يشفيه إلّا السلام: ليخضع الإنسان لأخيه وليتحمّل الظُلم من صديقه. وما دمنا نقرّب

ثمار سلام، تعبُر منازعات الحسد ولا تُذكر، ولا تخطُر على القلب.

كيف نُعامل بعضنا بعضًا

٤٤ يا أعزّاءنا، تكفينا خطايانا الخاصّة، فلا نعثُر بالحجارة العديدة. فإن التقى أخ بأخيه مال عنه بوجهه ورفض أن يسلّم عليه. وإن التقى بوثنيّ شرّير، اقترب وبادره بالسلام. يا للعمى الذي يُظلم الضمير! يا لرُقاد الموت! أيّ عُذْر نقدّمه؟ إن التقى بنا رجل إثْم، شرّير وغنيّ، نركع أمامه ونُبادره بالسلام، ولكن لا نُسلّم على إخوتنا وأعزّائنا! فالشرّير بحسده يمنعنا. ولكنّ الربّ أمرنا: «أحِبّوا بعضكم بعضًا» (يو ١٥ : ١٢). وحرّضنا الرسول الفاضل على الحبّ (١ كور ١٣ : ١ي). وقال موسى أساس الأنبياء: «لا تُبغض أخاك في قلبك لئلا تخطأ» (لا ١٩ : ١٧). ولكنّ بعضًا منّا يُبغضون في قلبهم، ويُخرجون الكلمات الطيّبة بشفاههم. إنّ ربّنا فتح أمامنا كنزه العظيم المملوء من كلّ خير. فيه الحبّ وفيه السلام، وفيه الصداقة وفيه الشفاء، وفيه كلّ أنواع الخير والجمال والفضيلة. وسلّط حرّاسه على كلّ كنزه وأعطاهم بواسطة قهارمه القيود والسجون والرباطات، وسلّطهم ليربُطوا ويحلّوا. ولكنّ الحرّاس تركوا الحبّ والسلام والصداقة وكلّ الكنوز، وفضّلوا أن يأخذوا السلاسل والقيود، فصاروا حارسيّ سجون ومتّهمين ومعذّبين، بدل أن يكونوا حرّاسًا على كنز كلّ خير. مَن يدخل يُوضع في القيود ومَن يخرج يُسجن. أيوجد مَن يخطأ ويُهين الله ويُمالق حارسيّ السجن، فسلاسله يحلّونها ويقولون له: الله رحيم وهو يغفر الخطايا، فادخل وتعال للصلاة. أمّا إن أغاظهم ولو بشيء طفيف قالوا له: أنت محبوس ومحروم من السماء ومن الأرض. وويل لمَن يتكلّم معك!

فيا إخوة، نرجو الملك حين يرى أنّ حرّاسه تجاوزوا الشريعة، وبدّلوا

الوصيّة التي أعطيت لهم وأقاموا إرادتهم، أن يُقيّدهم بالقيود التي أحبّوا ويُطالبهم بدم عبيده، ويحرمهم من كنزه الذي لم يحبّوه.

علّمنا ربّنا: «إذا خطىء إليك أخوك، عاتِبْه بينك وبينه، فإن تاب فاغفر له، وإن لم يسمع لك، فَخُذْ واحدًا أو اثنين، لكي تقوم كلّ كلمة أمام شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع لهؤلاء، فقُل للكنيسة، وإن لم يسمع للكنيسة فليُحسب لك حينئذٍ كالوثنيّ والعشّار» (مت ١٨ : ١٥_ ١٧)؛ هذا إذا لم يقتنع. أمّا نحن فلا نلوم بعضنا، لا أمام اثنين أو ثلاثة، ولا أمام الكنيسة. لا حكم ولا لوم، بل القيود والحُرْم!

وقال ربّنا أيضًا: «إن أخطأ إليك جاهل سبعين مرّة سبع مرّات في يوم واحد فاغفر له» (مت ١٨ : ٢٢؛ لو ١٧ : ٣). أيّ إنسان تكون جهالاته كثيرة، بحيث يُخطىء إلى رفيقه في اليوم الواحد أربعمائة وتسعين مرّة؟. ولو أخطأ كلّ هذه المرّات، فربّنا يأمرنا أن نغفر. ونحن حتّى بعد أربعمائة وتسعين مرّة لا نغفر ذنبًا واحدًا. نموت بخطايانا، لأنّنا حَفِظْنا الحقد، هذا عدا ذنوب كثيرة.

٤٥ فيا إخوة، هذه بعض كلمات عن الصُلْح والسلام، كتبناها لكم في هذا الوقت، بسبب البلبلة الحاصلة بيننا، لكي نشارككم سلامكم وسلام إخوتنا الموجودين هنا وهناك، الذين وصل إليهم خبر الخصومة والانشقاق. وإن كان إنسان لا يقبل هذه الكلمات، لا نظلمه ولا نحتقره. فبين الذين لم يكن العالم يستحقّهم (عب ١١ : ٣٨)، وُجد من زمان إلى زمان، أناس أشرار بالنسبة إلى تعاليمهم، فقاوموهم ورفضوا كلامهم. فمجمع الأشرار قاوموا موسى وشتموه. وإخوة إرميا أبغضوه ورموه في الجبّ. وحين وبّخ أبناء شعبه على خطاياهم، قالوا: «هذا الرجل لا يُريد سلامًا لهاذا الشعب، ويُرخي همّة الرجال المُقاتلين» (إر ٣٨ : ٤). وأرسلوا من بابل أنبياء دجّالين

إلى كهنة أورشليم: «إمنعوا إرميا أن يتنبّأ» (إر ٢٩: ٢٧). وحين رأى غضب الذين لا يقبلون توبيخه، قال: «قلت لن أتكلّم باسم الربّ، ولن أتذكّر كلمته، فكانت في فمي نارًا متّقدة ومشتعلة في عظامي، وأردت أن أحتويها فلم أقدر» (إر ٢٠: ٩).

وأمر الله حزقيال مرّة وقال له: «ها إنّهم يرمون عليك القيود ويأسرونك بها. وحين يصنعون بك هكذا تبقى أخرس ولا تكون لهم متّهمًا، لأنّني سأُلصِق لسانك بحنكك» (حز ٣: ٢٥ـ ٢٦). وقال مرّة أخرى: «فُتح فمي ولن يُغلق أيضًا» (حز ٣٣: ٢٢). وقالوا لعاموس: «لا تتنبّأ باسم الربّ ولا تعلّم بيت إسحق» (عا ٧: ١٦). أمّا هو فلم يمتنع عن التنبّوء. وحين كتب باروك بن نيريا، الكلمات المقدّسة التي خرجت من فم إرميا، وسمعها صدقيا الملك، أحرقها كلّها بالنار لأنّها كانت تتضمّن توبيخًا. وكتبها إرميا أيضًا وزاد عليها. ولكن هؤلاء لم يقبلوا التأديب ولم يتوبوا عن خطاياهم، فنالوا العقاب الذي يستحقّه المتجاوزون للناموس، بيد ملك بابل. وقال الله أيضًا بفم كلّ الأنبياء: «قطّعت أنبيائي وقتلتهم بكلمة فمي، وما تاب بنو إسرائيل عن خطاياهم» (هو ٦: ٥). ومخلّصنا سمّاه أبناء شعبه سامريًّا، ولقّبوه ببعل زبوب كما لو كان فيه شيطان (يو ٨: ٤٨؛ مت ١٠: ٢٥). وعلّمهم بولس فسّموه «مِهْذارًا» (أع ١٧: ١٨). ولم يكتفوا برفض كلمات الأنبياء بل ساموهم ضربًا وتعذيبًا حتّى الموت.

على موسى قام أبناء شعبه يرجمونه، وميخا أرسله أحاب إلى السجن، وإرميا رموه في جبّ موحل ورموا القيود على حزقيال، وأمسكوا ربّنا وهزئوا به وحكموا عليه بالإثم ورفعوه على الخشبة. وبولس، مرّة قيّدوه، ومرّة رجموه، ومرّة دلّوه في سلّة عن السور. فكلّ هذه الاهانات احتملها خدّام الله من يد أبناء شعبهم ولم يحزنوا

في ضيقاتهم، لأنّ بُنيانهم موضوع على أساس الحقّ. رذلتهم قلّة وقبلهم كثيرون، فحيوا بكلماتهم، وظلّ اسمهم قائمًا إلى الأجيال الأبديّة.

الزرع الجيّد

٤٦ ربّنا هو الزارع ونحن الأرض التي تقبل الزرع. يملأ الزارع يده ويرمي الزرع في أرضه. هناك مَن يسقط بين الشوك، وهناك مَن يسقط على الصخر، فيلتقطه الطير. ومنه مَن يسقط في الأرض الجيّدة والمفلوحة. وحين يربو وينمو، يُعطي ثمارًا، واحدًا بمئة وستّين وثلاثين.

أنظروا! في حصّة من أربع حِصَص، نجا الزرع وأعطى ثمرًا. حصّة سقطت بين الشوك الخانق، وحصّة سقطت على الصخر فأيبستها الشمس، وحصّة التقطها الطير، الطير الشرّير الخاطف، وحصّة سقطت في الأرض المفلوحة التي قبلت المياه، فأعطت ثمرًا (مت ١٣ : ٣ـ ٢٣).

٤٧ ونحن، يا أعزّاءنا، وإن كنّا خطأة وضُعفاء، إلّا أنّنا نبني على هذا الأساس، ونَقْبَلُ هذا الخمير. سقط زرع ربّنا على أرضنا، وقبلنا الفضّة من التاجر الغنيّ. على كلّ جسد أفيض روحه، ولم تُمنع نعمته عن أحد. فإن حصل أن احتقرَنا أحدٌ ولم يقبل ما كتبنا، فنحن لا نتضرّر وهو لا ينتفع. إنّ كلماتنا تحمل النفع لسامعيها، لأنّنا لم نكتب لكم شيئًا خارجًا عن الناموس، وما أرسلنا إليكم كنزًا مسلوبًا بل من زرع الكتب المقدّسة وعجينها. لا نقبل الفضّة المزيّفة من أيّ مكان أتت، ولا نعجن الخمير العتيق بالقمح الصالح. فالزِقاق البالية لا تتحمّل قوّة الخمر، والرقعة الجديدة التي تنزل في ثوب بالٍ تمزّقه.

والجفنة التي فُلِحَت تهب ثمارًا لا خرّوبًا، والقلب القاسيّ كالصخر يُجفِّفُ الزرع. والبناء الذي وُضع على الرمل، يجرفه المطر وتسقطه الريح. والملح التافه تأكله الحيّة، والسمك الرخو يرميه الصيّاد خارجًا، والزؤان يُقتلع في وقته، والتبن يُفصل في الآخرة من الحِنطة، والعمّال الكسالى، يخجلون ساعة الأجر، والبتولات الجاهلات اللواتي نقصهن الزيت، لا يقدرن أن يشترين حين يأتي الختن، والقهرمان الذي يضرب رفاقه، يأتي سيّده ويحاكمه، والعبد الشرّير الذي يُخفي فضّة سيّده، حين يعود مَن أعطاه إيّاها، يحاسبه مع الربح. والبوّاب الذي يحبّ النوم وقت اليقظة، يُحرم من الحياة. والملك الحكيم يُرسل رُسُلًا ويطلب السلام، ما دامت الحرب بعيدة.

٤٨ كتبنا لكم هذه الكلمات القليلة، فذكّرناكم بها يا أعزّاءنا. فإن هزىء منّا أحد أو احتقرنا، لا نلومه لأنّه يُخرِجُ من فيضِ قلبه. حبل وولد ما حمله تفكيره. كلّ إنسان يُقدّم من كنوزه ويُعَبّر عنها ويتكلّم ممّا فيها. فمن ليس ذهبًا، ماذا يُعطيك من كنوزه. والرجل الغنيّ الذي اقتنى كلّ الكنوز، يُخرج منها ويُعطي مَن يسأله. والرجل الفقير يُخرج ممّا عنده، وهو القصدير والرصاص، ويخلطها بمعادن مزيّفة. كلّ شجرة تفرخ ثمرها في زمن الصيف. فمَن أنبت خرّوبًا اقتلع من الكرم، واستعمل ليُوقد في النار. والجفنة التي تُعطي ثمرًا صالحًا، ينقّيها سيّدها ويفلحها مرّة ثانية. والجفنة التي تُنبت الخرّوب هي نصبة سدوم وعِنَبُها مرّ.

لا يلتقطون من العوسج عنبًا ولا من التين عوسجًا، لأنّ الشجرة الصالحة تهب ثمارًا صالحة، والشجرة الرديئة تهب ثمارًا رديئة. لا تستطيع الشجرة الصالحة أن تعطي ثمارًا رديئة، ولا الشجرة الرديئة أن تعطي ثمارًا صالحة. الرجل الصالح يُخرج من ذخائره الصالحات التي

في قلبه، ويتكلّم بالصالحات، والرجل الشرّير يُخرج من فيض قلبه الشرور ويتكلّم بها (مت ٧: ١٨؛ لو ٦: ٤٤_ ٤٥). لأنّ من فيض القلب تتكلّم الشفاه، كما علّمنا مخلّصنا وقال: كلّ إنسان يخرج ممّا عنده ويبيّن ما يملك. يعتبر الإنسان المُقلق أنّ ليس من كنز أفضل من كنزه. وحين يأتي السلام تزول الخصومة، ويبطل الكدر، فيُحرم الشرّير من كنزه.

٤٩ فيا إخوة، إنّ هذا العالم لا ينقصه شيء فهو مليء من كلّ نوع: الأخيار والأشرار، الأغنياء والفقراء، الحلو والمرّ، النور والظلمة، الصدّيقون والخطأة، الأبرار والأثمة، وكلّ واحد يقف قبالة الآخر، وليس من نهاية في هذا العالم، إلى أن يأتي المميّز[1] فيفصل التِبْن ويقلع الزؤان.

إنّ الزؤان مخلوط اليوم بالحِنطة، والأخيار مخلوطون مع الأشرار، ولا يتميّز الصدّيقون عن الخطأة، والأبرار عن الأثمة، والجُهّال عن الحكماء. ففي ذلك الوقت، يأمر ربّ الحصاد فيجمعون الحنطة ويقتلعون الزؤان، ويميّزون الصدّيقين فيذهبون إلى الحياة، والأثمة يذهبون إلى الظلمة. ومع الختن تدخل الحكيمات وتُمنع الجاهلات، وتؤخذ الفضّة من العبيد الأشرار ويرث العبيد الصالحون وزناتهم. وكلّ الذين يطلبون يجدون ما يسألون، وكلّ مَن زرع يحصد ثمرة عمله.

إتّكالنا عليكم يا إخوتنا، أنّكم تسعون في إثر السلام وتُزيلون الكدر والحسد والخصومة والغيرة والانقسام، لأنّ الإنسان لا يقدر أن يرى نفسه حين يقوم بالشرّ، كما أنّه لا يستطيع أن يرى وجهه. فبدا لنا حسنًا، حسب ما أدركنا في هذا الزمان، أن نذكّركم بسيرة الأوّلين. كم كانوا صُلّاحًا ومُجتهدين وكاملين، وكم هم أشرار الجُهّال الذين

يرمون الكدر فيكم. أمّا أنتم، يا أبناء السلام، فأحبّوا السلام لتنالوا الجزاء من ربّ السلام، ولتشاركوا في السعادة التي يهبها ربّنا، حين طوّب الجماعة قائلاً: «طوبى لصانعيّ السلام فإنّهم أبناء الله يُدعون» (مت ٥ : ٩).

٥٠ كُتبت هذه الرسالة في شهر شباط من السنة ستمائة وخمس وخمسين[٢]، لمُلْكِ الإسكندر بن فيلبس المقدونيّ، وفي السنة الخامسة والثلاثين لمُلْك شهبور الفارسيّ. ليكن ذِكْر طيّب لمَن تعب وكَتَب، ولمَن يسمع ويقتنع بالمواعيد الصالحة، ويسعى وراء الصلح ولا يُثير الخصومات، لأنّ أبناء الخصومة، يُدعون أبناء قايين، وأبناء السلام يُدعون إخوة المسيح وأبناء الآب السماويّ وورارثيّ ملكوته.

تمّت المقالة في البراهين المقنعة

الحواشي

---

(١) أي: يسوع المسيح الذي يميّز الأشرار من الأخيار.
(٢) أي: سنة ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

في تمييز الأطعمة

الطاهر والنَجِس

١ تَتَبَلْبَلُ كثيرًا أفكار أناس بُسطاء وعديميّ الخُبرة، على ما يدخُل الفم، ولا يقدر أن يُنجّس الإنسان. هذا ما يقول الذين يمرضون بسبب هذه الأمور: حدّد الله وبيّن لموسى عبده الأطعمة النَجِسة والنقيّة، وعرّف موسى تلك التي يجب أكلها، وتلك التي نعتبرها، نَجِسة، ونبّهه على الحيوان والطير والسمك الذي في البحر، بحسب أجناسه (لا ١١: ٢ي).

سأقدّم لك يا عزيزي على ذلك براهين قليلة قدر استطاعتي، فأقول لك إنّ الأطعمة لا تُفيد بشيء الذين يحفظون شريعتها، ولا تضرّ بشيء الذين يستعملونها. ففم القدّوس شَهِدَ: «ليس الذي يدخل في الإنسان ينجّسه، بل ما خرج من الإنسان هو الذي ينجّسه» (مت ١٥: ١١). قال ربّنا هذا، ليُجيب الفرّيسيّين والصدّوقيّين الذين يفتخرون بالمعموديّة والطهارة، وغسل الأيديّ وتمييز الأطعمة. حينئذٍ وبّخهم فقال لهم: «أيّها الفرّيسيّون العُميان، لماذا تغسلون خارج الكأس والإناء، والداخل مملوء شرًّا وخَطْفًا. تُشبهون القبور المبيَّضة من الخارج فتبدو جميلة، وهي من الداخل مملوءة بعظام الموتى وكلّ

نجاسة» (مت ٢٣: ٢٥ـ ٢٧). وأخذ يبيّن لهم أنّ معموديّتهم وتطهيرهم لا ينفعانهم بشيء، فقال لهم: «في القلب تكون الأفكار السيّئة» وهذه الأفكار السيّئة التي في القلب، هي التي تُدنّس الإنسان، لا الأطعمة. «فالأطعمة تذهب إلى البطن، ومن هناك تُرمى خارجًا في المرحاض». فالإنسان لا يتنجّس بها (مت ١٥: ١٧ـ ٢٠).

فكلّ الأطعمة الدقيقة واللذيذة للحلق والشمّ والنظر والذوق، إن أكل منها الإنسان، يُحسّ بطعمها العذب حنكه فقط. ومن هناك تقبلها المَعِدة، وتَقسم غِناها على كلّ الشرايين وأعضاء الجسد. وعندما ينزل الطعام إلى أسفل، ينقلب من رائحة عذبة إلى نتانة وينقلب الطعم الطيّب والمنظر الحسن، منظرًا سيّئًا ويُرمى في الخارج، في المِرحاض. وإن أكل الإنسان خبزًا أسود، لا منظر جميل له ولا طعم لذيذ ولا رائحة شهيّة، فهذا الخبز يسير في الإنسان في السبيل ذاته، ويُعطي الغنى في الشرايين والأعضاء، ومن هناك يُرمى خارجًا في المرحاض. ويحصل أن يتحوّل الطعام اللذيذ، إلى نتانة أكثر من ذلك الذي ليس رقيقًا ولذيذًا. وبهذا لا خطيئة ولا برارة.

٢ وأجاب أيضًا الرسول الفاضل الذين يفتخرون بالأطعمة، فقال لأولئك الذين يتكبّرون بهذه الأفكار ويرذلون الأطعمة ويُميّزونها، قال: «الأطعمة لا تُوقفنا أمام منبر الله. فإن أكلنا لا نستفيد، وإن لم نأكل لا نخسر» (١ كور ٨: ٨). فإن أكل الإنسان كلّ المأكولات وكلّ الأطعمة، واستعملها حسنًا وبدون شراهة، وقَبِلَ بإيمان خليقة الله، لا خطيئة عليه ولا ذنب. وإن أكل التراب كالحيّة، وفي هذا التراب أفيض سمّ الحيّة، فلا فائدة له ولا نفع، لأنّ كلّ خلائق الله حسنة، ولا شيء فيها مرذول، وتتقدّس بكلمة الله والصلاة (١ تم ٤: ٤ـ ٥). وهذا الذي قاله الرسول ضدّ أبناء شعبه، قاله حين رأى أنّهم يعتبرون

أطعمة الأمم نَجِسة. فبُنو إسرائيل لا يستعملون بأيّ شكل، كلّ المأكولات التي تصنعها الأمم، ولا يشربون كلّ خَمْر تعصره الأمم، لأنّ الأمم الوثنيّة يقدّمون الذبائح، ويذكرون أسماء أصنامهم على كلّ معاصرهم وعلى كلّ بيادرهم. لهذا لا يستعمل بنو إسرائيل أطعمتهم، وهذا ما يُسمّى الضمير الضعيف (١ كور ٨: ٧). ويُجيب الرسول الذين يتوقّفون عند هذا التفكير، ويقول: «كلّ الأطعمة مقدّسة بكلمة الله وبالصلاة» (١ تم ٤: ٥). حين يستفيد إنسان من خلائق الله، فليذكره، قبل أن يأكل منها، وليُسبّحه وليُباركه وليُقدّس اسم خالق الخلائق، وليصلِّ إليه فتتقدّس الخلائق وتهرب منها قوّة الشرّير. وقال الرسول أيضًا: «إن دعاكم أحد الوثنيّين إلى عشاء، وأردتم أن تذهبوا، فكلوا ممّا يقدّم أمامكم، كلوا من أجل الضمير» (١ كور ١٠: ٢٧).

سبب تمييز الأطعمة

٣ هذا بيّنته، يا عزيزي، على قدر استطاعتي. ميّز إلهُنا القدّوس الأطعمة لبني إسرائيل، فلم يفعل ليُقدّم لهم تبريرًا، بل عرف شَرَهَهم وفُجُورهم، فوجد لهم هذه الوسيلة، ليُبعدهم عن السجود للآلهة وعن الخطايا التي يصنعونها في أرض مصر.

فمنذ البدء، حين صنع الله الإنسان، أمر آدم ونسله ونوحًا ونسله: «ها أنا وهبت لكم الحيوان والطير وكلّ جسد. أرِق دمه على الأرض، ثمّ كُلْه وليُحْسَب لك كالخُضار. الدمّ وحده لا تأكله، بل تُريقه على الأرض كالماء، لأنّ الدمّ هو النفس» (تك ١: ٢٩ـ ٣٠؛ ٩: ٣ـ ٤). هذا ما أوصى به الله أجيال الأوّلين، ولم يُميّز بين الأطعمة. فلو كان هناك خطيئة أو تعديًا على الناموس، لكان ميّز منذ البدء لآدم ونوح، وبيّن الأطعمة النَجِسة والأطعمة النقيّة، كما نبّههم حين قال: «لا

تأكلوا دمًا، بل اذْبح كلّ جسد وكُله وليُحْسَب لك كالخُضار» (لا ١٧ : ١٣ـ ١٤؛ تث ١٢ : ١٥ـ ١٦)، ولكان أوصى إبراهيم وأبناءه أيضًا أن لا يستعملوا النَجِس. ولكنّنا نعرف أنّ كلّ الأبرار والصدّيقين في الأجيال السابقة، وحتّى موسى الذي ميّز الأطعمة لإسرائيل، كلّ هذه الأجيال استعملت بلا خطيئة كلّ الأطعمة التي لا تكرهها النفس.

ولكن هذا ما أمر به الله بني إسرائيل وميّز لهم الأطعمة، لأنّ بني إسرائيل مالوا نحو عبادات المصريّين وتركوا إله آبائهم. فالمصريّون عبدوا الثيران والعُجول. وأنا سأعطيك البرهان على ذلك. حين جاء إخوة يوسف إليه، أمر قهرمانه فصنع لهم خبزًا. وحين جاء وقت الجلوس إلى المائدة، كُتِبَ: «وضعوا له وحده، ولإخوته وحدهم، وللمصريّين الذين يأكلون معه وحدهم، لأنّ المصريّين لايقدرون أن يأكلوا خبزًا مع العبرانيّين، لأنّ هذا رجس عندهم» (تك ٤٣ : ٢٣). وفي الماضي، وقبل أن يدخل بنو إسرائيل إلى مصر، أكلوا كلّ لحم؛ أمّا المصريّون فما كانوا يأكلون لحوم الخِراف والثيران التي كانت إلهتهم. وحين نزل يعقوب إلى مصر، أخذ يوسف خمسة من إخوته، وأقامهم أمام فرعون وأمرهم، قال: «إذا سألكم فرعون وقال لكم: ما هي صَنْعتكم؟ قولوا له: عبيدك رُعاة غَنَم. نحن نملك القُطعان وآباؤنا أيضًا. وحين تكلّمونه هكذا يُكرمكم، لأنّكم رُعاة ما يسجد له المصريّون، فيُعطيكم مرعىً صالحًا هي أرض جاسان، ويجعلكم خارج أرضه، ولا يأخذ أحدًا منكم ويُقيمه على عمله، كما هو مكتوب: المصريّون يُبعدون كلّ رُعاة الغَنَم عنهم» (تك ٤٦ : ٣٢). وكُتب أيضًا أنّ موسى قال أمام فرعون: «نذهب ونذبح لإلهنا في البرّيّة». فقال له فرعون: «أَعبدوا الربّ إلهكم في أرض مصر». فقال له موسى: «لا نستطيع أن نعمل عملاً كهذا. فإن ذبحنا حيوانات المصريّين على عيونهم يرجُموننا» (خر ٨: ٢٠، ٢٥ـ ٢٦). وكُتب

أيضًا: «سيدين الربّ حتّى آلهة المصريّين (عد ٣٣: ٤). فيُبيد قُطعان الغَنَم والبَقَر بالبرد والوباء.

بنو إسرائيل عبدوا الأصنام في مصر

إقتنى المصريّون خِرافًا وبَقَرًا لحاجتهم، ولكنّهم لم يأكلوا منها لأنّهم يعبُدونها. ولكنّ مأكل المصريّين حتّى اليوم، هو لحم الخنازير والأسماك التي تكثر في أرضهم، كما قال بنو إسرائيل حين اشتهوا الطعام: «تذكّرنا السمك الذين كنّا نأكله في مصر بلا ثمن، مع رائحة البصل والثوم والكُرّات والقثاء والبطّيخ» (عد ١١ : ٥). تصرّف بنو إسرائيل حسب عادة المصريّين، فأكلوا أطعمتهم وسجدوا لآلهتهم.

٤ واعرف أنّهم كانوا يعبدون الأوثان في أرض مصر ويسجدون لآلهتها. فحين وصل وقت موت يشوع بن نون، دعا بني إسرائيل وقال لهم: «إختاروا لكم اليوم مَن تريدون أن تعبدوا، إمّا الآلهة التي عبدها في عبر النهر آباؤكم تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وإمّا الآلهة التي عبدتموها أنتم في مصر. أمّا أنا وأهل بيتي فنعبُد الربّ الإله» (يش ٢٤ : ١٥). وزاد فنبّههم: «إختاروا لكم اليوم مَن تعبُدون». فقالوا له: «للربّ نسجد وإيّاه نعبد لأنّه إلهنا». فقال لهم: «أُنظروا لعلّكم لا تستطيعون أن تعبدوا الربّ». قالوا: «نستطيع». قال لهم: «أنتم تشهدون على نفوسكم أنّكم اخترتم أن تعبدوا الربّ». فقالوا: «نشهد». (يش ٢٤ : ١٥ـ ٢٢). وتأكّد أنّهم في مصر عبدوا الخِراف والبَقَر. فحين تأخّر موسى في الجبل، مالوا إلى الأصنام وعبدوها. ولم يعملوا شكلًا للعبادة إلّا شكل العجل الذي تعوّدوا أن يسجدوا له في أرض مصر. وضحّوا وعيّدوا أمام العجل الذي صنعوه. وحين أراد يربعام بن ناباط أن يميل بهم عن أورشليم، صنع لهم عجلًا ليعبُدوه، كما كانوا يعبُدونه في مصر.

وحين راى القدوس أنّهم لم يتنقّوا بعد من خمير المصريّين، وأنّهم ما زالوا ثابتين في العادات الوثنيّة، أمر موسى أن يُميّز لهم الأطعمة. فأعلن طعامًا نَجِسًا ما كان نقيًّا ويُؤكل في أرض مصر، وسمح لهم أن يأكلوا ما كانوا يسجدون له في أرض مصر وما كانوا يأكلون منه. وبسبب مُيولهم السيّئة حتّى إلى القرابين التي يُقدّمونها أمامه، أمرهم أن يُقرّبوا ما يعبدون. فإن لم يريدوا أن يأكلوا بسبب ذبائحهم، يأكلون لحم الخِراف والبقر. وتأمّل، حين ميّز لهم النقيّ من الحيوانات العديدة، لم يأمرهم أن يُقدّموا قرابين إلّا من الخِراف والبقر فقط. فاقتنع، يا عزيزي، أنّ افتخار إسرائيل فارغ أمام تمييز الأطعمة.

من العهد القديم

٥ تقول لي أيّها الكاتب الفَطِن وحكيم الشعب: إن كان من النجاسة أن يُقْدِمَ إسرائيل ويستعمل شيئًا تعتبره الشريعة نجسًا، فكيف أخذ شمشون منذور الله وجبّار إسرائيل، عسلاً من حيوان نَجِس، من جُثّة أسد، وأكل منه فسال على يديه؟ ولم يخطأ ولم يُلَمْ لهذا العمل ولم يُكتب أنّه تَنجّس. وحين صنع مأثرة بفك حمار، فجمع كُومًا من الفلسطيّين، عطش فصلّى أمام الله وقال له: أيّها الربّ الإله، أنت عملت هذا العمل المجيد العظيم بيدِ عبدك، والآن أنا أموت من العطش (قض ١٥ : ١٨). فسمع الله صلاة شمشون، وأخرج له ماء من فك الحمار، فشربه فأراح عطشه. فلو كان هناك شيء نَجِس أو ذنب في فك الحمار الذي يُعَدّ دَنِسًا بحسب الناموس، فكيف يُخْرِجُ الله لمنذوره من هذا الفك ماءً ليشرب. فلو كان هذا شيئًا نَجِسًا، لوجب على الله أن يُخرج الماء من الصخر، كما أخرج الماء من الصخر لبني إسرائيل في البرّيّة، أو من الأرض، أخرجه لهاجر فشرب

إسماعيل. وإن كانت النجاسة في الطعام، فلا أنجس ولا أرجس من الغِربان بين الطيور. ومع ذلك حملت الخبز واللحم لإيليّا النبيّ القدّيس، حين أقام على نهر كريت. ومن أين حمل الغِربان الطعام لإيليّا إلّا من أورشليم؟ كان الكهنة يضعون الحِصّة التي تعود له جانبًا، ويُعطونها بإيمان للغِربان، فتأخذها الغِربان وتُوصلها إلى إيليّا بأمر من العليّ. ونقيًا كان طعام إيليّا، مع أنّه تقبّله من فم الغِربان، وهو طير تُعلنه الشريعة نَجِسًا.

٦ واعرف، يا عزيزي، أنّه ميّز لهم الأطعمة لكي يقطع عليهم الدرب، فلا يسجدوا لعُجول عبدها المصريّون، وأمرهم أن يقدّموا القرابين ممّا يخافونه في أرض مصر. لم يكن لله نقص من جهة الذبائح والقرابين، ولكن لكي يمنعهم بواسطة القرابين أن يسجدوا لآلهة الأمم حين يدخلون بينهم ويختلطون بهم، كما سجدوا لآلهة المصريّين حين دخلوا واختلطوا بهم. ولهذا أجبرهم وفرض عليهم بهذا أن يُقدّموا قرابينهم ويذبحوا ذبائحهم أمام مذبحه. ومع أنّه نبّههم مالوا عنه وسجدوا لآلهة الأمم وخدموها وأفسدوا طرقهم، كما قال لهم موسى: «أعرف أنّه بعد موتي ستفسدون وتميلون عن الطريق التي أمرتكم بها. فشرور عديدة ستنزل بكم في نهاية الأيّام» (تث ٣١: ٢٠).

الله يرذل ذبائح شعبه

٧ واقتنع أنّ الله لم تنقصه الذبائح والتقدِمات والمُحرقات والعطور، بل أراد أن يمنعهم عن ذلك. فحين مالوا عنه وشرعوا يذبحون للأصنام الذبائح التي وَهَبَها لهم، قال لهم بواسطة النبيّ: «لا تنفعني كثرة ذبائحكم يقول الربّ» (أش ١ : ١١). وقال لهم: «رذلت المُحرقة وعافت نفسي رؤوس شهوركم وأعيادكم» (أش ١ : ١٣_ ١٤). وقال

داود: «لا آكل لحم التُّيوس ولا أشرب دم الجِداء، بل بدل هذه، اذبح لله الشكر وتمّم نذورك للربّ. وحين تصنع هذا تدعوني في يوم الضيق فأقوّيك وتمجّدني» (مز ٥٠: ١٣ـ ١٥). وكُتب أيضًا بالنبيّ: «أبغضت أعيادكم ورذلتُها ولا أرتاح لاجتماعاتكم» (عا ٥: ٢١). وكُتب أيضًا: «وإن حملتم إليّ القرابين، لا أنظر إلى كثرة حيواناتكم السمينة» (عا ٥: ٢٢). وقال أيضًا: «هل قرّبتم لي، يا بني إسرائيل، ذبائح وتقدِمات في البرّيّة مدّة أربعين سنة» (عا ٥: ٢٥)؟ «وإن أكلتم وشربتم، فأنتم تأكلون وتشربون لأنفسكم، يقول الربّ» (زك ٧: ٦). وقال أشعيا: «مَن يذبح حملاً كمَن يذبح كلبًا، ومَن يُقرّب ثورًا كمَن يذبح رجلاً، ومَن يُقرّب بخورًا يكون كدم الخنزير، والذي يُصلّي أمامي كالذي يُبارك الأصنام» (٦٦: ٣). وقال صموئيل لشاول حين سمع صوت الخراف والثيران التي جاءت من بني عماليق: «ما هذا الصوت الذي أسمع»؟ قال له شاول: «إحتفظ الشعب بالخراف الجميلة ليذبحها للربّ إلهك». فقال له صموئيل: «الطاعة خير من الذبائح، وهي تتفوّق على شحم الحيوانات السمينة» (١ صم ١٥: ١٤، ١٥، ٢٢). وقال أيضًا: «لا يرضى الربّ بذبائح الأشرار» (أم ١٥: ٨). وكُتب أيضًا: «لا يُكفّر إثم بيت عالي ذبائحُ وقرابين إلى الأبد» (١ صم ٣: ١٤). وكُتب أيضًا: «لا يرضى الربّ بالتيوس، ولا بربوات الحيوانات القويّة. بدل هذا، أبيّن لك أيّها الإنسان ماذا ينفع وماذا يطلب منك الربّ: أن تحكم بالعدل وتطلب الإيمان، وتكون مستعدًّا للسير وراء إلهك» (مي ٦: ٧ـ ٨). وحين رذل الله الذبائح والقرابين في أيّام أشعيا، قال: «أبيّن لكم ما أطلب. توقّفوا عن الشرّ وتعلّموا عمل الخير. سيروا وراء الحقّ وأحسنوا إلى المظلومين. أحكموا لليتيم، احكموا للأرملة، وحين تصنعون هذا تعالوا نتكلّم معًا. يقول الربّ. فإن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ

كالثلج، وإن كانت حمراء كالدود تصير كالصوف» (١ : ١٦ـ ١٨). وقال ملاخي: «لا تُصعِدوا على مذبحي ذبائح مجّانيّة، لأنّي لا أرضى بكم، يقول الربّ» (١ : ١٠). وقال دانيال لنبوكدنصر: «إشتر خطاياك بالصدَقات، وذنوبك بأعمال الرحمة نحو الضعفاء، لا بالذبائح والقرابين» (٤ : ٢٧).

مارس إسرائيل الظلم فرُذل

رُذل إسرائيلُ ورُذلت قرابينُه كما قال إرميا: «يدعوهم فضّة مرذولة لأنّ الربّ رذلهم» (٦ : ٣٠). وقال أيضًا: «أَخرجْهم من أمام وجهي، ليخرجوا. فإن قالوا: «إلى أين نخرج»؟ تقول لهم: «من للحَرْب للحرب، ومن للجوع للجوع، ومن للسَبْي للسَبْي» (إر ١٥ : ١ـ ٢). وكُتب أيضًا: «لن يعود يتطلّع فيهم» (مرا ٤ : ١٦). وقال أشعيا: «إنفصلوا عنهم وادعوهم نَجِسين» (بل مرا ٤ : ١٥). وقال إرميا أيضًا: «تركت بيتي، تركت ميراثي، سلّمت حبيبتي إلى يد أعدائها» (١٢ : ٧). وكُتب أيضًا: «وهبت لبنت شعبي كتاب طلاق» (إر ٣ : ٨). وكُتب أيضًا: «أبعد الربّ عن صهيون الأعياد والسبت» (مرا ٢ : ٦). وفي حزقيال النبيّ، عرض الله عليهم وبيّن لهم أنّه أعطاهم الذبائح والقرابين لعنادهم، وليُجرّبهم بهذه الطريقة وليمنعهم من خطاياهم. قال لهم أوّلًا: «وهبت لهم وصايا وأحكامًا، تُعرّفهم أنّ الإنسان الذي يعمل بها يحيا» (حز ٢٠ : ١١). وقال أيضًا: «وهبت لهم وصايا ليست بجميلة، وأحكامًا لا يحيون بها. ونجستهم بعطاياهم عندما قدّموا القرابين» (حز ٢٠ : ٢٥ـ ٢٦).

٨ فاقتنع يا كاتبا بليدًا في الناموس ومعلّم الشعب: الفم القدّوس يشهد أنّ الوصايا والأحكام التي وُهبت لك لا تنفع ولا تحسن. لماذا تُعاندوننا وتُناقضوننا في الجدال. بسبب خطاياك وهب لك القرابين وميّز الأطعمة. فعلى أيّ وصايا وأحكام قال حزقيال: «مَن يعمل بها

يحيا بها» (٢٠: ١١). وقال عليها: «أعطيتكم وصايا لا تحسن وأحكامًا لا تحيون بها» (٢٠: ٢٥). فالوصايا والأحكام المُحيية مكتوبة أعلاه. والأحكام النقيّة والبارّة التي وضعها أمامهم، هي الوصايا العشر المقدّسة التي خطّها بيديه، ووهبها لموسى ليُعلّمهم إيّاها. وحين صنعوا العِجْل ومالوا عن الربّ، وهبهم الوصايا والأحكام التي لا تحسن، وهي: القُربان، الطهر من البَرَص، وما يتعلّق بالسَيَلان وعادة النساء والولادة، وأنّه يجب على الإنسان أن لا يقرُب ميتًا ولا قبرًا ولا عظامًا ولا مقتولاً، وأن لا يُقدّم قربانًا عن كلّ الخطايا. وعن كلّ نجاسة بشريّة بمُفردها، يقول: «يكون نَجسًا حتّى المساء وإن اغتسل بماء» (لا ١٥: ٥ي). حقًّا، في كلّ ما كتب ليس لإسرائيل يوم يجد فيه نفسه نقيًّا من الخطايا، بل يُتمّون أيّامهم كلّها بالخطايا والنجاسة، ولا يستطيعون أن يتبرّروا بالناموس، كما قال الرسول: «لا يتبرّر أحد بالناموس، ولكن مَن يصنع هذه الأشياء التي كُتبت يحيا بها» (غل ٣: ١١ـ ١٢). ومعلوم أنّه لا يقدر إنسان أن يصنعها ويحفظها. والربّ أيضًا حين رأى أنّها ثقيلة، دعانا وقال لنا: «تعالَوا إليّ أيّها التَعِبون والحاملو الأثقال وأنا أُريحكم. إحملوا نيري عليكم لأنّه خفيف وعَذْب» (مت ١١: ٢٨ـ ٣٠). نشكر مراحم الذي أخذ النير القاسيّ والنير الثقيل، ووهبنا نيره الليّن والعَذْب.

٩ كتبت لك وذكّرتك ببعض الأمور، يا عزيزي، لأنّ شعب اليهود يترفّع ويفتخر ويتشامخ، فيُعلن بعض المأكولات نجسة فيضعها جانبًا. يفتخرون بهذه الأشياء الثلاثة: الخِتان، حِفْظ السبت، تمييز الأطعمة وغير ذلك. كتبتُ لك على هذه الأشياء الثلاثة، وقدّمت لك البراهين قدر استطاعتي. وفي ما تبقّى، أكتب إليك وأقدّم لك البراهين مِرارًا حسب ما يُعطيني الله.

تمّت المقالة في تمييز الأطعمة

في الشعوب التي حلّت محلّ الشعب

بَرَكة إبراهيم

١ دعا العليّ مُسبقًا الشعوب من كلّ الألسنة لميراثه قبل إسرائيل، كما قال الله لإبراهيم: «وهبتك أن تكون أب أمم كثيرة» (تك ١٧ : ٥). وأعلن موسى فقال: «يدعو الشعوب الربّ على الجبل، وهناك يذبحون ذبائح البرّ» (تث ٣٣ : ١٩). وشهد يعقوب أبونا للشعوب، حين بارك يهوذا وقال له: «لا يبتعد القضيب من يهوذا والصَوْلجان من بين رجليه، حتّى يأتي مَن له الملك، وإيّاه تنتظر الأمم» (تك ٤٩ : ١٠).

وقال أشعيا: «يثبت جبل بيت الربّ على رأس الجبال وفوق القِمَم، تنتظره كلّ الأمم ويأتي شعوب كثيرون من البعيد ويقولون: تعالوا نصعد إلى جبل الربّ، وإلى بيت إله يعقوب، فيُعلّمنا طرقه ونسير في سُبُله، لأنّه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الربّ، فيدين الأمم ويؤنّب كلّ الشعوب البعيدة. وعندما يدينهم ويُؤنّبهم يقبلون التأديب ويتصالحون ويتواضعون من قساوتهم. يحطّمون سيوفهم ليجعلوا منها سكّة فدّان، ورصاصهم ليصير مناجل، ولا يرفع بعد شعبٌ على شعب سيفه، ولا يتعلّمون الحرب من بعد» (أش ٢ :

٢ـ ٤؛ مي ٤ : ١ـ ٣).

في القديم، كان الشعوب الذين لا يعرفون الله، يُقاتلون اللصوص والظالمين بالسيوف والرماح والحراب. وحين جاء المسيح المخلّص، كسر قوس الحرب وتكلّم بالسلام مع الشعوب (زك ٩ : ١٠). وحطّم سيوفهم فجعلها سكّة فدّان، وصنع من رصاصهم مناجل ليأكلوا من تعب أيديهم لا من السَلْب. وكُتب أيضًا: «أُعيد على الشعوب الشفة المُختارة ليَدعوا كلّهم باسم الربّ» (صف ٣ : ٩). في القديم لم يكن للشعوب شِفاه مُختارة، وما كانوا يَدعُون باسم الربّ، لأنّهم سبّحوا بشفاههم الأصنام التي صنعتها أيديهم، ودَعُوا باسم آلهتهم لا باسم الربّ. وقال أيضًا زكريّا النبيّ: «يتعلّق بالربّ شعوب عديدة وقويّة» (٢ : ١١). وأعلن إرميا النبيّ بجلاء ووضوح عن الشعوب، فقال: «يترك الشعوب أصنامهم، ويصرخون ويُعلنون ويقولون: إنّ الأصنام الكاذبة التي أورثنا إيّاها آباؤنا ليست بشيء» (إر ١٦ : ١٩).

عصى إسرائيلُ فرُذل

٢ وأعلن إرميا لشعبه وقال لهم: «قوموا على الطرق واسألوا سُبُل العالم، وانظروا أيَّهُ الطريق الحسن وسيروا فيه». أمّا هم فأجابوه بقساوة قلوبهم وقالوا له: «لن نسير». وقال لهم أيضًا: «أُقيم عليكم رُقباء لتسمعوا صوت البوق». فقالوا له: «لن نسمع». وهذا ما فعلوه بوضوح وجلاء في أيّام إرميا، حين أعلن لهم كلمة الربّ. فأجابوه وقالوا له: «الكلمة التي قلتها لنا باسم الربّ، لن نسمعها منك بل نعمل إرادتنا، وكلّ كلمة خرجت من فمنا تُصبح بخّورًا نضعه أمام الآلهة الأخرى» (إر ٦ : ١٦ـ ١٧؛ ٤٤ : ١٦ـ ١٧). وحين رأى أنّهم لم يسمعوا له، التفت نحو الشعوب وقال لهم: «إسمعوا أيّها

الشعوب، واعرفي أيّتها الكنيسة التي فيهم، ولتسمع الأرض وملئها» (إر ٦ : ١٨ـ ١٩). وحين رأى أنّهم تجرّأوا فقاموا في وجهه وأجابوه بكلمات سافهة، تركهم حسب النبوءة وقال: «تركت بيتي، تركت ميراثي، سلّمت حبيبتي إلى يد أعدائها. وبدلًا منها صار ميراثي طيرًا مزوّقًا» (إر ١٢ : ٧ـ ٩). هي الكنيسة التي من الشعوب والتي تجتمع من كلّ الألسنة.

٣ ولكي تعرف أنّه حقًّا رَذَلهم، قال أشعيا فيهم أيضًا: «تركتَ شعبك بَيْتَ يعقوب» (٢ : ٦). وسمّاهم أهل سدوم وشعب عمورة، وأدخل الشعوب مكانهم ولقّبهم ببيت يعقوب. قال أشعيا هذا ودعا الشعوب باسم بيت يعقوب وقال لهم: «يا بيت يعقوب، تعالَوا نذهب إلى نور الربّ، لأنّ شعب بيت يعقوب رُذل» (أش ٢ : ٥ـ ٦). فصاروا حُكّام سدوم وشعب عمورة (أش ١ : ١٠). «أبوهم أموري وأمّهم حِثيّة» (حز ١٦ : ٣، ٤٥). «إنقلبوا وصاروا جفنة غريبة» (إر ٢ : ٢١). «عِنَبهم عِنَب مرّ وعناقيدهم مرارة» (إر ٦ : ٣٠). «هم أبناء مُعاندون» (أش ٣٠ : ١) «وفضّة مرذولة» (تث ٣٢ : ٣٢). «هم جفنة سدوم ونصبة عمورة» (تث ٣٢ : ٣٢). «هم كرم أنبت خرّوبًا بدل العنب» (أش ٥ : ٢). «هم جفنة أكلت النار أغصانها، فلم تعد تنفع لشيء ولا تفيد في شيء، ولا يُطلب منها خدمة» (أش ٢ : ٥).

هناك اثنان يدعوهما يعقوب: الأوّل يمشي في نور الربّ. والثاني رُذل. بدل يعقوب كنّاهم بحكّام سدوم، وباسم يعقوب دُعي شعب من بين الشعوب. وقال النبيّ أيضًا عن الشعوب إنّهم سيقرّبون التقدِمات عِوَض الشعب. قال: «عظيم اسمي وسط الشعوب، وفي كلّ مكان يقدّمون باسمي القرابين النقيّة» (ملا ١ : ١١). وعن إسرائيل قال النبيّ: «لا أرتضي بقرابينكم» (إر ٦ : ٢٠). وقال أيضًا:

«ذبائحكم لا تلذّ لي» (إر ٦ : ٢٠). وقال هوشع أيضًا عن إسرائيل: «يطلبون الربّ بالكَذِب» (٥ : ٧). وقال أشعيا: «إنّ قلبه بعيد عن إلهه». وقال: «هذا الشعب يُكرّمني بشفتيه، أمّا قلبه فبعيد عنّي» (أش ٢٩ : ١٣). وقال هوشع: «أحاط بي إفرائيم بالكذب، وبيت إسرائيل وبيت يهوذا بالغشّ، إلى أن نزل شعب الله» (١٢ : ١). وأيّ شعب إلاّ الشعب البارّ والمؤمن. فلو قال عن إسرائيل، أحاطني بالكذب والغشّ، وعن إفرائيم: ها مملكة خاطئة في إفرائيم قامت في إسرائيل، ولم يذكر اسم يهوذا، لكانوا أجابوا: يهوذا هو القدّيس والمؤمن. ولكن النبيّ أعلن بجلاء ووضوح: «أحاطني بالكذب إفرائيم وإسرائيل، لأنّ يربعام بن ناباط مال بهم جليًّا، بواسطة العجل» (١ مل ١٢ : ٢٨)، «وأحاطني يهوذا بالغشّ لأنّه كان يسجد للأصنام بالغشّ وفي السرّ»، حين بيّن الله نجاستهم أيضًا لحزقيال (٨ : ١٠ي).

وأعلن هوشع عنهم فكنّاهم بامرأة زانية وفاجرة. قال عن جماعة إسرائيل: «لتُزِل عن وجهها علامة زناها». وقال عن جماعة بيت يهوذا: «لتُزل علامة فجورها من بين ثدييها» (هو ٢ : ٢). ولكي تعلم أنّ النبيّ تكلّم عن هاتين الجماعتين وكنّاهما بالزانية والفاجرة، فقد قال في الآية التي بعدها: «إن لم تُزِل من وجهها علامة زناها، ومن بين ثَدْييها علامة فجورها، انزع عنها ثيابها واتركها عريانة كما في يوم ولادتها وكما في يوم خرجت فيه من مصر» (هو ٢ : ٢، ٣، ١٥). عندهم جماعتان: الأولى جماعة إسرائيل، والثانية جماعة يهوذا. جماعة إسرائيل زانية وجماعة يهوذا فاجرة، والشعب الذي من الشعوب شعب مقدّس ومؤمن، نزل والتصق بالربّ. ولماذا قال: نزل، لأنّه نزل من ترفّعه. كنى حزقيال الجماعتين بأهولة وأهوليبة

(حز ٢٣: ٤) وسمّاهما غصنين من جفنة أكلتها النار (حز ١٥: ٤). وأعلن داود فقال عن الشعوب: «الربّ يُحصي الشعوب في الكتاب» (مز ٨٧: ٦). وعن بني إسرائيل تنبّأ فقال: «يُمحون من سفر الحياة ولا يُسجَّلون مع الصدّيقين» (مز ٦٩: ٢٨).

الشعوب محلّ الشعب الخاطىء

٤ فاعلم، يا عزيزي، أنّ بني إسرائيل سُجّلوا في كتاب القدّوس، كما قال موسى أمام إلهه: «أو اغفر جهالة هذا الشعب، أو امحني من سِفْرك الذي كتبت». فقال الربّ: «مَن أخطأ إليّ امحُوه من سفري» (خر ٣٢: ٣١-٣٣). وحين أخطأوا قال عنهم داود: «يُمحَون من سِفْر الحياة، ولا يُسجَّلون مع صدّيقيك» (مز ٦٩: ٢٨). وعن الشعوب قال: «الربّ يُحصي الشعوب في الكتاب» (مز ٨٧: ٦) لأنّ الشعوب لم يكونوا مسجّلين في السِفْر وفي الكتاب.

وتأمّل، يا عزيزي، أنّ نداء الشعوب كان مرسومًا قبل نداء الشعب. كانوا يخطأون من وقت لآخر في البرّيّة، فقال الله لموسى: «أتركني فأمحو هذا الشعب، وأجعلك شعبًا أعظم منهم وأفضل» (خر ٣٢: ١٠). ولأنّ زمن الشعوب لم يبلغ بعد، كان مخلّصهم شخص آخر. ولم يتأكّد موسى أنّه سيكون المخلّص والمعلّم للشعب الذي من الشعوب، والذي يكون أعظم وأفضل من شعب إسرائيل. لأنّ هذا المجد العظيم والفاضل، كان يليق بابن الله كما نُسمّيه، على ما قال أشعيا: «قليل أن تكون لي عبدًا وتُعيد غُصْن يعقوب وتُقيم قضيب إسرائيل. ولكنّي وهبتك نورًا للأمم، لتُبيّن خلاصي حتّى أقاصي الأرض» (٤٩: ٦). وأعلن أشعيا أيضًا عن الشعوب: «إسمعوا لي أيّها الشعوب، وانصتي إليّ أيّتها الأمم، لأنّ الناموس يخرج من أمامي، وحُكمي كنور للشعوب» (٥١: ٤). وقال داود: «يسمع لي

بنو الغرباء بكلّ آذانهم» (مز ١٨: ٤٥_ ٤٦). وبنو الغرباء هؤلاء سيُمنعون ويُحجزون من اتّباع سُبُلهم. سمع الشعوب ومُنعوا من سُبُل عبادة الأصنام والأوثان.

٥ وإن قالوا إنّ النبيّ دعانا أبناء غرباء، وإنّهم لم يُدعوا غرباء بل أبناء ووارثين كما قال أشعيا: «ربّيت بنين وعظّمتهم فترفّعوا عليّ» (١: ٢). وقال النبيّ: «من مصر دعوت ابني» (هو ١١: ١). وقال القدّوس لموسى: «قل لفرعون: أطلق ابني ليَعْبُدني» (خر ٤: ٢٣). وقال أيضًا: «إسرائيل ابني البكر» (خر ٤: ٢٢). أمّا الشعوب فسمعوا لله ومُنعوا وحُجزوا من اتّباع خطاياهم. وقال أشعيا أيضًا: «تدعو شعوبًا لا يعرفونك، وشعوب لا يعرفونك يأتون إليك ويعودون» (٥٥: ٥). وقال أشعيا أيضًا: «إسمعوا أيّها الشعوب ماذا صنعت، واعرفوا أيّها البعيدون جَبَروتي» (٣٣: ١٣). وعن كنيسة وبيعة الشعوب قال داود: «أذكر بيعتك التي اقتنيت منذ البدء» (مز ٧٤: ٢). وقال داود أيضًا: «سبّحوا الربّ يا جميع الشعوب، ولتُسبّح لاسمه الأمم» (مز ١١٧: ١)، وقال أيضًا: «للربّ المُلك وهو يسود على الشعوب» (مز ٢٢: ٢٩). وقال النبيّ أيضًا: «في الأيّام الأخيرة أفيض روحي على كلّ بشر فيتنبّأون، ولا يعلّم الواحد قريبه أو أخاه ويقول له: إعرف الربّ، لأنّهم كلّهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم» (يوء ٢: ٢٨). وقال عن بني إسرائيل: «أُرسلُ جوعًا في الأرض، لا الجوع إلى الخبز والعطش إلى الماء، بل لسماع كلمة الربّ. فيأتون من المغرب إلى المشرق ومن الجنوب إلى الشمال ليطلبوا كلمة الربّ، ولكنّهم لن يجدوه، لأنّه ابتعد عنهم» (عا ٨: ١١_ ١٢). وكتب موسى عنهم مُسبقًا: «حين تُصيبك شرور كثيرة في آخر الأيّام تقول: لأنّ الله ليس فيّ أصابتني هذه الشرور» (تث ٣١:

١٧). وهذا ما قالوه في أيّام حزقيال: «الربّ ترك الأرض، الربّ لا يرانا بعد الآن» (٨: ١٢). وقال عنهم أشعيا: «ذُنوبكم فصلت بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم منعت الخير عنكم» (٥٩: ٢). وقال أيضًا: «تصرخون في أذني بصوت عال فلا أسمعكم» (حز ٨: ١٨). وعن الشعب الذي من الشعوب قال داود: «يا جميع الشعوب صفّقوا بالأكفّ، وسبّحوا الله بصوت التسبيح» (مز ٤٧: ١). وقال أيضًا: «إسمعوا هذا يا جميع الشعوب، وانصتوا يا كلّ سكّان الأرض» (مز ٤٩: ١).

الله اختار أبرارًا من الوثنيّين

٦ منذ البدء، كلّ مَن حَسُنَ لدى الله من الشعوب، بُرِّر أكثر من إسرائيل. فيترو كان كاهنًا من الشعوب ونسله كان مباركًا. «كان مسكنه قويًّا وعشّه موضوعًا في الصخرة» (عد ٢٤: ٢١). وكان الجبعونيّون من الشعوب النجسة، فعاهدهم يشوع فدخلوا والتجأوا إلى ميراث الربّ، وصاروا يلتقطون الحَطَب ويحملون الماء للجماعة ولمذبح الربّ. وعندما طلب شاول أن يقتلهم انحبست السماء من المطر إلى أن ذُبح بنو شاول. حينئذ التفت الربّ إلى الأرض وبارك ميراثه. وراحاب الزانية قبلت الجواسيس، فقبلت ميراثًا في إسرائيل هي وبيت أبيها. وعوبيد أدوم من جتّ الفلسطيّين، أُدخَل إلى بيته تابوت الربّ فتمجّد عنده أكثر من كلّ إسرائيل، وباركه الربّ هو وبيته. وأتاي الجتي قات داود يوم اضطهاده فكُرّم اسمُه وكُرّم نَسْلُه.

وعبد ملك الكوشي، الرجل المؤمن، أصعد إرميا من الجُبّ حيث سجنهُ شعبه بنو إسرائيل. وهذا ما قال عنهم موسى: «الغريب الذي يكون عندك يُرفع، وأنت تَنزلُ إلى الأسفل» (تث ٢٨: ٤٣). هم سجنوا إرميا النبيّ، وأنزلوه إلى الجُبّ الأسفل وعبد ملك الغريب من

كوش أصعد إرميا من الجُبّ. وجاءت راعوت الموآبية من شعب استحقّ الغضب، فدخلت في شعب إسرائيل وامتزجت به. من نَسْلها قام القائد الملكيّ الذي منه يولد مخلّص الشعوب. وأوريا الحثي الذي جاء من شعب دَنِس، كان أحد جبابرة داود. ولأنّ داود قتله بغِشّ في الحرب مع بني عمّون، واشتهى امرأته وأخذها، فداود هذا قَبِلَ العِقاب: «لن يترك السيف بيتك إلى الأبد» (٢ صم ١٢ : ١٠).

المسيح عهد الشعب والشعوب

٧ وقال أشعيا أيضًا عن مخلّصنا: «وهبتك أن تكون عهدا للشعب ونورًا للشعوب» (أش ٤٢ : ٦). كيف كان عهداً للشعب؟ من وقت جاء النور ومخلّص الشعوب، من ذلك الوقت مُنِعَ إسرائيل من السجود للأصنام، فكان له هذا عهدًا حقًّا. وتكلّم موسى عن ذلك: «أغيركم بشعب ليس بشعب، وأغضبكم بشعب جاهل» (تث ٣٢ : ٢١). غاروا منّا ولهذا لم يعودوا يعبدون الأصنام، لئلا نلعنهم نحن الذين تركنا الأصنام، وسمّينا كذبًا ما تركه لنا آباؤنا. وغضبوا وانفطرت قلوبهم حين دخلنا وارثين بدلاً منهم. لهم كان هذا العهد الذي به لا يسجدون للآلهة الأخرى وإن لم يقبلوه. أغارهم بنا وكان لنا النور والحياة، كما أعلن وقال حين علّمنا: «أنا نور العالم» (يو ٨ : ١٢). وقال أيضًا: «آمنوا ما دام لكم النور، لئلا يُدرككم الظلام» (يو ١٢ : ٣٥). وقال أيضًا: «أمشوا في النور لتُدعَوا أبناء النور» (يو ١٢ : ٣٦). وقال أيضًا عن نفسه: «النور يُضيء في الظُلمة» (يو ١ : ٥). هذا هو العهد الذي صار للشعب، والنور الذي أنار كلّ الشعوب، فحجزهم ومنعهم من السُبُل المعوجّة كما كتب: «عند مجيئه يُصبح المكان الوَعِر مُسطّحًا، والموضع الصعب سَهْلاً. يتجلّى مجد الربّ، ويرى كلّ بشر حياة الله» (أش ٤٠ : ٤ـ ٥؛ لو ٣ : ٥ـ ٦).

٨ كتبت لك هذا التذكير الصغير عن الشعوب، لأنّ اليهود يفتخرون فيقولون: «نحن شعب الله وأبناء إبراهيم». ولكنّنا نسمع يوحنّا يقول لهم وهم يفتخرون مردّدين: نحن أبناء إبراهيم. يقول يوحنّا: «لا تفتخروا وتقولوا: لنا أب هو إبراهيم، لأنّ الله يقدر أن يُقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم» (مت ٣: ٩) وقال لهم مخلّصنا. «أنتم بنو قايين لا أبناء إبراهيم» (يو ٨: ٣٩، ٤٤). وقال الرسول: «الأغصان التي خطئت فُسخت، ونحن طُعِّمنا مكانها وصرنا مشاركين في زيت الزيتون» (روم ١١: ١٧ـ ١٨). إذًا لا نفتخر ونخطأ، لئلا نُفْسخ نحن أيضًا، بعد أن طعِّمنا في الزيتونة.

هذا هو الجواب على اليهود الذين يفتخرون فيقولون: «نحن أبناء إبراهيم، نحن شعب الله».

تمّت المقالة في الشعب والشعوب

في المسيح ابن الله

يقول اليهود: لا ابن لله

١ إليك خطابًا نموذجيًا ضدّ اليهود الذين يُجدّفون على الشعب الآتي من الشعوب. وهذا ما يقولون: أنتم تسجدون وتعبدون رجلًا مولودًا وإنسانًا مصلوبًا، وتدعون إنسانًا الله. وإذ ليس لله ابن، تقولون إنّ يسوع المصلوب هو ابن الله. ويُقدّمون بُرهانًا أنّ الله قال: «أنا الله وليس آخر سواي» (تث ٣٢: ٣٩). ويقول أيضًا: «لا تسجد لإله آخر» (خر ٣٤: ١٤). ويقولون، إذًا، أنتم تُعارضون الله، وتدعُون الله مَن ليس إلّا إنسانًا.

جواب أوّل، ألقاب يسوع

٢ سأعطيك البراهين، يا عزيزي، على هذا، حسب قُدرتي وحَقارة إدراكي. فإن جاريناهم أنّه إنسان وأنّنا نُكرّمه وندعوه إلهًا وربًّا، فليس بمُستغرب أن ندعوه هكذا، ولا نفرض عليه اسمًا لا يقدرون أن يستعملوه.

نحن متأكّدون أنّ يسوع ربّنا هو إله وابن الله، وملك وابن ملك، ونور من نور، خالق ومُرشِدٌ وهادٍ وطريق، ومخلّص وراعٍ وجامع وباب

ولؤلؤة وسِراج. نكنّيه بأسماء عديدة. ولكن نترك كلّ ذلك، ونبيّن أنّه ابن الله، وأنّه الله الذي جاء من الله.

٣ إسم اللاهوت الموقّر، جُعل لأناس صدّيقين كانوا أهلاً لأن يُسمّوا به. فالناس الذين رضي الله عنهم سمّاهم «أبنائي»، «أحبّائي».

حين اختار موسى حبيبه وصديقه وجعله رئيسًا ومُعلّمًا وكان شعبه، سمّاه إلهًا. قال له: «وهبتك أن تكون إلهًا لفرعون» (خر ٦: ١). ووهب له كاهنه نبيًّا. قال: «هارون أخوك يتكلّم عنك مع فرعون، وأنت تكون له إلهًا، وهو يكون لك تُرجمانًا» (خر ٧: ١). لم يجعل الربّ موسى إلهًا فقط أمام فرعون الشرّير، بل أمام هارون الكاهن القدّيس صنع موسى إلهًا.

٤ واسمع أيضًا: ما نسمّيه ابن الله يقولون لنا عنه: ليس لله ابن، وأنتم تصنعون من يسوع المصلوب هذا ابن الله البكر. ولكنّ الله سمّى إسرائيل ابني وبِكْري، حين أرسل يقول لفرعون بواسطة موسى: «إسرائيل هو ابني وبِكْري، كما قلت لك. فأطلق ابني ليعبُدني. وإن لم تُرِدْ أن تُطلقه، فها أنا أقتل ابنك وبِكْرك» (خر ٤: ٢٢ـ ٢٣). وشهد على هذا بواسطة النبيّ، فلعنهم وقال للشعب: «من مصر دعوت ابني. كما دعوتهم هكذا ذهبوا وسجدوا لبعل، ووضعوا بخورًا للأصنام» (هو ١١: ١ـ ٢). وقال عنهم أشعيا: «ربيت بنين وعظّمتهم فتعالوا عليّ» (١: ٢). وكُتب أيضًا: «أنتم أبناء الربّ إلهكم» (تث ١٤: ١). وقال عن سليمان: «هو يكون لي ابنًا، وأنا أكون له ابًا» (٢ صم ٧: ١٤؛ ١ أخ ٢٢: ١٠).

ونحن أيضًا سمّينا هذا المسيح ابن الله، لأنّنا به عرفنا الله، كما سمّى الله إسرائيل ابنه البِكر، وقال عن سليمان أنّه يكون له ابنًا. وسمّيناه الله

كما كنى الله موسى باسمه الخاصّ. وقال داود عنهم: «أنا قلت: أنتم آلهة وبنو العليّ كلّكم» (مز ٨٢: ٦). وإذ لم يرتدّوا، قال عنهم: «تموتون كالبشر وتسقطون كواحد من العظماء» (مز ٨٢: ٧).

٥ واسم اللاهوت يُعطى في هذا العالم كعلامة إكرام عظيم، ويجعله الله لمَن يشاء. لا شكّ في أنّ أسماء الله عديدة وكريمة. فقد أعطى أسماء لموسى وقال له: «أنا إله أبائكم، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خر ٣: ٦). «هذا هو اسمي إلى الأبد، وهذا هو ذكرى مدى الأجيال» (خر ٣: ١٥). وتسمّى بهذا الاسم. «أنا هو مَن هو» (خر ٣: ١٤) «الله الشديد والربّ الصباؤوت» (إر ٣٢: ٨). بهذه الأسماء سُمِّي الله. وبما أنّ اسم الله عظيم وموقّر لم يمنعه من صدّيقيه، وإذ هو الملك العظيم، يمنح بسخاء اسم الملك العظيم والموقّر للبشر الذين جبلهم.

٦ كان نبوكدنصّر ملكًا شرّيرًا، ولكنّ الله سمّاه بفم نبيّه ملك الملوك. قال إرميا: «كلّ شعب وكلّ مملكة لا يدخل عنقه في نير نبوكدنصّر ملك الملوك عبدي، أفتقد هذا الشعب بالجوع والحرب والوباء» (٢٧: ٨). إذ هو الملك العظيم، فهو لا يمنع اسم الملك عن الناس، وإذ هو الإله العظيم لا يمنع اسم اللاهوت عن البشر. وإذ هو كلّه أبوّة (أف ٣: ١٥)، سمّى أبناء البشر آباء. وقال لجماعته. «يكون أبناؤك بدل آبائك» (مز ٤٥: ١٧). وكما أنّ له كلّ سلطة وهب السلطان للناس، الواحد على رفيقه. وإذ له السجود، علامة الوقار، أعطى الإنسان أن يُوقّر رفيقه في هذا العالم كما يُوقّر الله. وإن ركع إنسان مع الأئمّة والأشرار الذين يكفرون بنعمة الله، فالله لا يلومه. أمّا عن ركوع العبادة، فقد قال لشعبه: «لا تسجد للشمس ولا للقمر ولا لكلّ قوّات السماء، ولا ترغبوا في أن تسجدوا لأيّ من الخلائق التي

على الأرض» (تث ٤ : ١٧).

كَرَمُ الله لا يبخل بشيء على البشر

تأمّل حنان خالقنا الصالح ورحمته. فهو لم يمنع عن الناس اسم اللاهوت واسم السجود واسم الملك واسم السُلطة، لأنّه هو أب الخلائق التي على وجه الأرض، ومن بين كلّ الخلائق كرّم البشر ورفعهم ومجّدهم. فهو بيديه المقدّستين جبلهم، ومن روحه نفخ فيهم، وكان لهم مسكنًا منذ البدء. فيهم يحلّ وبينهم يسير. قال الله بالنبيّ: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢٦ : ١٢؛ ٢ كور ٦ : ١٦). وقال إرميا أيضًا: «أنتم هيكل الربّ إن أصلحتم طُرُقكم وأعمالكم» (٧ : ٤ـ ٥). وفي القديم قال داود: «أيّها الربّ، كنت لنا مسكنًا من جيل إلى جيل، قبل أن تحبل الجبال، وقبل أن تحبل الأرض، وقبل أن تُؤسّس المسكونة. من الأزل إلى الأبد أنت الله» (مز ٩٠ : ١ـ ٢؛ أف ١ : ٤).

٧ كيف تفهم هذا الذي قاله أحد الأنبياء: «أيّها الربّ كنت مسكنًا لنا»؟ وقال آخر: «أسكن فيهم وأسير بينهم». في الحالة الأولى، هو صار مسكنًا لنا ثمّ سكن فينا وسار بيننا. الشيئان واضحان وصحيحان للحكماء. فقد قال داود: «أيّها الربّ، كنت لنا مسكنًا من جيل إلى جيل، قبل أن تُحبَل الجبال وقبل أن تَحبل الأرض وقبل أن تُتقَن المسكونة. فاعرف، يا عزيزي، أنّ كلّ الخلائق العُليا والسُفلى خُلقت أوّلًا، وبعدها كلّ البشر. فحين فكّر الله أن يخلق الكون بكلّ زينته، حبل بآدم وصوّره أوّلًا في عقله، ومن بعد أن حبل بآدم في فكره حبل بالبرايا كما قال: «قبل أن تُحبل الجبال وقبل أن تَحبل الأرض. فالإنسان كمحبول به هو أعتق وأقدم من المخلوقات، أمّا كمولود، فالخلائق أعتق وأقدم من آدم. حُبِلَ بآدم فسكن في فكر الله. وحين حَبِل به حُبِس في فكره ثمّ خَلق كلّ الخلائق بكلمة فمه.

وحين أتمّ العالم وزيّنه بحيث لا ينقصه شيء، ولد آدم من فكره، وجبل الإنسان بيديه. رأى آدم العالم مُتقنًا، وسلّطه الله على كلّ ما صنع. فهو كرجل له ابن يريد أن يصنع له عُرسًا، يخطب له امرأة ويبني له بيتًا، ويُهيّئ ويزيّن كلّ ما يحتاج إليه ابنه. ثمّ يصنع لابنه عُرسًا ويُسلّطه على بيته.

ومن بعد أن حَبل الله بآدم وولده، سلّطه على كلّ خليقته. فقال النبيّ في هذا: «أيّها الربّ، كنت لنا مسكنًا من جيل إلى جيل، من قبل أن حُبلت الجبال، من قبل أن حَبلت الأرض، وقبل أن تثبت المسكونة. ومن الأزل إلى الأبد أنت هو الربّ» (مز ٩٠: ١ـ ٢). ولئلا يُفكّر أحد أنّ هناك إلهًا آخر منذ البدء أو فيما بعد، قال: «من الأزل إلى الأبد». كما قال أشعيا: «أنا الأوّل وأنا الآخر» (٤٤: ٦، ٤٨: ١٢).

بعد أن ولد الله آدم من فكره، جبله ونفخ فيه من روحه، ووهبه معرفة التمييز، ليُميّز الخير من الشرّ، وليعرف أنّ الله صنعه. وبما أنّه يعرف صانعه، فالله مصوَّر ومحبول به داخل فكر الإنسان، وهو يصير هيكلاً لله صانعه. كما كُتب: «أنتم هيكل الله» (١ كور ٣: ١٦). وقال بنفسه: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢٦: ١٢؛ ٢ كور ٦: ١٦). فالبشر الذين لا يعرفون أنّ الله صانعهم ليس مصوَّرًا فيهم، ولا يسكن بينهم ولم يُحبل به في فكرهم، فهم يُحسبون أمامه كالحيوان وكسائر المخلوقات.

٨ بعد هذا يقتنع كلّ عنيد أنّ ليس بمُنكَر أن نسمّي المسيح ابن الله. فهو الذي حَبل بكلّ البشر وولدهم من فكره. فليقبلوا أنّ الله وضع اسم اللاهوت عليه، كما وضعه على صدّيقيه. فإن سجدنا ليسوع الذي به نعرف الله، فليخجلوا لأنّهم يسجدون للأشرار المتسلّطين على

الشعوب النجسة، ويكرّمونهم ولا لوم عليهم. فهذا الإكرام الذي هو السجود، وهبه الله للبشر ليُكرّموا بعضهم بعضًا وليكرّم الواحد مَن هم أفضل منه وأكرم. فإن كان الذين يسجدون للأشرار ويكرّمون بالسجود الذين في شرّهم يكفرون باسم الله، ولا يسجدون له كصانعهم، ليسوا بخطأة، كم يليق بنا أن نسجد ليسوع ونكرّمه، لأنّه منعنا من السجود للضلال والباطل، وعرّفنا أن نسجد لله الواحد، أبينا وخالقنا، ونعبده ونخدمه. ونعرف أنّ ملوك العالم الذين يدعُون نفوسهم آلهة باسم الله العظيم، هم كفّار ويدعُون إلى الكُفر. ويرتمي الناس أمامهم ويعبدونهم ويكرّمونهم كالأصنام والأوثان، ولا يلومهم الناموس أبدًا ولا يعتبر عملهم خطيئة؛ فحين سجد دانيال لنبوكدنصّر الكافر والداعيّ إلى الفكر، لم يُلَم، وسجد يوسف لفرعون، وكُتب أنّ ذلك لم يكن خطيئة.

ونحن متأكّدون أنّ يسوع هو الله وابن الله، وبه نعرف أباه، وهو الذي أبعدنا عن كلّ العبادات الأخرى. نحن نستطيع أن نكافىء مَن احتمل الكثير لأجلنا، ولكنّنا بالسجود نردّ إليه الإكرام عَوِضَ الضيق الذي احتمله لأجلنا.

جواب ثان: أقوال الأنبياء في المسيح

٩ ويجب علينا أن نقدّم البراهين التي تقول إنّ يسوع وُعد به مُسبقًا ومن قديم بواسطة الأنبياء، وإنّه دُعي ابن الله. قال داود: «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك» (مز ٢: ٧). وقال أيضًا: «من بهاء القدس من الرحم ولدتك صبيًّا منذ القديم» (مز: ١١٠: ٣). وقال أشعيا: «وُلد لنا ولد، أُعطِي لنا ابن، وكان سُلطانه على كَتِفِه. دُعي اسمه عجيبًا مشيرًا، إله العوالم الجبّار ورئيس السلام، لازدياد سُلطانه ولسلامه الذي لا حدود له» (٩: ٦ـ ٧).

فقل لي، أيّها الحكيم، يا معلّم إسرائيل: مَن هو الذي وُلد ودعي اسمه ولدًا وابنًا عجيبًا، وإله العوالم الجبّار وسيّد السلام لازدياد سُلطانه وسلامه الذي يقال لنا إنّه بلا حدود؟ فإن سمّينا المسيح ابن الله، فداود علّمنا هذا، وإن سمّيناه الله، فقد سمعنا ذلك من أشعيا. أمّا السُلطان الذي أعطي على كتفه، فلأنّه أخذ صليبه وخرج من أورشليم، وعن الولد المولود، قال أشعيا: «ها إنّ العذراء تحبل وتَلِد ابنًا ويُدعى اسمه عمانوئيل الذي هو إلهنا معنا» (٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣).

١٠ فإن قلت إنّ المسيح لم يأتِ بعد، أعطيك هذه الكلمات من أجل عنادك. فحين جاء، كُتب أنّ الشعوب يرجونه (تك ٤٩: ١٠). وها أنا من الشعوب وسمعت أنّ المسيح آتٍ. وقبل أن يأتي آمنت مُسبقًا به. وبواسطته أسجد لإله إسرائيل. فحين يأتي، هل يلومني أنّني آمنت به مُسبقًا قبل أن يأتي؟

فيا أيّها الجاهل! لا يتركك الأنبياء تقول: «المسيح لم يأتِ إلى الآن! فدانيال يُوبّخك ويقول: بعد اثنين وستّين أسبوعًا، يأتي المسيح ويُقتل، وبمجيئه تدمَّر المدينة المقدّسة وتكون آخرتها الجرف، وإلى أن تتمّ هذه الأقوال تبقى في دمارها» (دا ٩: ٢٦: ٢٧). وأنت تنتظر وترجو أنّ المسيح عندما يجيء يجمع إسرائيل من كلّ مكان، فتُبنى أورشلم وتُسكن من جديد. ويشهد دانيال: حين يأتي المسيح ويُقتل، تُخرّب أورشليم وتبقى على خرابها إلى الأبد، إلى أن تتمّ هذه الكلمات.

وعن آلام المسيح قال داود: «ثقبوا يديّ ورجليّ فولولت كلّ عظامي، هم نظروا إليّ ورأوني. إقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي اقترعوا» (مز ٢٢: ١٧ـ ١٩). وقال أشعيا: «يُعرف عبدي ويتجلّى، ويُرفع

بحيث ينذهل منه الكثيرون. دُمِّر فلم يعد منظره منظر رجل، ولم يَعُد وجهه وجه إنسان» (٥٢: ١٣ـ ١٤). وقال أيضًا: «يُطهّر شعوبًا كثيرة، فينذهل منه ملوك كثيرون» (أش ٥٢: ١٥). وقال في هذا المقطع: «صعد كولد أمامي وكأصل من أرض عطشى» (أش ٥٣: ٢). وقال في مقطع آخر: «قُتِل من أجل خطايانا وذلّ من أجل إثمنا. توبيخ سلامنا عليه وبجراحه تَداوينا» (أش ٥٣: ٥).

بأيّ جراح تداوى البشر؟ فداود لم يُقتل، بل مات في شيبة صالحة، ودُفِن في بيت لحم (١ مل ٢: ١٠). وإن قالوا: شاول، قلنا: شاول مات في حرب مع الفلسطيّين على جبال جلبوع (١ صم ٣١: ٤). وإن قالوا: ثقبوا يديه ورجليه حين علّقوا جسده على سور بيت شان (١ صم ٣١: ١٠)، فهذا لم يتمّ في شاول. حين ثقبوا أعضاء شاول، لم تحسّ بالألم عظامه، لأنّه كان قد مات. ومن بعد أن مات شاول علّقوا جسده وجسد بنيه على سور بيت شان. وحين قال داود: «ثقبوا يديّ ورجليّ فولولت كلّ عظامي»، قال بعد هذه الآية: «يا إلهي، إبْقَ في عوني، ونجِّ نفسي من الخراب» (مز ٢٢: ١٧ـ ١٨). فالمسيح صعد من الجحيم، وعاد وقام في اليوم الثالث، وبقي الله في عونه. وشاول دعا الله فما أعانه. وسأل بالأنبياء فلم يُعْطَ له جواب. وتخفّى وسأل العرّافين، فعلم أنّه سيُقهر أمام الفلسطيّين، وأنّه سيقتل نفسه بسيفه، حين رأى أنّ الحرب قَوِيَت عليه.

وقال داود في هذا المقطع: «أُبشّر باسمك إخوتي، ووسط الجماعة أسبّحك» (مز ٢٢: ٢٣). كيف يمكن أن يتمّ هذا في شاول؟ وقال داود أيضًا: «لم تعطِ تقيّك أن يرى فسادًا» (مز ١٦: ١٠). ولكن هذا تمّ في المسيح، حين جاء إليهم فما قبلوه (يو ١: ١١)، وحكموا عليه ظُلمًا بشهادة زور، فرُفع على الصليب بأيديهم، وثقبوا يديه ورجليه

بمسامير ثبّتوها، فولولت كلّ عظامه. في ذلك اليوم جرت عجيبة عظيمة: أظلم النور في وسط النهار كما تنبّأ زكريّا وقال: «يعرف الربّ هذا اليوم. لن يكون نهارًا ولا ليلاً، وفي وقت المساء يكون نور» (١٤ : ٧). ما هو هذا اليوم الذي تميّز بعجيبة؟ لم يكن ليلاً ولا نهارًا، وفي وقت المساء كان نور. هو اليوم الذي فيه صلبوه. حلّت ظلمة وسط النهار، وفي وقت المساء كان نور. وقال أيضًا: «سيكون في ذلك اليوم برد وجليد» (زك ١٤ : ٦). كما تعرف حصل ذلك في اليوم الذي صلبوا القدّوس، لأنّهم وضعوا نارًا ليتدفّأوا حين أتى سمعان ووقف قربهم. وقال أيضًا: «يُرفع الرمح على الراعي، وعلى أحبّائي النعاج، فيُضرب الراعي وتتبدّد حُملان القطيع، وأعيد يدي على الرعاة» (زك ١٣ : ٧؛ مت ٢٦ : ٣؛ مر ١٤ : ٢٧).

وقال داود أيضًا عن آلامه: «وهبوني لطعامي مُرًّا ولعطشي سقوني خلًّا» (مز ٦٩ : ٢٢). وقال أيضًا في هذا المقطع: «من ضربته أنت اضطهدوه، وزادوا على آلام موته» (مز ٦٩ : ٢٧). فقد زادوا كثيرًا بحيث لم تكتب عنه كلّها: اللعنات والشتائم التي لم يكشف عنها الكتاب، لأنّ شتائمهم كانت قبيحة. «أمّا الربّ فرضي أن يُذلّه ويمنحه الألم» (أش ٥٣ : ١٠)، «قُتل من أجل إثمنا وأُذلّ من أجل خطايانا» (أش ٥٣ : ٥)، «وجُعلت الخطيئة في نفسه» (٢ كور ٥ : ٢١).

خاتمة

١١ نحن نسجد لهذه المراحم، ونحني رُكَبنا أمام عظمة أبيه الذي أعاد سجودنا إليه. نُسمّيه الله، مثل موسى، والبكر والابن مثل إسرائيل، ويسوع مثل يشوع بن نون، والكاهن مثل هارون، والملك مثل داود، والنبيّ العظيم مثل كلّ الأنبياء، والراعي مثل الرعاة الذي رَعوا شعب

إسرائيل ودبّروه. دعانا أبناء، كما قال: «أبناء الغرباء يسمعونني» (مز ١٨ : ٤٥). وجعلنا إخوة، كما قال: «أبشّر باسمك إخوتي» (مز ٢٢ : ٢٣). وصرنا له أحبّاء، كما قال لتلاميذه: «سمّيتكم أحبّائي» (يو ١٥ : ١٥) وكما سمّى الله إبراهيم: «حبيبي» (أش ٤١ : ٨).

قال لنا: أنا الراعي الصالح (يو ١٠ : ١١)، والباب (يو ١٠ : ٧)، والطريق (يو ١٤ : ٦)، والكَرْمة (يو ١٥ : ١) والزَرْع (مت ١٣ : ٣٧)، والخَتَن (مت ١٩ : ١٥)، واللؤلؤة (مت ١٣ : ٤٦)، والسِراج (يو ٥ : ٣٥)، والنور (١ : ٩؛ ٨ : ١٢) والمَلِك (مت ٢ : ٢٢؛ ٢١ : ٥؛ ٢٧ : ١١) والله (يو ١ : ١) والمُحيي (يو ٥ : ٢١) والمُخلّص (لو ٢ : ١١). فد كنّى نفسه بأسماء كثيرة.

هذه بعض البراهين، يا عزيزي، كتبتها لك لتُجيب اليهود. لأنّهم يقولون: لا ابن لله، ويرفضوننا حين نسمّي الابن الله وابن الله، والملكَ وبكرَ كلّ الخلائق.

تمّت المقالة في المسيح ابن الله

في البتوليّة والقداسة ضدّ اليهود

اليهود والبتوليّة

١ أريد أن أبيّن لك، يا عزيزي، ما يحُز في قلبي، ويتعلّق بهذا العهد المقدّس، أو البتوليّة والقداسة التي نحن قائمون فيها. فبسبب فِسْقهم وفُجور أجسادهم، عَثر شعب اليهود أمام هذا الواقع، فبلبلوا وأثاروا عقول السُذّج والجاهلين الذين تُجرجرهم وتأسرهم براهين هؤلاء المُقلِقين.

فيقولون: حين خلق الله آدم، باركه وقال له: «أُنموا واكثروا وتوالدوا واملأوا الأرض» (تك ١ : ٢٨). وقال لنوح كلامًا شبيهًا: «أكثروا في الأرض وتوالدوا» (تك ٩ : ٧). وبارك إبراهيم فقال له: «أنظر إلى السماء وعدّ النجوم إن كنت تقدر أن تعدّها. وقال له: هكذا يكون نسلك» (تك ١٥ : ٥). وقال لإسرائيل واعدًا بالبركات: «لن يكون فيك رجل عاقر، ولا امرأة عاقرة» (تث ٧ : ١٤). وقال أيضًا: «لن يكون في أرضكم امرأة مُسقِطة أو عاقر» (خر ٢٣ : ٢٦). ولإبراهيم وهب إسحق علامة بَركة. وصلّى إسحق على رفقة لتلد. وبارك يعقوب فأكثر نَسله. وطلبت حنّة صموئيل بأنين، فصار أبناء العاقر كثيرين في نسلها. وكلّ الصدّيقين نالوا الإيلاد والبركة، وأنتم

تصنعون ما لم يأمر به الله، فتقبلون اللعنة وتُكثِرون العواقر. منعتم الإيلاد الذي هو بَركة الصدّيقين. لا تأخذون نساء ولا تكون نساؤكم لرَجُل. أبغضتم الإيلاد الذي هو بَركة موهوبة من الله.

تجاه هذه الأقوال، أقدّم لك، يا عزيزي، بُرهاني على قَدْر استطاعتي.

٢ لمّا بارك الله آدم، قال له: «توالدوا واكثروا في الأرض» (تك ١: ٢٨). باركهم ليمتلىء العالم منهم، وبأولادهم سيكونون مُثمرين. ولكن لمّا تكاثروا فسدوا وعملوا الشرّ إلى أن أحزنوا روح خالقهم بخطاياهم وضايقوه، فقال: «ندمت لأنّي صنعتهم» (تك ٦: ٧)، ومحاهم بمياه الطوفان، بغضبٍ فائض ودينونة قاطعة.

فقُل لي يا مُجادل في إسرائيل: ماذا نفعت بركة آدم؟ أفسدوا طريقهم فمَحَتْهم مياه الطوفان. أفسدوا حالة الزواج، فحُكِم عليهم وانطفأت البركة بخطايا الأثمّة.

وبنى نوح، بعددٍ صغير لا كبير مذبحًا، وأراح مراحم القدّوس. فكان نوح بقلّة عدده، أفضل من كلّ الجيل الفاسد، وانطلاقًا منه قام عالم ثانٍ. وقبِل نوح البركة أيضًا ليكثُر ويكون له أولاد، بحيث يمتلىء العالم ويكثُر بنو آدم. وحين كَثُروا وقووا وفاض أولادهم، نسوا الله وسجدوا لأصنام كلّ الشعوب والألسنة التي من نَسله. وحسبوا الله كلا شيء، كنقطة في قِدْر ورجحَانٍ في ميزان. وبقي نَسل الصدّيقين وحده حيًّا، فنجوا أمام الله. فماذا نفعت البركة للأجيال العشرة السابقة للطوفان؟ وماذا استفاد أهل سدوم الذين قُتِلوا أحياء، بعد أن أحرقتهم النار والكبريت، وانطفأت البركة بخطايا الأثمة؟ وأيّة فائدة ونفع، صنعت البركة للستمائة ألفِ الذين خرجوا من مصر؟ هلكوا في

البرّيّة الخربة، لأنّهم أغضبوا القدّوس؟ وأيّة إفادة ونفع كانت في بركة أولاد الشعوب النجسة التي أفناهما يشوع؟ بل ماذا أفادت البركة إسرائيل أن يكثر نسلهم كالنجوم، بعد أن أفنتهم الحرب والدمار.

٣ بالنسبة إلى الله، إنسان واحد يصنع إرادته، يُعتبر أفضل أمام عظمته، من ربواتٍ وآلافٍ من المذنبين. إعتُبِرَ نوح أمام الله، أفضل من عشرة أجيال سابقةً كانت فاسدة، وحُسِب إبراهيم قُدّام الله أكثر من عشرة أجيال سبقته، وأفضل من التي ستأتي بعده. إسحق ويعقوب، ابنا الموعد، اعتُبرا في نظر الله أحسن وأفضل من كلّ الأموريّين الذين سكنا بينهم. وحُسب يوسف أمام الله أفضل من كلّ شعوب فرعون الأثيم. وموسى النبيّ الكبير في إسرائيل، كان أحسن وأفضل أمام الله، من الستمائة ألف الذين خرجوا من مصر، وبعنادهم أحزنوا الله وما استطاعوا أن يدخلوا إلى أرض الموعد.

براهين كتابيّة عن البتوليّة

٤ أمّا البتوليّة والقداسة، فأنا أُبيّنها لك عند هذا الشعب: إنّها كانت محبوبة ومفضّلة أمام الله. ففي هذا الشعب الذي سبقنا، كانت أفضل من الأولاد الكثيرين الذين لا نفع فيهم. فموسى النبيّ العظيم وقائد شعبه، أحبّ القداسة وخدم القدّوس من وقت تكلّم الله معه. إعتزل العالم والإيلاد، وبقي وحيدًا ليُرضي ربّه. وإلّا فبيّن لي: ماذا تقول أيّها المُجادل الحكيم في شعبه؟ من وقت تكلّم الله مع موسى، هل ظلّ موسى خادمًا لحالة الزواج؟ فإن جئت لنا بالبرهان الكاذب، فأنا لن أستسلم لمُجادلتك، لأنّك تريد أن تُنجّس القدّوس من أجل فِسْقِكَ. فلو خدم حالة الزواج، لما استطاع أن يخدم عظمة الربّ، كما لم يستطع شعب إسرائيل أن يقبل الكلمة المقدّسة، وكلمات الحياة التي تلفظ بها القدّوس مع موسى على الجبل. بعد أن قدّس

شعبه مدّة ثلاثة أيّام حينئذ تكلّم معهم القدّوس. قال لموسى: «إنزل إلى الشعب وقدّسهم ثلاثة أيّام» (خر ١٩: ١٠). وهذا ما قاله لهم موسى بوضوح: «لا تقربوا النساء» (خر ١٩: ١٩). وحين تقدّسوا في الأيّام الثلاثة، تجلّى القدّوس في اليوم الثالث، في بهاء قويّ ومجد عظيم، وبصوت شديد وبرعد رهيب، وبصوت بوق قويّ ومشاعل عنيفة وببروق مُضيئة. تزعزعت الجبال وتزلزلت القمم، وانتقلت الشمس والقمر من مسيرتهما، وصعد موسى على جبل سيناء، ودخل في السحاب وقَبِل الوصيّة.

وحين رأى موسى بهاء المجيد، خاف وارتجف. وأخذته الرِعْدة، لأنّه شاهد مسكن العليّ يتّكىء على الجبل، رأى جيش كرسيّ الله العظيم. ربوات وألوف يخدمونه، وهم يُغطّون وجوههم من بهائه المجيد، ويركضون ويطيرون بأجنحتهم السريعة، ويهتفون لعظَمَته ويُقدّسونها ويرفعونها. هم ساهرون مستعدّون سريعون في ركضهم. هم بهاءٌ وجمال وحُسْن وفتنة. يركضون ويقدّسون وصيّته ويُتمّونها، يصعدون وينزلون في الهواء، وهم يُسرعون كالبَرْق.

٥ كان موسى يتكلّم والله يُجيبه بصوت. في ذلك اليوم وقف شعب إسرائيل برُعب وخوف ورعدة، وسقطوا على وجوههم إلى الأرض، وما استطاعوا أن يتحمّلوا، فقالوا لموسى: «لا يتكلّم الله معنا لئلا نموت» (خر ٢٠: ١٩).

فيا أبله، هل تستصعب هذه الأمور وتعثر بها؟ شعب إسرائيل الذي تكلّم الله معه ساعة واحدة فقط، ما استطاع أن يسمع صوت الله قبل أن يتقدّس ثلاثة أيّام، وهو لم يصعد على الجبل ولا دخل في السحاب القويّ! وموسى النبيّ والعين المنيرة لكلّ الشعب الذي كان في كلّ وقت واقفًا أمام الله، ومن فم إلى فم يتكلّم معه (خر ٣٣:

١١)، كيف يُمكنه أن يُشارك في حالة الزواج! وإذا كان شعب إسرائيل الذي تقدّس ثلاثة أيّام فقط، تكلّم الله معه، فكم يجب أن يكون أفضل منه وأحسن الذين يتقدّسون كلّ أيّامهم، فيسهرون ويستعدّون ويقفون أمام الله. ألا يُحبّهم الله ويفضّلهم، ألا تسكن روحه فيهم؟ كما قال: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢٦ : ١٢؛ ٢ كور ٦ : ١٦). وقال أشعيا: «إلى مَن أنظر وفي مَن أسكن، إلّا في الهادىء والمتواضع الذي يَرْهَبُ كلمتي» (٦٦ : ٢).

فضل البتوليّة

٦ وأبيّن لك أنّ البتوليّة محبوبة ومفضّلة جدًّا أمام الله. فقد أمر القدّوس الكهنة بني هارون الذين يخدمون أمامه، أن لا يأخذ أحد منهم أرملة أو مطلّقة أو مدنّسة بزنى، بل يأخذ بتولًا من شعبه لم يُدنّسها رجل آخر. فتأمّل: الأرملة مدنّسة أكثر من البتول. فإن كان الزواج أفضل من البتوليّة والقداسة، لماذا أجبر الله موسى أن يُنبّه شعب إسرائيل ويُقدّسه، مدّة ثلاثة أيّام، قبل أن يتكلّم معه. ولماذا يطلب من الكاهن أن يأخذ بتولًا، وأن لا يقرب أرملة أو مُطلّقة؟ ولماذا منع موسى نفسه وتقدّس أربعين سنة، فابتعد عن امرأته التي كانت ربّما ولدت له بنين آخرين، فضلًا عن جرشون وأليعازر؟

أمّا أنا فهكذا أسوق الأمور في رأيي: يا ليت زمري لم يُولد! فبسبب زِناه سقط من إسرائيل في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفًا. ويا ليت عاكان لم يُصوّر في بطن أمّه! فهو قد جلب الحُرْم على معسكر إسرائيل. ويا ليت عالي ثبت في القداسة، ولم يُولد له صفني وفنحاس اللذان أهانا الكهنوت، وتصرّفا بالطمع! وأيّة ضرورة أن يكون لصموئيل أولاد لم يحفظوا الشريعة، ولا ساروا في طرقه. وكثير مثل هؤلاء كان أفضل لهم، أن لا يلدوا ولا أن يُولدوا.

٧ أحبّ موسى القداسة فأحبّه القدّوس وأظهر له وقاره. وأحبّ يشوع بن نون البتوليّة، وأقام في المسكن حيث يخدم القدّوس. وتفاضل إيليّا في البتوليّة، وأقام في البرّيّة وعلى الجبال وفي المغاور، فأدخله القدّوس إلى مكان القدّيسين، حيث لا سُلطان لمُحبّيّ الفجور. وظلّ أليشاع وحيدًا وعفيفًا، فصنع الله بيده آيات مُذهِلة.

وقال إرميا: «لم اشته يوم إنسان» (١٧ : ١٦). وأمره ربّه أيضًا، فقال له: «لا تأخذ لك امرأة ولا يكن لك بنون وبنات» (إر ١٦ : ٢). على هذا يُجيب اليهوديّ: أُمر إرميا أن لا يأخذ امرأة، وأن لا يكون له بنون وبنات في هذا الموضع، لأنّه قال: «هكذا أتكلّم على البنين وعلى البنات الذين يولدون في هذا الموضع. يموت مَوْتَ مَن أُضْنِكَ بالجوع» (إر ١٦ : ٣). لهذا قال له: لا تأخذ لك امرأة.

يا ناقص الرأي، كيف يقوم مثل هذا الرأي؟ مَن أعطى إرميا أن يجد حُظْوةً في عيني ملك بابل؟ فلو وَلَد بنين لكان نجّاهم من الحرب والجوع. وحزقيال! أنعم ربّه عليه، فأخذ منه رغبة عينيه بضربة مُفاجئة (حز ٢٤ : ١٦)، فأخذ ورمى عنه نيرًا مُؤذيًا. فبيّن لي، أيّها المعلّم، إن كان يشوع بن نون، أخذ امرأة وولد البنين، وبرهن لي الأمر ذاته عن إيليّا وأليشاع تلميذه، أيّ بيت خاصّ كان لهم في هذا العالم. سكنوا البرّيّة والجبال والمغاور (١ مل ١٩ : ٤ـ ٩) في الضيق والاضطهاد، ولم يكن مع أحد منهم امرأة، بل كان يخدمهم تلاميذهم. وتأمّل بجيحزي تلميذ أليشاع، حين اصطلى ضميره بهذا العالم، ورغِب في المُقتنيات والمرأة والبنين. قال له أليشاع: «أهذا وقت تقتني فيه المقتنيات والكرم والزيتون؟ منذ الآن، وقد صنعت هذا، سيَلْبَسُك برص نعمان أنت وكلّ عائلتك إلى الأبد» (٢ مل ٥ : ٢٦ـ ٢٧). فإن أعطيتني من الكتب براهين عن كلّ هؤلاء أقبلها منك،

ولكنّي لا أسمع لكلّ ما تُخرِجُه من عقلك وتُحدّثني به، لأنّك تُريد أن تُنجّس القدّوس ببراهين كاذبة.

الزواج والبتوليّة

٨ بالنسبة إلى الزواج الذي وهبه الله للعالم، حاشا لنا أن نقدّم شيئًا ملومًا، لأنّه هكذا كُتب: «ورأى الله كلّ ما صنعه، فإذا هو حسن جدًّا» (تك ١ : ٣١). ولكن هناك أمور أفضل من غيرها. خلق الله السماوات والأرض فكانت حسنة، ولكنّ السماء أفضل من الأرض. وخلق الظلمة والنور وكانا جميلين، ولكنّ النور أفضل من الظلمة، وخلق الليل والنهار وكانا جميلين، ولكنّ النهار أفضل من الليل. وخلق الشمس والقمر، ولكنّ الشمس أجمل من القمر وأفضل. وخلق نجوم السماء، ولكنّ هناك نجمة أجمل وأفضل من أُخرى بنورها. وخلق آدم وحوّاء، ولكنّ آدم أجمل وأحسن وأفضل من حوّاء، وخلق الزواج والإيلاد في الزمن، وهذا حسن جدًّا، ولكنّ البتوليّة أفضل منه.

الشرّ ينتج عن فقدان البتوليّة

٩ كانت الأرض بتولاً[١] ولم تكن نَجِسة، وبعد أن سقط عليها المطر أنبتت شوكًا. ولمّا كان آدم بتولاً كان محبوبًا وجميلاً، وبعد أن ولد حوّاء[٢] ضلّ وتعدّى الوصيّة. وكان بنو شيت حِسانًا في بتوليّتهم، وحين اختلطوا ببنات قايين مَحَتْهم مياه الطوفان. وكان شمشون جميلاً في نذره وبتوليّته، وحين زنى أفسد نذره. وكان داود جذّابًا في شبابه، وحين اشتهى بتشابع تجاوز الناموس، وأبطل ثلاث وصايا من عشرٍ: لا تَشْتَهِ، لا تقتل، لا تزن. وكان أمنون جميلاً في بتوليّته، وحين فجر فاشتهى أُخته قتله أبشالوم. وكان سليمان جميلاً وبهيًّا في

بتوليّته، ولمّا شاخ اشتهى النساء، فمال قلبه عن إلهه.

١٠ نحن سمعنا من الناموس: «يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته، ويكونان جسدًا واحدًا» (تك ٢ : ٢٤). في الحقيقة، هذه النبوءة عظيمة وثمينة. مَن يترك الأب والأمّ بعد أن يأخذ امرأة؟ هذا هو المعنى: مَن لم يأخذ امرأة، يُحبّ ويُكرم الله أباه والروح القدس أمّه، وليس له حبّ آخر. وحين يأخذ الرجل امرأة يترك أباه وأمّه المذكورين أعلاه، ويتعلّق عقله بهذا العالم. ولا يبقى الله عقله وقلبه وفكره، بل العالم الذي يحبّه ويعزّه، كما يحبّ رجل امرأة صباه، فيفصله حبّه عن أبيه وعن أمّه.

تحريض إلى المُتنسّكين

١١ كتبتُ لك عن البتوليّة والقداسة، لأنّي سمعت يهوديًا يعيّر واحدًا من إخوتنا المتنسّكين ويقول له: «أنتم نَجِسون لأنّكم لا تأخذون نساء، ونحن قدّيسون وأفضل منكم، لأنّنا نلد ونكثر النسل في العالم. من أجل هذا كتبتُ لك هذه البراهين. ولكن كنتُ كتبت لك سابقًا عن البتوليّة والقداسة، وقدّمت براهيني في المقالة في المتنسّكين، فقلت: البتوليّة جميلة ومرغوبة، وإن أتمّها الإنسان في الضيق، كما قال ربّنا: «لا يُقدم عليها كلّ إنسان، بل مَن وُهِبَ له» (مت ١٩ : ١١). وقال الرسول: «بسبب الضرورة التي في العالم، أفضل للإنسان أن يكون هكذا» (١ كور ٧ : ٢٦). هناك جزاء كبير لهذا الاختيار لأنّنا نُكمّله بحرّيّتنا، لا بالاستعباد والضيق الآمر، ولا مأسورين بالناموس. وجدنا صورتها وشبهها في الكتاب، ورأينا أنّها موجودة عند الأماجد. هي شبه الملائكة في السماء، وتُقتنى هبةً على الأرض.

حين يضيع هذا المُقتنى، لن نستطيع أن نجده، ولا نقدر أن نقتنيه بأيّ

ثمن. مَن كان له وأضاعه، لن يجده، والذي ليس له وسعى وراءه أدركه. فأَحِبّ، يا عزيزي، هذه الموهبة التي لا مثيل لها في العالم كلّه. وأَحِب بهذه الكلمات التي كتبتها لك اليهود الذين بفجورهم لا يُدركون قوّة البتوليّة والقداسة.

تمّت المقالة في البتوليّة والقداسة

الحواشي

(١) كانت الأرض بتولاً قبل أن يكوّن آدم، فجاء الحرث والمطر فصيرّها خصبة. صيرّها أمًّا (سي ٤٠ : ١).

(٢) ولدت حوّاء من ضلع آدم فكأنّه كان أباها وأمّها (تك ٢ : ٢١ ـ ٢٢).

ضدّ اليهود الذين يقولون إنّهم سيجتمعون

الرجوع من المنفى

١ سمع موسى صوت القدّوس يُرسله، ليُخرِجَ شعبه من مصر من بيت فرعون ومن عبوديّة المصريّين. قال له: «قُلْ لفرعون، إسرائيل ابني البكر. قلتُ لك: أطلق ابني ليَعْبُدَني» (خر ٤: ٢٢- ٢٣). وحين أخرجهم من مصر بآيات وعجائب، وبيدٍ قديرة وذراع رفيعة وبرؤى عظيمة، أجازهم البرّيّة وقادهم هناك أربعين سنة. أدخلهم أرض الموعد، وأجازهم الأردنّ وأورثهم الأرض حين أباد سكّانها من أمامهم. وأقاموا فيها أربعمائة سنة، قبل أن يبني سليمان الهيكل. وتسلّط عليهم ملك بابل أربعمائة سنة، بسبب خطاياهم التي كثُرت. إقتلعهم وشتّتهم بين كلّ الشعوب، لأنّهم لم يسمعوا للأنبياء الذين أرسلهم إليهم.

وحين كانوا في بابل سبعين سنة، تذكّر عهده لآبائهم وأعلن بواسطة أنبيائه، أنّهم سيصعدون من بابل بعد السبعين سنة. وحين تمّت السبعون سنة كما تنبّأ إرميا، صلّى دانيال وتوسّل إلى الربّ ليردّ سَبْيه ويرحمهم. وأثار الربّ روح كورش، فأرسل هاتفًا في كلّ مملكته، فأعلن لهم وقال: «مَن بقي من كلّ شعب الربّ فليكن إلهه معه.

فليعد ويذهب إلى أورشليم في يهوذا» (عز ١ : ١، ٣). أمّا هم، فاختلطوا بالشعوب وبنوا البيوت، ونصبوا الكروم واقتنوا المقتنيات في أماكن سبيهم، فما أرادوا أن يخرجوا كلّهم إطلاقًا، بل صعد بعض منهم وبقي البعض الآخر. وعرف الله مَيلهم الشرّير، فلم يفرض عليهم أن يصعدوا من بابل، وأعلن لهم كورش ملك فارس قراره، ولم يفرضه عليهم.

حين أصعدهم الله من مصر بيد موسى، فلولا عبوديّة فرعون القويّة عليهم، لما أرادوا أن يصعدوا من مصر، كما قالوا لموسى حين لاموه في البرّيّة: «هذه هي الكلمة التي قُلناها لك في العبوديّة في مصر. أتركنا نخدم المصريّين، لأنّه أفضل لنا أن نقيم في مصر» (خر ١٤ : ١٢). فتأمّل حين كانوا مضايقين في العبوديّة، ما أرادوا أن يصعدوا من مصر، قبل أن يضايقهم المصريّون ليخرجوا من بلادهم. ولكن لمّا رأى المصريّون موت أبكارهم قالوا: «سنموت كلّنا» (خر ١٢ : ٣٣). فقد كُتِبَ: «أجبر المصريّون الشعب ليَخْرُج من أرضهم» (خر ١٢ : ٣٣). وكان الأمر هكذا في بابل. فلو اجتمع عليهم المضايقون لكانوا صعدوا كلّهم.

هل من تجمّع ثالث لإسرائيل

٢ كتبت إليك هذا، لأنّهم يترجّون اليوم رجاءً فارغًا ويقولون: من الثابت أنّ إسرائيل سيجتمع، لأنّ النبيّ قال: «لن أترك أحدًا منكم بين الشعوب». فلو كان شعبنا كلّه مجموعًا، فلماذا نحن اليوم مشتّتون وسط كلّ شعب؟

على هذا أجيبك، يا عزيزي، قدر استطاعتي. لا تجمُّع بعد لإسرائيل إلى الأبد. يتكلّمون على أنّ كلّ الأنبياء وهبوا رجاء لإسرائيل.

فاسمع أيّها المجادل في إسرائيل...

لم يُوضع ناموس على الله، وليس فوقه مَن يلومه على ما فعل. قال: «إن قلت عن شعبٍ وعن مملكة إنّي سأبني وأنصب، وبعد هذا صنعت الشرّ أمامي، فأنا أحنثُ بكلمتي وأعود عن الخير الذي وعدتُها به، وبإثمها وخطيئتها أُبيدُها. وإن قلت أيضًا عن شعب وعلى مملكة، إنّني سأقلع وأهدم وأُدمّر وأبيد، فإن صنعتْ ما هو حَسَن أمامي، فأنا أيضًا أعود عن الشرّ الذي هدّدتها به» (إر ١٨ : ٧ـ ١٠). وقال أشعيا: «ويلُ السالب. أمّا أنتم فلا تَسلبون. والكذّاب فيكم لا يكذب. وعندما تُريدون أن تَسلُبوا تُسلَبون، وحين تُريدون أن تكذبوا يُكَذَّبُ عليكم» (٣٣: ١). وبذلك لا يلوم أحد إرادة الله.

إسرائيل ردّ الشرّ للربّ

٣ وأكتب إليك، وأُبيّن أنّ الله لم يَلْقَ منهم معروفًا، لا هو ولا موسى ولا كلّ الأنبياء. قال موسى لهم: «عاندتم أمام الربّ من يوم عرفتكم» (تث ٩ : ٢٤). وقال أيضًا: «شعب أضاع عقله، وليس فيه فهم» (تث ٣٢ : ٢٨). وقال أيضًا: «هؤلاء أغضبوني بأصنامهم، وأغاروني بعباداتهم. فأنا أغيرهم بشعب، وأُغضبهم بشعب جاهل» (تث ٣٢: ٢١). وقال لهم موسى أيضًا: «أعرف أنّه بعد موتي، ستفسدون فسادًا، وتميلون عن الطريق التي أوصيتكم بها. فشرور عديدة تُصيبكم في آخر الأيّام. فالآن وأنا حيّ معكم، تُعاندون الربّ» (تث ٣١: ٢٩، ٢٧). وقال هوشع: «مزّقتُ الأنبياء وقتلتُهم بكلمات فمي» (٦ : ٥). «وأنتم يا بني إسرائيل، فما رجعتم عن إثمكم منذ أيّام آبائكم» (لا هوشع بل ملا ٣: ٦ـ ٧). وقال أيضًا: «معروفكم كسحاب الصبح، وكالندى الذي يعبر سريعًا» (هو ٦ : ٤). وقال أيضًا: «ويلٌ لهم لأنّهم هربوا منّي، فسآتي بالشرّ عليهم» (هو ٧:

١٣). وقال أيضًا: «دخلوا إلى بيت فغور، ونذروا نفوسهم للخْزِي» (هو ٩: ١٠). وقال أيضًا: «كالطير طارت كرامتهم منهم. فإن ربّوا بنين أزيلهم من بين البشر، وأميت رغبة أحشائهم» (هو ٩: ١١ـ ١٢).

وقال إرميا أيضًا: «سمِّهم فضّةً مرذولة لأنّ الربّ رذلهم» (٦: ٣٠). وقال هوشع: «أخرجتُهم من بيتي ولن أعود أرحمهم» (٩: ١٥). فإذ قال: لن أرحمهم، فماذا لهم أن يقولوا؟ وقال أيضًا: «رَذَلهم الربّ لأنّهم لم يسمعوا له» (هو ٩: ١٧). وقال أيضًا: «سيكونون تائهين بين الشعوب» (هو ٩: ١٧). وقال عليهم أيضًا: «على قدر غِلال أرضهم أكثروا مذابحهم، وبنوا مشارفهم» (هو ١٠: ١). وقال أيضًا: «سينال إفرائيم الخِزي، ويخجل إسرائيل في رأيه» (هو ١٠: ٦). وقال أيضًا: «أحاطني إفرائيم بالكذب، ويهوذا وبيت إسرائيل بالغشّ» (هو ١١: ٢١). وقال أيضًا: «دمّرتك يا شعب إسرائيل، فمَن يساعدك» (هو ١٣: ٩). وقال أيضًا: «وهبتُ لك مُلْكًا في غضبي، واستعدته في غيظي» (هو ١٣: ١١). وقال ميخا: «لا ترفعوا أعناقكم ولا تسيروا بقامة منتصبة» (٢: ٣). وقال أيضًا: «قوموا واذهبوا فهذه ليست راحتي» (مي ٢: ١٠). وقال أيضًا: «يخجل الذين يرون رُؤىً، ويخجل العرّافون، وكلّهم يغطّون شفاههم لأنّ الربّ لا يُجيبُهم» (مي ٣: ٧).

٤ لماذا يقول عن العرّافين والذين يرون رؤىً إنّهم سيخجلون ويغطّون شفاههم؟ لأنّ هذه ضربةٌ لا شفاء منها. فقد كتب في الناموس: «إذا كان أبرص في إسرائيل، فليغطّ شفتيه، ولتكن ثيابه ممزّقة ورأسه مكشوفًا. وليكن مسكنه خارج المعسكر، ويُعلن عن نفسه كلّ يوم يكون فيه أبرص أنّه نجس» (لا ١٣: ٤٥ـ ٤٦). من أجل هذا، فالنبيّ

الذي تكرز شفاهه بالكذب، ينال ضربة البرص، فيغطّي شفتيه كلّ أيّامه، ويجلس في الخِزّي مثل عزيا ملك بيت يهوذا الذي أراد أن يختطف الكهنوت. خرج البرص من أمام مسكن القدّوس وضربه بين عينيه، فأقام في بيته مُختبئًا وخَجِلًا كلّ الأيّام (٢ أخ ٢٦ : ١٩ـ ٢١؛ ٢ مل ١٥ : ٥). وكان خوف عظيم في كلّ الشعب، كما قال زكريّا: «تهربون كما هربوا خلال الخوف الذي حلّ بهم في أيّام عزيا ملك بيت يهوذا» (١٤ : ٥).

تصلّب إسرائيل

٥ فتأمّل... لم يقبلوا التأديب في يوم من أيّامهم. قال لهم: «ضربتكم بالقحط والبرد فأكل الجندب أكثر بساتينكم، وما رجعتم إليّ، يقول الربّ» (عا ٤ : ٩؛ حج ٢ : ١٨). وقال أيضًا: «قلبتكم كما قلب الله سدوم وعمورة» (عا ٤ : ١١). وعرّفهم أنّه لم يعد لهم رجاء. «سقطت ولن تعود تقوم، عذراء إسرائيل» (عا ٥ : ١ـ ٢). وقال أيضًا: «تُرِكَت على الأرض وليس من يُقيمها» (عا ٥ : ٢). وقال أيضًا: «في كلّ الشوارع نُواح، وفي كلّ الحقول يقولون: ويلٌ، ويلٌ» (عا ٥ : ١٦). ورَذَلهم ورماهم من أمامه. وقال أيضًا: «أبغضتُ ورذلتُ أعيادكم، ولا أستطيع أن أشمّ رائحة اجتماعاتكم» (عا ٥ : ٢١). وقال أيضًا: «لا أرتضي بقرابينكم، ولا أنظر إلى سِمانِكُم الحسنة» (عا ٥ : ٢٢). وقال لهم أيضًا: «هل قرّبتم لي يا بني إسرائيل ذبائح وتقدِمات في البرّيّة أربعين سنة» (عا ٥ : ٢٥)؟

ولأنّه تركهم، قال إرميا: «تركت بيتي، تركت ميراثي» (١٢ : ٧). وقال أيضًا: «وهبت لبنت شعبي كتاب طلاقٍ» (إر ٣ : ٨). ولأنّهم تجبّروا قائلين إنّهم شعب الله، ناداهم النبيّ وقال لهم: «أنتم لي كأبناء كوش يا بني إسرائيل. ها أنا أصعدت بني إسرائيل من أرض مصر

والفلسطيين من قبّدوقية، وآرام من قير. عينا ربّ الأرباب على المملكة الخاطئة، سأبيدها من على وجه الأرض» (عا ٩: ٧ـ ٨). واعلم أنّه يعتبرهم كالفلسطيّين.

وقال إرميا عن جماعة إسرائيل: «أنا نصبتُكِ نصبةً كانت كلّها زرع الحقّ، وأنت انقلبت وتمرّدت عليّ كجفنةٍ غريبة» (٢: ٢١). وقال موسى: «جفنتهم من جفنة سدوم، ومن نصبة عمورة. عنبهم عنب مرّ، وعناقيدهم مرارة كلّها» (تث ٣٢: ٣٢). وقال داود: «أخرجت جفنةً من مصر، نظرت إليها وزرعت أصلها» (مز ٨٠: ٩). وقال أيضًا: «أبدتُ شعوبًا ونصبتُها» (مز ٨٠: ١٠). وحين خطئوا إليه قال: «أكل الخنزير الغابة، وحيوان البرّ رعاها» (مز ٨٠: ١٤). وقال حزقيال عن الجفنة: «غصناها أكلتهما النار، وداخلها مُهترىء. حين كانت الجفنة بلا عيب، ما كانت تنفع شيئًا. والآن وقد أكلتها النار واهترأت، ماذا ستنفع» (حز ١٥: ٤ـ ٥)؟ وتنبّأ أشعيا على كلّ الكرم فقال: «كان كرمٌ لحبيبي في زاوية مكانٍ خصب. فلحه وأحاطه بسياجٍ ونصب فيه فروعًا. وحين أنبت الكرم خرّوبًا، فتح ثغرة في سياجه وهدم برجه، وما عاد يفلحه ومنع السحاب أن ينزل عليه مطرًا» (٥: ١ـ ٦). وقال عن الأنبياء الكذبة: «ويلٌ للذين يبنون صهيون بالدم، وأورشليم بالإثم» (حب ٢: ١٢؛ مي ٣: ١٠). وقال عليهم أيضًا: «من أنبياء أورشليم خرجت الوثنيّة في كلّ الأرض» (إر ٢٣: ١٥).

دعوة الشعوب ورذل إسرائيل

وقال أشعيا عن دعوة الشعوب: «سيكون في الأيّام الأخيرة أنّه يثبت جبل بيت الربّ في رأس الجبال وأعلى من القمم. فيجتمع إليه الشعوب وتأتيه أمم عديدة، فيقولون: تعالوا نصعد إلى جبل الربّ، إلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا طرقه ونسير سبله، لأنّ من صهيون خرجت الشريعة،

ومن أورشليم كلمة الربّ» (٢: ٢ـ ٣). وحين خرجت الشريعة من صهيون، فإلى أين ذهبت؟ يقول أشعيا: «يدين بين الشعوب، ويوبّخ في البعيد الأمم العديدة» (أش ٢: ٤). أمّا عليهم فيقول أشعيا: «إنفصِلوا عنهم وسمّوهم أنجاسًا لأنّهم رذلوا الربّ» (٥٢: ١١ وأفضل مرا ٤: ١٥؛ إر ٦: ٣٠). وقال النبيّ أيضًا: «رذلوا خيراتهم كرقعةٍ أكلها السوس» (مي ٧: ٤ كما في السريانيّة). وقال أيضًا: «يغضبون من سبلهم، ومن الربّ إلهنا يخافون ويرتعدون (مي ٧: ١٤). وقال أيضًا: «أحرق جيشك كالدخان، وأشبالك تأكلها الحرب» (نا ٢: ١٤). وقال أيضًا: «ويلٌ لمدينة الدماء المملوءة بالكذب. فالشقاء لا يفارقها» (نا ٣: ١). وقال ميخا: «كذب يهوذا وصنعت نجاسة في إسرائيل وفي أورشليم، لأنّ يهوذا نجّس مقدس الربّ» (بل ملا ٢: ١١). وقال أيضًا: «ملتُم عن الطريق وجعلتم الكثيرين يعثرون أمام الشريعة، وألغيتم عهد لاوي. فأنا أجعلكم محتقرين ومذلولين في كلّ الشعب، لأنّكم لم تحفظوا طرقي» (ملا ٢: ٨ـ ٩). وقال عن الشعوب: «أردّ لهم شفة مختارة» (صف ٣: ٩). وقال عنهم ملاخي: «أتعبتُم الربّ بأقوالكم» (٢: ١٧). وقال أيضًا: «أنتم بنو يعقوب لم تبتعدوا عن إثمكم، ولا حفظتُم وصاياي منذ أيّام آبائكم» (ملا ٣: ٦ـ ٧).

الرجوع الثاني من المنفى هو الرجوع الآخير

٦ فاسمع، يا عزيزي: خلّص الله إسرائيل مرّتين فقط. مرّة أولى من مصر، ومرّة ثانية من بابل: من مصر بيد موسى، ومن بابل بيد عزرا حين كان حجاي وزكريّا يتنبّآن. قال حجاي: «أُبنوا هذا، وأنا أرضى به وأُسبَّح فيه، قال الربّ» (١: ٨). وقال أيضًا: «إصنعوا، لأنّي أكون معكم، وروحي يُقيم بينكم. لا تخافوا، لأنّ هذا ما يقول الربّ القدير، مرّة واحدة سأزلزل السماء والأرض والبحر واليَبَس. سأُرهِب

كلّ الشعوب فيأتون بمُشتهى كلّ الشعوب، وأملأ هذا البيت مجدًا، ويكون المجد الآخر لهذا البيت، أعظم من المجد الأوّل» (حج ٢ : ٥ـ ٨، ١٠). هذا كلّه قاله في أيّام زربابل، وفي أيّام حجاي وزكريّا، وهؤلاء اهتمّوا ببناء البيت. قال زكريّا: «رجعت على أورشليم بالمراحم، وجعلت بيتي في داخلها» (١ : ١٦). وقال أيضًا: «تُفرغ المدن من الخيرات، ويبني الربّ صهيون، ويختار أيضًا أورشليم» (زك ١ : ١٧). وقال أيضًا: «غِرْت على صهيون وعلى أورشليم غيرةً عظيمة، وغضبت على الشعوب الهائجة غضبًا عظيمًا» (زك ١ : ١٤ـ ١٥). وقال أيضًا: «تتوسّع أورشليم في الحقول من كثرة الناس والبهائم الذين فيها. وأنا أكون فيها كسورٍ من نحاس. أكون مجدًا في داخلها، يقول الربّ» (زك ٢ : ٤ـ ٥). وقال أيضًا: «آه، آه. أُهربوا من أرض الشمال، يقول الربّ، لأنّي شتّتتكم في أربع رياح السماء. فيا صهيون خلّصي نفسك، أنت التي سكنت في بيت بابل» (زك ٢ : ٦ـ ٧). وقال أيضًا: «سيرث الربّ في يهوذا حصّته على أرضه المقدّسة، ويرتضي أيضًا بأورشليم» (زك ٢ : ١٢). وقال أيضًا: «يدا زربابل تضعان أساس هذا البيت، ويداه تكمّلانه» (زك ٤ : ٩). كلّ هذا تنبّأ به زكريّا، فتمّ وكمل في جماعة إسرائيل الآتية من بابل، لا في المستقبل، كما يقولون، حيث يجتمع إسرائيل من جديد.

٧ إسمع، يا عزيزي، فأبيّن لك أنّ إسرائيل لم يخلّص إلّا مرّتين. مرّة أولى من مصر، ومرّة ثانية من بابل. فقد قال أشعيا: «يمرّ الربّ يده ثانية، ليفتدي ما تبقّى من شعبه الذي بقي في أرض أشور ومن مصر وصور وصيدون وحماة ومن الجزر البعيدة» (١١ : ١١). إن كانوا سيجتمعون ويخلّصون مرّة ثانية، فلماذا قال أشعيا: يمرّ الربّ يده ثانيةً، ليفتدي بقيّة شعبه الذي بقي؟ فلو كان لهم بعد خلاص لوجب

على أشعيا أن يقول: يمدّ الربّ يده ثالثة ليفتدي بقيّة شعبه ولما كان قال: ثانية.

٨ واسمع الصلاة التي صلّاها دانيال أمام الله، وطلب وتوسّل من أجل أبناء شعبه، لكي يعودوا ويرجعوا من بابل. فقد كان دانيال رجل الرغبة، وكُشِفَت له الخفايا وعرف الآخرة، لأنّه كان نبيًّا بنى قوله على كلام الأنبياء. فحين سُبِيَ شعبه إلى بابل، قام بينهم أنبياء كذّابون، فتنبّأوا بالكذب والتدجيل، وقالوا: «هذا ما يقول الربّ: من الآن إلى سنتين، سأحطّم نير نبوكدنصّر ملك بابل عن عنق كلّ الشعوب» (إر ٢٨ : ١١). فلمّا سمع إرميا نبوءة الأنبياء الكذبة، كتب رسالة وبعث بها إلى بابل: «لا تسمعوا للأنبياء الكذبة الذين بينكم، الذين يبعثون فيكم أملًا ويقولون: من الآن إلى سنتين تعودون من بابل. لأنّه هكذا قال الربّ: أبنوا بيوتًا وأقيموا فيها، وانصبوا جنائن وكلوا من ثِمارها. خُذوا لبنيكم نساء وهبوا لبناتكم رجالًا، لأنّه قبل أن تَتِمّ السبعون سنة لن ترجعوا من هناك، من بابل» (إر ٢٩ : ٨، ٥، ٦، ١٠). ودانيال الذي لبسه الروح، عرف أنّ نبوءة إرميا حقيقيّة. وحين تمّت السبعون سنة، صلّى وطلب وتوسّل أمام إلهه، في السنة الأولى لداريوس بن أحشويروش من نسل المادايين الذي حكم مملكة الكلدانيّين، وقال: «في السنة الأولى لمملكته، أنا دانيال، تبيّنت في الكتاب عدد السنين، ورأيت أنّ هناك كلمة من الربّ قالها إرميا. فحين مرّت سبعون سنة على دمار أورشليم، رفعت وجهي أمام الربّ الإله، لأطلب منه بالصلاة والتوسّل والصوم والمسح والرماد. وصلّيت أمام الربّ إلهي، وقلت له في طلبتي: أيّها الربّ الإله العظيم والرهيب، يا حافظ العهد والنعمة لمحبّيه، للذين يحفظون وصاياه، خَطِئنا وأذنبنا وأسأنا، وعاندنا ومِلْنا عن وصاياك وأحكامك، وما

سمعنا لعبيدك الأنبياء الذين تكلّموا باسمك عن مَلِكنا وعُظمائنا وعلى كلّ شعب الأرض. لك يا ربّ الظفر، ولنا الخجل كما هو الحال اليوم لأهل يهوذا ولسكّان أورشليم ولكلّ إسرائيل، القريبين والبعيدين في كلّ المناطق التي بدّدتهم فيها بسبب إثمهم الذي اقترفوه نحوك يا ربّ.

«لنا الخزي ولملوكنا ولعظمائنا ولآبائنا، لأنّنا أخطأنا إليك. للربّ الإله الرحمة وغفران الخطايا، لأنّنا تمرّدنا وما سمعنا صوت الربّ إلهنا، لنسير في وصاياه التي جعلها أمامنا بواسطة عبيده الأنبياء. وكلّ إسرائيل تجاوزوا شريعتك، ومالوا عنها ولم يسمعوا صوتك. فجلبت عليهم اللعنات والضربات المكتوبة في شريعة موسى عبد الله، لأنّنا أخطأنا أمامك، وثبّت كلامه الذي قاله علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا بيننا، ليُجْلَب علينا الشرّ العظيم الذي لم يُصنع مثله تحت السماء، كما صنع لأورشليم، كما كُتب في ناموس موسى. كلّ هذا الشرّ جلبته علينا، وما صلّينا أمام الربّ إلهنا لنتوب عن خطايانا ونعرف أمانته. أيقظ الربّ الشرّ وجلبه علينا، لأنّ الربّ إلهنا بارّ في كلّ أعماله التي صنع، فما سمعنا صوته. والآن أيّها الربّ إلهنا، يا مَن أخرجت شعبك من أرض مصر، بيدٍ قديرة وذراع رفيعة، وصنعت لك اسمًا كما في هذا اليوم. خَطِئنا وأسأنا أيّها الربّ. بحسب كلّ برّك الذي صنعته معنا، ارجع غيظك وغضبك عن مدينتك أورشليم وعن جبلك المقدّس. خطئنا وأذنب آباؤنا، فتبدَّد شعبك في كلّ مكان. صارت أورشليم عارًا في كلّ الشعوب. فاسمع الآن يا الله، صلاة عبدك وتوسّلنا وأنر بوجهك مقدسك الذي خَرِب. لأجل اسمك يا ربّ، أَمِل أذنك واسمع وافتح عينيك، وانظر خرائبنا المقفِرة، والمدينة التي دُعِيَ اسمك عليها. نحن لا نتّكل على تقوانا

لنصلّي إليك، بل على مراحِمِك الكثيرة. يا ربّ اسمع، يا ربّ سامح، يا ربّ أنصِت واصنع ولا تتأخّر، من أجل اسمك يا إلهي، لأنّ اسمك دُعِيَ على مدينتك وعلى شعبك» (دا ٩ : ١ـ ١٩).

٩ فلمّا أكمل دانيال صلاته أمام الربّ، قال: «وإذ كنت أصلّي وأعترف بذنوبي وذنوب إسرائيل شعبي، وإذ كنت أرفع توسّلي أمام الربّ إلهي، من جبل إلهي المقدّس، وإذ كنت أتكلّم في صلاتي، جاء من السماء الرجل جبرائيل الذي رأيته سابقًا، فطار واقترب منّي في وقت تقدمة المساء. وجاء وتكلّم معي وقال لي: يا دانيال، الآن خرجت لأعلمك فتفهم. في أوّل صلاتك خرجت كلمة، وأنا أتيت لأفسّرها لك لأنّك رجل رغبة. تبيَّن الكلمة وافهم الرؤيا. مرّ سبعون أسبوعًا على شعبك وعلى مدينتك، لتكفير الذنوب وإزالة الخطايا، وغفران الإثم وجلب البرّ الأبديّ، ولتتميم الرؤية والنبوءات، ولمَسْح قدّيس القدّيسين. إعرف وافهم. منذ خروج الكلمة إلى الرجوع، إلى بناء أورشليم ومجيء المسيح الملك، سبعة أسابيع واثنان وستّون أسبوعًا. ويعودون يبنون أورشليم، شوارعها وساحاتها إلى تتمّة الزمن. وبعد اثنين وستّين أسبوعًا يُقتل المسيح، ولن يعود موجودًا. والمدينة المقدّسة تدمَّر مع الملك الآتي، وتكون النهاية بالجرف، وإلى نهاية الحرب تكون كلمات دمار. ويتقوّى العهد للكثيرين، ومدّة أسبوع ونصف أسبوع، يبطلون الذبيحة والتقدمات، ويكون الدمار على أكناف النجاسة» (دا ٩ : ٢٠ـ ٢٧).

دانيال وسقوط أورشليم

١٠ فتأمّل، يا عزيزي، وافهم الصلاة التي تلاها دانيال، والرؤية التي فُسِّرت له. بعد سبعين سنة على دمار أورشليم، صلّى واعترف في السنة الأولى لداريوس. وحين اعترف بخطاياه وخطايا شعبه

إسرائيل، جاء إليه جبرائيل قابل الصلوات، وقال له: «في بدء صلاتك خرجت الكلمة التي تقول فيها: سيعود المَسبيّون من بابل. وفكّر دانيال أيضًا بما سيحدث للشعب بعد رجوعه. حينئذ قال له جبرائيل: لأنّك رجل رغبة، سأبيّن لك ما سيحدث لشعبك في آخر الأيّام. فمنذ الآن تبيَّن الكلمة وافهم الرؤية. مرّ سبعون أسبوعًا لشعبك ومدينتك المقدّسة، لتعويض الذنوب وإبطال الخطايا وغفران الإثم وجلب البرّ الأبديّ، ولتكملة الرؤية والأنبياء ولمَسحِ قدّيس القدّيسين. فاعرف وافهم. منذ خروج الكلمة إلى الرجوع، إلى بناء أورشليم ومجيء المسيح الملك سبعة أسابيع واثنان وستّون أسبوعًا. فيعودون يبنون أورشليم، شوارعها وساحاتها، إلى نهاية الزمن. وبعد الاثنين والستّين أسبوعًا يُقتل المسيح ولن يكون له وجود، وتُخرّب المدينة المقدّسة مع الملك الآتي وتكون النهاية بالجرف، وحتّى نهاية الحرب تكون كلمات خراب، ويتقوّى العهد للكثيرين أسبوعًا ونصف أسبوع، فتبطل الذبيحة والقرابين ويكون الدمار على أكناف النجاسة» (دا ٩: ٢٣ـ ٢٧).

١١ قال: مرّ السبعون أسبوعًا لشعبك ولمدينتك المقدّسة. فالسبعون أسبوعًا هي أربعمائة وتسعون سنة من وقت صلّى دانيال إلى أن خربت أورشليم خرابها الأخير، فلم تعد تُبنى من جديد. وقال: «بعد سبعة أسابيع يعودون ليبنوا أورشليم». حين صعد المسبيّون بواسطة عزرا، شرعوا يبنون البيت المقدّس. ومن أيّام كورش وداريوس، وضعوا أساس البيت المقدّس، ولكنّ أعداءهم أوقفوهم في أيّام داريوس وارتحششتا وسائر الفرس فلم يتركوهم يبنون ويكمّلون.

وسأبيّن لك معنى الكلمة. فهذا ما كتب في زكريّا النبيّ: «رأيت المنارة وعليها سبعة سرج وسبعة أفواه لكلّ من السرج السبعة أي

تسعة وأربعون أسبوعًا» (٤ : ٢). وقال أيضًا مُتنبِّئًا: «هذه كلمة الربّ على زربابل: لا بالقوّة ولا بالغشّ، ولكن بروحي» (زك ٤ : ٦). وكان قد قال أعلاه: «يدا زربابل وضعتا أساس هذا البيت، ويداه تعملانه» (زك ٤ : ٩). فمنذ اليوم الذي وُضع فيه أساس البيت إلى أن تمّ بُنيان البيت، مرّت تسع وأربعون سنة. هذه هي سبعة أسابيع من السبعين. وهذه هي رؤية المنارة بسرجها السبعة وأفواهها التسعة والأربعين. وهذه هي كلمة الربّ التي كانت على زربابل، هذه التسع والأربعين سنة. وبعد هذه السبعة أسابيع لبناء البيت، وفي أيّام زربابل تُسكن أورشليم اثنين وستّين أسبوعًا أي أربعمائة وأربعًا وثلاثين سنة.

لماذا قال سابقًا: مرّ سبعون أسبوعًا على شعبك وعلى مدينتك المقدّسة؟ وقال بعد ذلك: يكون لهم سبعة ثمّ اثنين وستّين، فيكون المجموع تسعة وستّين. ثمّ قال: في أسبوع ونصف أسبوع تُلغى الذبيحة والتقدِمات. فهذا معناه: هناك أسبوع من سبعين، تُلغى فيه الذبيحة. وهكذا حُسِبَت لهم السبعون سنة التي قضوها في بابل، والتي فيها استراحت الأرض خلال السبي كلّ الأيّام التي أجدبت فيها.

والآن أبيّن لك أنّه بعد هذه الأسابيع، جاء المسيح وقُتل ليُتمّ الرؤية والنبوءات. وكان أبونا يعقوب قد قال مباركًا يهوذا: «لا يُفارق قضيب من يهوذا ولا صولجان من بين رجليه، حتّى يأتي مَن له المُلك» (تك ٤٩ : ١٠). فافهم، يا عزيزي، وتبيّن أنّه قد تمّت الأسابيع، وانقطعت الرؤية والنبوءات، وأزيل المُلك من يهوذا. ها إنّ أورشليم خربت، وتبدّد شعبها بين كلّ شعب، وأقام بنو إسرائيل بلا ذبيحة ولا مذبح، وإلى أن تتمّ الكلمات ستبقى أورشليم على دمارها.

خرب الكرم وأنبت خرّوبًا (أش ٥ : ٢، ٥). وغُصْنا الجفنة، أكلتهما

النار (خر ١٥ : ٤). أُزيل سياج الكرم ودُمّر البرج وخربت المعصرة. الفضّة رُذلت (إر ٦ : ٣٠) وليس منها فائدة. كُتب لأورشليم كتاب طلاق (إر ٣ : ٨).

لن يسكن اليهود في أورشليم

١٢ كتبت لك هذه البراهين القليلة، لتُجاوب اليهود، حين تفرض عليك الحالة، أن تُعطي جوابًا، وتُقوّي ضمير مَن يسمع، فلا يتبع براهينهم المُبَلْبِلَة. هم لا يقبلون البرهان، لأنّ الربّ أغلق الكتاب فلا يسمعون، ولا يفهمون أنّ الله يرحم كلّ إنسان. فقد قال عنهم: «هذا الشعب يُكرمني بشفتيه، وهو بعيد عنّي بقلبه (أش ٢٩ : ١٣؛ مت ١٥ : ٨). وقالوا لإرميا: «الكلمة التي تقولها لنا باسم الربّ لا نسمعها منك» (٤٤ : ١٦).

١٣ وعلى رؤى دانيال هذه، كتبت لك، يا عزيزي، ما أدركت منها. ولكن اعرف أنّه بعد أن فسّر له جبرائيل ما يحدث لشعبه، كُشفت الكلمة لدانيال في السنة الثالثة لكورش، والكلمة أكيدة، فتبيّنها بقوّة عظيمة في الرؤية، وقال: جلست حزينًا ثلاثة أسابيع من الأيّام، وما أكلت خبزًا شهيًّا، ولا دخل في فمي لحم أو خمر (دا ١٠ : ١).

تأمّل: في السنة الثالثة لكورش، رأى دانيال هذه الرؤية، في اليوم الرابع والعشرين من الشهر الأوّل الذي هو نيسان. وبعد أن مرّت سنتان قال: إنّ المَسبيّين يعودون إلى أورشليم. وفي السنة الأولى لداريوس بن أحشويروش، صلّى أمام الله بعد السبعين سنة، لتتمّ كلمات إرميا. فكما هو معروف، كانت السنة الأولى لداريوس المادايي. فحين قتله بلطشّصر، ملك مكانه، لكنّه لم يُدبّر مملكته إلّا قليلًا، فأخذها كورش الفارسيّ.

لماذا قبل داريوس المملكة؟ لكي تتمّ الرؤية التي فسّرها دانيال لبلطشّصر، حين قال له: «هذا هو تفسير الكلمة وقراءة الكتابة. مني تقل فرسين. مني: أي الله أحصى ملكك وأنهاه. تقل: أي وُزنتَ فوُجدتَ خفيفًا. فرس: أي قُسِّمت مملكتك وأعطيت لماداي وفارس» (دا ٥: ٢٥ـ ٢٨). من أجل هذا قام داريوس أوّلًا على المملكة لتتمّ الرؤية. وبعده أخذها كورش الفارسيّ بعد السبعين سنة حين صلّى دانيال ليرجع المسبيّون بيده كما تنبّأ عليه أشعيا: «هو يبني مدينتي ويطلق سبيي» (٤٥: ١٣). وكورش نفسه قال: «الله أعطاني مملكة الأرض وأمرني أن أبني له بيتًا في أورشليم بيهوذا» (عز ١: ٢).

فتأمّل جاء صوم دانيال بعد صلاته. صام لأنّ أورشليم ستُسكن بعد سبعين أسبوعًا وبعد هذا ستُخرب، وبقيت على خرابها إلى الأبد حتّى تتمّ الكلمات.

تمّت المقالة ضدّ اليهود

مساعدة المساكين

مدح مساعدة المساكين

١ عظيمة ومجيدة هذه الموهبة حين توجد في إنسان فَطِن، يُعطي البائسين من عمل يديه، لا ممّا يسرقه من الآخرين، كما قال الله بالنبيّ: «هذه هي راحتي. أريحوا المُرهقين. وهذا سبيل مَن يسمع» (أش ٢٨ : ١٢). وقال النبيّ أيضًا: «هذا هو الصوم المقبول الذي يحبّه الله. تَكسِرُ خبزك للجائع، وتُدْخِلُ الغريب بيتك. حين ترى عُريانًا تكسيه، ولا تغضّ النظر عن ابن لحمك» (أش ٥٨ : ٦ـ ٧). «مَن يصنع هذه، يكون فردوسًا راقصًا، وينبوع مياهٍ لا ينضُب. يسير برّه أمامه، ويتّحد بكرامة الله» (أش ٥٨ : ٨).

٢ وموسى النبيّ العظيم في إسرائيل، نبّه وأوصى بالمساكين والبائسين، واللاجئين والغرباء، واليتامى والأرامل. فقال لإسرائيل: «عندما تحصد حصيدك لا تُنْهِ حقولك، وإن نسيت حزمةً لا تعد لتأخذها، بل تكون للمساكين والغرباء، واليتامى والأرامل. واذكر أنّك كنت هكذا في مصر» (تث ٢٤ : ١٩ـ ٢٢؛ لا ١٩ : ٩؛ ٢٣ : ٢٢). وزاد فقال: «حين تقطف كرمك، لا تلتقط ما هو وراءك، وكذلك حين تخبط زيتونك، لا تبحث وراءك، بل يكون للغرباء والمساكين الذين عندك»

(تث ٢٤ : ٢١ ، ٢٠)، «وعندما تصنع هذا يُباركك الربّ إلهك في كلّ ما تقوم به يدك» (تث ٢٤ : ١٩). «تأكل الغلّة العتيقة قبل أن تُخرج الجديدة» (لا ٢٦ : ١٠).

وقال لهم أيضًا: «ها أنا مُدْخِلكم إلى الأرض الطيّبة والدسمة التي تسيل لبنًا وعسلاً، أرض صخورها حديد، ومن جبالها تنحت النحاس» (تث ٨: ٧ـ ٩). «أرض يرعاها الربّ الإله من أوّل السنة إلى آخر السنة» (تث ١١ : ١٢). «أرض لا تأكل فيها خبزك بالتقتير» (تث ٨: ٩). «ومع أنّ الأرض هي صالحة ودسمة، إلاّ أنّه لن يزول المساكين من وسطها» (تث ١٥ : ١١). فأمر ثانية وقال لهم: «ستّ سنين تزرع أرضك وتجمع غلاّتها، وفي السنة السابعة تفلحُها وتتركها، فيأكل منها المساكين الذين فيها، والباقي يأكله حيوان البرّ» (خر ٢٣: ١٠ـ ١١). وقال لهم: «في السنة السابعة لا تقطفوا كرومكم، ولا تلتقطوا ما في أرضكم البور. بل تكون للمساكين» (لا ٢٥ : ٤ـ ٦). ولأنّه عرف ميلهم الشرّير، قال لهم: إن قلتم: ماذا نأكل في السنة السابعة إذا لم نزرع ونجمع الغِلال؟ قال لهم: «أرسل لكم بركاتي في السنة السادسة، فتضع غلالاً لثلاث سنين. السادسة والسابعة والثامنة، وتأكلون من غلال السادسة حتّى السنة التاسعة» (لا ٢٥ : ٢٠ـ ٢٢).

تشريع للمساكين

٣ ونبّههم باعتناء: «لا يَبِتْ أجر الأجير عندك، بل اعطِه إيّاه في اليوم ذاته، لئلا يصرخ عليك إلى الله، فتكون عليك خطيئة» (تث ٢٤: ١٥). فإن بات أجر الأجير عندك في الليل، وفي تلك الليلة، أُخذت نفسك منك، يُحرَم المسكين من أجره الذي عندك، والذي لأجله سلّم نفسه إليك. أو هو يموت ولا تجد مَن يطالب بأجره فتعطيه إيّاه.

٤ واهتمّ داود أيضًا بالمساكين والبؤساء، واليتامى والأرامل، وأقام وكلاء في كلّ إسرائيل، ليُطعموا ويقيتوا المساكين. وحين رتّل وسبّح إلهه، وهب الطوبى لمَن يُطعم المساكين، فقال: «طوبى لمَن ينظر إلى المساكين، ففي يوم السوء يحرّره الربّ. يحفظه الربّ ويُحييه ويُسعده في الأرض، ولا يُسلّمه إلى أعدائه. إن مرض أسنده على فراش المرض» (مز ٤١: ٢ـ ٤). وقال أيضًا في مزمور آخر: «بدّد وأعطى البائسين، فبرّه يدوم إلى الأبد» (مز ١١٢: ٩). وكُتب أيضًا: «مَن يُعطي المسكين يَقرِض الله» (أم ٢٨: ٢٧، رج ١٩: ١٧). وقال الكتاب أيضًا: «كدِّس الصدقة واجعل منها كنزًا، فهي لك خير من كلّ الكنوز» (طو ١٢: ٨). وكُتب أيضًا: «أعطِ الله ممّا وهبه لك» (طو ٤: ٧؛ أم ٣: ٩).

فتأمّل: فالذي يتصدّق يأخذ من المسكين، ليكون له أن تُلبَّى حاجته، بفضل المحتاجين عندما يُريحهم. كان بالإمكان أن لا يكون مُحتاج، ولكنّه صنع بحيث تكون تجارة المحتاجين من قبله: يُحرم منها الغنيّ الذي يَهَبُ المسكين. وعندما يأخذ المسكين، يشكر ربّ الاثنين.

تعليم المسيح

٥ وأراد ربّنا يسوع أن يعرّفنا بمثَل دينونة اليوم الأخير، فميّز البشر وأقامهم عن يمينه وعن شَماله. شكر الأخيار وسمّاهم مُباركيّ أبيه الذين يرثون ملكوته، لأنّهم أطعموا المساكين. فقال للذين عن يمينه: «تعالوا يا مُباركيّ أبي، رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ البدء. لأنّي جُعْتُ فأطعمتموني، وعطشت فسقيتُموني، وكنت عريانًا فألبستموني، وكنت غريبًا فاستضفتموني، وكنت مريضًا فزرتموني، وكنت في السجن فزرتموني». حينئذ لا يُدرك هؤلاء الصدّيقون معنى كلمة ربّنا، فيجيبونه ويقولون له: «ربّنا، متى رآيناك مُحتاجًا وصنعنا

لك هكذا»؟ فيجيبهم: «ما صنعتُموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار فلي أنا صنعتمونه».

ويلتفت نحو هؤلاء الذين عن شَماله، ويقول لهم: «إذهبوا عنّي يا ملعونون، إلى النار المُهيّأة للشرّير وملائكته، لأنّكم لم تصنعوا لي كلّ هذا». حينئذ يجيبه أيضًا هؤلاء الذين عن شَماله، ويقولون له: «ربّنا، متى رأيناك في أحد من هؤلاء ولم نخدمك». فيجيبهم: «ما لم تصنعوه لهؤلاء المحتاجين، فلي أنا أيضًا لم تصنعوه (مت ٢٥: ٣٢ـ ٤٥). والصدّيقون الذين خدموا المسيح في المحتاجين، يذهبون إلى الحياة الأبديّة، والأشرار يذهبون إلى النار والظلمة، لأنّهم لم يساعدوا المسيح في المساكين.

٦ وقال ربّنا أيضًا مثلاً آخر عن الغنيّ الذي اتّكل على مُقتناه. جمع من أرضه غلّات كثيرة، فقال لنفسه: «لك خيرات كثيرة مجموعة لسنين عديدة. فاستريحي يا نفسي وكلي وتنعّمي». قال له الله: «يا جاهل، ها إنّ نفسك تطلب منك في هذه الليلة، وهذا الذي أعددته لمَن يكون»؟ ومن بعد هذا قال: «هذه حال مَن يجمع الكنوز لنفسه، ولا يكون غنيًّا بالله» (لو ١٢: ١٦ـ ٢١).

٧ وضرب مثلاً آخر عن «الغنيّ الذي تنعّم بالطيّبات، والذي انتهت حياته في الجحيم. والمسكين الذي كان مرميًّا عند بابه، كان يرغب ويتمنّى أن يملأ بطنه، ممّا يسقط عن مائدة هذا الغنيّ، ولم يعطه أحد. وكانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه» (لو ١٦: ٢١). فالغنيّ الذي تنعّم بالطيّبات، هو «هذا الشعب الذي أكل ورفس فنسي الربّ» (تث ٣٢: ١٥)، ولعن الله كما هو مكتوب: «قال بنو إسرائيل على الله وعلى موسى كلمات غير لائقة» (عد ٢١: ٥). وسمّاهم موسى أغنياء، فقال عنهم: «أيّ شعب إلهه قريب منه كالربّ إلهنا. شرائعه

بارّة وأحكامه قويمة» (تك ٤ : ٧). وقال لهم أيضًا: «ها أنتم تدخلون أرض الكنعانيّين وترثونها. ستدخلون بيوتًا لم تبنوها، وكرومًا لم تنصبوها، وآبارًا محفورة لم تحفروها. ستأكلون وتشبعون وتتلذّذون وتنسون الربّ» (تث ٦ : ١٠ـ ١٣). واغتنوا بالطيّبات الكثيرات التي أعطاهم إيّاها.

٨ المسكين الذي كان مرميًّا على بابه يُشبه مخلّصنا. كان يرغب ويتمنّى أن يأخذ ثمارًا، يوصلها إلى مرسله، فلم يهبه أحد، وقال: كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه. الكلاب التي أتت هي الشعوب الذين لحسوا جراحات ربّنا، وأخذوا جسده ووضعوه على عيونهم. أمّا هم فكلاب شرهة لا يعرفون أن يشبعوا ولا يقدرون أن ينبحوا. فهذه الكلاب التي تلحس جراح هذا المسكين لم تكن طمّاعة، فلو كانت طمّاعة، لرغبت في مائدة الغنيّ بدل أن تلحس الجراح. وقال النبيّ عن اليهود: هم كلاب نفسهم طمّاعة، ولا يعرفون أن يشبعوا. وقال داود: «يعوون كالكلاب ويُحيطون بالمدينة» (مز ٥٩ : ٧).

٩ وقال ربّنا في آخر المقطع: ومات ذلك الغنيّ ودُفِنَ وألقي في العذاب. ومات المسكين فأوصلته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ورفع ذلك الغنيّ عينيه، من وسط الجحيم ومن العذاب، فرأى إبراهيم، ولعازر في حضنه. فصرخ بصوت عظيم، وقال: «يا أبت إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر ليأتي ويُعينني، ويرطّب لي لساني في هذا اللهيب الذي يُعذّبني كثيرًا». فقال له إبراهيم: «يا بُنيّ، تذكّر أنك نِلْتَ خيراتك في حياتك، ونال لعازر بلاياه. واليوم أنت تطلب منه فلا يُساعدك، لأنّ بيننا وبينكم هوّة عظيمة. من عندكم لن تقدروا أن تجيئوا إلينا وكذلك نحن إليكم». فقال له: «إذًا يا أبي أطلب منك أن تُرسله إلى بيت أبي، فلي خمسة إخوة، فيذهب ويشهد لهم فلا يخطأون ويأتون هم أيضًا إلى هذا العذاب». قال له إبراهيم: «عندهم

موسى والأنبياء، فليسمعوا منهم». قال له: «لا يا أبت إبراهيم. ولكن إن نزل واحد من الموتى إليهم يتوبون». قال له إبراهيم: «إن لم يسمعوا لموسى وللأنبياء، حتّى وإن نزل واحد من الموتى إليهم لا يؤمنون به» (لو ١٦: ٢٢ـ ٣١).

كما قلت لك أعلاه، الغنيّ هو الشعب، والمسكين هو مخلّصنا، وكما كُتب: «أراد الربّ أن يذلّه ويؤلمه (أش ٥٣: ١٠). وقال الرسول: «من أجلكم صار الغنيّ فقيرًا لكي تغتنوا بفقره» (٢ كور ٨: ٩). وقال أيضًا: «أذلّ نفسه وأطاع حتّى الموت، موت الصليب» (فل ٢: ٨).

١٠ قال: ومات هذا الغنيّ.. حقًّا قال النبيّ عنهم: «يُميتك الربّ الإله، ويدعو عبيده باسم آخر» (أش ٦٥: ١٥). عبيده هم الشعب الذي من الشعوب. وسمّاهم باسم آخر. سمّاهم مسحيّين أو تلاميذ المسيح، لا حُكّام سَدوم وشَعب عمورة مثلهم، كما تشهد لنا كِرازة الاثني عشر رسولًا. هناك في أنطاكية، سُمّي التلاميذ للمرّة الأولى مسيحيّين (أع ١١: ٢٦).

١١ ومات المسكين أيضًا، فأوصلته الملائكة إلى حضن إبراهيم، كما قالت مريم: «أخذوا ربّنا ولا نعرف إلى أين حملوه» (يو ٢٠: ١٣). وقال الرسل أنفسهم لمريم: «قام وذهب نحو الذي أرسله» (مت ٢٨: ٦؛ يو ١٦: ٥). وخدمه الملائكة، كما قيل أعلاه في الإنجيل: «نزل الملائكة وخدموا يسوع» (مت ٤: ١١). وحين وُلد سبّحه الملائكة أيضًا، وقالوا: المجد لله في السماء والرجاء الصالح لبني البشر (لو ٢: ١٤). وبشّر الملاك جبرائيل بولادته (لو ١: ٢٦ي). وقال لسمعان تلميذه: «ألا تفكّر إنّني إن طلبت من أبي جيشًا من ملائكة السماء، فهو يُعطيني» (مت ٢٦: ٥٣)؟ وقال لتلاميذه أيضًا: «سترون

السماء مفتوحة، وملائكة الله نازلين وصاعدين نحو ابن الإنسان» (يو ١ : ٥١).

١٢ كتبت لك هذا لأنّه كُتب: «حين مات المسكين أوصلته الملائكة إلى حضن إبراهيم». حين قال: أوصلوه إلى حضن إبراهيم فهو يعني ملكوت السماء». وقال إبراهيم للغنيّ: بيننا وبينكم هوّة عظيمة. لا تأتون من عندكم إلينا ولا من عندنا إليكم. فهذا يدلّ على أنّه لم يعد من توبة بعد الموت والقيامة. فلا الأشرار يتوبون ويدخلون الملكوت، ولا الأبرار يخطئون ويذهبون إلى العذاب أي إلى الهوّة العظيمة. وطلب منه أن يساعده فلم يُرسل أحدًا لمساعدته. وبهذا يدلّ على أنّه، في ذلك اليوم، لا يقدر الإنسان أن يُساعد رفيقه. وقال: «ليذهب إلى بيت أبي ويكرزهم لئلا يَخطأوا». فقال له: «لهم موسى والأنبياء فليسمعوا منهم». فقال: «إن ذهب إنسان من الموتى يتوبون». والمعروف أنّه يعني هذا الشعب الذي لم يسمع لموسى وللأنبياء، ولم يؤمن بيسوع الذي قام من بين الأموات.

١٣ وكُتب أيضًا: «مَن يَخطأ تُمحى خطاياه بالصدقات»، كما قال دانيال لنبوكدنصّر. «إفتد خطاياك بالصدقات، وذنوبك بالرحمة نحو الضعفاء» (دا ٤ : ٢٧). وقال النبيّ لبني إسرائيل: «لأنّكم قمعتم المسكين وأخذتم منه قرابين مختارة، فأنتم لا تُقيمون في بيوت بنيتموها بالحجارة، ولا تشربون خمر الكروم الشهيّة التي نصبتموها (عا ٥ : ١١).

رحمة الله نحو المساكين

١٤ وتأمّل كم يهتمّ الله بالمسكين. قال أشعيا: «المساكين والبائسون يطلبون ماء ولا ماء، ولسانهم يَبِسَ من العطش. أنا الربّ إله إسرائيل

أعينهم ولا أتركهم. وبدل أن ييبس لسانهم من عدم الماء، أفتح أنهارًا في الجبال، وينابيع في الوديان، وأجعل في الصحراء الأرز والبقس والآس وأشجار الزيتون. وأجعل في الوادي السرو الجميل معًا» (٤١: ١٧_ ١٩). المساكين والبائسون الذين يطلبون الماء ولا ماء، هم الشعب الذي من الشعوب. والماء هو تعليم الكتب المقدّسة. إن كان لسانهم يابسًا فمن التسبيح. وحين يقول: أفتح أنهارًا في الجبال وينابيع في الوديان: الجبال والوديان هي البشر الرفيعون والضعفاء، ومنهم تجري الأنهار والينابيع.

وقال: أجعل في الصحراء الأرز والبقس والآس، وأشجار الزيتون والسرو الجميل في الوادي. الصحراء هي الشعوب الذين كانوا في الماضي كصحراء قاحلة. والأرز والبقس والآس وأشجار الزيتون هي كهنة الشعب والمتنسّكون المقدّيسون. أغصانهم بهيّة كأغصان هذه الأشجار، في الشتاء والصيف تبدو فروعها بهيّة وعبيّة. وأضع في الوادي السرو البهيّ معًا. من أناس وضعاء خرجت الكلمة والتعليم الذي رائحته لذيذة كرائحة السرو البهيّ كما يقول الرسول: «نحن في كلّ مكان رائحة المسيح اللذيذة» (٢ كور ٢: ١٤_ ١٥).

أيّوب

١٥ وقال أصحاب أيّوب ليُعيّروه في محنته: «لماذا حصل لك هذا؟ هل أرسلت الأرملة فارغة اليدين وذلّلت يد اليتيم؟ هل رفضت أن تسقي المتعبين وتُعطي الخبز للجياع؟ هل أخذت اليتيم رهنًا، وهل أخذت ثور الأرملة رهنًا؟ هناك رجل يزرع له ذرعًا، فيأخذه منه رجل عنيف. لأنّك صنعت هذه، أحاطت بك الفِخاخ، وأرجفتك الرِعدة فجأة» (أي ٢٢: ٩، ٧، ٦؛ ٢٤: ٢؛ ٢٢: ٨_ ١٠). وحين سمع منهم هذا، أجاب مدافعًا عن نفسه، فقال: «كنت عيونًا للعُميان وأرجُلًا

للعُرج» (أي ٢٩: ١٥)، «والذين كانوا عُراة، دفّأتهم بصوف خرافي. ما رفعت يديّ على يتيم، بل إن رأيته في الباب ساعدته» (أي ٣١: ٢٠ـ ٢١). «ما أرسلت أرملة فارغة اليد، ولا أكلت خبزي وحدي، بل أكل اليتيم منه» (أي ٣١: ١٦ـ ١٧). «وحطّمت أنياب الشرّير، وأخرجت فريسته من بين أسنانه، وقلت: أخلّص الشعب المسكين» (أي ٢٩: ١٦ـ ١٧).

وقال أيضًا: «فتحت بابي للعابر ولم أغشّ بالظلمة عينَي الأرملة» (٣١: ٣٢، ١٦). «فإن لم أعمل هكذا، فلتسقط كتفي من مفصِلها، وتتحطّم ذراعي من الكوع» (أي ٣١: ٢٢). «تحنّنوا عليّ، تحنّنوا عليّ، أنتم يا أحبّائي، لأنّ يد الله ضربتني» (أي ١٩: ٢١)، وما حصل لي لم يكن بسبب خطاياي.

تعليم المسيح

١٦ ونبّه ربّنا، بالنسبة إلى المساكين خاصّة، فقال لسيّد الوليمة: «عندما تصنع غداء أو عشاء، لا تدعُ أحبّاءك أو إخوتك أو جيرانك الأغنياء، ولا الذين يدعونك هم أيضًا، لأنّك تحصل على جزائك. لكن، متى صنعت هذا، أدعُ المساكين والبسطاء والعميان والعرج، والذين ليس لهم شيء. وطوباك لأنّ ليس لهم ما يُجازونك به، فيكون جزاؤك في القيامة مع الأبرار» (لو ١٤: ١٢ـ ١٤).

وقال أيضًا: «إصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم. وعندما يزول، يقبلونكم في مظالّهم الأبديّة» (لو ١٦ـ ٩). مَن هم هؤلاء الأصدقاء الذين لهم المظالّ الأبديّة التي يستطيع أن يقتنيها البشر بمال الظلم؟ هؤلاء الأصدقاء هم الله ومسيحه اللذان لهما المظالّ الأبديّة. فعندما يُعطي إنسان ممّا له للمساكين، يُريح إرادة الله ومسيحه، كما قال:

«هذه هي راحتي. أريحوا المتعبين» (أش ٢٨: ١٢). وقال ربّنا: «ما صنعتموه لهؤلاء صنعتموه لي» (مت ٢٥: ٤٠). وقال: إجعلوا لكم أصدقاء. وقال أشعيا: «لا تَخف يا عبدي يعقوب، يا نَسل إبراهيم صديقي» (٤١: ١٠، ٨؛ ٤٤: ٢). وقال ربّنا لتلاميذه: «دعوتكم أحبّائي، لأنّي أخبرتكم بكلّ ما سمعت من أبي» (يو ١٥: ١٥). هؤلاء هم الأحبّاء الذين يقتنيهم، حين يهبون المساكين. ومظالّهم الأبديّة هي حيث يستريح الأبرار في المسكن الذي لم تصنعه يد بشر، ولا هو من هذه الأشياء المخلوقة كما قال الرسول.

وحثّ ربّنا الذين يساعدون المساكين والبائسين، فقال: «لا تجعلوا لكم كنوزًا في الأرض حيث ينقب السارقون ويسرقون، وحيث يسقط السوس ويُفسِد. بل اجعلوا لكم كنوزًا في السماء، كنزًا لا ينقص، حيث لا يُفسد السوس ولا يَسرق السارقون. وحيث يكون كنزكم، هناك يكون أيضًا قلبكم» (مت ٦: ١٩ـ ٢١). وقال الرسول أيضًا عن الرسل الذين سبقوه: «أمرونا بهذا فقط: أن نذكر المساكين، وهذا ما اهتممت به لأصنعه» (غل ٢: ١٠).

طوبى للمساكين

١٧ وقال ربّنا: «طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السموات» (مت ٥: ٣). وقال عن الأغنياء: «الويل لكم أيّها الأغنياء، لأنّكم نلتم طلبكم» (لو ٦: ٢٤). ومَن هم الأغنياء الذين نالوا طلبهم؟ هم هذا الشعب الأوّل الذي طلب كلّ ما هو أرضيّ لا ما هو سماويّ، كذلك الغنيّ الذي جمع غلّاته الكثيرة، ولم يكن غنيًّا بالله (لو ١٢: ٢١)، وكذلك الذي تنعّم بكلّ الخيرات ونال طلبه في هذه الدنيا، وفي الآخرة لم يُوهب له ما طلب (لو ١٦: ٢٥).

وقال عن المساكين: ملكوت السماوات لهم. هل تقول إنّه يتكلّم عن

كلّ مسكين حُرم مقتنيات الأرض؟ فهناك مساكين ليس لهم شيء، وهم سارقون وقاتلون وكذّابون، وصانعو القبائح وخارجون عن الناموس. هل ملكوت السماء لهؤلاء؟ حاشا. فالطوبى أُعطيت للمساكين بالروح، لخائفيّ الله، هؤلاء الذين لا يُحسب غناهم بالنسبة إلى مخافتهم لله، بل يستفيدون منه زيادة فقط.

فإبراهيم الغنيّ صار فقيرًا بالروح أمام إلهه، وإسحق ويعقوب، ابنا الملكوت، سارا على خطاه، فأرضيا الله رغم غناهما. وأيّوب الغنيّ، أغنى أبناء المشرق (أي ١ : ٣). جرِّب في أولاده ومُقتناه، فأحبّ مَن وهب كلّ هذا له، ولم يُجدّف على الله. هؤلاء هم الذين يتحدّث عنهم الرسول: «بحبّهم للغرباء كانت لهم الحياة، هم الذين استضافوا الملائكة» (عب ١٣ : ٢). ومَن هم محبّو الغرباء إلّا إبراهيم ولوط وأيّوب والأبرار الآخرون أمثالهم! فتأمّل، يا عزيزي، كم أحبّ الغرباء هؤلاء الآباء. حين رأى إبراهيم هؤلاء الملائكة، حسبهم غرباء، فركض إلى لقائهم وركع أمامهم (تك ١٨ : ٢ي). وتوسّل إليهم أن يدخلوا إلى خيمته ويستريحوا عنده، لكي يتبارك القريب بمحبّة الغرباء. أمر عجيب جدًّا: أن يَخِرّ هذا الرجل العظيم ساجدًا، ويتوسّل طالبًا أن يدخل الغرباء ليستريحوا. كانت عادة إبراهيم أن يقبل الغرباء عنده كلّ يوم. وحين رأى هؤلاء الملائكة حسبهم كغرباء مساكين، فركض للقائهم، واستضافهم كغرباء حين اختفت عظمتهم عن عينيه. ووقف أمامهم يخدمهم، وأمر سارة أن تعجن بيديها ثلاثة أكيال من الدقيق، لكلّ رجل كَيْلة كما يبدو للعين. فبالكَيْلة الفائضة يُكال له هكذا حين ينال الجزاء (لو ٦ : ٣٨). وبمحبّته للغرباء نال جزاءه بالوعد أنّ بنسله تتبارك كلّ الأمم. ونقول الشيء عينه عن لوط الذي استقبل الغرباء، فأنقذه الله من سدوم باغضة الغرباء، كما قال حزقيال: «هذا كان اسم سدوم ورفيقاتها. لم تأخذ بيد المساكين

والبائسين، فلمّا رأيت هذا قلبتها» (١٦ : ٤٩ـ ٥٠). وزكا العشّار الخاطىء، دخل ربّنا إلى بيته فقال له: «ها أنا يا ربّ، أعطي المساكين نصف ما أملك، وكلّ مَن سلبتُه أردّ إليه أربعة أضعاف». فقال له ربّنا: «اليوم نال الخلاص هذا البيت» (لو ١٩ : ٨ـ ٩).

الشابّ الغنيّ

١٨ وذاك الغنيّ الذي جاء إلى ربّنا، وقال له: «ماذا أصنع لأرث الحياة الأبديّة»؟ قال له ربّنا: «لا تزنِ ولا تسرق. أكرم أباك وأمّك وأحبِب قريبك كنفسك». قال له ذاك الرجل: «هذه صنعتها منذ كنت صبيًّا. فماذا ينقصني»؟ حينئذ نظر إليه يسوع بمحبّة وأجابه: «واحدة تنقصك. إن شئت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كلّ ما لك، وأعطه للمساكين، واحمِل صليبك واتبعني». فحين سمع ذاك الرجل هذا الكلام حزن كثيرًا، وذهب إلى بيته كئيبًا، لأنّه كان غنيًّا يملك المال الكثير. فقال يسوع: «أنظروا ما أصعب على الذين يتّكلون على أموالهم، أن يدخلوا ملكوت السماء»! وقال أيضًا: «أن يدخل الجمل في خُرْم الإبرة، أسهل من أن يدخل الغنيّ ملكوت الله» (مت ١٩ : ١٦؛ مر ١٠ : ١٧، ١٩ـ ٢٥؛ لو ١٨ : ١٨ي). وقال الرسول أيضًا: «هذا هو الزرع: مَن يزرعه بالشِحّ، بالشِحّ يحصده أيضًا. ومَن يزرعه بالبركة، يحصده بالبركة» (٢ كور ٩ : ٦). وعلينا أن نعمل الخير دون أن نملّ.

١٩ هذا بعض ما كتبت إليك، يا عزيزي، لأذكّرك بالعطايا للمساكين. فشجِّع واقنع الذين يُعطون، ليزرعوا أمامهم زرع الحياة، فقد كُتب: «علِّم الصدّيق فيزيد على علمه» (أم ٩ : ٩). وكلّ مَن يحبّ المساكين، حرِّضه بما ذكَّرتُك به، ليكون لك أنت أيضًا حظّ في تعبه.

تمّت المقالة في مساعدة المساكين

في الاضطهاد

تعيير المسيحيّين لأنّهم مُضطهدون

١ سمعت تعييرًا آلمني، حين قال الأنجاس (أع ١٠ : ١٤: هم الوثنيّون): لا إله لهذا الشعب المجموع من كلّ الشعوب. وهذا ما قاله الأشرار: إن كان لهم إله، فلماذا لا ينتقم لشعبه؟ ويزداد الضيق كثافة، حين أرى اليهود يُعيّروننا ويجورون علينا.

في يوم من الأيّام، سألني رجل يدعى حكيم اليهود، فقال لي: يسوع المدعوّ معلّمكم كتب لكم: «لو كان فيكم إيمان كحبّة الخَرْدل، لقلتم لهذا الجبل: إنتقل، فينتقل من أمامكم». وأيضًا: «ليُحمل ويُلقى في البحر، فيُطيعكم» (مت ١٧ : ١٩؛ ٢١ : ٢١). أفليس في كلّ شعبكم رجل حكيم واحد تُسمع صلاته، فيطلب من الله لتهدأ عنكم اضطهاداتكم، لأنّ هذا ما كُتب لكم في هذا المقطع: «ليس شيء لا تقدرون أن تصنعوه» (مت ١٧ : ١٩).

٢ وحين رأيته أنّه يجدّف، ويتكلّم كثيرًا خارج طريق المسيح (أع ٩ : ٢؛ ١٨ : ٢٥؛ ١٩ : ٩، ٢٣؛ ٢٤ : ٢٢) تبلبل عقلي، وعرفت أنّه لن يقبل تفسيرًا للكلمات التي ردّدها عليّ. حينئذ لاحقته بكلمات من الشريعة والأنبياء، وقلت له: هل تعتبرون أنّ الله معكم، حين يُبقيكم

أيضًا مشتّتين. أمّا أنا، فأعلن أنّ الله معنا، لأنّ الله قال لإسرائيل: «لا أتركهم حتّى في أرض أعدائهم، ولا أنقُضُ عهدي معهم» (لا ٢٦: ٤٤). وقلت له: ما أجمل ما سمعت منك أنّ الله معكم، ولكن أقابل كلامك فأقول لك: قال أشعيا النبيّ لإسرائيل، وكأنّ كلامه من فم الربّ: «إن عبرت البحر فأنا معك، والأنهار لا تجرفك. إن مشيت على النار لا تنكوي، واللهيب لا يحرقك، لأنّ الربّ إلهك معك» (٤٣: ٢ـ ٣).

وهكذا، ألا يوجد رجل واحد بارّ وصالح وحكيم، في كلّ شعبكم، يقدر أن يعبر في البحر ويبقى حيًّا ولا يغرق، يمرّ في نهر ولا يجرفه؟ أو أن يسير على النار ولا يكوى، أو يحرقه اللهيب. إن جئتني بتفسير لن أقتنع منك، كما أنّك لا تقبل تأويلاً للكلمات التي أوردتها لي.

٣ وسألته أيضًا عن كلمة أخرى مكتوبة في حزقيال يقول فيها لأورشليم: «سدوم وبناتها بُنيت كما في القديم. أمّا أنت وبناتك فتكونين كما في القديم» (١٦: ٥٥). فسّر لي هذه الكلمة. فشرع يجيب ويقول لي: هذا الذي قاله الله لأورشليم بواسطة النبيّ: سدوم وبناتها ستُبنى كما في القديم، وأنت وبناتك تكونين كما في القديم. هذا هو معنى الكلمة: سدوم وبناتها ستُسكن أيضًا كما من قديم، وستخضع تحت يد إسرائيل. وأورشليم وبناتها تكون في بهاء المُلك كما في القديم. وحين سمعت منه هذا الجواب، صغُر في عينيّ، فقلت له: عندما تُقال كلمات الأنبياء بغضب، فالمقطع كلّه يدلّ على الغضب. فهل هناك قسم يدلّ على الغضب، وقسم يدلّ على الحنان. فقال: المقطع كلّه يدنّ على الغضب. هو مليء بالغضب ولا سلام فيه. فقلت: أنت مقتنع معي أن ليس من سلام في هذا المقطع عن الغضب. فاسمع بدون خصام، ولا تجدّف، وأنا أعطيك البرهان عن هذه الكلمة.

المقطع كلّه من أوّله إلى آخره قد قيل بغضب. قال لأورشليم: «حيّ أنا يقول الربّ الإله. ما فعلت سدوم وبناتها، كما فعلت أنت وبناتك» (حز ١٦: ٤٨). وقال لها: «إخجلي واقبلي عارك، لأنّك برّرت أخواتك بخطاياك، وهنّ تبرّرن أكثر منك» (حز ١٦: ٥٢). قال: سدوم وبناتها تبرّرت أكثر من أورشليم ومن بناتها، وأورشليم برّرت سدوم بخطاياها. يليق بشعب إسرائيل حين يجتمع، أن يجعل مقامه في سدوم وعمورة، لأنّ جفنته هي من جفنة سدوم ومن نصبة عمورة، وعنبه مرّ وعناقيده مرارة (تث ٣٢: ٣٢). ودعاهم أشعيا: «حكّام سدوم وشعب عمورة» (١: ١٠). فإن كان شعب إسرائيل قد اجتمع، فيليق به أن يُقيم مع حكّام سدوم ومع شعب عمورة، وعلى جفنة سدوم وعلى نصبة عمورة، ليأكل عنبًا مرًّا، ويقطف عناقيد المرارة، «ليأكل بيض الحيّة، ويلبس من نول العنكبوت» (أش ٥٩: ٥ـ ٦)، «ويستفيد من خرّوب الكرم، ويصبح فضّة مرذولة» (إر ٦: ٣٠). وهكذا فإنّ سدوم وبناتها تبرّرت أكثر من أورشليم، وستُبنى كما في القديم. وأورشليم التي برّرت سدوم بخطاياها، ستثبت في خطاياها، وتبقى في دمارها، إلى كمال القرار الأبديّ (دا ٩: ٢٧).

٤ وقال حزقيال: «هذا هو إثم سدوم وبناتها: لم تُمسك بيد المسكين والبائس. فحين رأيت هذا قلبتها» (١٦: ٤٩). فاحسب وتأمّل: من وقت قُلبت سدوم إلى وقت بُنيت أورشليم، مرّت ثمانمائة وستّ وتسعون سنة. ومن وقت قَبِلَ إبراهيم البشرى من الله بواسطة الملاك: «في الوقت ذاته من السنة المقبلة، أعود إليك ويكون لسارة امرأتك ابن». فمن هذا الوقت إلى أن دخل يعقوب إلى مصر، مرّت مئة وإحدى وتسعون سنة. وكان بنو يعقوب في مصر مئتين وخمسًا وعشرين سنة. فكانت هذه السنوات، منذ حبل بإسحق وقلب سدوم،

أربعمائة وستًّا وعشرين سنة. ومن خروج إسرائيل من مصر، إلى أن بُنيت أورشليم بناء عظيمًا بواسطة سليمان، وإلى أن بُني الهيكل، مرّت أربعمائة وثمانون سنة. إذًا كلّ السنين، من الحبل بإسحق وانقلاب سدوم، إلى بنيان أورشليم العظيم، كانت ثمانمائة وستًّا وتسعين سنة. فمن بناء أورشليم العظيم إلى دمار أورشليم، مرّت أربعمائة وخمس وعشرون سنة. وحساب كلّ السنين، من وقت انقلبت سدوم إلى وقت خربت أورشليم، هو ألف وثلاثمائة وواحد وعشرون سنة. هذه هي كلّ السنوات التي تُشير إلى دمار سدوم وبناتها قبل أورشليم، وإلى الآن لم تُسكَن بعد، وهي التي كانت أكثر برارةً من أورشليم. إذًا، كلّ حساب السنين، من انقلاب سدوم إلى السنة ستمائة وخمس وخمسين[1] لملك الإسكندر بن فيلبس المقدوني، يكون ألفين ومائتين وستًّا وسبعين. ومن حين خرّبت أورشليم على يد البابليّين، إلى هذا الزمن، تسعمائة وخمس وخمسون سنة. وسُكِنَت أورشليم بعد أن خرّبها البابليّون، مدّة سبعين أسبوعًا، على ما يشهد دانيال. ثم دمّرت دمارًا آخر على يد الرومان، ولن تُسكن إلى الأبد، لأنّها ستبقى على دمارها، إلى أن يتمّ القرار (دا ٩: ٢٧). فكلّ سنوات دمار أورشليم، الأوّل والثاني، كانت أربع مائة وخمسًا وستّين سنة. فإن أخرجت منها سبعين سنة في بابل، تكون ثلاثمائة وخمسًا وتسعين سنة.

دمار أورشليم الدائم

٥ كتبت لك كلّ هذه البراهين، لأنّ اليهود يفتخرون فيقولون: من الثابت أنّنا سنجتمع.

فإن كانت سدوم لم تُسكن بعد، مع أنّ إثمها لم يكن أكثر من إثم أورشليم، ونقول إنّها لن تُسكن أبدًا، فكيف ستُسكن أورشليم وهي

التي إثمها أكبر من إثم سدوم وبناتها؟ فالله لم يرحم سدوم مدّة ألفين ومائتين وستّ وسبعين سنة، فكيف نقول إنّه يرحم أورشليم التي لم تمرّ على دمارها ثلاثمائة وخمس وتسعون سنة حسب الحساب المكتوب أعلاه. يقول: ستقوم سدوم وبناتها كما في القديم، ويقول لأورشليم: أنت وبناتك تكونين كما في القديم (حز ١٦: ٥٥). هذا هو معنى الكلمة: لن تُسكن إلى الأبد، لأنّ الأرض التي غضب عليها الربّ، تُلعن بهذه الطريقة. ولا تزرع، ولا تنبت ولا يصعد فيها عشب، بل تكون مثل سدوم وعمورة اللتين غضب عليهما الربّ ولم يرضَ عنهما (تث ٢٩: ٢٣).

فاقتنع، أيّها السامع، أنّ سدوم وبناتها لن تسكن إلى الأبد، بل تكون كما في القديم، كما في الزمن الذي لم تكن فيه بعد مسكونة، وكما في الزمن الذي غضب فيه عليها الربّ ولم يرض عنها. وأورشليم وبناتها ستكون كما في القديم، كما في الزمن الأوّل، حيث كان قاحلًا جبل الأموريّين الذي بنى عليه إبراهيم مذبحًا قيّد عليه ابنه إسحق، كما كان قاحلًا، حين اشترى داود البيدر من أرونا اليبوسيّ، وبنى هناك مذبحًا.

فافهم وتأمّل أنّ هذا الجبل الذي قرّب عليه إبراهيم ابنه، هو جبل يابوس التي هي أورشليم، وأنّ في موضع البيدر هذا، الذي اشتراه داود من أرونا، بُنِي الهيكل. هكذا ستكون أورشليم خرابًا كما في القديم. وحين تنبّأ حزقيال بهذه الكلمة، كانت أورشليم بعد ثابتة في عظمتها؛ ثمّ تمرّد الذين في داخلها على ملك بابل. والكلمة التي قالها النبيّ على أورشليم، إنّما قالها بغضب ولعنة.

٦ فافهم وتأمّل أيّها السامع: فلو أعطى الربّ رجاءً لسدوم ورفيقاتها، لما كان قلبها بالنار والكبريت، وهذه علامة اليوم الأخير[٢] بل كان

أسلمها إلى يد إحدى الممالك فعاقبَتْها كما كُتب. حين أسقى إرميا الشعوب والممالك كأس الغضب، قال لكلّ مدينة من المدن: «بعد أن شربت الكأس، أعيد سبي عيلام وصور وصيدون وبني عمّون وموآب وأدوم. في الأيّام الأخيرة أعيدها من السَبْي» (إر ٢٥: ١٥-٢٢؛ ٤٨: ٤٧؛ ٤٩: ٦-٣٩). رأينا أنّ صور سكنت وازدهرت، بعد أن ضاعت سبعين سنة، وبعد أن نالت أجرًا من أجيراتها، ومن بعد أن زنت مع كلّ الممالك. وأخذت الكنّارة وعزفت حسنًا ورتّلت كثيرًا (أش ٢٣: ٢٥-١٦). ومنطقة عيلام سُكنت أيضًا وازدهرت. ولكن قال إرميا عن بابل: «تَسقُط بابل ولا تقوم» (٥١: ٦٤). وها هي إلى اليوم، وستبقى إلى الأبد خرابًا. وعن أورشليم قال أيضًا: «تسقط ولا تعود تقوم عذراء إسرائيل. تُرِكَت على الأرض وليس مَن يُقيمها» (عا ٥: ١-٢). فإن كانت هذه النبوءة التي قالها إرميا على بابل حقيقيّة، فهي أيضًا حقيقيّة وثابتة بالنسبة إلى أورشليم. وقد قال أشعيا لأورشليم: «لن أغضب عليك ولن أوبّخك» (٥٤: ٩). حقًّا لن يغضب عليها بعد، ولا يوبّخها بعد إلى الأبد. هي في الخراب، فلن يوبّخها ولن يغضب عليها.

إضطُهد اليهود فلم يتوبوا

٧ والذين يُعيروننا فيقولون: أنتم مضطهدون ولا تنجون بنفوسكم. ليخجل هؤلاء، لأنّهم اضطُهدوا في كلّ وقت، وظلّوا سنوات عديدة قبل أن ينجوا بنفوسهم. كانوا عبيدًا في مصر مائتين وخمسًا وعشرين سنة وأخضع المِديانيّون (بل الكنعانيّون. قض ٤: ٢) بني إسرائيل في أيّام باراق ودبورة. وتسلّط عليهم الموآبيّون في أيّام أهود، والعمّونيّون في أيّام يفتاح، والفلسطيّون في أيّام شمشون وعالي وصموئيل النبيّ، والأدوميّون (بل الآراميّون: ١ مل ٢٠: ١١) في

أيّام آحاب، والأشوريّون في أيّام حزقيا. واقتلعهم ملك بابل من أرضهم وبدّدهم. ومع أنّه امتحنهم وعذّبهم، إلّا أنّهم لم يتحسّنوا كما قال لهم: «عبثًا ضربت أبناءكم، فلم يقبلوا التأديب» (إر ٢ : ٣٠). وقال أيضًا: «مزّقت الأنبياء وقتلتهم بكلمة فمي» (هو ٦ : ٥). وقال لأورشليم: «تأدّبي بالأمراض والضربات، يا أورشليم. لماذا تمجّك نفسي؟» (إر ٦ : ٧ـ ٨). وقد تركوه وسجدوا للأصنام، كما قال عنهم إرميا: «إذهبوا إلى الجزر البعيدة، وأرسلوا إلى قيدار، استعلموا جيّدًا وانظروا إن كان مثل هذا. بدَّل الشعوب إلهتهم التي ليست بآلهة، وشعبي بدّل مجده بما لا فائدة فيه. فانذهلي أيّتها السماوات من هذا، وتزعزعي وارتجفي جدًّا، يقول الربّ، لأنّ شعبي صنع شرّين: تركوني أنا ينبوع الماء الحيّ، وذهبوا فحفروا لهم آبارًا، آبارًا مشقّقة لا تستطيع أن تُمسِك الماء» (إر ٢ : ١٠ـ ١٣). الآبار المشقّقة هي عبادة الصور والأصنام. إنذهلت السماوات لأنّهم سجدوا لجند السماء. ونالت السماء عقابًا، لأنّها ملفوفة كالدرج، ونُثر كلّ جندها على الأرض.

تشجيع الجماعة في الاضطهاد

٨ كتبت لك كلّ هذا الكلام السابق، يا عزيزي، بسبب تعيير اليهودي لأبناء شعبنا. والآن أبيّن لك حسب إدراكي، أنّ المضطهدين ينالون جزاء حسنًا، والمضطهِدين يكونون في الهَوان والاحتقار.

٩ إضطُهد يعقوب، واضطَهده عيسو. نال يعقوب البركات والبكوريّة، ورُذل عيسو من هذه وتلك. إضطُهد يوسف، واضطَهده إخوته، فارتفع يوسف وسجد له الذين اضطهدوه، وتمّت أحلامه ورؤاه.

يوسف ويسوع

يوسف المضطهَد صورة ليسوع المُضطهَد. يوسف ألبسه أبوه قميصًا بأكمام، ويسوع ألبسه أبوه جسدًا من البتول. يوسف أحبّه أبوه أكثر من إخوته، ويسوع هو حبيب أبيه وعزيزه. يوسف رأى رؤىً وحَلم أحلامًا، ويسوع أتمّ الأحلام والنبوءة. يوسف كان راعيًا مع إخوته، ويسوع ربّ الرعاة. حين أرسل يوسف أبوه ليفتقد إخوته، رأوه آتيًا فخطّطوا لقتله. ويسوع أرسله أبوه ليزور إخوته فقالوا: هذا هو الوارث تعالوا نقتله. يوسف رماه إخوته في الجبّ، ويسوع أنزله إخوته بين الموتى. يوسف صعد من الجبّ، ويسوع قام من بين الموتى.

بعد أن صعد يوسف من الجبّ، تسلّط على إخوته، وبعد أن قام يسوع من بين الموتى، وهب له أبوه اسمًا أعظم وأفضل، ليُخضع له إخوته ويجعل أعداءه تحت قدميه. حين عرّف يوسف إخوته بنفسه، خجلوا وخافوا واندهلوا من عظمته. وعندما يأتي يسوع في الأيّام الأخيرة، ليتجلّى في عظمته، سيخجل ويخاف ويرتعد إخوته الذين صلبوه. بيع يوسف إلى مصر بناءً على نصيحة يهوذا، وأسلم يسوع إلى اليهود بيدي يهوذا الإسخريوطيّ. حين باع يوسف إخوته، لم يقل لهم كلمة، ويسوع لم يتكلّم ولم يقل كلمة للقضاة الذين حكموا عليه. يوسف أسلمه سيّده ظلمًا إلى السجن، ويسوع حكم عليه أبناء شعبه ظلمًا. سلّم يوسف ثوبيه، واحدًا بيد إخوته، والآخر في يد امرأة سيّده، ويسوع سلّم ثيابه، فاقترع عليها الجند. كان يوسف ابن ثلاثين سنة، حين قام أمام فرعون وصار سيّد مصر. ويسوع قارب عمره الثلاثين سنة (لو ٣: ٢٣)، حين أتى الأردنّ ليعتمد، وقَبِلَ الروح وخرج للكرازة. يوسف أطعم المصريّين خبزًا، ويسوع أطعم العالم كلّه من خبز الحياة. أخذ يوسف بنت الكاهن النجس والمشرك، وقرّب يسوع إليه الكنيسة من الشعوب النَجِسة. مات يوسف

وقُبر في مصر، ومات يسوع وقُبر في أورشليم. أصعد إخوة يوسف عظامه من مصر، ويسوع قام من بين الموتى، وأصعد معه جسده بلا فساد إلى السماء.

موسى ويسوع

١٠ واضطُهد موسى أيضًا كما اضطُهد يسوع

حين وُلد موسى خبّأوه من مُضطهِديه لئلا يقتلوه. وحين وُلد يسوع هرَّبوه إلى مصر، لئلا يقتله هيرودس مُضطهِده. في الأيّام التي وُلد فيها موسى، كانوا يُغرقون الأطفال في النهر، وفي ميلاد يسوع قُتِل الأطفال في بيت لحم وجوارها. لموسى قال الله: مات الرجال الذين يطلبون نفسك (خر ٤: ١٩)، وليوسف قال الملاك في مصر: قم وخذ الصبيّ واذهب إلى أرض إسرائيل. فقد مات الذين يطلبون نفس الصبيّ ليُهلكوه (مت ٢: ٢٠). أخرج موسى شعبه من عبوديّة فرعون، وخلّص يسوع الشعوب من عبوديّة الشيطان. تربّى موسى في بيت فرعون، وتربّى يسوع في مصر، حين هرب به يوسف إلى هناك. وقفت مريم على حافّة النهر، حين طاف موسى فوق الماء، وولدت مريم يسوع، حين بشّرها الملاك جبرائيل.

حين ذبح موسى الحمل، قُتل أبكار المصريّين، ويسوع صار الحمل الحقيقيّ حين صلبوه. بموته مات الشعب القاتل. أنزل موسى المنّ لشعبه، ويسوع وهب جسده للشعوب. حلّى موسى المياه المرّة بخشبة، ويسوع حلّى مرارتنا حين صُلب على خشبة. أنزل موسى الشريعة لشعبه، ويسوع وهب عهوده للشعوب. قهر موسى عماليق بمدّ يديه، وقهر يسوع الشيطان بعلامة صليبه. أخرج موسى المياه من الصخر لشعبه، وأرسل يسوع سمعان الصخر (بطرس) ليحمل تعليمه

إلى الشعوب. أنزل موسى الحجاب عن وجهه، فتكلّم الله معه، وانتزع يسوع الحجاب عن وجه الشعوب، ليسمعوا تعليمه ويقبلوه. وضع موسى يده على رُسله، فقبلوا الكهنوت، ووضع يسوع يده على رسله، فنالوا الروح القدس. صعد موسى الجبل ومات هناك، وصعد يسوع إلى السماء وجلس عن يمين الآب.

يشوع ويسوع

١١ واضطُهِدَ يشوع بن نون، كما اضطُهِدَ يسوع مُخلّصنا.

إضطهدت الشعوب النجسة يشوع بن نون، واضطهد الشعب الجاهل يسوع مخلّصنا. أخذ يشوع بن نون الميراث من مُضطهديه وأعطاه لشعبه، ويسوع مخلّصنا أخذ الميراث من مضطهديه، ووهبه للشعوب الغريبة. يشوع بن نون أوقف الشمس والقمر، فانتقم من الشعوب التي اضطهدته، ويسوع مخلّصنا غيّب الشمس في وسط النهار، ليخجل الشعب المضطهد الذي صلبه. يشوع بن نون وزّع الميراث لشعبه، ويسوع مخلّصنا وعد أن يُعطي الشعوب أرض الحياة. يشوع بن نون مَنح الحياة لراحاب الزانية، ويسوع مخلّصنا جمع الكنيسة الزانية ومنحها الحياة. يشوع بن نون ضرب في اليوم السابع أسوار أريحا ودمّرها، وفي يوم يسوع مخلّصنا السابع، في سبت راحة الله، سيحلّ العالم ويسقط (عب ٤ : ٨). يشوع بن نون رجم عاكان الذي سرق ما هو محرّم، ويسوع مخلّصنا فصل يهوذا عن التلاميذ رفاقه، لأنّه سرق من كيس المساكين. حين مات يشوع بن نون سلّم الشهادة إلى شعبه (يش ٢٤ : ٢٢ي)، وحين صعد يسوع مخلّصنا سلّم الشهادة إلى رسله (مر ١٦ : ١٤؛ مت ٢٨ : ١٨ي).

يفتاح ويسوع

١٢ واضطُهِدَ أيضًا يفتاح كما اضطُهِدَ يسوع.

يفتاح طرده إخوته من بيت أبيه، ويسوع طرده إخوته ورفعوه صلبًا. إضطهِدَ يفتاح فصار رئيسًا لشعبه، واضطُهد يسوع فقام وصار ملكًا على الشعوب. نذر يفتاح نذرًا، وأصعد ابنته البكر قربانًا، ويسوع ارتفع قربانًا لأبيه من أجل كلّ الشعوب.

داود ويسوع

١٣ واضطُهِدَ داود أيضًا كما اضطُهِدَ يسوع.

مُسِحَ داود على يد صموئيل، ليكون ملكًا عوض شاول الذي أخطأ، ومُسِحَ يسوع، ليكون كاهنًا عظيمًا عوض الكهنة الذين تعدّوا على الناموس. إضطُهِدَ داود بعد أن مُسِحَ، واضطُهِدَ يسوع بعد أن مُسِحَ. ملك داود أوّلًا على سبْطٍ واحد فقط، ومن بعد ذلك على كلّ إسرائيل، وملك يسوع أوّلًا على القلّة التي آمنت به، وفي آخر الأيّام سيملك على العالم كلّه. كان داود ابن ثلاثين سنة حين مسحه صموئيل، وكان يسوع بعمرٍ يقارب الثلاثين سنة حين قبِل وضع يد يوحنّا. أخذ داود ابنتي ملكٍ نساءً له، وأخذ يسوع ابنتي الملوك، جماعة الشعب وجماعة الشعوب. جازى داود بالخير عدوّه شاول، ويسوع علّمنا: «صلّوا لأجل أعدائكم» (لو ٦ : ٢٨).

كان داود بحسب قلب الله (١ صم ١٣ : ١٤)، ويسوع كان ابن الله. إقتبل داود مملكة شاول مُضطَهِدَه، واقتبل يسوع مملكة شعب إسرائيل مضطهِده. بكى داود وولول على شاول عدوّه حين مات، وبكى يسوع على أورشليم مُضطهدته لأنّها ستُخرّب. سلّم داود الملك إلى سليمان، وانضمّ إلى شعبه، وسلّم يسوع المفاتيح إلى سمعان،

وصعد ذاهبًا إلى مرسله. بسبب داود غُفرت خطايا أبنائه، وبسبب يسوع غُفرت الخطايا للشعوب.

إيليّا ويسوع

١٤ واضطُهِدَ إيليّا أيضًا كما اضطُهِدَ يسوع.

إيليّا اضطهدته إيزابيل القاتلة، ويسوع اضطهدته الجماعة المضطهدة والقاتلة. إيليّا منع السماء من المطر بسبب خطايا إسرائيل، ويسوع منع بمجيئه الروح عن الأنبياء بسبب خطايا شعبه. إيليّا قتل عُبَّاد البعل، ويسوع داس الشيطان وقُوّاته. إيليّا أحيا ابن الأرملة، ويسوع أحيا ابن الأرملة مع لعازر وابنة رئيس المجمع. إيليّا أطعم الأرملة من خبزٍ قليل، ويسوع أشبع الألوف من خبزٍ قليل. إيليّا صعد في مركبة إلى السماء، ومخلّصنا صعد وأقام من عن يمين أبيه. قَبِلَ أليشاع روح إيليّا، ويسوع نفخ الروح على وجه رسله.

أليشاع ويسوع

١٥ واضطُهِدَ أيضًا أليشاع كما اضطُهِدَ يسوع.

إضطُهد أليشاع على يد ابن آحاب، ابن القاتل، واضطهد يسوع الشعب القاتل. تنبّأ أليشاع في السامرة، وقال يسوع: «مَن يأكل من جسدي ويشرب من دمي يحيا إلى الأبد» (يو ٦: ٥٥، ٥٩). أشبع أليشاع مئة رجل من خبز قليل، ويسوع أشبع أربعة آلاف من خمس خبزات، ما عدا النساء والأولاد. صنع أليشاع الزيت من الماء، وصنع يسوع الخمر من الماء. خلّص أليشاع امرأة من دائنها، وخلّص يسوع الشعوب من دَينِها. جعل أليشاع الحديد يطوف على الماء وغرّق الخشب، ويسوع رفع طبيعتنا وغرّق أدناسنا. أقام أليشاع ميتًا واحدًا على عظامه، وعلى عظام يسوع التي رُميت، عاد إلى الحياة كلّ

الشعوب الذين ماتوا في خطاياهم.

حزقيا ويسوع

١٦ واضطُهِدَ حزقيا أيضًا كما اضطُهِدَ يسوع.

إضطُهد حزقيا وأهانه سنحاريب عدوّه، وأهان يسوع الشعب الجاهل. صلّى حزقيا فانتصر على عدوّه، وبصلب يسوع قهر عدّونا. كان حزقيا ملك إسرائيل، وكان يسوع ملك كلّ الشعوب. مرض حزقيا فتراجعت الشمس إلى الوراء، وتألّم يسوع فأظلم نور الشمس. أعداء حزقيا صاروا جثثًا ميتة، وأعداء يسوع سقطوا تحت رجليه. كان حزقيا من نسل بيت داود، ويسوع كان بن داود بالجسد. قال حزقيا: «يكون السلام والحقّ في أيّامي» (٢ مل: ٢: ١٩). وقال يسوع لتلاميذه: «سلامي أتركه لكم» (يو ١٤: ٢٧). صلّى حزقيا فشفي من مرضه، وصلّى يسوع فقام من بين الأموات. من بعد أن قام حزقيا من مرضه عاد فعاش سنوات، ويسوع من بعد قيامته نال مجدًا عظيمًا. بعد هذه الزيادة سُلِّم حزقيا إلى سلطان الموت، ويسوع من بعد أن قام لن يتسلّط الموت عليه من بعد (روم ٦: ٩).

يوشيا ويسوع

١٧ واضطُهِدَ يوشيا أيضًا كما اضطُهِدَ يسوع.

إضطَهَدَ يوشيا فرعون الأعرج وقتله، واضطَهَد يسوع الشعب الذي عرج بخطاياه وقتله. طهّر يوشيا أرض إسرائيل من النجاسة، وطهّر يسوع كلّ الأرض، وأزال عنها النجاسة. أكرم يوشيا اسم إلهه ومجّده، ويسوع قال: «مجّدتك وسوف أمجّدك» (يو ١٢: ٢٨). بسبب إثم إسرائيل مزّق يوشيا ثيابه، وبسبب إثم الشعب، مزّق يسوع حِجاب الهيكل المقدّس. قال يوشيا: «عظيم هو الغضب الذي يأتي

على هذا الشعب» (٢ مل ٢٢: ١٣). وقال يسوع: «سيأتي الغضب على هذا الشعب، فيسقطون بحدّ السيف» (لو ٢١: ٢٣ـ ٢٤). أخرج يوشيا النجاسة من الهيكل المقدّس، وأخرج يسوع التجّار الدنسين من بيت أبيه (يو ٢: ١٣ـ ١٧). على يوشيا ناحت وولولت بنات إسرائيل، كما قال إرميا: «يا بنات إسرائيل، إبكين على يوشيا» (٢ أخ ٣٥: ٢٥). وعلى يسوع بكت وناحت بنات إسرائيل، كما قال زكريّا (١٢: ١٢): «لتنتحب الأرض عشيرةً بعد عشيرة».

دانيال ويسوع

١٨ واضطُهِدَ دانيال أيضًا كما اضطُهِدَ يسوع.

إضطُهِدَ دانيال على يد الكلدانيّين، جماعة الرجال الأشرار، واضطُهِدَ يسوع على يد اليهود جماعة الرجال الأثمة. وَشَى الكلدانيّون بدانيال، ووَشَى اليهود بيسوع أمام رئيس المجمع. رموا دانيال في جبّ الأسود، فنجا وصعد من داخله ولم يصب بأذى. وأنزلوا يسوع إلى جبّ الموتى، فصعد ولم يتسلّط عليه الموت. تأمّلوا أنّه حين يسقط دانيال في الجبّ لن يصعد أبدًا. وقالوا على يسوع: «الآن وقد سقط لن يعود يقوم» (مز ٤١: ٩). عن دانيال أُغلِق فم الأسود الشرهة والمفسدة، وعن يسوع أُغلق فم الموت الشره الذي يفسد كلّ صورة. ختموا الجبّ على دانيال وحرسوه باعتناء، وحرسوا قبر يسوع باعتناء كما قالوا: «مُر ليُحرَس القبر» (مت ٢٧: ٤٦).

حين صعد دانيال خجل الواشون، وحين قام يسوع خجل كلّ صالبيه. الملك الذي حكم على دانيال حزن كثيرًا، لأنّ الكلدانيّين وشوا به ظلمًا، وبيلاطس الذي حكم على يسوع حزن جدًّا، لأنّه علم أنّ اليهود وشوا به ظلمًا. بصلاة دانيال صعد شعب المَسبيّين من بابل،

وصلّى يسوع فأعاد من السَبْي كلّ الشعوب. فسّر دانيال لنبوكدنصّر رؤاه وأحلامه، وفسّر يسوع وشرح رؤية التوراة والأنبياء. حين فسّر دانيال لبلطشصر رؤياه، نال السلطة الثالثة في المملكة. وحين أتمّ يسوع الرؤى والنبوءات، سُلِّم إليه كلّ سلطان في السماء والأرض (مر ١٥: ١٠). رأى دانيال أشياء مذهلة، وقال أمورًا سرّيّة، ويسوع كشف الخبايا وتمّم ما كُتب.

إقتادوا دانيال رهينة عِوَض شعبه، وكان جسد يسوع رهينة عن كلّ الشعوب. بسبب دانيال هدأ غضب الملك عن الكلدانيّين فلم يُقتلوا، وبسبب يسوع هدأ غضب أبيه عن كلّ الشعوب، فلم يقتلوا ولم يموتوا بسبب خطاياهم. طلب دانيال من الملك، فسلّط إخوته على أمور مدينة بابل، وطلب يسوع من الله، فسلّط إخوته التلاميذ على الشيطان وجيشه. قال دانيال على أورشليم: تبقى خربةً حتّى الوقت المحدّد. وقال يسوع عن أورشليم: «لن يبقى فيها حجر على حجر، لأنّها لم تعرف يوم عظمتها» (لو ١٩: ٤٤). رأى دانيال الأسابيع التي ستمرّ على شعبه، ويسوع أتى فتمّم.

حنانيا وإخوته ويسوع

١٩ واضطُهِدَ أيضًا حنانيا وإخوته، كما اضطُهِدَ يسوع.

إضطُهِدَ حنانيا وإخوته على يد نبوكدنصّر، ويسوع اضطَهَدَه شعب اليهود. حنانيا وإخوته سقطوا في أتون النار، ولأنّهم كانوا أبرارًا، صارت النار باردة كالندى. ونزل يسوع إلى موضع الظلمة، فحطّم أبوابه وأخرج محبوسيه. حنانيا وإخوته صعدوا من أتون النار، وأحرق اللهيب أولئك الذين وَشَوا بهم. ويسوع الحيّ صعد من داخل الظلمة، فاحترق باللهيب إلى الأبد الذين وَشَوا به وصلبوه. حين

صعد حنانيا وإخوته من الأتون، ارتعد نبوكدنصّر وخاف. وحين قام يسوع من بين الموتى، أخذت الرهبة الشعب الذي صلبه وارتعد. لم يسجد حنانيا وإخوته لصنم ملك بابل، ويسوع منع الشعوب من السجود للأصنام الميتة. من أجل حنانيا وإخوته، سبّحت الشعوب والألسنة الإله الذي خلّصهم من النار. ومن أجل يسوع، تُسبّح الشعوب وكلّ الألسنة ذلك الذي نجّى ابنه فلم ير فسادًا. لم تتسلّط النار على لباس حنانيا وإخوته، ولن تتسلّط النار في الآخرة على الأبرار الذين آمنوا بيسوع.

مردخاي ويسوع

٢٠ واضطُهِدَ مردخاي أيضًا كما اضطُهِدَ يسوع.

إضطُهِدَ مردخاي على يد هامان الشرّير، واضطُهِدَ يسوع على يد الشعب المُعاند. نجّى مردخاي بصلاته شعبه من يد هامان، ونجّى يسوع بصلاته شعبه من يد الشيطان. نجا مردخاي من يد مُضطهِدِه، ونجا يسوع من يد مُضطهديه. جلس مردخاي ولبس المسح، فخلّص أستير وشعبه من الهلاك، ولبس يسوع الجسد وتواضع، فخلّص الكنيسة وبنيها من الموت. من أجل مردخاي حَسُنَت أستير في عين الملك، فدخلت وجلست مكان وشتي التي لم تعمل إرادته. ومن أجل يسوع حَسُنَت الكنيسة(٣) في عين الله، فدخلت على الملك بدل المجمع(٣) الذي لم يعمل إرادته. نبّه مردخاي أستير لتصوم هي وجواريها، لتنجو من يد هامان هي وشعبها. ونبّه يسوع كنيسته وأبناءها، لتنجو من الغضب هي وبنوها. قَبِلَ مردخاي الإكرام من هامان مُضطهده، وقَبِلَ يسوع المجد العظيم من أبيه، بدل الاضطهاد الذي لقيه من الشعب الجاهل. مشى مردخاي على رقبة هامان مُضطهده، وجعل يسوع أعداءه تحت قدميه. أمام مردخاي نادى

هامان: «هكذا يُصنع للرجل الذي يريد الملك أن يُكرّمه» (أس ٦ : ١١). وخرج المنادون بيسوع، من الشعب الذي اضطهده، وقالوا: «هذا هو يسوع ابن الله» (مت ٢٧ : ٥٤). طُلِب دم مردخاي من يد هامان وبنيه، أمّا دم يسوع فناله مُضطهدوه عليهم وعلى أبنائهم.

كلام تعزية للجماعة

٢١ كتبت لك هذا، يا عزيزي، لأذكّرك أنّ يسوع اضطُهِد كما اضطُهِد الأبرار، ليتعزّى المُضطهَدون الذين يُضطهَدون بسبب يسوع المضطهَد، الذي كتب لنا وشجّعنا وقال: «إن اضطهدوني فسيضطهدونكم أيضًا، ولهذا يضطهدونكم لأنّكم لستم من العالم كما أنّي لست منه» (يو ١٥ : ٢٠، ١٩؛ ١٧ : ١٤). وكان قد كتب لنا من قبل: «سيُسلّمكم آباؤكم وإخوتكم وأقاربكم، فيُبغضكم كلّ إنسان من أجل اسمي» (لو ٢١ : ١٦_ ١٧). وعلّمنا أيضًا: «عندما يقدّمونكم أمام الولاة وأمام الحكّام وأمام الملوك الذين يتسلّطون على العالم، لا تفكّروا قبل الوقت ماذا تقولون وكيف تُجاوبون. فأنا أعطيكم فمًا وحكمة لا يقدر أعداؤكم على قهركم، لأنّكم لستم أنتم المتكلّمين، لكنّ روح أبيكم القدّوس هو يتكلّم فيكم» (لو ١٢ : ١١؛ ٢١ : ١٤_ ١٥؛ مت ٥ : ١٩_ ٢٠).

هذا الروح تكلّم بفم يعقوب مع عيسو مُضطهده. وروح الحكمة تكلّم أمام فرعون بفم يوسف المضطهد. والروح تكلّم بفم موسى في كلّ العجائب التي صنعها في أرض مصر. وروح المعرفة وُهِبَ ليشوع بن نون حين وضع موسى يده عليه، فبادت وهلكت من أمامه الأمم التي اضطهدته. والروح أنشد بفم داود المضطهد. وبه أنشد الروح، فأراح شاول مضطهده من الروح الشرّير. ولبس الروح إيليّا فوبّخ إيزابيل وآحاب مضطهدَه. وتكلّم الروح بأليشاع فتنبّأ وأعلم الملك مضطهده

ماذا سيحصل له بعد موته. والروح فار في فم ميخا، حين لام آحاب مضطهده، وقال له: «إن رجعت حقًّا، فهذا يعني أنّ الربّ لم يتكلّم فيّ» (١ مل ٢٢: ٢٨). والروح قوّى إرميا، فقام بجرأة ووبّخ صدقيا. والروح حفظ دانيال وإخوته في أرض بابل، والروح هو الذي خلّص مُردخاي وأستير في أرض سَبْيِهما.

لائحة الشهداء

٢٢ فاسمع، يا عزيزي، أسماء الشهداء والمعترفين والمضطهدين. هابيل قُتل فصرخ دمه من الأرض. يعقوب اضطُهِد فهرب وصار غريبًا. يوسف اضطُهِدَ وبيع وأُلقِي في الجبّ. موسى اضطُهِدَ وهرب إلى مديان. ويشوع بن نون اضطُهِد فأُجْبِرَ على الحرب. ويفتاح وشمشون وجدعون وباراق كلّهم اضطُهِدوا مع هؤلاء الذين قال عنهم الرسول الفاضل: «الزمن قصير لي لأروي مآثرهم» (عب ١١: ٣٢ي). وداود أيضًا اضطُهِدَ على يد شاول، فسار في الجبال والمغاور والوديان. وصموئيل أيضًا اضطُهِد وبكى على شاول. وحزقيا أيضًا اضطُهِد وسُجِن في الضيقات. وإيليّا اضطُهِدَ وسار في البرّيّة. وأليشاع اضطُهِد فصار غريبًا، وميخا اضطُهِد فأُلقي في السجن، وإرميا اضطُهِد فرموه في جبّ مُوحِل. ودانيال اضطُهِد فأُلقِيَ في جبّ الأسود. وحنانيا وإخوته اضطُهِدوا فأُلقوا في أتون النار. ومردخاي وأستير وأبناء شعبهما اضطُهِدوا على يد هامان. ويهوذا المكابي وإخوته اضطُهدوا فاحتملوا هم أيضًا العار. والإخوة السبعة أبناء الفاضلة، احتملوا العذابات وخضعوا لعِقاب مُرّ، فصاروا مُعترفين وشهداء حقيقيّين. وأليعازر الشيخ المسنّ صار نموذجًا صالحًا، فاعترف بالله وصار شهيدًا كاملاً.

٢٣ واستشهاد يسوع كان أعظم وأفضل استشهاد، ففاق بالضيق والاعتراف

كلّ الذين سبقوه أو جاؤوا بعده. ومن بعده الشهيد المؤمن إسطفان الذي رجمه اليهود، وسمعان وبولس كانا شهيدين كاملين، ويعقوب ويوحنّا سارا على خُطى معلّمهما يسوع المسيح. وبعد الرسل كان هنا وهناك أناس معترفون، وبرز شهداء حقيقيّون. فعند إخوتنا في الغرب وفي أيّام ديوكليتيانوس، كان ضيق عظيم واضطهاد لكلّ كنيسة الله في كلّ مناطقهم. دُمّرت كنائس واقتُلِعت، وشهد معترفون وشهداء كثيرون. ومن بعد أن ضُربوا، رجع الربّ إليهم بالرحمة. وفي أيّامنا تحدث هذه الأشياء من أجل خطايانا، ولكن ليتمّ ما كُتب كما قال مخلّصنا: «يجب أن يكون كلّ هذا» (مت ٢٤ : ٦؛ لو ٢١ : ٩). وكما قال الرسول: «علينا وضع هذا السحاب من الاعتراف[٤] (عب ١٢ : ١) الذي هو مجدنا وفيه سيعترف كثيرون ويموتون.

تمّت المقالة في الاضطهاد

الحواشي

(١) أي سنة ٣٤٣ ـ ٣٤٤.
(٢) النار والكبريت هما علامة إفناء الذين لن يكون لهم نصيب في الآخرة.
(٣) الكنيسة تدلّ على الشعب المسيحيّ، والمجمع يدلّ على الشعب اليهوديّ.
(٤) نقرأ في (عب ١٢ : ١): الجمع الغفير من الشهود.

في الموت والأزمنة الأخيرة

سُلطان الموت

١ المستقيمون والأبرار والصالحون والحكماء لا يخافون ولا يرهبون الموت، بسبب الرجاء العظيم الذي أمامهم. يتذكّرون في كلّ وقتٍ الموت كخروج، واليوم الأخير الذي فيه يُدان أبناء آدم.

يعرفون أنّه بسبب الحكم تسلّط الموت، لأنّ آدم تجاوز الوصيّة كما قال الرسول: «تسلّط الموت من آدم إلى موسى، حتّى على الذين لم يَخطأوا. هكذا انتقل إلى كلّ أبناء آدم، كما انتقل إلى آدم» (روم ٥: ١٤، ١٢). كيف تسلّط الموت من آدم إلى موسى؟ حين وضع الله الوصيّة لآدم، حذّره وقال له: «في اليوم الذي تأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ تموت موتًا» (تك ٢: ١٧). وحين تجاوز الوصيّة فأكل من الشجرة، تسلّط عليه الموت وعلى كلّ أولاده. أجل، تسلّط الموت حتّى على الذين لم يخطأوا، مُتجاوزين وصيّة آدم.

٢ ولماذا نقول: تسلّط الموت من آدم إلى موسى؟ أمّا قليل المعرفة، فيُفكّر هكذا: لم يتسلّط الموت إلّا من آدم إلى موسى! فليفهم ما قيل: إنتقل إلى كلّ البشر. إذًا انتقل إلى كلّ البشر، من موسى إلى نهاية العالم. ولكنّ موسى أعلن أنّ سُلطانه قد بطُل. فحين تجاوز آدم

الوصيّة التي أصدرت حكم الموت على أولاده، فكّر الموت بأنّه يسجن كلّ البشر، ويكون عليهم ملكًا إلى الأبد. وحين أتى موسى أعلن القيامة، فعرف الموت أنّ ملكوته بَطُل وانتهى. قال موسى: «ليحي رأوبين ولا يمُت، وليكن عدده محدودًا» (تث ٣٣: ٦). وحين دعا القدّوس موسى من العليقى، كلّمه هكذا: «أنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب» (خر ٣: ٦). ولمّا سمع الموت هذه الكلمة، ارتجف وخاف وارتعد وتبلبل، وعرف أنّه لن يكون مَلِكًا إلى الأبد على بني آدم. ومن ساعة سمع الموت أنّ الله قال لموسى: أنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، سقطت يداه، لأنّه عرف أنّ الله ملك الأموات والأحياء، وأنّ بني آدم سيخرجون من ظلمته ويقومون بأجسادهم. فتأمّل وردّد يسوع مخلّصنا أيضًا، هذه الكلمة للفرّيسيّين الذين جادلوه في بَعْثِ الموتى. فقال لهم: «ليس الله إله أموات، لأنّهم كلّهم يَحْيَون له» (لو ٢٠: ٣٨).

٣ ولكي يُعرِّف الله الموت أنّ سلطانه لن يكون مؤبّدًا على كلّ أولاد هذا العالم، نقل إليه أخنوخ الذي أرضاه، ولم يفعل الموت به شيئًا. ورفع أيضًا إيليّا إلى السماء، ولم يكن للموت من سُلطان عليه. قالت حنّة: «الله يُميت ويُحيي، يُنزل إلى الجحيم ويُصعِد (١ صم ٢: ٦). وقال موسى أيضًا بفم إلهه: «أنا أميت وأنا أحيي» (تث ٣٢: ٣٩). وقال أيضًا أشعيا النبيّ: «يحيا موتاك وتقوم جثثهم. ويستيقظ الراقدون في التراب ويسبّحونك» (٢٦: ١٩). وحين سمع الموت هذا كلّه، أخذه الذهل وجلس يبكي.

٤ وحين جاء يسوع قاتل الموت، لبس جسدًا من زرع آدم، وصلب بجسده وذاق طعم الموت. وحين أحسّ الموت أنّه نزل إليه، أخذ يرتجف في موضعه، ويضطرب لمّا رأى يسوع. فأوصد أبوابه وما

أراد أن يستقبله. حينئذ حطّم يسوع أبوابه ودخل وبدأ يسلبه مقتنياته. وحين رأى الموتى النور في الظلمة رفعوا رؤوسهم من سجن موتهم، وتطلّعوا فرأوا بهاء المَلِك المسيح. حينئذ جلست قوّات الظلمة تبكي، لأنّ الموت ذُلّ وحُرِم من سلطانه. ذاق الموت السمّ الذي يقتله، فتراخت يداه وعرف أنّ الموتى سيحيون ويُفلتون من عبوديّته. وحين أُجبر الموت على التجرّد من مقتنياته، ولول وصرخ بصوت كلّه مرارة، وقال ليسوع: «أُخرج من موضعي ولا تعد تدخل إليه. مَن هو هذا، ليَدخُل حيًّا إلى موضعي!» وأخرج الموت أصواتًا غريبة، إذ رأى أنّ الظلمة بدأت تنقشع، وأنّ الأبرار الراقدين قاموا ليصعدوا معه. وعرف أنّه حين يأتي في نهاية الزمن، يُخرج بسلطانه كلّ المحبوسين، فيخرجون إليه ليروا نوره. وحين أتمّ يسوع خدمته لدى الموتى، أفلته الموت من موضعه، ولم يتحمّل أن يبقى هنا. ولم يلذّ له أن يأكله كسائر الموتى، «كما لم يكن له سلطان على الطاهر، فلم يمسّه الفساد (مز ١٦: ١٠).

٥ وحين تركه يُفلت، ويخرج من موضعه، ترك عنده سُمًّا هو وَعْدُ الحياة بحيث يَبْطُل سُلطانه شيئًا فشيئًا. فهو كرجل أخذ سمًّا مُميتًا في الطعام الذي يعطيه الحياة حين يحسّ في نفسه أنّه أخذ في طعامه سمّ الموت يتقيّأ من بطنه الطعام الممزوج به سمّ الموت. أمّا السمّ فيترك قوّته في أعضائه، بحيث ينحلّ قوام الجسد شيئًا فشيئًا ويفسد. يسوع المائت يُبطل الموت، لأنّ به تملّك الحياة. به قُتِل الموت الذي قيل عنه: «أين ظفرك أيّها الموت» (١ كور ١٥: ٥٥).

تذكّروا الموت

٦ فمنذ الآن، يا أبناء آدم، يا مَن تسلّط الموت عليكم كلّكم، تذكّروا الموت، تذكّروا الحياة، ولا تتجاوزوا الوصيّة مثل أبينا الأوّل. أيّها

الملوك المُعتمرون التاج، تذكّروا الموت الذي ينزع التيجان الموضوعة على رؤوسكم، فيكون هو الملك عليكم إلى أن تقوموا في يوم الدين. أيّها المتجاهون والمفتخرون، تذكّروا الموت الذي يُفسد الجاه، ويحلّ الأعضاء ويفرّق المفاصل، فيخضع الجسد وبنيته للفساد. يُذَلّ المترفّعون في الموت، ويُطمَر المعاندون والقساة في الظلمة. يأخذ الموت لهم كلّ افتخار فيفسدون ويصيرون ترابًا إلى يوم الدين.

أيّها الأغنياء، تذكّروا الموت. فعندما يأتي الوقت وتصلون إلى هنا، لن تستعملوا الغنى والمقتنيات. لن يضع أحد أمامكم طعامًا لذيذًا، ولا يُهيِّئ لكم شرابًا شهيًّا. هناك يفسد جسد الذين عاشوا في النعمة والجاه. يُنزعون من النعمة فلا يعودون يذكرونها. هناك الدود يُنهي الجسد، وتُغطّي الظلمة ألبستهم الحسنة. لا يذكرون شيئًا البتة من هذا العالم، لأنّ الموت بلبلهم حين نزلوا إليه. ويجلسون في الحزن وظلال الموت، ولا يتذكّرون هذا العالم إلى أن تأتي الآخرة ويقوموا للدين.

أيّها الخاطفون والظالمون الذين تحرمون رفاقكم، اذكروا الموت ولا تُكثروا خطاياكم، لأنّ في هذا الموضع لا يقدر أن يتوب الخاطئون. فالذي خَطفَ ما لرفيقه، لا يتمتّع بما هو له، ويذهب إلى موضع لا يستعمل فيه أحد الغنى. فيزول ويُحرم من كرامته، وتُحفظ خطاياه ليوم الدين.

٧ يا أيّها المتكلّمون على هذا العالم، ليُصبح هذا العالم محتقرًا في عيونكم، لأنّكم فيه لاجئون وغرباء، ولا تعرفون اليوم الذي فيه تخرجون منه.

عمل الموت

يأتي الموت فجأة فيفصل الأبناء والأحبّاء ويأخذهم من والديهم. يفصل الآباء عن الأبناء الأعزّاء، يأخذ إليه الابن الوحيد الغالي، ويحرم منه والديه فيلحقهما الاحتقار. يفصل الصديق العزيز فيبكيه أصدقاؤه مُكتئبين. يأخذ ويحبس عنده أصحاب الجمال المرغوب، فيشوّه صورتهم ويُفسدها. ويأخذ إليه المنظر البهيّ، فيصبح ترابًا إلى يوم الدين. ويأخذ العروس من العريس ويحبسها في خِدْره، في مكان مظلم ويأخذ العريس ويفصله عن الصبيّة التي كانت معدّة له ومخطوبة على اسمه، فتبقى بسببه في حزن مرير. ويفصل ويأخذ إليه كلّ صبي جميل، يفكّر أنّه لن يرى الموت قبل الشيخوخة. يأخذ ويجمع إليه الأولاد المعدوديّ الأيّام الذين أحبّهم والدوهم وما شبعوا منهم. يأخذ إليه الأغنياء العائشين بالجاه، فيتركون ثروتهم كأمواج البحر. يأخذ إليه الحاذقين الماهرين الذين يرفعون العالم بأعمالهم المُذهلة. يأخذ إليه الماهرين والحكماء، فيصبحون جهلة لا يميّزون الخير من الشرّ. يأخذ إليه العائشين في البذخ في هذا العالم، ويبدّد أموالهم فلا يقتنونها إلى الأبد. يأخذ إليه الأقوياء والجبابرة، وتضعف قوّتهم وتتراخى وتزول. والذين اتّكلوا على قواهم، حاسبين أنّها لن تخذلهم، يُحنّط أجسامهم، في يوم الموت، مَن هم أضعف منهم. والذين انتظروا أن يقدَّم إليهم الإكرام في موتهم، يحصل أن تأكلهم الكلاب. والذين انتظروا أن يُدفَنوا في أرض ولدوا فيها، لا يعرفون إن كانوا سيحنَّطون باحتقار في أرض منفاهم. والذين انتظروا أن يُورثوا أبناءهم ثروتهم، خفي عليهم أنّ أعداءهم سيسرقونها.

يأخذ الموت إليه الشجعان والمحاربين الذين يفكّرون أن يخرّبوا قسمًا كبيرًا من العالم. يأخذ الموت الذين تزيّنوا بكلّ الإغراءات، فيحصل لهم أن يُدفنوا دفنة الحمار. يسود الموت على الذين لم يولدوا، ويحبسهم

عنده قبل أن يولدوا. يأخذ الموت إليه أكرم الناس جاهًا، فيصيرون في الذلّ حين ينزلون إليه في موضع الظلمة الذي لا نور فيه. لا يخجل من الملوك المعتمرين التاج، ولا يتأثّر بالعظماء الذين يدمّرون المناطق. لا يحابي الموت الوجوه ولا يقبل رشوة من الأغنياء، ولا يُهمل الموت المساكين، ولا يكره مَن ليس له شيء. لا يُوقّر الموت الذين يعيشون بالجاه، ولا يُميّز بين الأخيار والأشرار. لا يحسب حساب كرامة للشيوخ أكثر من الشبّان، ويجعل أمراء المعرفة كأن لا عقل لهم. والذين يقتنون المقتنيات فيركضون ويتعبون فيكونون هناك عنده عراةً من ثرواتهم. يأخذ إليه بالتساوي، العبيد وأسيادهم، وهناك لا يُكرَّم الأسياد أكثر من عبيدهم. الصغير والعظيم هما هناك، ولن يُسمع صوت المنادي على العبيد. لا يَحسب الموت حساب العبد الذي حرّره سيّده، أكثر من الذي ظلّ عبدًا. والموت يُقيّد ويسجن عنده حارسيّ السجون والمطروحين في الحبوس. بسبب الموت يُحرَّر المسجونون، ولن يعودوا يخافون صوت المنادي على العبيد.

٨ يخاف المتجاهون من الموت، وينتظر المتضايقون أن يأخذهم على عجل. كلّ الأغنياء يرتعدون من الموت، ويرغب فيه المساكين بحرارة ليستريحوا من تعبهم. الموت يُرهب الأقوياء حين يتذكّرونه، وينتظره المرضى لينسوا آلامهم. يخاف من الموت الأطفال المعدودو الأيّام، لأنّهم عندما يأتيهم يتركون حياتهم المترفة، ويُصلّي إليه الشيوخ المُسنّون الذين يحتاجون إلى خبزهم اليوميّ.

الموت والأبرار

٩ يتذكّر الموتَ المسالمون، فيتركون الغضب ويتجاوزون العداوة. «يسكنون في هذا العالم كغرباء» (عب ١١: ١٣). ويهيّئون الزاد أمامهم. «يتأمّلون في ما هو فوق، ويلهجون بما هو فوق، وتحتقر

عيناهم كلّ ما هو تحت» (كو ٣: ١ـ ٢). «يُرسِلون كنوزهم إلى مكان لا خطر فيه، حيث لا السوس ولا السارقون» (مت ٦: ١٩ـ ٢٠). يسكنون في هذا العالم كلاجئين، كأبناء أرض بعيدة، وينتظرون أن يُرسلوا من هذا العالم، ويذهبوا إلى المدينة إلى منطقة الصدّيقين. يغتمّون على نفوسهم في أرض منفاهم ولا يريدون أن يُفلتوا أو يبقوا في أرض غُربتهم. يرفعون وجوههم، يومًا بعد يوم، ليذهبوا إلى راحة آبائهم. هم كالأسرى في هذا العالم، وكالرهائن يُمسكهم مَلِك. لا راحة لهم إطلاقًا في هذا العالم، لأنّ لا رجاء فيه يدوم. إذا اقتنوا ثروة لا يفرحون بها، وإن ولدوا بنين يضربهم الموت، وإن بنوا مدائن لا يُتركون فيها. يركضون ويتعبون لشيء لا يُميّزهم عن الجهّالِ. فيا أيّها الإنسان الفاقد اللبّ لماذا تتّكل على هذا العالم؟

١٠ تذكّر، يا عزيزي، وزِنِ الأمور وتأمّل في ضميرك. مَن من الأجيال السابقة تُرك في هذا العالم ليدوم إلى الأبد؟ أخذ الموت الأجيال السابقة، الجبابرة والأقوياء والماهرين. مَن اقتنى ثروات كثيرة وحين خرج أخذها معه؟ ما جُمع من الأرض يعود إلى الأرض، ويخرج الإنسان عريانًا من مُقتناه. الحكماء الذين يملكون الثروات يرسلونها أمامهم كما يقول أيّوب: «شهودي هم في السماء» (١٦: ١٩). ويقول: «إخوتي وأحبّائي هم قُرب الله» (أي ١٦: ٢٠). وأمر ربّنا الذين يملكون المقتنيات «أن يصنعوا لهم بها أصدقاء في السماء حيث يضعون أيضًا كنوزهم» (لو ١٦: ٩؛ ١٢: ٣٣).

١١ وتذكّر الموت أيّها الكاتب الحكيم فلا يترفّع قلبك وتنسى الحكم. الموت لا يترك الحكماء ولا يحابي الماهرين. يأخذ الموت إليه الكتبة الحكماء فينسون ما تعلّموه إلى أن يأتي وقت يقوم فيه كلّ الأبرار.

مكان الأبرار

١٢ في هذا المكان، ينسى الأبرار هذا العالم، ولا حاجة بهم إليه. يحبّون كلّ واحد بمحبّة فائضة، «وليس في أجسادهم ثِقَل بحيث يطيرون سريعًا بخفّة الحمام إلى كواهم» (أش ٦٠ : ٨). وهناك لا يتذكّرون الشرّ إطلاقًا في عقولهم، ولا يخطر على بالهم أيّة نجاسة. لا رغبة طبيعيّة لهم في هذا المكان، وهناك يفطمون من كلّ الرغبات. لا يخطر على بالهم الغضب ولا الفسق، وكلّ ما يلد الخطايا يتعدّاهم. يفور فيهم حبّ بعضهم، ولا يقبع فيهم البغض إطلاقًا. لا يحتاجون هناك إلى بيت يبنونه، لأنّهم يُقيمون في النور، في ديار القدّيسين. لا يحتاجون إلى لباس منسوج، لأنّهم يتجلببون بالنور الأبديّ. لا يحتاجون إلى طعام، لأنّهم يجلسون إلى المائدة ويقتاتون منها إلى الأبد. الهواء هناك شهيّ بهيّ، والنور يشعّ بهيًا فتّانًا. زُرعت هناك أشجار جميلة، ثمرها لا ينقطع وورقها لا يسقط، وأغصانها وارفة ورائحتها عذبة، وطعمها لا تملّ منه النفس إلى الأبد. المكان واسع وغير محدود، ويقدر سكّانه أن يروا ما هو بعيد وما هو قريب. هناك لا يُقسم الميراث ولا يقول أحد لرفيقه: هذا لي وهذا لك. لا يؤسرون بالرغبة الجامحة، ولا تقع الذاكرة في ضلال. لا يحبّ الواحد رفيقه بخوف كثير بل يحبّون بعضهم بعضًا باندفاع وبشكل واحد. لا يأخذون هناك نساء ولا يلدون بنين. هناك لا يميِّز الذكر عن الأنثى، بل يكونون كلّهم أبناء الآب السماويّ كما قال النبيّ: «أليس لنا كلّنا أب واحد، أوليس إله واحد خلقنا» (ملا ٢ : ١٠)؟

١٣ قلت لك إنّهم هناك لا يأخذون امرأة، ولا يُميّز الأنثى عن الذكر. فربّنا وتلميذه علّمانا ذلك. قال ربّنا: «الذين يستحقّون هذا العالم وهذه القيامة من بين الأموات لا يأخذون نساء، ولا تكون النساء لرجال

لأنّهم لا يقدرون أن يموتوا، بل يكونون كالملائكة الذين في السماء وأبناء الله» (لو ٢٠: ٣٥_٣٦). وقال الرسول: «لا ذكر ولا أنثى، لا عبد ولا حرّ، بل كلّكم واحد بيسوع المسيح» (غل ٣: ٢٨).

فحوّاء فصلها الله عن آدم من أجل الإيلاد لتكون أمّ كلّ حي. ولكن في ذلك العالم ليس من أنثى، كما أنّه ليس من أنثى في السماء، ولا إيلاد ولا استعمال الرغبة. في ذلك المكان ما من حاجة إلى شيء، بل يكون كلّ شيء بكمال وتمام. الشيوخ لا يموتون، والشبّان لا يشيخون. يعتبر الشبّان أنّهم يشيبون ويموتون فيأخذون نساء ويلدون أبناء، بحيث إنه حين يموت الآباء يقوم الأبناء مكانهم. هذه كلّها مستعملة في هذا العالم. أمّا في ذلك المكان، فلا حاجة ولا فقر ولا رغبة، ولا إيلاد ولا نهاية ولا دمار، ولا موت ولا انتهاء ولا شيخوخة، ولا بغض ولا غضب ولا حسد، ولا شقاء ولا تعب ولا ظلمة، ولا ليل ولا كذب. في ذلك المكان لا حاجة إطلاقًا، ولكنّ ذلك المكان مليء بالنور والحياة، والملء والشبع والفرح، والرحمة وكلّ المواعيد الصالحة التي كتبت والتي لم يشر إليها.

هناك ما لم تره عين ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر (١ كور ٢: ٩). شيء لا نستطيع أن نتكلّم عنه ولا يقدر الإنسان أن يقوله. قال الرسول: «ما هيّأه الله للذين يحبّونه». وإن أكثر البشر الكلام لا يقدرون أن يقولوا ما لم تره عين ولا يستطيعون أن يخبروا به، وما لم تسمعه أذن هل يشبه ما سمعته الأذن ورأته العين. لا يقدرون أن يقولوه. وما لم يخطر على القلب، مَن يتجرّأ أن يتكلّم عنه؟ هل يُشبه ما يخطر على القلب. ويليق بالخطيب أن يستعمل التشابيه، فيدعو هذا المكان مسكن الله وموضع الحياة، وموضع الكمال وموضع النور وموضع البهاء، سبت الله ويوم الراحة، وراحة

الصدّيقين وعذوبة الأبرار، ومسكن الأبرار وديار الصدّيقين، وموضع رجائنا وبيت اتّكالنا القويّ، وموضع كنزنا والموضع الذي يمحو تعبنا، ويُزيل ضيقاتنا ويُطفىء نُواحنا. يجب أن نعود إلى هذه التشابيه لنسمّي هذا المكان.

عودة إلى الموت

١٤ ويأخذ الموت أيضًا، الملوك الذين يقيمون في المدن ويتقوّون بالجاه، ولا يتركونه لأسياد المقاطعات. يأخذ الموت ويسبي إليه الطمّاعين الذين لا يشبعون ولا يقولون: كفى. فهو أكثر طمعًا من هؤلاء الطمّاعين. ويأخذ الموت إليه السالبين، والذين لم يمنعوا نفوسهم من سلب رفاقهم بلا رحمة. ويأخذ الموت إليه الظالمين فيمنعون من الظلم بسبب الموت. ويأخذ الموت إليه المضايقين، وحين يذهبون إليه يرتاحون. ويأخذ الموت إليه الذين يبتلعون رفاقهم، وحين يؤخذون ويذهبون إلى هناك، يرتاح المضايَقون والمظلومون. ويأخذ الموتى المشاريع الكثيرة، فينحلّ ويبطل ما فكّرنا به. يفكّر الناس بأمور كثيرة، ويأتي عليهم الموت فجأة، فيأخذها ولا يعودون يذكرون ما فكّروا فيه. هناك إنسان يفكّر لسنين عديدة، ولكنّ هذا ممنوع عليه لأنّه غدًا لن يكون. يترفّع الإنسان ويتشامخ على رفيقه ويأتي عليه الموت فيُبْطِل تشامخه. يحسب الغنيّ كيف يزيد ثروته، ولا يعرف هل يبقى له ما يقتنيه الآن. يأخذ الموت إليه كلّ البشر، ويحبسهم في دياره إلى يوم الدين. حتّى على الذين لم يخطأوا تسلّط الموت، بسبب الحكم الذي ناله آدم بخطاياه.

القيامة والدينونة

١٥ ويأتي مُحيينا قاتل الموت ومُبطل سلطانه عن الأبرار والأشرار، فيقوم

الموتى بصوت قويّ، فيُسلب الموت ويُنزع منه كلّ المسبيّين. ويجتمع كلّ البشر للدين، فيذهب كلّ واحد إلى المكان المُهيّأ له: قيامة الصدّيقين تعود إلى الحياة، وقيامة الأشرار تنتهي إلى الموت. حفظ الصدّيقون الوصيّة، فذهبوا ولم يقتربوا من دينونة في اليوم الذي يتوبون فيه، كما طلب داود: «لا تُدخل عبدك إلى الدينونة» (١٤٢: ٢). وربّهم لا يُخيفهم في هذا اليوم.

١٦ وتذكّر ما قاله الرسول: «نحن نَدين الملائكة» (١ كور ٦: ٣). وقال ربّنا لتلاميذه: «تجلسون على اثني عشر كرسيًّا، وتدينون أسباط بيت إسرائيل الاثني عشر» (مت ١٩: ٢٨؛ لو ٢٢: ٣٠). وقال حزقيال: عن الرجال الصدّيقين «إنّهم يدينون أهوله وأهوليبة» (٢٣: ٤٤_ ٤٥). فالصدّيقون مزمعون أن يدينوا الأشرار، وهذا يدلّنا على أنّهم لن يدخلوا إلى الدين. وقال الرسول: نحن ندين الملائكة. إسمع فأبيّن لك. الملائكة الذين سيدينهم الرسل، هم الكهنة الذين أذنبوا إلى الناموس، كما قال النبيّ: «شفتا الكاهن تحفظان المعرفة، ويُطلب الناموس من فمه لأنّه ملاك الربّ القويّ» (ملا ٢: ٧). يُسأل عن الناموس من فم الملائكة والكهنة. ولكن حين يُذنبون إلى الناموس، يُدانون في النهاية على يد الرسل والكهنة الذين حفظوا الناموس.

١٧ ولا يقوم الأشرار في الدين، ولا الخطأة في جماعة الصدّيقين (مز ١: ٥). فالصدّيقون الذين كانت أعمالهم كاملة وصالحة، لا يدخلون في الدين ليُدانوا. أمّا الأشرار الذين أكثروا من الخطايا وفاض كَيل ذنوبهم، فلن يُطلب منهم أن يقتربوا من الدينونة، بل حين يقومون يعودون إلى الجحيم، كما قال داود: «ليرجع الأشرار إلى الجحيم، وكلّ الشعوب التي نَسِيَت الله» (مز ٩: ١٨). وقال أشعيا: «كلّ الشعوب كنقطة في قِدْر ورَجَحان ميزان، والجزر تُرمى كالتراب. كلّ

الشعوب تُحسب كلا شيء لديه. تُحسب أمامه للدمار وللخراب» (٤٠ : ١٥ـ ١٧).

مصير الأبرار والأشرار

فتعلّم واقتنع أنّ كلّ الشعوب الذين لا يعرفون خالقهم، يحسبون كلا شيء، ولا يقرَّبون إلى الدينونة بل عندما يقومون يرجعون إلى الجحيم.

١٨ وبقيّة العالم كلّه الذين يُدعون خطأة، يقومون في الدين ويوبَّخون. فالذين لهم خطايا طفيفة، يوبّخهم الديّان ويعلمهم بجهالتهم ويعطيهم ميراث الحياة بعد الدينونة. وافهم ما علّمنا ربّنا في إنجيله: كلٌّ ينال أجره حسب تعبه (لو ١٩ : ١٦ي؛ مت ٢٥ : ٢٠ي). فالذي أخذ الفضّة يبيِّن الربح. والذي صنع مُناه ووزنَتُه عشر مرّات، يقبل الحياة الكاملة من دون أيّ نقص. والذي صنع مُناه ووزنَتُه خمس مرّات، يُقبَل كمَن له عشرة. واحد يتسلّط على خمس، وواحد يتسلّط على عشر.

فافهم وتأمّل: ربح عشرة أقلّ من ربح خمسة، والعمّال الذين يطلبون أجرتهم أفضل من الذين يأخذون ويسكتون. والذين تعبوا كلّ النهار يأخذون الأجر ووجوههم مشرقة، ويسألون بثقة أن يُعطى لهم أكثر. والذين تعبوا ساعة واحدة، يأخذون وهم ساكتون، ويعرفون أنّ الربّ تحنّن بنعمته عليهم فأحياهم. أمّا الخاطئون الذين أكثروا خطاياهم، فيُحكم عليهم في الدين ويذهبون إلى العذاب، ومن بعد هذا تتسلّط عليهم الدينونة.

الدينونة والجزاء

١٩ فاسمع أيضًا ما يقول الرسول: «كلّ إنسان يأخذ أجره حسب تعبه» (١ كور ٣ : ٨). فالذي تعب قليلًا يأخذ حسب تعبه، والذي سعى كثيرًا

يُجازى كسعيه. وقال أيّوب أيضًا: «حاشا لله أن يصنع الشرّ، حاشا له أن يصنع الخطيئة. فهو يجازي الإنسان بحسب أعماله، ويجد الرجل الجزاء حسب طرقه» (٣٤: ١٠ـ ١١). وقال الرسول أيضًا. «نجم يَفضُل على نجمٍ بنوره. هكذا يكون بعث الموتى» (١ كور ١٥: ٤١ـ ٤٢). فاعرف إذًا، أنّه حين يدخل البشر إلى الحياة يَفضُل جزاء على جزاء ويَفضُل مجد على مجد، ويكون أجر أكثر من أجر، وتكون درجة أعلى من أخرى، ونور أجمل منظرًا من نور. الشمس أفضل من القمر، والقمر أعظم من النجوم التي معه. وتأمّل كيف أنّ الشمس تتسلّط على القمر والنجوم: يُبتلع نورها ببهاء الشمس. وليس للشمس سلطان مع القمر والنجوم، لئلا يُبطل الليل الذي فُصل عن النهار. وحين خُلقت الشمس نيّرًا، فالشمس والقمر والنجوم سُمّيت كلّها نيّرات، ولكنّ نيّرًا أفضل من نيّر. الشمس تُغشّي نور القمر، والقمر يُظلم نور النجوم، والنجم يفضل نجمًا آخر بنوره.

٢٠ فافهم ممّا يحدث في العالم، وانظر إلى الذين يتعبون في عملهم، والأجراء الذين يعملون مع رفاقهم. فهناك مَن يُؤجّر نفسه لقريبه بأجر يوميّ، فيأخذ أجرة عمله كلّ يوم. وهناك مَن يُؤجّر نفسه شهريًّا، فيحسب وينال أجره من وقت إلى وقت. الأجر اليوميّ يتميّز عن الأجر الشهريّ، والأجر السنويّ أفضل من الأجر الشهريّ.

٢١ وافهم أيضًا من السلطان المُعطى للناس في هذا العالم. هناك مَن يُرضي الملك بنشاطه، فينال الكرامة من صاحب السلطان. وهناك مَن يقبل التاج من الملك، ليكون مُدبّرًا لأحد المناطق. وهناك مَن يُعطي له الملك الضياع ليتسلّط عليها، فيكون بلباسه أفضل ممّن هو أصغر منه. وهناك مَن يقبل العطايا والمواهب، فتتميّز كرامة الواحد عن الآخر. وهناك مَن يُعطيه الملك الإكرام، ليكون قَهْرمانًا على كلّ

كنزه. وهناك مَن يخدم الملك في درجة وضيعة، فلا سُلطان له إلّا على الخبز اليوميّ.

عذابات الأشرار

٢٢ أمّا المجازاة على الشرّ، فأقول لك إنّها لن تكون مُساوية للجميع. مَن اقترف ذنوبًا كثيرة يتعذّب كثيرًا، ومَن اقترف ذنوبًا أقلّ يتعذّب أقلّ. هناك مَن يذهب «إلى الظلمة البرّانيّة، حيث البكاء وصريف الأسنان» (مت ٧: ١٢). وهناك مَن يسقط في النار كما استحقّ، ولم يكتب أنّه يصرف بأسنانه أو يكون هناك ظلمة. وهناك مَن يسقط في مكان آخر حيث الدود لا يموت والنار لا تُطفأ، ويكون انذِهال لكلّ البشر (أش ٦٦: ٢٤؛ مر ٩: ٤٤). وهناك مَن يغلق في وجهه الباب، فيقول له الديّان: لا أعرفك (مت ٢٥: ١٢).

وكما أنّ مُجازاة الأخيار ليست متساوية لكلّ إنسان، هكذا مُجازاة الأشرار. فالناس لا يُدانون بطريقة واحدة، بل كلّ إنسان يُجازى حسب أعماله. لأنّ الديّان مُتجلبب بالعدل ولا يحابي الوجوه.

٢٣ وكما بيّنت لك عن هذا العالم، إنّ الملوك والمُسلّطين في هذا العالم يُعطون للواحد من الخاضعين لهم، كرامة أكثر ممّا لرفيقه، هكذا سأبيّن لك أنّه فضلًا عن المواهب الصالحة التي يُعطيها الملوك للذين يُكرمونهم، هناك أيضًا السجون والقيود والحبال والرباطات من كلّ نوع. هناك مَن أخطأ بحقّ الملك خطأ عظيمًا: يُسلّم إلى الموت من دون سؤال. وهناك مَن أخطأ ولا يستحقّ القتل: يُوضع في القيود حتّى يُدان ويعاقب ويزيل الملك خطيئته. وهناك مَن يهتمّ به الملك، فيُجعل خارج السجن حرًّا، ويُحرس بلا سلاسل ولا قيود. الموت غير الآسر، وهناك حكم أقسى من الآخر ليتوافق مع الخطيئة. ولكن

تعال إلى مخلّصنا الذي قال: «في بيت أبي منازل كثيرة» (يو ١٤: ٢).

٢٤ فيا صديقي، هناك أناس ناقصو العقل، يُجادلون في ما كتبت لك ويقولون: أين هو المكان الذي فيه يقبل الصدّيقون المُجازاة الصالحة، وأين هو مكان العذاب الذي فيه يقبل الأشرار القصاص عن أعمالهم؟ أيّها الإنسان الذي يفكّر هكذا، أسألك فقل لي: لماذا يُسمّى الموت موتًا، ولماذا تُسمّى الجحيم جحيمًا؟ كُتب أنّه حين خالف قورح ورفاقه موسى، فتحت الأرض فاها وابتلعتهم فنزلوا أحياء إلى الجحيم. (عد ١٦: ٣٢: ٣٣). هذا هو فم الجحيم الذي انفتح في البرّيّة. وقال داود: «يعود الأشرار إلى الجحيم» (مز ٩: ١٨). ونقول إنّ الجحيم الذي فيه ابتُلع قورح ورفاقه، هو المكان الذي إليه يرجع الأشرار. فالله يقدر، إن أراد، أن يُورث الحباة في السماء، وإن رضي أن يورثها على الأرض.

قال ربّنا يسوع: «طوبى للمساكين بالروح، فإنّ لهم ملكوت السماء» (مت ٥: ٣). وحلف لأحد المصلوبين اللذين كانا معه وآمن به: «تكون معي في جنّة عدن» (لو ٢٣: ٤٣). وقال الرسول: «حين يقوم الأبرار، يطيرون في العلاء للقاء مخلّصنا» (١ تس ٤: ١٧). أمّا نحن فنقول: إنّ ما قاله مخلّصنا حقّ، وهو أنّ السماء والأرض تزولان (مت ٢٤: ٣٥). وقال الرسول: «الرجاء الذي يُرى ليس برجاء» (روم ٨: ٢٤). وقال النبيّ: «السماء كالدخان تزول، والأرض كاللباس تبلى وسكّانها يكونون مثلها» (أش ٥١: ٦). وقال أيّوب عن الذين يرقدون: «لن يستيقظوا ما لم تُبلَ السماء، ولن يقفزوا من نومهم» (١٤: ١٢). من كلّ هذا اقتنع أنّ الأرض التي زُرع فيها بنو آدم، والرقيع الذي هو فوق البشر (هذا الرقيع الذي يشكّل فاصلاً بين

السماء العليا وأرض الحياة هذه) يزولان ويبليان ويفسدان. ويُجدّد الله بني آدم فيرثون الميراث في ملكوت السماء. إن أورثهم في الأرض سمّي الميراث ملكوت السماء، وإن أورثهم في السماء سَهل عليه أن يفعل. فملوك العالم يقيمون كلّ في منطقته، وكلّ منطقة يصل إليها سلطان أحدهم تُسمّى مملكته. والشمس المنيرة المعلّقة بالرقيع، تبسط في كلّ مكان شعاعها، ويمتدّ سلطانها على البحر والأرض اليابسة.

وتأمّل أيضًا حكّام العالم: لهم ولائم وحفلات مُرَفّهة. وإلى كلّ منطقة وكلّ مدينة يذهبون، تذهب معهم ولائمهم، وإن راقت لهم منطقة يجعلونها سجنًا. أمّا الشمس فتدور من المشرق إلى المغرب في اثنتي عشرة ساعة، وحين تنتهي مسيرتها في الليل، يختفي نورها ولا تُبلبل الليل بسلطانها. وفي ساعات الليل تدور الشمس مسرعة نشيطة، وتعيد مسيرتها كالعادة. والشمس التي معك، أيّها الحكيم، من شبابك إلى نهاية شيبتك، هل تعرف أين تسير في الليل، وكيف تدور لتعود إلى مكان مسيرتها. فكلّ هذا يصعب عليك أن تبحث فيه.

خاتمة المجموعة الثانية

٢٥ كتبت هذا لإخوتنا وأعزّائنا أبناء كنيسة الله، في أيّ مكان كانوا، وأذكّرهم أن يقرأوا ما كتبت، وأن يذكروا حقارتي في صلاتهم، ويعرفوا أنّي أنا أيضًا خاطئ وضعيف. ولكن هذا إيماني الذي وضعته في الفصول التي كتبتها سابقًا. كتبت عن الأساس الذي هو الإيمان، وعلى الإيمان تقوم، كلّ الأعمال التي تلائمه. وبعد الإيمان كتبت عن وصيّتي المحبّة، ومن بعد المحبّة كتبت مقالة عن الصوم وأعماله. وبعد الصوم كتبت عن الصلاة وثمارها وأعمالها. وبعد

الصلاة كتبت عن الحرب وذكرت ما كتبه دانيال عن الممالك. وبعد الحرب كتبت تحريضًا للمتنسّكين. وبعد المتنسّكين، كتبت عن التوبة، وبعد التوبة، كتبت عن بعث الموتى. وبعد بعث الموتى، كتبت عن التواضع. وبعد التواضع، كتبت عن الرعاة والمعلّمين. وبعد الرعاة، كتبت عن الختان الذي يفتخر به الشعب اليهوديّ. وبعد الختان، كتبت عن الفصح وعن اليوم الرابع عشر. وبعد الفصح، كتبت عن السبت الذي يفتخر به اليهود. وبعد السبت، كتبت عن البراهين بسبب الخصومات التي تحدث في أيّامنا. وبعد البراهين، كتبت عن الأطعمة التي يعتبرها اليهود نَجِسةً. وبعد الأطعمة، كتبت عن الشعوب الذين دخلوا وورثوا مكان الشعب السابق. وبعد الشعوب، كتبت وعلّمت أنّ لله ابنًا. وبعد ابن الله، كتبت ضدّ اليهود الذين يجدّفون على البتوليّة. وبعد الجواب على البتوليّة، كتبت أيضًا ضدّ اليهود الذين يقولون: من الثابت أنّنا سنجتمع. وبعد هذا الجواب، كتبت على المواهب التي تُعطي للمساكين. وبعد المساكين، كتبت مقالة في المضطهدين. وبعد المضطهدين، كتبت أخيرًا، عن الموت والأزمنة الأخيرة.

كتبت هذه المقالات الاثنين والعشرين على عدد الحروف الاثنين والعشرين. كتبت العشر الأوّل سنة ستمائة وثمان وأربعين[١]، لمُلك الإسكندر ابن فيلبس المقدونيّ، كما كتب في نهايتها. وكتبت هذه الاثنتي عشرة مقالة الأخيرة سنة ستمائة وخمس وخمسين[٢] من مملكة اليونان والرومان التي هي مملكة الإسكندر، وفي سنة ٣٥ لمُلك الفرس.

خاتمة عامّة. كيف تقرأ هذه المقالات؟

٢٦ كتبت لك كما أدركت. فإن قرأ أحد هذه المقالات، ووجد كلمات لا

تُوافق تفكيره، فلا يجب أن يسخر، لأنّ ما كُتب في هذه الفصول لم يكتب لعقل واحد من الناس، ولا لإقناع قارئ واحد، بل لعقل كلّ الكنيسة وإقناع كلّ المؤمنين. فإن قرأ وسمع واقتنع كان حسنًا، وإلاّ كان لي أن أقول: ما كتبته هنا كتبته لأهل الاقتناع لا لأهل السخرية. وإن وجد القارئ كلمات قلناها بطريقة، وقالها حكيم آخر بطريقة أُخرى، فلا يتبلبل، لأنّ كلّ إنسان يُكلّم السامعين كما يُدرك. وإن كان ما كتبت من كلمات لا يوافق ما قاله واعظ آخر، أقول لك هكذا: هؤلاء الحكماء تكلّموا حسنًا وبدا لي أنا أنّي تكلّمت مثله. وإن تكلّم أحد وبيّن لي شيئًا ما، أقبله منه بلا جدال. فكلّ مَن يقرأ في الكتب المقدّسة القديمة والجديدة، في العهدين، ويقرأ فيها باقتناع يتعلّم ويعلّم، وإن جادل في ما لا يُدرك، فعقله لا يقبل العِلم. ولكن إن وُجدت كلمات صعبة عليه، لا يستطيع أن يدرك معناها، فليَقُل هكذا: ما كُتب كُتب حسنًا، أمّا أنا فما استطعت أن أفهم. وإن سأل الحكماء والمفسّرين الذين يبحثون في التعليم، عن الكلمات التي صعبت عليه، وفسّروها بعشرة وجوه، فليقبل ما يُرضيه، ولا يهزأ بالحكماء في ما لا يُرضيه. فكلمة الله تُشبه لؤلؤة تبدو بمنظرها جميلة على أيّ وجه تُديرها. وتذكّر يا مَن يريد أن يتعلّم ما قال داود: «تعلّمت من كلّ معلّمي» (مز ١١٩ : ٩٩). وقال الرسول: «كلّ كتاب هو بحسب روح الله، فاقرأه وابحث في كلّ شيء، واحتفظ بما هو حسن، واهرب من كلّ أمرٍ شرّير» (٢ تم ٣: ١٦؛ ١ تس ٥: ٢١-٢٢).

فإن كثرت أيّام البشر كأيّام العالم من آدم إلى نهاية الزمن، وجلس الواحد وتأمّل في الكتب المقدّسة، فلن يدرك كلّ معنى الكلمات وعمقها. فلا أحد يقدر أن يحيط بحكمة الله، كما كتبت لك في

المقالة العاشرة. ولكن كلّ الوعاظ الذين لا يأخذون كلماتهم من الكنز العظيم يحتقرون ويرذلون. فصورة الملك مقبولة في كلّ مكان تذهب إليه، وحيث توجد عملة مزيّفة تُرذل ولا تُقبل. وإن قال إنسان: هذه الأقوال قالها فلان فليبدأ ويتعلّم. أمّا أن يجتهد ويعظ، فهذا ما لم يُطلب منه. أنا كتبت هذا مع ضعفي، وأنا إنسان مولود من آدم، ومجبول بيد الله، وتلميذ في الكتب المقدّسة. قال ربّنا: «مَن يطلب ينل، ومَن يبحث يجد، ومَن يقرع يُفتح له» (مت ٧: ٨). وقال النبيّ: «أُفيض روحي على كلّ بشر في الأيّام الأخيرة فيتنبّأون» (يؤ ٢: ٢٨). فمَن يقرأ فليقرأ باقتناع، كما كتبت لك سابقًا، وليصلِّ من أجل الواعظ، وهو أخ من الداخل، ولتُغفر خطاياه بصلاة كنيسة الله كلّها. ومَن يقرأ، فليذكر ما كُتب: «فليُشارك سامع الكلمة مَن أسمَعَهُ إيّاها في كلّ الخيرات» (غل ٦: ٦). وكُتب أيضًا: «الزارع والحاصد يفرحان» (يو ٤: ٣٦). وأيضًا: «كلّ إنسان يقبل أجره بحسب تعبه» (١ كور ٣: ٨)، وأيضًا: «ما من خفيّ إلّا ويكشف لكلّ إنسان» (مت ١٠: ٢٦).

تمّت المقالة في الموت والأزمنة الأخيرة

الحواشي

(١) أي سنة ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) أي سنة ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

في خصلة العنب

١ أكتب إليك، يا عزيزي المحبوب، وأعرض عليك هذه الفصول، كما طلبت منّي، عن البركة المحجوبة في العُنقود. بفضل خصلة البركة لا يُسلَّم العُنقود إلى الفساد. ففي أيّام أشعيا أراد سيّد العُنقود أن يدمّره فقيل له في آية إنّ العُنقود لا يفسد بسبب البركة التي فيه. وسألتني أيضًا: هل يوجد في كلّ وقت صدّيقون وأبرار على الأرض؟ فأنا أُبيّن لك أنّ هذه البركة ظلّت في كلّ الأجيال إلى الزمن الحاضر، وأبيّن لك ما سألتني. لماذا سمع الله بعض المرّات للصدّيقين حين كانوا يصلّون، وفي وقت آخر لم يسمع الله لهم؟ وأكتب لك أيضًا عن سنوات الأجيال القديمة جيلاً بعد جيل، إلى الوقت الذي فيه خربت أورشليم، ونُزعت عنها نعمة الربّ. وكيف انتبه الصدّيقون إلى البركة التي جرت منهم، إلى الزمن الذي وصل فيه وابلها إلى الشعوب بواسطة يسوع. فالبحث في الكلمات جميل لكي تتعلّم وتفهم، ولكن يجب، بقلب نقيّ، أن نخاف الله واهب الكلمات الذي كتب ووضع أمامنا نحن خائفيه، أن نسير بمشقّة عظيمة ومخافة كثيرة في الباب الضيّق والطريق الحَرِجة (مت ٧: ١٤).

٢ قبل هذا، يا عزيزي، يجب علينا أن نخاف من دينونة الله، ومن كلمات مُحيينا ووصاياه، وهو الذي قال: «كلّ كلمة بطّالة يقولها الناس، يُعطون عنها جوابًا في يوم الدين» (مت ١٢ : ٣٦). وكُتب أيضًا: «تُبرَّر بكلامك ويحكم عليك من كلامك» (مت ١٢ : ٣٧). وكتب أيضًا: «فم الناس يرميهم» (جا ١٠ : ١٢). وكتب في مكان آخر: «فم الجاهل يجعل له عثرة» (أم ١٨ : ٧). واذكر كلمات معلّم الشعوب الذي قال: «كلّنا سنقوم أمام منبر المسيح، ليُجازى كلّ إنسان في جسده عمّا فعله في القديم أخَيْرًا كان أم شرًّا» (٢ كور ٥ : ١٠). وقال أيضًا: «أنقذوا حياتكم بخوف ورِعدة» (فل ٢ : ١٢). وزاد مُنبّهًا: «إنّه لخوف عظيم أن نقع في يدي الله الحيّ» (عب ١٠ : ٣١). وأعلن الرسل الأفاضل: «بضيق عظيم يجب أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤ : ٢١). وقال الكتاب أيضًا: «مُخيف هو يوم الربّ، فمَن يقدر أن يحتمله؟ غضبه حامٍ وسريع يصنع الأرض خرابًا، ويُبيد منها الخاطئين». (يؤ ٢ : ١١).

اللعنة الأولى وشجرة الحياة

٣ أدار الإنسان الأوّل أُذنه للحيّة، فنال عقابه لعنة أن يكون مأكلًا للحيّة[١]. وسرت اللعنة في كلّ أولاده. أكل من شجرة المعرفة، فمُنع من أثمار شجرة الحياة لئلا يأكل منها ويحيا إلى الأبد. وبهذا نعرف أنّه بسبب تعدّي الإنسان على الوصيّة بإغراء الشرّير، ولأنّه ترك نفسه تُؤخذ بالعظمة ليصير شبيهًا بخالقه، وبسبب تمييز المعرفة، حصل الإنسان على سياج بينه وبين شجرة الحياة التي حُرم من ثمارها بسبب غشّ الشرّير له. وأوصى العظيم فسُيِّجت الشجرة برمح مخيف ولهيب يحيط بها. أمّا الإنسان فأحسّ وعرف أنّه يقدر أن يذهب إلى

الشجرة، إلّا أنّ ضعفه لم يسمح له بعبور السياج.

من أجل هذا لم تُمنع شجرة الحياة بعذوبتها عن المحتاجين، ليأكلوا منها ويحيوا. حينئذ أطالت أغصانها ورمت فروعها، ومدّت أفنانها فوق السياج ورمت ثمرها برفق، خارج الحدود التي أحاط بها الرمح ليحفظها. والبشر نالوا عذابات كثيرة، بسبب المعرفة المبلبلة والسيّئة، إلّا أنّهم بهذا النوع من الدواء فُصل عنهم الوعد باللعنة. وحين أحسّ العدوّ ذلك، خجل فجأة في ضميره وألغى حيله، وغضب على الثمرة وآكليها. فقد نالوا في أجسادهم أن تبطل اللعنة وتنتصر حكمة الحقّ على غشّ الشرّير. وحُفظ الآكلون من الثمرة كخصلة في عنقود، وبفضل البركة حفظ العنقود كلّه، إلى أن يتمّ الزمن الذي حدّده العليّ.

وإن طال الحكم على بقيّة العنقود، فلأنّهم ما أرادوا أن يتوبوا بقوّة البركة، لينضجوا ويحلّوا من المرارة التي قبلوها، وليصيروا شركاء في حلاوة الثمرة التي فُلحت نصبتها بحكمة الفلّاح، والتي حُرمت وقتًا طويلًا من العون، ومن معرفة الدواء الذي سيُعطى لها. حين فُتح الباب وسألت النصبة السلام، هربت الظلمة من عقل الكثيرين، وحين أشرق نور العقل وحمل الزيتون ثماره المنيرة التي بها يصنع رسم سرّ الحياة وبها يُكمل الممسوحون، الكهنة والملوك والأنبياء، أنار الظلمات ومسح الضعفاء بالزيت، وقرّب التائبين إلى سرّه الخفيّ.

والذين يسرعون في التقرّب إليه يدخل طعمه في آذانهم الخفيّة، فيرون بعيونهم ويسمعون بآذانهم ويصورون شبهه في تأمّلات حواسّهم ويهتمّون بدون انقطاع أن يسعوا أمامه وهم مشدودون في مسيرتهم وينسون ما وراءهم (فل ٣: ١٣) ويجدون نفوسهم وقد وصلوا إلى هذه الرؤية الخفيّة التي قبلوها حين ذاقوا نغمات رسمت لهم ليهربوا من الشرّير.

العالم مزيج

عندئذ يصيرون خمير الصدّيقين في هذا العالم الذي صار بفضلهم موطن التوبة. ولأجلهم يُترك الخاطئون على الأرض، ليقبلوا الوعد بأنّ شمس النعمة ستُشرق عليهم. وبسبب طول بال الصالح، يُحفظ الزؤان مع الحنطة. فإن أراد سيّد الزرع أن يأمر بأن تُقلع النبتات قبل أن يبلغ الزؤان، قد يحدث ضرر للحنطة حين يُنقّى الزؤان منها. لكنّ المطر الذي يُنمّي الزرع الصالح، يُنبت أيضًا الزؤان الذي هو زرع الشرّير. وهذا ما يعمله الصالح بحكمته، لتبطل حيل أبناء الشرّير الذين وضعوا مبدأين، واحدًا للخير وواحدًا للشرّ. فلو أنّ المطر الذي يُنمّي الحنطة يُضعف الزؤان، زرع الشرّير، لكان من الواضح أنّ الطبعين يعملان في الخليقة. ولكن نموّ هذا وذاك يتمّ بالمطر والريح والشمس، وتشهد الكتب على الخالق الواحد الذي يُدبّر خلائقه بأمره.

الأخيار في العالم أكثر من الأشرار، وبسببهم يُمنع الغضب من أن يفيض على الآخرين. فلو فُتحت ثغرة في السياج الذي على الأشرار، وليس من الأخيار مَن يقف فيها، يفيض كَيْلُ الخاطئين ويثور غضب العليّ. وبسبب الغضب الذي على الأشرار، يتعرقل الأخيار في الدخان. وعندما يؤمر السيف بالدمار، يبيد الخطأة والأبرار، لأنّ الأبرار لم يُسرعوا ليقفوا في ثغرة السياج، كما قال النبيّ معلنًا: «طلبت في شعبي رجلًا يُصلح السياج ويقف في الثغرة من أجل الأرض لئلا تَفسُد، فلم أجد» (حز ٢٢: ٣٠).

دور الأبرار

٤ وكما بيّنت لك سابقًا، فهذا ما حصل للأبرار في الأجيال القديمة. في أيّام متوشالح حفظت عشرة أجيال بيت آدم، ولمّا مات كان الطوفان،

ففني العالم ودُمِّر بالغضب. وحُفظ نوح من مياه الطوفان ليتجدّد به عالم ثانٍ. وفي أيّام نوح، رجل الراحة، حُفظت عشرة أجيال من الطوفان وما بعد. وحين تمّ الزمان ومات (تارح)، ترك إبراهيم أور الكلدانيّين، فأطال العليّ روحه وأظهر حنانه على الكنعانيّين، وما دام كَيل ذنوبهم لم يمتلىء، لم يُرد الله أن يبيدهم. أدخل نسل إبراهيم إلى مصر، وسادت العبوديّة على ابن احبّه، لتُكمّل ذنوب الأموريّين وتظهر عجائبه بمُستعبديهم. وحين أخرجهم بقوّة عظيمة، أظهر لهم معجزاته. في البرّيّة قاتهم بطعام قدّيسيه، وأشبعهم من خبز الملائكة وأجرى لهم نبعًا في أرض لا ماء فيها.

وحين مرمروا روحه وأغضبوه، قام موسى في ثغرة شعبه. وفي أيّام هارون الكاهن العظيم والمكفِّر، والواضع البخور ليُهدئ الغضب، لم يتسلّط عليهم أعداؤهم. وحين مات في جبل حور، هاجمهم الكنعانيّ، ملك جادر[٢] الساكن في الجنوب. وفي أيّام موسى لم ينقصهم شيء ليأكلوا، ولكن حين مات على جبل نبو، توقّف المنّ عنهم. وحين خرج شعبه من مصر، أجازهم الله البحر المُخيف. وحين غرق فرعون المضطهد، أخذت مريم بيدها دُفًّا وسبّحت العظيم الذي أغرقهم (خر ١٥ : ٢٠ـ ٢١). وحين ماتت مريم لم يكن ماء ليشرب الشعب.

وفي أيّام حزقيا الملك نجوا من ملكين أشوريين. وبعد موت الرجل الصدّيق أُخذ ابناه رهائن إلى ملك بابل (٢ مل ٢٠ : ١٨). ويوشيا الملك البارّ طهّر أرض إسرائيل من النجاسة، وانضمّ إلى آبائه قبل الشرّ. وبعد موته كثرت ضيقات بني إسرائيل، فاستأصلهم الملوك أعداؤهم من أرضهم.

وحين فاض كيل الخاطئين، لم تعد تُسمع صلاة الأبرار. قال القدّوس

لإرميا: «إن وقف في هذا الوقت موسى وصموئيل أمامي، لا ترضى نفسي بشعبي هذا. فأخرجهم من أمام وجهي فيخرجون، وإن قالوا لك: إلى أين يخرج قل لهم: إلى الحرب والسَبْي والجوع والوباء. أربع ضربات أرسلها عليهم» (إر ١٥: ١٠ـ ٣). وقال الله لحزقيال: «إن أرسلت الحرب على أرض وقلت: لتَمُرّ الحرب أو الحيوانات الضارّة في الأرض، فإن وجد في هذه الأرض نوح وأيّوب ودانيال، حيّ أنا يقول ربّ الأرباب، لا ينجّون ابنًا أو ابنة، بل فقط هؤلاء الذين نجّوا ببرّهم، وتكون الأرض خرابًا» (١٤: ١٤ـ ١٦). من السهل أن نفهم حزن النبيّ، حين صلّى ولم يسمع. فأجابه الله هؤلاء بمثال هؤلاء الثلاثة الأبرار، لأنّ هذه الفكرة خطرت على قلبه: لماذا استجيب نوح وأيّوب ودانيال، كلّ منهم في جيله، وصلاتي لم تُستجب.

سُمع لنوح، ونجا بنو بيته معه من غضب الطوفان. وصلّى أيّوب من أجل أصدقائه، فصنع الربّ الرحمة إكرامًا له، ولم يُحتقروا. وتجلّى السرّ لدانيال في صلاته، فنجا رفاقه من غضب الملك. وحكماء بابل الذين كانوا أشرارًا، نجوا وبقوا أحياء بفضل صلاة دانيال. فكّر النبيّ في هذه الأمور، فأجابه الصالح بعذوبته كالمعتاد: «هؤلاء الرجال الأبرار الثلاثة الذين استجبتُ لكلّ واحدٍ منهم في جيله، لو وقفوا أمامي في هذا الوقت لن أسمع لهم، ليس فقط من أجل الأشرار، بل لن ينجُّوا ابنًا أو ابنة. هم يُنجّون نفوسهم ببرارتهم، وتكون الأرض فسادًا» (حز ١٤: ١٢ـ ٢٠). عندئذ اقتنع النبيّ من جواب ربّه.

٦ وطرقت على النبيّ إرميا فكرة مماثلة، فقال: «لماذا استجيب موسى وصموئيل، كلّ منهما في جيله، وبقي الربّ مغلقًا الباب بوجه صلاتي، ولم يستجيب لها؟ فموسى وقف في ثغرة شعبه مرّات

عديدة، وصموئيل كفّر عن كلّ إسرائيل الذي طلب ملكًا، ورذل ملك الله (١ صم ٨: ٧). فأقنع الصالح أيضًا النبيّ إرميا بطول باله: «إن قام موسى وصموئيل أمامي في هذا الوقت لن أسمع لهما» (إر ١٥: ١).

٧ وهؤلاء الأبرار والجبابرة والأقوياء استُجيب لهم بعض المرّات في زمانهم حين صلّوا، وفي مرّات أخرى صلّوا فلم يُستجَب لهم. فموسى النبيّ العظيم نجّى بصلاته المقبولة، كلّ إسرائيل من الغضب مرّات عديدة، ومرّة أخرى، حين صلّى لم تكفِه صلاته وحده. صلّى باكيًا، وتضرّع ليعبر إلى أرض الموعد ويراها. فقال له ربّه: «يكفي. لا تُعاود فتتكلّم أمامي بهذا الكلام، لأنّي لن أستجيب لك، لأنّكم عاندتم كلمة فمي وما قدّستموني في مياه الخصومة» (عد ٢٧: ١٤؛ تث ٣٢: ٥١).

يا لها من أسرار مذهلة أن لا يُستجاب الأبرار. ولأنّهم لا يُستجابون يُعاقَبون قبل الدينونة، لئلا يُوبَّخوا في يوم الجزاء. بهذا عُوقب موسى لأنّه عاند. لم تُستجب صلاته ولم يدخل إلى أرض الموعد.

سيكون دائمًا أبرار

٨ أقول لكم، يا إخوتي، بثقة كبيرة: سيكون دومًا على الأرض صدّيقون وأبرار من البدء وإلى الأبد، كما كُتب: «لا يبتعد الصدّيق عن عيني الربّ، ولن يُحرم العالم من الأبرار» (أم ٢: ٢١). وعلى هذا شهد ربّنا: «ما جئت لأدعو الأبرار إلى التوبة بل الخطأة» (لو ٥: ٣٢). لقد جاء المسيح لأنّه يريد أن يبرّر الخاطئين، لأنّ الأصحّاء لا يحتاجون إلى طبيب (لو ٥: ٣١)، لأنّهم ليسوا مرضى. لم يكن الشِبَاع جائعين إليه، ولا العِطاش احتاجوا أن يشربوا ويرتاحوا. فهذا

ما نادى به: «كلّ مَن هو عطشان فليأتِ ويشرب» (يو ٧: ٣٧). وهتف النبيّ: «أيّها العِطاش، تعالوا إلى المياه، وخذوا لكم بلا فضّةٍ لبنًا، وبلا ثمنٍ خمرًا» (أش ٥٥: ١). الخمر يُفرح، واللبن ينمّي، وعنهما قال الرسول: «كالأولاد في المسيح سقيتكم اللبن» (١ كور ٣: ١ـ ٢).

٩ سرّ عظيم أعلنه النبيّ مُسبقًا، فقال: «فليأتِ كلّ عطشان إلى الماء». وقال مُكَمِّلُ الأنبياء: كلّ عطشان فليأتِ ويشرب. أرسلنا النبيّ إلى الينبوع، والساقي دعانا لنشرب. وأعلن النبيّ: «إقتربوا واشربوا بلا ثمن خمرًا ولبنًا» من ذلك الذي عيناه أشدّ احمرارًا من الخمر، وأسنانه أشدّ بياضًا من اللبن» (تك ٤٩: ١٢). فهو ليس كالأنبياء الدجّالين الذين يعضّون بأسنانهم، ويكرزون بالسلام. ومَن لا يرمي لهم في فمهم شيئًا، يُعلنون عليه الحرب (مي ٣: ٥). ولا يُشبهه الكهنة الأشرار وأنبياء الزور الذين يعملون بالأجرة، ويمارسون العِرافة من أجل الفضّة (مي ٣: ١١). أكلوا خطيئة الشعب، ورموا نفوسهم على الإثم، فصار الكاهن كالشعب (هو ٤: ٨ـ ٩)، لأنّه لم يوبّخ الشعب على خطيئته، فكأنَّ الكاهن اقترف خطيئة الشعب. وحين وصلت الكلمة إلى الذي يُكمّلها، أعلن للرسل: «مجّانًا أخذتم، مجّانًا أعطوا» (مت ١٠: ٨). وبنى على هذا معلّم الشعوب: «كرزت لكم مجّانًا إنجيل المسيح» (٢ كور ١١: ٧). وقال أيضًا: «أودّ أن أعطي الإنجيل بدون نفقة» (١ كور ٩: ١٨).

وجود الأبرار في العالم

١٠ كتبت لك أنّه سيكون دومًا على الأرض صدّيقون وأبرار، فلا يكن عندك شكّ بذلك. فبسبب الصدّيقين يُشرق الصالح شمسه على الأشرار والأخيار، ويُنزل مطره ليكون للأثمة ما يقتاتون به.

الصدّيقون والأبرار هم ملح الأرض، كما قال مخلّصنا لرسله الأفاضل: «أنتم ملح الأرض» (مت ٥: ١٣). فإن فَسَدَ الملح يَفْسُد العالم سريعًا ويتفكّك. كما النفس تحمل الجسد، يُحمل الصدّيقون على الأرض. حين تترك النفس الجسد يسقط ويفسد كيانه. وعلى مثال العينين للجسد يكون الصدّيقون على الأرض. فإن عميت العين بطل وتبدّل جماله، وبدأ يتعثّر في الظهيرة كما في الليل، ولا يتوجّه في مسيرته في الطريق القويم. الصدّيقون في هذا العالم هم دواء الحياة، فإن لم يكونوا في العالم، ينحلّ العالم ويتفكّك بسبب الغضب. يبتهج العالم حين يكون الصدّيقون فيه مثل فردوس يسقيه ينبوع ماء. إن جفّ النبع يبست أثمار الفردوس، ولم يعد فيها نفعٌ ولا راحة للنفس، فتُقلع الجفنة وتُحرق في النار. وإن وُجدت جفنة تُفرح الفلّاح، يزيد في فلاحتها فتبيّن غلّاتها (يو ١٥: ١ـ ٢).

يدوم العالم وتُمسكه صلاة الصدّيقين، مثل العجين بقوّة الخمير. الصدّيقون هم قوّاد العالم، كالملّاحين الذين يقودون السفينة بحكمة. إن سقطت السفينة في الأمواج الداهمة ومالت إلى هنا وهناك بضجيج قويّ، يقوم القوّاد الحكماء بيقظة، ويوصلون السفينة إلى مكان هادىء. فإن لم يكن للسفينة قوّاد حكماء، لا تستطيع أن تسير إلى الميناء، بل تغرق وتبيد التجارة. وإن لم يكن من أبرار يبيد الأثمة، وإن لم يكن من صدّيقين، لن يجد الكُفّار ما به يقتاتون.

صلاة يسوع

١١ فتسألني أيّها السامع: إذ يوجد على الأرض صدّيقون وأبرار، لماذا لا تُستجاب الصلاة في زمن الضيق والسوء؟ ليفهم السامع من دون جدال، ما أشرت إليه أعلاه. إنّ صلاة موسى النبيّ العظيم وقائد كلّ إسرائيل، أفادت بعض المرّات كلّ الشعب، ومرّة أخرى لم تُسمع من

أجله هو، وافهم أعظم من هذا بالنسبة إلى يسوع المخلّص العظيم وابن الله: سُمعت صلاته المقبولة فتصالح الله مع خليقته، كما قال الرسول: «صالحنا مع أبيه» (روم ٥ : ١٠). وحين أتت ساعته، صلّى وطلب وتوسّل حين لم يكن مُحتاجًا، فقال: «يا أبت، إن كان مُستطاعًا أن تعبر عنّي هذه الكأس» (مت ٢٦ : ٣٩). ومن أجله لم تُستجب صلاته. لم يستجب الله مخلّصنا من أجل مساعدتنا لأنّه كان يجب عليه أن يموت ليُعطي لنا عربونًا أنّه مات مثلنا. قتله الموت وقام وأقامنا ووعدنا بالحياة. فلو استُجيب إذ طلب أن ينجو من الموت حين كان لابسًا الجسد، فمَن كان يؤكّد لنا القيامة: شجّعنا بموته وفرّحنا بقيامته.

خاف من الموت، وبحكمته صنع ما صنع لأجلنا ومن أجل مساعدتنا، ليُبيّن بوضوح لجميع البشر، ضعف هذا الجسد الذي لبسه مثلنا. فلو لم يكن مولودًا مثلنا، لما كان له طريق إلى الموت، ولو لم يكن فينا من روح الحياة، لما كان وهب لنا عربون الحياة لنقوم مثله. مات أوّلًا بموتنا لنتشجّع بموته، وقام بقوّة عظيمة بدون ضعف، حين انتصر على الموت وصعد إلى ملكه. نفرح أنّ موتنا ابتُلع بحياته، فقبلنا بموته عربون الحياة. فلو لم يمت المسيح بالجسد الذي أخذه منّا، لم يكن له عربون يُعطينا أيّاه لنقبل بثقة أنّنا سنحيا بموته. ولكنّ كلّ هذا العربون أتمّه في ذاته، فأخذنا منه بثقة عربونًا أنّنا سنحيا من الموت. لن نحزن لأنّنا وُلدنا، فقد وُلد هو مثلنا. ولا نيأس من ضعفنا، فهو كان ضعيفًا مثلنا، وتعب وجاع ليعلّمنا الصوم. غلبه النعاس وتألّم وجُرِّب في جسد ضعيف، فاستطاع أن يساعد الذين يُجرَّبون (عب ٢ : ١٨).

١٢ فتعلّم وافهم واقتنع أنّه وجب أن لا تُستجاب صلاة هذين النبيّين والراعيين المجيدين اللذين صلّيا من أجل نفسيهما. فالعهد لا يكون ثابتًا، إلّا إذا مات كاتبه. بواسطة موسى وعد الله شعب إسرائيل بعهد، أن يعطيهم أرض الكنعانيّين ميراثًا. وبواسطة يسوع وعد بعهد، أن يُعطي الشعوب أرض الحياة. مات موسى عند عبور الأردنّ فتحقّق الذي وعد به شعبه. ومات يسوع في أرض موتنا، فتحقّق العهد الذي وعد به الشعوب، إذ أعلن لهم أنّه سيُعطيهم أرض الحياة. بيّن لموسى ربُّه الموعد حين لم يكن إسرائيل ورثها بعد. ويسوع مخلّصنا قام من بين الأموات وذهب ليهيِّئ لنا المكان الذي أعلنه لنا، كما قال لتلاميذه: «أنا ذاهب لأهيِّئ لكم مكانًا، ثمّ آتي وأخذكم فتكونون أنتم حيث أكون أنا» (يو ١٤ : ٢ـ ٣). وأكّد لنا الوعد أنّنا سنكون معه، وبيّن لنا مُسبقًا ولتلاميذه حين سألوه آية عن مجيئه. حينئذ أخذ ثلاثة من تلاميذه، سمعان ويعقوب ويوحنّا: سمعان كيفا (الصخر) وأساس الكنيسة، ويعقوب ويوحنّا عمودا الكنيسة الوطيدان. بيّن لهؤلاء الشهود الثلاثة الحقيقيّين، آية عن مجيئه حين بدّل منظره على شكل يكون عليه في مجيئه. وكان موسى وإيليّا بقربه، فشجّع الموتى الذين سيحيون مثل موسى الذي تراءى معه. والذين يبقون أحياء إلى مجيئه، يتّكلون أنّهم سيُخطفون للقائه مثل إيليّا الذي ما ذاق الموت وتراءى معه.

عرفنا أنّ موسى النبيّ العظيم ويسوع الابن الحبيب والبكر، استُجيبا في الوقت اللازم وكفّرا بصلاتهما عن شعب كثير. وفي وقت آخر رُفض سؤلهم. فليتشجّع بهذا المثل كثيرون من الذين يصلّون ولا يستجابون. حين نشاهد مثل هذين الجبّارين القويّين اللذين صلّيا ولم

يُستجابا، لماذا نحزن؟ فعلينا أن نقبل ونقتنع بمَثَل موسى ومخلّصنا والأنبياء والأبرار الأقدمين.

بركة المسيح بواسطة الأبرار

١٣ ومنذ الآن فاقتنع وافهم أنّه يوجد صدّيقون على الأرض، وأنّ العالم قائم بسبب الأبرار. فالعالم يقوم بالنعمة كما قال النبيّ: «العالم يُبنى بالنعمة» (مز ٨٩: ٢). وهذه النعمة فاضلة بحيث لن يُفارق الأبرار العالم ولن يتركوه إلى الأبد. فلو ترك الأبرار العالم لفاض كَيل ذنوب الأثمة، ودُمِّر العالم بالغضب، وقُهرت النعمة على يد العدالة التي تفرض الدينونة. ومن أجل هذا يبقى الأبرار على الأرض في عالم كذّاب، لكي لا تغضب العدالة بسببهم فتدخل في العالم القائم بالنعمة، لتطلب الدينونة حيث لا دينونة.

الأبرار مطمورون في هذا العالم وبفضلهم لا يفسد بالغضب. هم على مثال خصلة العنب المطمورة في العنقود. ومن أجل الخصلة يحفظ العنقود زمنًا طويلاً. فهكذا نفهم الكلمة التي نادى بها النبيّ الشعب، وقال له: «حين يوجد خصلة في عنقود، يقول الإنسان لرفيقه: لا نُفسد العنقود من أجل البركة التي فيه». وقال أيضًا: «هكذا أصنع من أجل مختاريَّ ولا أدمّرهم كلّهم، وأخرج نسلاً من يعقوب، ومن يهوذا وارثًا لجبلي المقدّس» (أش ٦٥: ٨ـ ٩). العنقود هو شعب إسرائيل، والبركة التي فيه هي المسيح الملك.

١٤ من البدء حفظ آدم، البكر الأوّل، هذه الخصلة، ورغم أنّه خطىء، ظلّ يحفظ نسل الصدّيقين، فحفظت البركة في شيت وفي كلّ أجياله. وحين أفسد كلُّ بشر طريقه على الأرض، حُفظت البركة في رجل الراحة، في نوح الذي وُجد صدّيقًا وكاملاً في جيل فاسد. وحفظ

البركة تابوت[٣] من خشب، وفني كلّ الأشرار بالغضب الفائض، حين اقتُلعت الخصلة منهم ونُزعت.

وخرج نوح وبنوه من التابوت، وحُفظت البركة بواسطة سام أب الصدّيقين. فالروح أعلن بفم رجل الراحة حين بارك بنيه بعد الطوفان، قال: «ليوسّع الله ليافث، ويسكن في خمية سام» (تك ٩ : ٢٧). ولُعن كنعان، زرع حام، الذي سخر بأبيه، فحرم من البركة. وسرت هذه البركة في عشرة أجيال من نوح إلى إبراهيم. عاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، وولد فكثر بنوه وبناته في أيّامه. وحين وصلوا إلى بابل، أرض الكلدانيّين، بلبل الله هناك ألسنة كلّ الأرض. وبقي نوح في أور الكلدانيّين حيث أقام، بركة الصدّيقين مدّة مائتين واثنتين وتسعين سنة.

١٥ ووُلد إبراهيم في أور الكلدانيّين، سنة ثمانمائة واثنتين وتسعين من حياة نوح، بعد أن تبلبلت الألسنة بزمن طويل. وحين صار نوح ابن تسعمائة وخمسين سنة انتهى زمانه، فمات في شيبة صالحة سنة ثمانية وخمسين من حياة إبراهيم. مات نوح في أور الكلدانيّين. حينئذ خرج إبراهيم من أور الكلدانيّين، وذهب فأقام في حاران زمنًا قليلاً. ومن حاران نقله الله إلى أرض كنعان ابن حام، الزرع الملعون، الذي وُعد بالعبوديّة. وحين كان إبراهيم ابن مئة سنة، في سنة أربعمائة واثنتين وتسعين لحياة سام أبي الصدّيقين، وُلد إسحق. وعاش سام بعد أن وُلد إسحق مئة واثنتي عشرة سنة. وولَد إسحق يعقوب وعيسو وهو بعمر ستّين سنة. وعاش سام بعد أن ولد يعقوب وعيسو اثنتين وستّين سنة. ومات إبراهيم ابن مئة وخمس وسبعين سنة، وعاش سام من بعد موت إبراهيم سبعًا وثلاثين سنة.

وكان إسحق ابن مئة وسبع وثلاثين سنة، حين بارك يعقوب ابنه الذي

فيه طُمرت بركة الصدّيقين. وهرب يعقوب إلى حاران حين كان ابن سبع وسبعين سنة. وحين كان ابن أربع وثمانين سنة، تزوّج ليئة وراحيل. ومن بعد أن عاش إسحق مئة واثنتي عشرة سنة، مات سام في السنة الثانية والخمسين لحياة يعقوب. وحين كان يعقوب ابن سبع وتسعين سنة قال له الله: «إرجع إلى أرض آبائك، فأُحسن إليك وأكون معك» (تك ٣١: ٣). وكان يعقوب ابن سبع وتسعين سنة، حين ترك حاران، وكان أبوه إسحق ابن مئة وسبع وخمسين سنة. وعاش إسحق بعد أن رجع يعقوب من حاران، ثلاثًا وعشرين سنة. وفي السنة الثالثة والأربعين بعد أن باركه، والسنة الثالثة والعشرين بعد أن عاد يعقوب من حاران، مات إسحق وهو ابن مئة وثمانين سنة.

ونزل يعقوب إلى مصر، عشرين سنة بعد أن مات إسحق أبوه، واثنتين وعشرين سنة بعد أن بيع يوسف ابنه إلى مصر، وثمانية وستّين سنة بعد أن مات سام. وبقي يعقوب في مصر سبع عشرة سنة. ومات وهو ابن مئة وسبع وأربعين سنة، بعد خمسين سنة لرجوعه من حاران، وسبع وعشرين سنة لموت إسحق أبيه. وحين مات يعقوب كان يوسف ابن ستّ وخمسين سنة. وحفظت البركة في يهوذا ابن يعقوب قبل أن يدخل مصر. فولد يهوذا فارص. وحين نزل يعقوب ويهوذا إلى مصر، طُمرت هذه البركة في حقوي فارص. وفارص ولَد حصرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، أبا أبناء يهوذا.

١٦ وبعد عميناداب أقامت البركة عند أليعازر بن هارون، الكاهن الذي منه وُلد فنحاس. ومن عميناداب خرجت بركة الملك والكهنوت. التدبير والملك من نحشون، والكهنوت من ابن أخت نحشون التي ولدت لفنحاس الذي أراح غضب الله بغيرته. ومن نحشون ولد سلّة(٤)،

وسلّة ولد بوعز، ومن بوعز خرج تدبير الملوك بواسطة بوعز وراعوت الموآبية. من أجل هذا تزوّج بوعز راعوت الموآبية، ليكون لوط مُشاركًا في بركة الصدّيقين. ومن ابن راعوت ولدت عشيرة بيت داود، ومن نسلهم وُلد المسيح الملك.

ولم يحتقر الله غربة لوط ابن أخي إبراهيم الذي خرج معه من حاران. قَبِل الغرباء مثل إبراهيم عمّه، فأشركه الله في بركة الصدّيقين بواسطة راعوت الموآبية التي أخذها بوعز امرأة. وتذكّر الله أيضًا لوطا بواسطة نُعمى العمونيّة التي أخذها سليمان، فولدت رحبعام الملك. وكان سليمان قد أخذ نساء كثيرات: سبعمائة حرّة وثلاثمائة جارية، ولم يكتب أنّه كان له نسل من هذه الألف امرأة، إلّا رحبعام من نُعمى العمونيّة التي صارت له امرأة من أيّام داود أبيه. فحين حصل سليمان على الملك، كان رحبعام ابن سنة. وملك سليمان أربعين سنة، وحين مات سليمان ملَك رحبعام وهو ابن إحدى وأربعين سنة.

١٧ وشارك لوط في بركة الصدّيقين بواسطة راعوت الموآبية ونُعمى العمونيّة، وهما السِبطان اللذان كانا منه. وبوعز وَلَد عوبيد، وعوبيد وَلَد يسّى، ويسّى وَلَد داود. وحُفظت البركة في كلّ ملوك بيت يهوذا، ومن داود إلى يكنيا، ثمانية عشر ملكًا. خطىء داود ولكن غُفر إثمه بالبركة المطمورة فيه. وتعدّى سليمان على الناموس وترك إلهه. وبسبب البركة المطمورة فيه وفي نسله، قال الله: «جعلته رئيسًا في كلّ أيّامه» (١ مل ١١: ٣٤). وأخطأ رحبعام كثيرًا، ولكن من أجل البركة التي فيه، قال الله: «لن أنزع كلّ المملكة منه، بل أعطيه سراجًا في أورشليم من أجل داود عبدي» (١ مل ١١: ٣٦). وخطىء أبيا بن رحبعام، وبسبب البركة التي فيه أسلم الله يربعام وجيشه إلى يده. وتفجّرت بركة الصدّيقين في آسا، فعمل البرّ، فسمع الله صلاته وسلّم

أعداءه إلى يديه. وحُفظت البركة في يوشافاط، فصنع ما هو حسن أمام الربّ. وأكثر يورام الخطايا، فحُفظ بسبب البركة. خطىء ولم يمحَ مثل آحاب، لأنّه تحالف وبيت آحاب، بعد أن أغوته عثليا ابنة عمري ملك إسرائيل. وحُفظت الخصلة في يوآش بن أحزيا فلم يُقتل مع إخوته، حين أبادت عثليا النسل الملكيّ، إذ رأت أنّ أحزيا ابنها قُتل على يد ياهو بن نمشي.

وخطىء يوآش وسفك الدم الذكيّ، ونسي نعمة يوياداع الكاهن، وأباد نسله من بعده. ولكن من أجل البركة حُفظ نسله. وقام أمصيا يقود المملكة. فأخطأ بالأصنام، وسجد لآلهة أخرى غريبة، ولكن بسبب البركة حُفظ نسله. وقام عزيا بعده، فتجرّأ على الكهنوت ولم يخضع له، فضربه القدّوس ضربة البرَص كلّ أيّامه. وقام يوتام على المملكة فأخطأ كثيرًا، ولكن من أجل البركة نجا نسله. وقام أحاز بالملك وأكثر الخطايا، وسجد للآلهة الميتة وقال: «أنتم آلهتي وأربابي، وأنا لكم أسجد» (٢ مل ١٦ : ٣ـ ٤). ولكن من أجل البركة حُفظ نسله. وقام حزقيا الملك الصدّيق على كلّ يهوذا في أورشليم، وصلّى وتوسّل أمام إلهه، فسُمعت صلاته ودُمِّر أعداؤه. خدم بدقّة بركة الصدّيقين التي فيه، ومرض فصلّى، فشُفِي من مرضه (٢ مل ٢٠ : ١ـ ٧).

الملك حزقيا وأيّوب

١٨ ولكن هناك أناسًا، يا صديقي، يُجادلون فيما يخصّ حزقيا: كيف أصابه مرض قتّال، وهو الذي مارس برًّا عظيمًا أمام إلهه؟ وأيّة فائدة في هذه الزيادة من الأيّام. فهذه الزيادة وضعت فيه عيبًا حين افتخر بغناه أمام رسل ملك بابل، ولم يسبّح اسم إلهه الذي شفاه من مرضه. لذلك كان حزقيا الملك الصدِّيق حزينًا: إلى الآن لم يكن له ولد،

وفي مَتْنَيْه مطمورة بركة الصدّيقين. فقال هكذا وهو يبكي: البركة التي سرت في كلّ الأجيال القديمة، من آدم إليّ في ستّة وأربعين جيلاً، لماذا خرجت منّي ولماذا انطفأت فيّ. هل يُجعَل العُنقود منذ الآن للفساد؟ وحين فكّر في هذا صلّى باكيًا، فجاء إليه أشعيا النبيّ وقال له: «هذا ما قال الربّ: ها أنا أزيد على سنيك فتعيش خمس عشرة سنة» (٢ مل ٢٠: ٥_ ٦). وزاد له خمس عشرة سنة. حينئذ وفي السنة الثامنة عشرة لملكه، وفي السنة الثالثة الزائدة وُلد منسّى. ملك حزقيا تسعًا وعشرين سنة، أوّلا أربع عشرة ثمّ خمس عشرة سنة، فتمّت الكلمة المكتوبة: الأبرار يُطيلون أيّامهم، وتقصُر سنوات الأشرار (أم ١٠: ٢٧؛ ٢٨: ٢، ١٠).

قصرت سنوات الجيل الفاسد الذي كان في أيّام نوح، ومملكة بيت إفرائيم الخاطئة، وزاد الربّ لحزقيا، كما زاد لأيّوب. زاد لحزقيا خمس عشرة سنة، وضاعف سنوات أيّوب ومُقتناه وبنيه. وإن جادل إنسان في أنّ أيّوب لم يقبل ضعف كلّ شيء، فليقتنع دون جدال. فهذا ما كتب. «أجزل الله عطاياه الأخيرة لأيّوب أكثر من الأولى، فولد له سبعة بنين وثلاث بنات» (أي ٤٢: ١٢_ ١٣). سبعة بنين وثلاث بنات مرّة أولى ومرّة ثانية. وحين يكون زمن القيامة في عالم الصدّيقين يكون له ضعف أبنائه. وحين يكون في هذا العالم يقبل ضعف كلّ ما اقتناه. ونفهم أيضًا الكلمة وهي أنّ الله أعطاه سنوات مضاعفة، كما كتب: «شاخ أيّوب بعد أن شبع من الأيّام ومات. بعد أن جُرّب، عاش مئة وأربعين سنة» (أي ٤٢: ١٦). وكان عمره قبل التجربة سبعين سنة. وتمّت فيه الكلمة المكتوبة. «نال أيّوب ضُعف كلّ شيء» (أي ٤٢: ١٠). سنواته ومُقتناه في هذا العالم، وأبناؤه وبناته في عالم الصدّيقين. فالصانع الماهر مُسلَّط على جِبْلته، يزيد عليها ويُنقص منها.

عودة إلى حاملي البركة

١٩ ووُلد منسّى ابنًا شرّيرًا من رجل صدّيق، وأخطأ أكثر من كلّ الذين سبقوه. صار ملكًا وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وملك خمسًا وخمسين سنة. ومع أنّه أكثر من الخطايا وسجد للأصنام، حُفظ نسله بسبب البركة. وولد منسّى أمون. فملك أمون، وسار في طرق منسّى، وقاد الملك بسبب البركة التي فيه، ووُلد منه رجلٌ صدّيق هو يوشيا، الذي كان ذكره مباركًا (سي ٤٥: ١؛ ٤٩: ١)، والذي أزال النجاسة من أرض إسرائيل في أيّام ملكه. وبما أنّ خطايا الشعب كانت مُلِحّة، انضمّ يوشيا إلى آبائه قبل الشرّ الذي لم يأتِ في أيّامه على الشعب، كما تنبّأت حلدة النبيّة. كان أرسل إليها يسألها كلمة، فقالت له: «هذا ما يقول الربّ إله إسرائيل: لأنّ قلبك انفطر، ولأنّك حزنت على خطايا الشعب حين سمعت كلمات الناموس، فها أنا أجمعك إلى آبائك فلا ترى الشرّ الذي يأتي على هذا الشعب (٢ مل ٢٢: ١٨-٢٠) وضُمَّ إلى آبائه قبل الشرّ: قتله فرعون الأعرج ملك مصر.

وقام يوآحاز ابنه على الملك، ولأنّ البركة لم تكن فيه، لم ينجح في ملك بيت داود. ملك ثلاثة أشهر، ومن بعدها أخذه فرعون الأعرج ملك مصر، فمات في مصر وامحّى ذكره. ونال الملك يوياقيم الذي طُمرت فيه بركة الصدّيقين. وفي السنة الثالثة لمُلكه، أخضعه نبوكدنصّر للجزية، وأخذ دانيال وإخوته رهائن. خدم يوياقيم نبوكدنصّر ثمانية سنين، وحين كثرت خطاياه وتمرّد، قتله نبوكدنصّر. فجرّوه ورموه خارج أبواب أورشليم، ودفن دفنة الحمار (إر ٢٢: ١٩). وملك يوياكين ابنه بعده، ولأنّ فيه طمرت بركة الصدّيقين، ملك ثلاثة أشهر، وحين تمرّد على ملك بابل أتى إليه جيش الكلدانيّين، وأخذوه وذهبوا به إلى بابل، وظلّ في الأسر في بابل

سبعًا وثلاثين سنة. وكانت بركة الصدّيقين فيه. وتُرِك الشعب في أورشليم بسبب النجاسة. وقام عليهم صدقيا، كملكٍ على الشعب الباقيّ.

ووَلد يوياكين شلتئيل في بابل، وبما أنّ البركة كانت في بابل، دبّر البابليّون المملكة في الأمن والسلام. وحين وُلد شلتئيل في أرض بابل، كانت بركة الصدّيقين مطمورة فيه. وولَد شلتئيل زوربابل. وفي أيّام زوربابل عاد المسبيّون من بابل، بواسطة عزرا الكاتب في عهد الملك كورش الفارسيّ. وزوربابل الذي كان مع المسبيّين، صار رئيسًا عليهم كما قال النبيّ: «زوربابل بن شلتئيل رئيس يهوذا، ويشوع بن يوصاداق الكاهن الأعظم» (حج ١ : ١). هذان الاثنان كانا ابني الزيت، فقاما أمام ربّ كلّ الأرض» (زك ٤ : ١٤).

٢٠ وحين عادت البركة من بابل إلى أورشليم، زال مُلك البابليّين وملك كورش الفارسيّ. ومرّت ثلاث وستّون سنة بعد أن عادت البركة من بابل إلى أورشليم، ومنذ الوقت الذي سُبي فيه يوياكين، إلى الوقت الذي فيه عاد المسبيّون بواسطة عزرا. وزوربابل وَلد أبيود، وأبيود وَلد الياقيم، والياقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أكين، وأكين ولد اليود، واليود ولد أليعازر، وأليعازر ولد ماتان، وماتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف، ويوسف دُعي أبًا ليسوع المسيح. ووُلد يسوع من مريم البتول من نسل بيت داود. ومن الروح القدس كما كتب: «كان يوسف ومريم خطيبته معًا من بيت داود» (لو ٢ : ٤ـ ٥). وشهد الرسول: «كان يسوع المسيح من مريم، من نسل داود، بالروح القدس» (روم ١ : ٣ـ ٤). دُعي يوسف أبًا ليسوع، وهو لم يولد من زرعه، ولكنّ اسم الأبوّة انتقل من آدم إلى يوسف على ثلاثة وستّين جيلًا، وأُخذ اسم الأبوّة من يوسف ووُضع على

المسيح. فمن يوسف قبل اسم الأبوّة، ومن يوحنّا اسم الكهنوت. ومن مريم لبس الجسد وقبل اسم المولود. بعد اثنين وستّين أسبوعًا وُلد المسيح، وقُتِل وأُخذت خصلة العنب من العنقود، ووُهب العنقود كلّه للدمار. وخرب الكرم لعدم الفلاحة، وأثمر خرّوبًا وثمارًا مرّة، وضُربت الجفنة واقتُلعت شجرة الكرم.

٢١ فخذ الآن حساب هؤلاء الثلاثة والستّين جيلًا، من آدم إلى أن وُلد المسيح. آدم، شيت، أنوش، قينان، مهللئيل، يارد، أخنوخ، متوشالح، لامك، نوح، سام، أرفكشاد، شالح، عابر، فالج، رعو، سروج، ناحور، تارح، إبراهيم، إسحق، يعقوب، يهوذا، فارص، حصرون، أرام، عميناداب، نحشون، سلّة[٥]، بوعز، عوبيد، يسّى، داود، سليمان، رحبعام، أبيا، آسا، يوشافاط، يورام، أحزيا، يوآش، أمصيا، عزيا، يوتام، أحاز، حزقيا، منسّى، أمون، يوشيا، يوياقيم، يوياكين، شلتئيل، زوربابل، أبيود، الياقيم، عازور، صادوق، أكين، اليود، أليعازر، ماتان، يعقوب، يوسف، ويسوع ابن الله الذي وُلد من مريم البتول والذي سُمّي أبوه يوسف.

عدد سنوات البركة

٢٢ سأبدأ وأبيّن لك حساب السنوات من آدم إلى المسيح؛ هذا الحساب الذي أشرت به إليك وبيّنته لك. الله خلق وولد آدم. وحين كان آدم ابن مئة وثلاثين سنة ولَد شيتا. ثمّ عاش آدم بعد أن ولد شيتا ثمانمائة سنة. فكانت جُملة سنواته تسعمائة وثلاثين سنة. عاش آدم حتّى السنة إحدى وثلاثين من أيّام لامك الذي وَلَد نوحا، ومات في الجيل التاسع.

٢٣ وعاش شيت مئة وخمس سنين وولَد أنوش. وعاش شيت بعد أن ولَد

أنوش ثمانمائة وسبعَ سنين. فكانت جُملة سنواته تسعمائة واثنتي عشرة سنة. عاش شيت حتّى السنة مئة وثمان من أيّام لامك، وسنتين قبل مولد نوح، ومات في الجيل الثامن.

٢٤ وعاش أنوش تسعين سنة ووَلد قينان. ثمّ عاش أنوش بعد أن وَلد قينان ثمانمائة وخمس عشرة سنة. فكانت جُملة سنواته تسعمائة وخمس سنين. وعاش أنوش حتّى السنة التاسعة والسبعين من أيّام نوح، وحتّى السنة خمسمائة وإحدى وعشرين قبل الطوفان، ومات في الجيل الثامن.

٢٥ وعاش قينان سبعين سنة وولد مهللئيل. ثمّ عاش قينان بعد أن ولد مهللئيل ثمانمائة وأربعين سنة. فكانت جُملة سنواته تسعمائة وعشر سنين. عاش قينان حتّى السنة مئة وتسع وسبعين من حياة نوح، وحتّى السنة أربعمائة وإحدى وعشرين قبل الطوفان، ومات في الجيل السابع.

٢٦ وعاش مهللئيل خمسًا وستّين سنة وولَد يارد. ثمّ عاش مهللئيل بعد أن ولد يارد ثمانمائة وثلاثين سنة. فكانت جُملة سنواته ثمانمائة وخمسًا وتسعين سنة. وعاش مهللئيل حتّى السنة مئتين وأربع عشرة لحياة نوح، وحتّى السنة ثلاثمائة وستّ وثمانين قبل الطوفان. ومات في الجيل السادس.

٢٧ وعاش يارد مئة واثنتين سنة وولد أخنوخ. ثمّ عاش يارد بعد أن ولد أخنوخ ثمانمائة سنة. فكانت جُملة سنواته تسعمائة واثنتين وستّين سنة. عاش يارد حتّى السنة ثلاثمائة وسبعين لحياة نوح. وحتّى السنة مئتين واثنتين وعشرين قبل الطوفان. ومات في الجيل الخامس.

٢٨ وعاش أخنوخ خمسًا وستّين سنة ووَلَد متوشالح. وأرضى أخنوخ الله،

وعاش بعد أن ولد متوشاح ثلاثمائة سنة. فكانت جُملة سنواته ثلاثمائة وخمسًا وستّين سنة. نقله الله إلى مقرّ الحياة في الجيل الثالث، في السنة الثلاثمائة لمتوشالح ابنه، وفي السنة مئة وثلاث عشرة لحياة لامك، وتسعًا وستّين سنة قبل مولد نوح، وقبل الطوفان بستمائة وتسع وستّين سنة.

٢٩ وعاش متوشالح مئة وسبعًا وثمانين سنة ووَلد لامك. ثمّ عاش متوشالح بعد أن وَلَد لامك سبعمائة واثنتين وثمانين سنة. فكانت جُملة سنواته تسعمائة وتسعًا وستّين سنة. عاش متوشالح إلى السنة ستمائة لحياة نوح. ومن بعد موته دخل نوح التابوت، وحدث الطوفان في الوقت الذي مات فيه الرجل الصدّيق. رأى آدم مئة وسبعًا وخمسين سنة، وسامًا سبعًا وتسعين سنة. مات في الجيل الثالث وفني العالم بالغضب.

٣٠ وعاش لامك مئة واثنتين وثمانين سنة ووَلَد نوحا. ثمّ عاش لامك بعد أن ولد نوحا خمسمائة وخمسًا وتسعين سنة. وكانت جُملة سنواته سبعمائة وسبعًا وسبعين سنة. عاش لامك حتّى السنة خمسمائة وستّ وتسعين سنة من حياة ابنه نوح، وقبل الطوفان بأربع سنوات. وعاش متوشالح أبوه بعده أربع سنوات. وحينئذ كان الطوفان. ورأى لامك آدم ثماني وستّين سنة، ومات قبل الطوفان بأربع سنوات في الجيل الثاني.

٣١ ووُلد نوح في السنة السادسة والثمانين بعد موت آدم البكر الأوّل الذي ولَد شيتا. وُلد في السنة التاسعة قبل موت شيت الذي ولد أنوش. وفي السنة التاسعة والسبعين لحياة نوح مات أنوش الذي ولَد قينان. وفي السنة مئة وتسع وسبعين من حياة نوح، مات قينان الذي ولَد مهللئيل. وفي السنة مئتين وأربع عشرة لحياة نوح، مات مهللئيل

الذي ولَد يارد. وفي السنة ثلاثمائة وثمان وسبعين لحياة نوح، مات يارد الذي ولَد أخنوخ. وفي السنة التاسعة والستّين قبل أن يُولد نوح، انتقل أخنوخ ولم يوجد مكان موته، ستمائة وتسعًا وستّين سنة قبل الطوفان.

وفي السنة ستمائة لحياة نوح مات متوشالح. ومن بعد هذا كان الطوفان. وفي السنة خمسمائة وستّ وتسعن لحياة نوح مات لامك، أبو نوح، أربع سنوات قبل أبيه متوشالح. وكان نوح ابن ستمائة سنة حين دخل التابوت، في السنة التي مات فيها متوشالح. وكان نوح في التابوت هو وبنو بيته، من السابع عشر من الشهر الثاني إلى السابع والعشرين من الشهر الثاني من السنة التالية: إثنا عشر شهرًا وعشرة أيّام. ثمّ خرج نوح وأبناؤه من التابوت. ثمّ عاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، ومات في السنة الثامنة والخمسين لحياة إبراهيم. ولد في السنة التاسعة والسبعين لحياة أنوش، ومات في السنة الثامنة والخمسين لحياة إبراهيم، فرأى ثمانية عشر جيلًا قبله وبعده.

٣٢ وكان سام ابن مئة سنة، حين ولَد أرفكشاد، سنتين بعد الطوفان. ثمّ عاش سام بعد أن ولد أرفكشاد خمسمائة سنة، فكانت مُجمل سنواته ستمائة سنة. ومات في السنة مئة واثنتي عشرة لحياة إسحق. وفي السنة الثانية والسبعين لحياة يعقوب، وُلد سام قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة. وُلد في أيّام متوشالح، ومات في أيّام يعقوب. رأى ستّة عشرة جيلًا قبله وبعده.

٣٣ وعاش أرفكشاد خمسًا وثلاثين سنة وولَد شالح. ثمّ عاش أرفكشاد بعد أن ولد شالح أربعمائة وثلاث سنين. فكانت جُملة سنواته أربعمائة وثماني وثلاثين سنة. ومات في السنة مئة وسبع وأربعين

لحياة إبراهيم، وفي السنة السابعة والأربعين لحياة إسحق في الجيل العاشر.

٣٤ عاش شالح ثلاثين سنة وولَد عابر. ثمّ عاش شالح بعد أن ولد عابر أربعمائة وثلاث سنين. فكانت جُملة سنواته أربعمائة وثلاثًا وثلاثين سنة. ومات في السنة الثانية والستّين لحياة يعقوب، وفي السنة مئة واثنتين وعشرين لحياة إسحق، في الجيل العاشر.

٣٥ وعاش عابر أربعًا وثلاثين سنة وولد فالج. ثمّ عاش عابر بعد أن ولد فالج أربعمائة وثلاثين سنة. فكانت جُملة سنواته أربعمائة وأربعًا وستّين سنة. ومات في السنة مئة وخمس وعشرين لحياة يعقوب، وخمس سنوات قبل موت إسحق، في الجيل العاشر.

٣٦ وعاش فالج ثلاثين سنة ووَلَد رعو. ثمّ عاش فالج بعد أن وَلَد رعو مائتين وتسع سنوات. فكانت جُملة سنواته مئتين وتسعًا وثلاثين سنة. ومات في السنة الثامنة والأربعين لحياة إبراهيم، في الجيل السادس.

٣٧ وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة ووَلَد سروج. ثمّ عاش رعو بعد أن ولد سروج مئتين وسبع سنوات. فكانت جُملة سنواته مئتين وتسعًا وثلاثين سنة. ومات في السنة الثامنة والسبعين لحياة إبراهيم، بعد خروجه من حاران بثلاث سنوات، في الجيل الخامس.

٣٨ وعاش سروج ثلاثين سنة ووَلَد ناحور. ثمّ عاش سروج بعد أن وَلَد ناحور مئتي سنة. فكانت جُملة سنواته مئتين وثلاثين سنة، ومات في السنة المائة والواحدة لحياة إبراهيم، وفي السنة الأولى لمولد إسحق، في الجيل الخامس.

٣٩ وعاش ناحور تسعًا وعشرين سنة ووَلَد تارح. ثمّ عاش ناحور بعد أن وَلَد تارح مئة وتسع عشرة سنة. فكانت جُملة سنواته مئة وثماني

وأربعين سنة. ومات في السنة التاسعة والأربعين لحياة إبراهيم، وفي السنة تسعمائة وتسع وثلاثين لحياة نوح، وفي السنة الثلاثمائة وتسع وثلاثين بعد الطوفان. وعاش نوح بعد أن مات ناحور إحدى عشرة سنة، وفي الجيل الثالث.

٤٠ وعاش تارح سبعين سنة وولد إبراهيم. ثمّ عاش تارح بعد أن وَلَد إبراهيم مئة وخمسًا وثلاثين سنة. فكانت مُجمل سنواته مئتين وخمس سنوات. ومات في السنة المئة وخمس وثلاثين لحياة إبراهيم، وفي السنة خمس وثلاثين لحياة إسحق، وخمس سنوات قبل أن يتزوّج إسحق رفقة ابنة بتوئيل، في الجيل الثالث.

٤١ وعاش إبراهيم مئة سنة ووَلَد إسحق. ثمّ عاش إبراهيم بعد أن ولد إسحق خمسًا وسبعين سنة. فكانت جُملة سنواته مئة وخمسًا وسبعين سنة. ومات في السنة الخامسة عشرة لحياة يعقوب، في الجيل الثالث.

٤٢ وعاش إسحق ستّين سنة ووَلَد يعقوب. ثمّ عاش إسحق بعد أن وَلَد يعقوب مئة وعشرين سنة. فكانت جُملة سنواته مئة وثمانين سنة. ومات في السنة المئة والعشرين لحياة يعقوب. مات بعد رجوع يعقوب من حاران بثلاث وعشرين سنة، وبعد أن بيع يوسف إلى مصر بإحدى عشرة سنة، وقبل أن ينزل يعقوب إلى مصر بعشر سنوات، في الجيل الرابع.

٤٣ وكان يعقوب ابن سبع وسبعين سنة حين باركه أبوه إسحق، وابن أربع وثمانين سنة حين تزوّج ليئة وراحيل ابنتي لابان. ووُلد له من ليئة رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون، ومن راحيل، يوسف وبنيامين، ومن بلهة، أمة راحيل، جاد وأشير، ومن زلفة، أمة

ليئة، دان ونفتالي. هؤلاء هم أبناء يعقوب الاثنا عشر. ومات يعقوب وهو ابن مئة وسبع وأربعين سنة، بعد أن نزل إلى مصر بسبع عشرة سنة. ومات في الجيل الرابع.

٤٤ منذ آدم إلى أن دخل نوح التابوت، مرّت ألف وستمائة وإحدى وخمسون سنة، كما كُتِبَ في سفر الولادات[٦]. ومن الوقت الذي فيه خرج نوح من التابوت، إلى الوقت الذي أقام فيه الله عهدًا مع إبراهيم، مرّت ثلاثمائة وسبع وثمانون سنة، كما هو مكتوب في سفر الولادات. ومن وَعْدِ إبراهيم إلى الوقت الذي دخل فيه يعقوب إلى مصر، مرّت مائتان وخمس سنوات. وكان بنو إسرائيل في مصر، مدّة مئتين وخمس وعشرين سنة. فمنذ الوَعد لإبراهيم إلى الوقت الذي خرج فيه الشعب من مصر، مرّت أربعمائة وثلاثون سنة، كما شهد بولس الرسول فقال: «قد حقّق الله العهد في الماضي. والشريعة التي كانت بعد أربعمائة وثلاثين سنة، لا تقدر أن تَرذُل الوعد أو تُبطِله» (غل ٣: ١٧). ومن آدم إلى الطوفان، مرّت ألف وستمائة وإحدى وخمسون سنة، ومن الطوفان إلى وقت خرج الشعب من مصر، مرّت ثمانمائة وسبع عشرة سنة.

٤٥ كان موسى قائدًا للشعب في البرّيّة أربعين سنة. وكان يشوع بن نون قائدًا للشعب خمسًا وعشرين سنة. وكان يهوذا وعتنيئيل بن قناز مُدبّريّ الشعب ثماني وأربعين سنة. واستعبد عجلون، ملك موآب، الشعب ثماني عشرة سنة. وكان أهود قائدًا للشعب ثمانين سنة. وأخضع نابين[٧] إسرائيل عشرين سنة. وكانت دبورة وباراق قائدين للشعب أربعين سنة. واستعبد المديانيّون إسرائيل سبع سنين. كان جدعون مُدبّرًا للشعب أربعين سنة. وكان أبيمالك بن جدعون مُدبّرًا للشعب ستّين سنة. وكان تولع بن فوأة قائدًا للشعب ثلاثًا وعشرين

سنة. وكان يائير قائدًا للشعب اثنتين وعشرين سنة. واستعبد الفلسطيّون والعمّونيّون إسرائيل ثماني عشرة سنة. وكان يفتاح قائدًا للشعب ست سنين. وكان أبصان قائدًا للشعب سبع سنوات. وكان أيلون قائدًا للشعب عشر سنين. وكان عبدون(٨) قائدًا للشعب ثماني سنوات. واستعبد الفلسطيّون إسرائيل أربعين سنة. وكان شمشون قائدًا للشعب عشرين سنة. وكان عالي قائدًا للشعب أربعين سنة. بعد عالي كان تابوت العهد في بيت أبيناداب في جبعة مدّة عشرين سنة. وكان صموئيل قائدًا للشعب ثلاثين سنة. وكان شاول قائدًا للشعب أربعين سنة. كلّ سنوات هؤلاء القوّاد، كانت ستمائة وخمسًا وخمسين سنة(٩). وهذا ما كتب في سفر الملوك: «في السنة أربعمائة وثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، إلى السنة الرابعة لملك سليمان شرع يبني بيت الله» (١ مل ٦: ١). هكذا حُسبت السنون، والحساب السابق لا يُوافق الحساب اللاحق.

٤٦ ملك داود أربعين سنة، وملك سليمان أربعين سنة، وملك رحبعام سبع عشرة سنة. وملك أبيا ثلاث سنوات. وملك آسا إحدى وأربعين سنة. وملك يوشافاط خمسًا وعشرين سنة. وملك يورام ثماني سنوات، وملك أحزيا سنة واحدة. وملكت عثليا ست سنوات. وملك يوآش أربعين سنة. وملك أمصيا ثلاثًا وعشرين سنة، وملك عزيا اثنتين وخمسين سنة. وملك يوتام ست عشرة سنة. وملك أحاز ست عشرة سنة. وملك حزقيا تسعًا وعشرين سنة. وملك منسّى خمسًا وخمسين سنة. وملك أمون سنتين. وملك يُوشيا إحدى وثلاثين سنة. وملك يواحاز ثلاثة أشهر. وملك يوياقيم إحدى عشرة سنة. وملك يوياكين مئة يوم. وملك صدقيا إحدى عشرة سنة. فكانت سنوات هؤلاء الملوك أربعمائة وخمسًا وخمسين سنة وستّة

أشهر وعشرة أيّام. في السنة الثالثة لملك يوياقيم صعد نبوكدنصّر إلى أورشليم، وأخضع الشعب للجِزْية.

وأقام إسرائيل في أورشليم خاضعًا للجِزية، منذ السنة التاسعة والعشرين ليوياقيم، وخلال السنوات الإحدى عشرة لصدقيا. وظلّت أورشليم خربةً خمسين سنة أي سبعة أسابيع من السنين. وارتاحت الأرض في الأسابيع حين كانوا هم في أرض الأعداء، لأنّ الأرض لم تكن سَبَتَتْ[١٠] حين كانوا عليها. وفي نهاية السبعين سنة، أجاز كورش الفارسيّ قرارًا في مملكته يُعلن لهم العودة. ومن بعد العودة، أقام شعب إسرائيل في أورشليم سبعين أسبوعًا، كما تنبّأ دانيال، وهذه الأسابيع هي أربعمائة وتسعون سنة.

بالمسيح مرّت البركة إلى الوثنيّين

ومن بعد أن قُتِل المسيح الملك، خَرِبت أورشليم بحيث لن تعود تُسكَن إلى الأبد، وإلى كمال القرار تبقى على دمارها. وأُخِذت ا خصلة من العُنقود، ووُهِبَ العُنقود للدمار، وأُفرِغ الشعب من النعمة.

٤٧ وسرت البركة من يسوع إلى الشعوب، فقال لليهود: «يُؤخذ منكم ملكوت الله، ويُعطى لشعب يُعطي ثمرًا» (مت ٢١ : ٤٣). وقال لنا: «أنا معكم إلى نهاية العالم» (مت ٢٨ : ٢٠). وقال أيضًا: «أنتم تكونون فيّ، وأنا أكون فيكم» (يو ١٤ : ٢٠). وشهد الرسول: «إن كان أحد منكم ليس فيه روح الله، فهو لا يَخُصّ الله» (روم ٨ : ٩). وقال أيضًا: «أنتم هيكل الله، وروح المسيح يسكن فيكم» (١ كور ٣ : ١٦). وقال بالنبيّ: «أسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢٦ : ١٢؛ ٢ كور ٦ : ١٦). وشجّعنا بنفسه أن لا نخاف من التجارب التي تأتي علينا، وقال لنا: «إن سمعوا كلامي وحفظوه، يحفظون كلامكم أيضًا. وإن

اضطهدوني فسيضطهدونكم أيضًا» (يو ١٥: ٢٠). وقال لنا أيضًا: «لستم من العالم، كما أنّي لست منه» (يو ١٥: ١٩؛ ١٧: ١٦) وقال أيضًا: «لو كنتم من العالم لكان العالم يُحبّ ما يخصّه» (يو ١٥: ١٩). وبما أنّنا قَبِلنا هذه الوصايا من يسوع مُحيينا، لا نقدر أن نسير سيرة خارجة عن سيرته. إن اضطهدوا المسيح، فنحن أيضًا سيضطهدوننا، وإن أبغضوا المسيح فنحن أيضًا سنكون مبغوضين، وإن قيّدوا المسيح فنحن أيضًا سنُقيّد، وإن ضربوا المسيح على فكّه فنحن أيضًا سنُضرب، وإن عذّبوا المسيح فنحن أيضًا سنُعذّب.

المسيح عطيّة الله للوثنيّين

٤٨ عظيمة هي موهبة الصالح نحونا. أراد أن يُبرّرنا حين لم يكن مُجبرًا بسبب خطايانا، وحين لم يجد عونًا من أعمالنا الحسنة، نبّهنا كيف نرضيه. حين لا نريد أن نسأله شيئًا، يغضب علينا ويدعونا في كلّ وقت: إسألوا تنالوا، وحين تطلبون تجدون. غناه يشبع مَن بهم حاجة إليه، ولا يجوز لإنسان أن يقول: أخذت الكفاية، حين يأخذ من كنزه المجيد. يرضى بالذين يسألونه، يدعوهم في كلّ وقت: «إسألوا تنالوا، وحين تطلبون تجدون» (مت ٧: ٧). والذين يسرعون يأخذون منه، فالذي يذوق غناه يحتاج أن يأخذ أيضًا منه. مَن قال مثله: «إسألوا تنالوا؟». ويغضب علينا حين لا نسأله شيئًا.

٤٩ وحتّى حين لم نسأله، أرسل إلينا موهبته التي لم تكن لتُوجد عندنا أبدًا. أرسل المسيح كإنسان، ليضحك على الشرّير وقُوّاته، ويدفع عنّا القوّة المغلوبة. أرسل إلينا البريء ليُدان ويُحكَم عليه، فيتبرّر المذنبون بالحكم على البريء. أرسل القويّ بشكل ضعفنا، ليقوّي ضعفنا على قوّة الشرّير. لبس الجسد الذي من التراب وانتزعه من طبعه، وطمر فينا الملح الذي يُذيب الاهتراء. وحين تُريد الحيّة أن

تقترب منه لتأكله، تكرهه بسبب الملح الذي لا تقدر أن تأكله. أرسل ابنه البريء إلينا، ليموت كموتنا فيخجل منه الموت.

عظيمة هي موهبة الصالح الذي أعطاها للصغار. ماذا كان يجب أن يعطينا أفضل من ابنه؟ حين كنّا خاطئين أكثر من الآن، أرسل إلينا هذه الموهبة. وحين تبرّر ماذا يُعطينا إلاّ الحياة مع الذي يأتي إلينا، ذلك الذي لم يُشفق على ابنه بل أرسل إلى العار (روم ٨: ٣٢).

٥٠ عجيبة وعظيمة هي موهبته نحونا. خرج الملك من مكانه فتوسّل شفاءنا. تصرّف بحسب تصرّف جسد ضعيف، وُلِد مثلنا وأُهين أكثر منّا. كلّ هذا احتمله من أجلنا، فقبِلنا موهبته كعربون حياة.

أمّا أنا، فكلّ ما أستطيع أن أقوله هو أنّه لم يكن له موهبة يُرسلها إلينا أعظم من هذه. وحين أتى أخذ عُربونًا منّا، وذهب إلى مكانه وقال لنا: «أنتم تكونون فيّ، وأنا أكون فيكم» (يو ١٤: ٢٠). وقال الرسول: «أصعَدَنا وأجلسنا معه في السماء» (أف ٢: ٦). رأسُ قيامتِنا هو الجسد الذي لبسه منّا. حرّره من العبوديّة وأدخله إليه. وثبّت لنا مواعيده أنّنا نكون معه، فقال بوضوح: «حيث أكون أنا تكونون أنتم» (يو ١٤: ٣). لنفرح من الرهن الذي أخذه منّا، وأجلسه في المجد مع المسيح الملك.

فعل شكر

٥١ عظيمة هي موهبة الصالح نحونا. ما أخذه الملك منّا رَهنًا، جعله الحبيب مثله وحفظه إلى النهاية. هذا هو ابن آدم. فالجسد الذي من مريم، أخذه من عندنا إلى موضع الحياة. والجسد الضعيف صار قويًا، ونال مجدًا أعظم وأعجب من هذا الذي تعرّى منه آدم بسقطته،

٥٢ نفرح بك، يا ولدًا محبوبًا، لأنّك رسمت لنا الطريق إلى المكان الذي

نصبو إليه. نشكرك يا دواء أوجاعنا، يا مَن طمرت فينا روحك كدواء لأجسادنا. نسجد لك ولأبيك العليّ الذي رفعنا بك ودعانا إليه. نشكر بك مراحم الذي أرسلك، فرضي بنا أن نحيا بموت وحيده. نمجّد فيك الله اللامخلوق الذي فصلك من جوهره وأرسلك إلينا. نُعظّمك أيّها الجالس في قداسة الذي قدّس أجسادنا بالعُربون الذي قبلناه. نشكر بفمنا، قدر استطاعتنا، القويّ الذي جاء يُحيي الضعفاء. لنسهر كلّ يوم ولنمجّد، بواسطة الابن الحبيب، الآب الذي أرسله. لنفرح بموهبته ليفرح بنا هو أيضًا. لنعترف بأبيه ليعترف بنا هو أيضًا. لنسأل من الكنز موهبة للحاجة، لأنّ ما يحتاج إليه هو أن يُعطي الحياة للمُحتاجين.

عظيمة هي ومجيدة موهبته نحونا. طلب التَسْبِحة من أناس ضعفاء، وهو المسبَّح حتّى وإن لم نُسبّحه، وهو المُعظَّم حتّى وإن لم نعظّمه. يحتاج أن يُعطي ويريد أن نطلب، لكي يُعطينا بواسطة طلباتنا الحياة التي وَعَدنا بها، فنحيا مع ابنه الوحيد. له أن يُعطي ولنا أن نطلب. له الحياة، ولنا أن نهرب من الموت. له الحياة ويدعونا أن نأخذها. له النعمة ويجعلها في أيدينا لنهرب من الشرّير. له الحياة والنور قربه، ونبّهنا أن نهرب من ظُلمة الموت. ليس مَن يصل إلى حدود كنوزه، وليس مَن يفهم عميق حكمته.

٥٣ فيا أيّها الصالح والعذب، افتح الباب لطلباتنا. أنصت إلى صلاتنا واسمع تضرّعنا كما علّمنا حبيبك: «صلّوا ولا تملّوا» (لو ١٨ : ١). وردّد علينا مُنبّهًا: «صلّوا لئلا تدخلوا في التجربة» (مت ٢٦ : ٤١). وكتب لنا لنعرف عذوبته، فقال: «ليس من شيء تطلبونه من الله بصلاتكم إلّا ويُعطيه لكم» (مت ٢١ : ٢٢).

صلاة

والآن ليس من أجل أعمالنا الحسنة أو على برّنا نتّكل لكي نصلّي أمامك، بل من أجل مراحمك، لأنّك صالح وعذب. نحن كمُذنبين نُصلّي أمامك، وأنت فاسمع صلاتنا كصالح وعذب. نحن كضعفاء نصلّي أمامك، وأنت أيّها القويّ لا ترفض سُؤْلنا. يدانا مبسوطتان، وقلبنا إليك ليسأل منك النعمة ويطلب. يبتهج عقلنا حين تسمع طلبتنا، لتستيقظ حواسّنا ولتسأل بثقة. إفتح آذاننا لصلاة تتلفّظ بها أنت، ولتنطلق عيُون قلبنا نحوك إلى العلاء. إسمع صلاتنا واقبل طلبتنا، اصنع ما تصبو إليه، انصت واستمع إلى كلامنا. أنظر عبوديّتنا واعفُ عن شعبك في زمن ضيقه. أسرع بحنانك وأظهر جبروتك. لا تُعاقبنا بغضبك ولا تُوبّخنا بسُخطك. نحن شعبك وجبلة يديك وعمل أصابعك. خلقتنا على مثالك، صنعتنا على صورتك، جبلتنا بيديك وجعلت روحك فينا. لا تغضب إلى الأبد ولا تقف بعيدًا.

كنّا مُشتّتين فجمعتنا، كنّا في الظلمة فأنرتنا، كنّا محبوسين فأخرجتنا، كنّا مقيّدين فحرّرتنا. حين كنّا في الجبّ العميق ولم يكن لنا رجاء، دعوتنا لنرجوك، وحين كنّا خطأة، أردت أن تبرّرنا. حين لم نسألك أرسلت وحيدك. بدمه خلّصتنا، وبواسطته عرفناك. أرسلته إلينا حين لم ندعك، وأرسلته إلى لقاء ذنبنا حين لم نسألك. أنزلته إلى الجحيم حين لم نُجبرك، وواضعته لأجلنا حين أغضبناك. خلّصتنا بآلامه حين كان ذنبنا عظيمًا أمامك.

والآن، نطلب ونحن ساجدون ومعترفون ومسبّحون مراحمك بواسطته. فاسمع صلاتنا واقبل طلبتنا، وانظر عارنا وانصت إلى ذلّنا. إرفع الصوت لأجل شعبك المسلوب، ولأجل بيتك الذي خُرِّب، ولأجل مذابحك التي انقلبت، ولأجل كهنتك الذين هلكوا ونسّاكك المضطهدين

وكُتُبك المختومة، ولأجلنا نحن المُشتّتين والمسلوبين. كَبُرَ خِزْينا، تبدّد شعبنا، سُفِك دمنا، تعرّت جماعتنا. فترأف بذُلّنا وعارنا وخِزْينا.

٥٤ ممّن نطلب ليسمع صلاتنا؟ إلى مَن نذهب؟ فها نحن خاصّتك. عاقبتنا بغضبك، فافتَدِنا بمراحمك. كرهتنا فلا تُهملنا وتنقطع عنّا. لا تكن طويل البال تُجاه ذُلّنا وعارنا، كما يسأل نبيُّك المُضايق مثلنا ويقول: «لا تسمح أن أُجرف بطول أناتك» (إر ١٥ : ١٥).

إسمع صلاتنا كما سمعت صلاة موسى حبيبك، وليُجازى أعداؤنا مثل فرعون الظالم. أنصت إلى طلبتنا كما سمعت ليشوع، فهلك عماليق ومُحِيَ ذكرُه. أنت إله الأوائل والأواخر. سمعت لموسى وأغرقت فرعون، استجبت لهارون فامتنع الوباء، أرجعت الغضب بغيرة فنحاس، ساعدت يشوع بن نون وأخزيت أعداءه. إستجبت لشمشون في وقت ذُلّه، وانتقمت له من الفلسطيّين الذين أغضبوه. طالبت بحقّ داود من شاول مُضطهده، وحكمت على أبشالوم المشاغب. كفّر صموئيل أمامك عن شعبه، وبيّنت عظمتك ضدّ الذين رذلوا ملكك. أعدت الحقّ لإيليّا المضطهَد، فهلك بصلاته أنبياء البَعْل. حُفظ ميخا بمراحمك العظيمة، وسقط مُضطهِده ومات في الحرب. وبيّنت مُعجزاتك في الذين ضايقوا أليشاع حين دخل السامرة، فعرفوا عظمتك. إستجبت حزقيا حين حُبس في الضيق، وبيّنت جبروتك في سنحاريب وجيشه. سمعت لآسا، وأعنت يوشافاط وانتقمت سريعًا من كلّ مضايقيه. سمعت ليونان من عمق البحر، ومن أمعاء الحوت ومن الأمواج المحيطة به أخرجته. إستجبت لدانيال حين سقط في الجبّ، ونجّيته من فم الأسود. ساعدت حنانيا وإخوته في أتون النار، وأوقدت اللهيب للنمّامين. إستجبت لمردخاي وأستير في ضيقهما، وخلّصت شعبك فخزي هامان المضطهد. أصعدت إرميا

من الجبّ الموحل، ووهبته حظوة أمام ملك بابل.

٥٥ ترأَّف أيّها الربّ على عبوديّة شعبك. ترأَّف يا ربّ على طلبتنا واسمع صلاتنا. خُرِّب معبدُنا ودُمِّر موضع عبادتنا. أُفني كهنتنا ورئيسنا صامت. عذارانا مذلولات ونُسّاكنا مشتّتون. ترأَّف أيّها الربّ، ترأَّف على المساكين والغرباء، والمرهقين الذي ليس لهم راحة ولا بيت يُسندون فيه رأسهم. الطرق قاحلة والسبل باطلة، عيوننا أظلمت وقلوبنا بائسة، اسمع صلاتنا واقبل طلبتنا. إن نحن أذنبنا وعاندناك، فأنت ترأف من أجل اسمك العظيم. ليس لنا اتّكال آخر، ولا رجاء ولا راحة خارجًا عنك.

لك السماوات ولك الأرض، لك النهار ولك الليل. الشمس والقمر أنت خلقتهما. لك تسبّح البحار بأمواجها التي وضعت لها حدًّا، وهي تصنع أوامرك. تُحيط البحر بالرمل فيتمّ إرادتك. إليك تنظر كلّ الكائنات وإيّاك تنتظر. يمينك تكفي كلّ خلائقك، ولا شيء يقدر أن يعصي مشيئتك. لك نيّرات الرقيع، والرياح والعواصف تُسبّح اسمك. إليك يتطلّع حيوان البرّ وطير السماء وسمك البحر. قم لمساعدتنا بعونك العظيم، لتعرف كلّ الشعوب على وجه الأرض، أنّ ليس مثلك، ولا إله خارجًا عنك (٢ صم ٧: ٢٢). قال عنك فرعون: مَن هو الله (خر ٥: ٢)، فغرّقته كمُحارب في البحر الرهيب. وحسبك سنحاريب كآلهة الأمم، فضربته بالذُهول وأظهرت عظمتك. أعَنْتَ متتيا الذي غار غيرتك، واستجبت ليهوذا وسمعان وأخوتهما، وأعنتهم في حروب مذهلة صنعتها أيديهم.

٥٦ لتستيقظ مراحمك ويتجلّ حنانك. أترك بقيّةً لشعبك المنهوب. إصنع جديدًا لبيتك في أيّامنا. إرفع رأسنا الذي أحدرناه بذنبنا. إقبل قربان شعبنا ولتُرضِك صلاتنا. لتُفتح الأبواب المغلقة ولترتفع المذابح

المقلوبة. ليجتمع شعبك المنهوب، ويفرح ببيتك المجدّد. ليصرخ إليك دم الصدّيقين، ولتكن بهم راحتك كعِطر عذب. ترأّف أيّها الربّ، ترأّف على المتعفّفين من جماعتك الذين سقطوا بأيدي الأشرار الشامتين بانكسارنا.

أنت معتاد يا ملكنا أن تبيّن حنانك، ونحن معتادون دومًا أن نطلب من مراحمك. نطلب منك متّكلين على عذوبتك، على نعمتك التي لا تمنعها حتّى عن الأشرار. أنت تُشرق شمسك على الأخيار وعلى الأشرار، أنت تُنزل مطرك على الأبرار والأثمة (مت ٥: ٤٥). نحن نعرف في كلّ وقت أنّك مُعتاد أن تسمع للمُتضايقين. كم من مرّة استجبت للمسجونين، وأعنت المضطهدين وقوّيت الضعفاء، ورفعت الوُضعاء ونجّيت المرهقين وخلّصت المنهوبين وفككت الأسرى، وأنرت الظلمات وأشبعت الجياع، وأغنيت المساكين في كلّ جيل وجيل. نعرف أنّك صنعت هذا لعبيدك، وأنت عرّفتنا به: «أنا الأوّل وأنا الآخِر» (أش ٤٤: ٦؛ ٤٨: ١٢). أنت هو إله الأوائل والأواخِر. لك العالمان، كلّ ما هو وكلّ ما يكون.

٥٧ إلى مَن نذهب ليسمعنا؟ إلى مَن ننظر ليُساعدنا؟ مَن ننتظر ليخلّصنا؟ لمَن نُصلّي ليقبل طلبتنا؟ نحن خاصّتك وأنت إلهنا. حاشا لك أن تسمح أن يختفي دم الصدّيقين الذي سفكه الأثمة، بل يُوضع على صخرة مالسة، ليصعد منه غضب العقاب. حاشا لك أن تجتمع مراحمك وغضبك. لا تسمح أن يقهر شرُّنا نعمتك، ولا أن يمنع حنانك بسبب إثمنا، ولا أن يتغيّر كيانك بسببنا. اسمك الصالح فبيّن صلاحك. صلاحك فينا وعدلك ضدّنا، فكلاهما لديك، وهما بين يديك.

٥٨ نسجد لك يا كائنًا جوهرًا، يا مَن خلقتنا من لا شي. جبلتنا بصورة

شِبهك، ونفخت فينا من روحك الحيّ. تركتنا وسط العالم نسكن فيه أمامك. بين يديك موتنا وحياتنا، فأيّ شيء هم البشر أمامك؟ كبُخار يصعد من القِدْر، كعُصافة تحملها العاصفة، وكظِلّ المساء وكسحاب الصباح، وكالقشّ الذي يعبر وكالزهرة التي تفني. إن أردت كنّا، وإن لم تُرِد لا نكون. إن نظرت إلى الأرض ارتجفت، وإن أدرت وجهك هلك سُكّانها. إرادتك تحمل كلّ الخلائق، وأمرك يخدم كلّ الطبائع. تُشرق الشمس بكلمتك، وتدور بإرادتك في كلّ الخليقة. يتغيّر القمر بطريقة عجيبة، وجعلته لتمييز الأزمنة. نظّمت النيّرات في الرقيع، وزيّنت كلّ البرايا. تهبّ رياحك بإرادتك ومرارًا ما تبيّن قوّتها، فتُهيّج البحر وتزعزع الجبال، ثمّ بأمرك تُعطي راحة للخلائق. تطير الطيور في الهواء في سبل مرسومة، ومثلها أسماك البحر. تصعد الأسماك إلى الهواء فتموت، وتسقط الطيور في المياه فتختنق. لك كلّ ما كان وما سيكون، وبك تتميّز كلّ الطبائع.

٥٩ نُسبّحك يا مُتجلْبِبًا بالمجد، ونشكرك يا مَن لا تحتاج إلى ذلك. نُعظّمك من الأعماق السُفلى، يا مَن مسكنك في سماء السماوات. إرادتك أعلى من السماوات، وأمرك يصل إلى تحت الأرض. لم تصنعك أيدينا ولا تعبت فيك أصابعنا. صوّرناك في قلوبنا وعبّرنا عن شبهك في ضمائرنا. رآك فكرنا ودعوناك الله، وسمّيناك أبًا لأنّك ولدتنا، وملكًا وإلهًا لأنّك دعوتنا. أردنا أن نحيط بك فلم نقدر، وأردنا أن نقابلك، ولكن ليس ما يُشبهك. منظرك خفيّ وقوّتك كبيرة، وعظمتك سرّيّة وبك ترتبط الخليقة. المياه الكثيرة تُوقفها راحة يديك، والجبال العالية تَزِنُها في القبّان، والتلال في ميزان. الأرض واسعة رحبة وافرة، وقياسها موطىء قدميك. كيَّلت بقبضتك تُراب الأرض، والسماء كرسيّك التي لا تقدر أن تحملك. عظيم اسمك

وعجيبة أعمالك، ولكنّك صاغرت عظمتك على قياس لساننا. فمُنا يقدر أن يتكلّم عنك. وأقمت فينا، وتحلّ في الصدّيقين، والمكان واسع لك. زحفت عظمتك إلى قلب صغير، وجعلتنا هياكل يسكن فيها وقارك. دعوتنا معابد، وسارت بيننا عظمتك، كما عرّفتنا ذلك مُسبقًا بفم أنبيائك: «أسكن فيهم وأسير بينهم». أنت تسكن في الهادئين، وتحلّ في المتواضعين، وترتاح في الهادئين الصالحين، وترتضي بالتائبين. تنظر إلى الأبرار، وتبتهج بالمساكين، وتقترض من البائسين كرجل ضعيف. لا حدود لمراحمك ولا قياس لنعمتك، ولا توفيك حقّك كلُّ أفواهنا، ولا تكفي لذلك كلّ ألسنتنا.

حين يريد الإنسان أن يحيط بك، يبقى مكانه، وحين يوسّع عقله يبقى عاجزًا. إن رفع تفكيره أعلى من السماء، يجد نفسه يسير على الأرض، وإن نزل إلى أعماق فكره، عاد إلى الأرض في وقت قصير وعجز فكره. مَن يقدر أن يفهم ما هو فوق السماء؟ ولا يقدر أحد ن يعرف ما وُضع تحت الأرض! على ماذا يمّد الرقيع؟ وبماذا تتعلّق السماء؟ إلى ماذا تستند الأرض، والقمر ماذا يُثبّته؟

فِعْلُ إيمان

٦٠ نحن من آدم، ولذلك نُدرك شيئًا قليلًا، وإنّما نعرف فقط هذا: الله واحد ومسيحُه واحد والروح واحد، والإيمان واحد والمعموديّة واحدة (أف ٤ : ٤ـ ٦). لا ينفعنا أن نتكلّم أكثر عن هذا. وإن أردنا أن نتكلّم نخسر، وإن بحثنا نُقصّر. كثيرون ضلّوا الطريق وتركوا السبيل، وساروا تائهين في طريق المَعْثِرَة. حبلوا وفكّروا بكلمات فاسدة. تنبّأوا بالكذب وتركوا الله. أرادوا أن يظهروا عقلاء فخسروا التمييز. هم عقول مُظلمة، يتلمّسون العتمة.

٦١ يا ابن آدم، يا تُرابًا من الأرض، هل تُفكّر بما يقود إلى الهلاك؟ وَلَدَ عقلك آلهة أخرى، واخترع فكرك ما لم يره أحد. فما صعدت إلى فوق، بل أنت أسير الأرض. ولا نزلت إلى تحت لتعرف ما هناك. تُخمِّن وتتكلّم دون أن ترى. صرت لنفسك دجّالاً تتكلّم الزور والزيف. أسألك فقل لي: الشمس التي تراها بماذا تقوم؟ هل فيها نفس؟ هل فيها معرفة؟ هل يوجود فيها تمييز؟ إن كنت تصدّق ما أقول لك، فالأمور هي هكذا: الشمس والقمر هما كالمياه والنار، لا يُدركان ولا يُميِّزان. مهما أعطيت النار فهي لا ترذله، ولا تكره ما هو سيّء وبغيض. لا تعرف ما هو ثمين، ولا تُميّز ما هو حقير. والمياه هي هكذا، لأنّها كلّها مخلوقات لا تمييز لها. الشمس والقمر والرياح، والبروق والسحاب والنار والمياه، هذه كلّها مخلوقات لها مسيرة تسير فيها. صُنعت منذ البدء لخدمة العالم وحين تسير مسيرتها ليس فيها تمييز. تأكل النار الزِبل والنتانة ولا تقول: كفى، لأنّ هذا هو طبعها، وتُشرق الشمس على الجُثث والوَحْل، وتتأجّج بقوّتها من دون تمييز. تجرف المياه كلّ نجاسة وتمتزج في وسخ الوحل، وليس فيها معرفة لذاتها. كلّ هذه هي خدّام السماء والأرض. صُنعت لخدمة العالم لا لخدمة نفسها. فالأرض أيضًا تبقى جامدة: فإن إراد الله فهي تتزعزع من أصولها. فاعرف أيّها الإنسان الجاهل: إرادة الله تحمل كلّ شيء، وليس شيء خارجًا عن إرادته.

نحن نعرف أنّ الله واحد لنعترف ونسجد ونهلّل، ونعظّم ونكبّر ونقدّس، ونسبّح عظمته بواسطة يسوع مخلّصنا الذي اختارنا له وقرّبنا إليه. به عرفناه فصرنا له ساجدين شعبًا وكنيسة وجماعة مقدّسة. المجد والكرامة للآب والابن والروح الحيّ، والمقدّس من فم كلّ مُسبِّحيه، في الأعاليّ وفي الأسافل إلى أبد الآبدين، آمين وآمين.

الله واحد فاحفظ وصاياه

٦٢ في رأس كلّ الأعمال الصالحة، إليك ما يُطلب منك أمام الله: أن يؤمن الإنسان أنّ الله واحد، ومع الإيمان أن يحفظ الوصايا. فأن يعترف الإنسان أنّ الله واحد، ويتجاوز الوصايا ولا يعمل بها، فذلك يعني أنّه لا يعتبر حقيقة أنّ الله واحد، كما قال معلّم الشعوب: «يعترفون أنّهم يعرفون الله، ولكنّهم يكفرون به بأعمالهم» (تي ١: ١٦). وقال أشعيا أيضًا: «هذا الشعب يُكرمني بشفتيه، أمّا قلبه فبعيد منّي» (٢٩: ١٣). وقال داود: «يُبارِكون بفمهم، وبقلبهم يلعنون» (مز ٦٢: ٥). فكيف يعترفون أنّهم يعرفون الله وبأعمالهم يكفرون به؟ إن آمن إنسان أنّ الله واحد، ولم يصنع ما أمر به الله، فهو لا يعتبر حقيقة أنّ الله واحد. فقد أمر الله: إحفظ وصاياي واعمل بها (لا ٢٢: ٣١). مَن لا يحفظ وصايا الله، من الواضح أنّه يكفر بالله، لأنّه لا يعتبره حقًّا أنّه سيّد الوصايا. قال الله: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزّور، أكرم أباك وأمّك (لو ١٨: ٢٠)، وما هو بغيض لك لا تصنعه لرفيقك (طو ٤: ١٦؛ مت ٧: ١٢؛ لو ٦: ٣١). فمَن يؤمن أنّ الله يدين القتلة لا يقتل، ومَن يقتل لا يعتبر أنّ الله موجود. ومَن يؤمن أنّ الله يدين الزناة لا يزني، ومَن يزني لا يعتبر حقًّا أنّ الله موجود. ومَن يؤمن أنّ الله يدين السارقين لا يسرق، وإن سرق فهو لا يعتبر حقًّا أنّ الله موجود. وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى سائر الوصايا.

الشهادة بالزّور

٦٣ وأمر مُحيينا خاصّة: «لا تَحلف حِلفًا كاذبًا. فمَن حلف استوجب الدينونة» (مت ٥: ٣٣). فمَن يعتبر حقًّا أنّ الله واحد، كيف يحلف به ويكذب. ومَن يتجاوز هذه الوصايا، فمن الواضح أنّه يكفر بالله. وأكثر الأشرار أمام الله مَن يحلف ويكذب في حلفه. لأنّ مخلّصنا

نبّهنا بقوّة وأمرنا في تعليمه: «لا تحلف بالسماء لأنّها كرسيّ الله». فحين تحلف بالسماء وتكذب، كيف ترفع عينيك إلى السماء، وتطلب طلبًا من الجالس في السماء؟ ولا تحلف بالأرض لأنها موطىء قدميه. فحين تحلف حلفًا كاذبًا بالأرض فالأرض تتزعزع من تحتك حين تصلّي عليها، لأنّها موطىء أرجل الله الذي سيُكذّبك. ولا تحلف بأورشليم لأنّها مدينة الملك العظيم. فحين تحلف حلفًا كاذبًا بموضع السجود، فهو سيُخجِلُ وجهك حين تقوم هناك للصلاة. وصلاتك التي ترتفع من بيتٍ كذبت فيه، لا تصعد إلى الله، ولا تكون لها نتيجة كما تريد. لا تحلف برأسك لأنّك لا تستطيع أن تصنع له خصلة سوداء أو بيضاء (مت ٥: ٣٤_ ٣٦). فإن حلفت برأسك وكذبت، تُخجل رأسك الذي ذُكر عليه اسم ربّك، كما قال الرسول: «رأس الرجل هو المسيح» (١ كور ١١: ٣).

فيا مَن تحلف بشعرك وتكذب، إن كنت تعتبر حقًّا أنّ الأسماء الثلاثة العظيمة والممجّدة، أي الآب والابن والروح القدس، قد ذُكرت على رأسك حين قبلت وَسْمَ الحياة، إن كنت تعتبر حقًّا المعموديّة فلا تكذب برأسك، بل اعرف أنّ ليس لك سُلطان أن تحلف برأسك بل «لتكن كلمتكم نعم نعم ولا لا، وما هو زائد على هذا هو من الشرّير» (مت ٥: ٣٧).

شرّ الشرور أن نكذِّب الله بالحلف، وهذا شرّ الخطايا التي يستطيع أن يصنعها البشر. إن تجاوز إنسان واحدة من وصايا الله، يقوم ويصلّي ويطلب من الله الذي ربّما غفر له. أمّا مَن حلف بالله وكذب، فممَّن يطلب؟ كيف يطلب من الله وقد جعله كذّابًا؟ كيف يصلّي إلى الله مَن لا يعتبر الله حقًّا.

٦٤ إقترف ملوك إسرائيل خطايا عظيمة ومُرّة. بعضهم ترك الله وسجد

للأصنام، ومنهم مَن زنى بنساء رجالهم. منهم مَن قتلوا ومنهم مَن زنوا. ولكن لم يُوبّخوا كثيرًا مثل الذين عوقبوا لأنّهم حلفوا وكذبوا. وإنّ نبوكدنصّر الملك الشرّير الذي سلِّمت كلّ الأرض إلى يده، حين استسلم إليه شعب إسرائيل، اقتاد منهم رهائن إلى بابل، وترك الباقين وملوكهم في أرضهم، بعد أن قطعوا عهدًا بدون حلفٍ قائلين: نخدمك. فقطع يوياقيم العهد بدون حلف، وبعدئذ تمرّد وكذب وحين كذب قُتل. وأقام ملك بابل بعده في المُلك يوياكين ابنه الذي قطع عهدًا من دون حلف. قال: لن أتمرّد. وكذب بعهده وتمرّد على ملك بابل. حينئذ أرسل نبوكدنصّر فقيَّده بسلاسل واقتاده إلى بابل. وكان هناك في السجن سبعًا وثلاثين سنة. وأقام نبوكدنصّر على المُلك صدقيا عمَّه. حينئذ فكّر نبوكدنصّر وطلب المشورة: كيف أتركه في الملك، كيف أعرف أنّه لا يتمرّد؟ فقال له مستشاروه: إسأل الكهنة الذين يعرفون الناموس. فدعا نبوكدنصّر الكهنة وقال لهم: بماذا أعرف أنّكم تخدمونني ولا تتمرّدون عليّ؟ فقالوا له: نحن وملكنا نحلف لك بإله إسرائيل، ونُقيم عهدًا بقربان يصعد على المذبح. حينئذ قال نبوكدنصّر: أنا أحلّفكم بإله إسرائيل، فإن كذبتم عليه بالحلف يسلّمكم إلى يديّ. ولا أحلّفكم بآلهة بابل. حينئذ جاء صدقيا الملك والكهنة والعظماء بعجل، ووضعوا أيديهم على رأس العجل وذبحوه. وأخذ الكهنة من دم العجل وأراقوه حول المذبح. وأصعدوا الشحم على المذبح محرقةً. وأخذوا العجل وقطعوه اثنين، وعبر بين الجزئين عظماء يهوذا والكهنة ومعلّمو الشعب وصدقيا الملك. وقطعوا عهدًا حالفين بإله إسرائيل: لن نتمرّد، فصدّقهم نبوكدنصّر (حز ١٧: ١٣-١٤).

وبعد هذا كذبوا حلفهم بإله إسرائيل، وتمرّدوا على ملك بابل. وفي

هذا الوقت تنبّأ لهم إرميا وحزقيال. إرميا في أورشليم، وحزقيال في سَبْي بابل. فحين كذبوا بحلفهم وتمرّدوا دعاهم إرميا النبيّ: «يا رجال يهوذا، ويا سكّان أورشليم، ويا صدقيا الملك ويا كلّ يهوذا. أخدموا ملك بابل لتبقوا أحياء، ولا تكذبوا بالحلف الذي حلفتم. أذكروا العجل الذي قطعتموه وعبرتم بين قِسمَيه» (إر ٢٧ : ١٢)، فلم يسمعوا للنبيّ. وحين أكثر كلامه أخذوه ورموه في جبّ موحل، وقال بعضهم: «تعالوا نضربه بلسانه ولا نسمع ما يقول» (إر ١٨ : ١٨).

٦٥ وأرسل حزقيال يقول لهم من بابل: «لا تكذبوا بحلف إله إسرائيل الذي حلفتم به». فلم يسمعوا له. وإذ لم يسمعوه، قال متنبّئًا: «حيّ أنا، يقول ربّ الأرباب. إنّ صدقيا كذّب إله إسرائيل، واحتقر حِلْفه وأبطل عهده، فسأردّ كذبه على رأسه» (حز ١٧ : ١٦). ودعاهم إرميا مُحذّرًا إيّاهم: «تعبدوا (لملك بابل فتبقوا أحياء، ولا تصير هذه المدينة للخراب» (إر ٢٧ : ١٧). فلم يسمعوا له أيضًا. وحين كذبوا في الحلف ولم يسمعوا للأنبياء جاء عليهم جيش الكلدانيّين، وأحاط بأورشليم من السنة التاسعة لصدقيا إلى السنة الحادية عشرة. وإذ كانوا مُعاندين قال لهم إرميا: «أخرجوا إلى ملك بابل، تبقوا أحياء ولا تموتوا» (٢٨ : ١٧؛ ٢٧ : ١٣). فلم يسمعوا. وظلّت المدينة في الضيق زمنًا طويلاً، حين أحاط بها الكلدانيّون تسعة عشر شهرًا، من العاشر من الشهر العاشر من السنة التاسعة، الذي هو كانون الثاني، إلى الشهر الخامس من السنة الحادية عشرة الذي هو آب. وأُخِذت المدينة في التاسع من الشهر الخامس.

ودخل الكلدانيّون أورشليم، وأحرقوا بيت الله الذي حلفوا فيه وكذبوا، واقتلعوا المذبح الذي أصعدوا عليه عطرًا ناقصًا لعجل الحلف. وأخذوا كلّ أواني الخدمة من بيت إله إسرائيل. وأحرقوا

بيوت العظماء الذين حلفوا وكذبوا، وخرج الكهنة إلى السبي وذهبوا إلى بابل. وحين هرب صدقيا وخرج من المدينة، أدركه جيش الكلدانيّين في سهل أريحا، فقيّدوه بسلاسل هو والعظماء الذين حلفوا معه، واقتادوه إلى ملك بابل في أرض حماة. وكُتب: أعلن عليه الحكم قائلاً له: لماذا كذبت حين حلفت بإله إسرائيل. ها أنا أعيده على رأسك. واقتلع له عينيه وقيّده بالسلاسل بعد أن ذبح أبناءه أمام عينيه، وذبح العظماء الذين حلفوا وكذبوا. واقتاده أسيرًا إلى بابل، فكان هناك إلى يوم موته. خرّب الربّ أورشليم من أجل حلفٍ كاذب، ووهب مملكتهم لنبوكدنصّر الذي آمن بالله الذي يُطالب بالحلف.

٦٦ لهذا نبّهنا مُحيينا: «لا تحلفوا بنفوسكم» (مت ٥: ٣٤، ٣٦)، لأنّ الربّ لا يُزكيّ مَن يحلف باسمه كاذبًا. فحين يُعلِّم الإنسان فمه على الحلف، فهو يعثر في كلّ وقت. علَّم لسانه على الحلف، فكان له لسانه سبيلاً للتعدّي على الحلف. نحن نعرف، يا عزيزي، أنّ أناسًا كثيرين من إخوتنا حلفوا وكذبوا، وفرضوا على الآخرين فحلفوا فقتلوا نفوسهم، وأماتوا رفاقهم لأنّهم تجاوزوا الوصيّة التي علّمنا إيّاها مخلّصنا.

خيرات هذا العالم زائلة

٦٧ لا نتّكل على هذا العالم، فكلّ ما فيه مبنيّ على الرمل. فالعالم لا يثبت هو وما فيه، وتطير شهواته على أجنحة خفيفة. يدخل إليه بنو آدم عُراةً، ويخرجون منه كما جاؤوه. يركضون وراء الغنى ولا يمتلكونه، بل يؤخذ منهم ويُوهب لآخرين. يلدون الأبناء ولا يفرحون بهم، لأنّه يحدث أن يذوقوا المرارة منهم، بعضهم حين يموتون وبعضهم حين يُسبون والذين يبقون يُهينون والديهم. والذين يقتنون أصدقاء لا

يتّكلون عليهم، لأنّهم ينقلبون سريعًا كالعجلة. والذين يبنون البيوت وينصبون الكروم، لا يفرحون بها كثيرًا، لأنّ أعداءهم يتعدّون على خيراتهم فيرونها ويرون نفوسهم معذّبين أمام عملهم الذي صار لآخرين. والذين يبنون المدن ويقيمون في القرى، يحدث لهم أن لا يُترَكوا فيها. يسبيهم أعداؤهم فيصبحون غرباء عن مكان وُلِدوا فيه. والذين يتزوّجون نساء ويريدون أن يفرحوا، يموتون ويزولون في وقت قصير، وتصير نساؤهم لآخرين لن يحملوا أبدًا اسمهم. والذين يركضون ويشقون ويجمعون الكنوز، لا يقرّبون أيديهم من ثرواتهم، وتكون هذه الكنوز بعد موتهم لغيرهم الذين يتنعّمون بخيرات رفاقهم. والنساء اللواتي سعين إلى التبرّج وفكّرن أنّهن يفرحن بلباسهن، فبعد وقت قصير ستمزّق هذه الثياب على جثثهن.

هذا هو البناء الذي وُضع على الرمل، ولا ثقة لنا بأن يثبت. أمّا كنزنا ففي أرض موعدنا. وحيث يكون كنزنا هناك يكون فكرنا (مت ٦ : ٢١). ليس أعظم من مخافة الله، ويُمدح الرجل الذي يحفظ وصاياه. كثيرون يُدعون حكماء، ولكن لا حكمة تُقابل مخافة الله.

خاتمة

٦٨ كتبت لك هذا القليل، يا عزيزي، لأذكّرك بما طلبته منّي وبما لم تسألني عنه، فتستفيد أنت، وأجد أنا عونًا. مَن يُعطي يفرح، ومَن يأخذ يُسبِّح. مَن يزرع على الرجاء ينتظر الغلال، والأرض المزروعة التي يسقط فيها الزرع تعطي ثمارًا وتُفرح الفلّاح. فالذي له ويعطي، يقدر أن يسأل وينال. ومَن له ويمنع يكون سارقًا. مَن أخذ الفضّة وبيّن الربح، يقبل المجد والسلطان وعشر وزنات، ومَن أخفاها تؤخذ منه الوزنة، ويُرسل إلى مكان العبيد الكسالى. مَن يُعطي ممّا لا يأخذ لا ينقصه شيء. ومَن طلب أن يأخذ من كنز ربّه، يدعوه ربّه أن يأخذ

أيضًا، وما أخذه يعطيه إيّاه كما أخذه.

٦٩ كتبت لك هذه الرسالة يا عزيزي في شهر آب من السنة ستمائة وستّ وخمسين[١١] لمُلك الإسكندر بن فليبس المقدونيّ، وفي السنة السادسة والثلاثين لشهبور الملك الفارسيّ الذي أثار الاضطهاد، وفي السنة الخامسة التي فيها اقتلعت الكنائس، وفي السنة التي صار فيها تهلكة عظيمة للشهداء في أرض المشرق. بعد أن كتبت لك هذه الفصول الاثنين والعشرين الأولى، التي وضعت الواحد بعد الآخر حسب الحروف، اقرأ هذه المقالة وتعلّم، واذكر صديقك.

تمّت المقالة في خصلة العنب

الحواشي

(١) صار الإنسان ترابًا، والحيّة تأكل التراب.
(٢) كذا في السريانيّة، في العبريّة (عد ٢١ : ١): عراد وهي مدينة تبعد ٣٠ كلم إلى الشرق من بئر سبع في الجنوب.
(٣) إشارة إلى سفينة نوح.
(٤) أو: سلمون (را ٤ : ٢٠).
(٥) أو: سلمون.
(٦) أي سفر التكوين.
(٧) كذا في النص. في الأصل: يابين، رج (قض ٤ : ٢).
(٨) في الأصل السريانيّ: عكرون.
(٩) الجمع الحقيقيّ هو ٦٦٢ سنة.
(١٠) إستراحت أي: لم تُفلح ولم تُزرع.
(١١) أي سنة ٣٤٥.

فهرس المحتويات

تصميم الغلاف : جان قرطباوي

الصفّ والإخراج : شركة الطّبع والنّشر اللّبنانيّة
(خليل الديك وأولاده)

الطّباعة : مؤسّسة دكّاش للطّباعة

١٤١٢-٦,٠-١٥/٤/٢٠٠٧

منشورات:
دار المشـرق ش.م.م.
ص.ب: ١٦٦٧٧٨
الاشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان

التوزيع:

صدر في سلسلة «التراث الروحيّ»

١ - **أناشيد من الشرق**، اختارها ونقلها إلى العربيّة جورج يونس.

٢ - **إعترافات القدّيس أغوسطينوس**، نقلها إلى العربيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.

٣ - **شرح رسالة القدّيس يوحنّا الأولى للقدّيس أغوسطينوس**، نقلها إلى العربيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.

٤ - **خواطر فيلسوف في الحياة الروحيّة للقدّيس أغوسطينوس**، نقلها إلى العربيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.

٥ - **مجموعة الرسائل الروحيّة ليوحنّا الدلياتيّ، الشيخ الروحانيّ**، نقلها عن السريانيّة وقدّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ.

٦ - **كتاب الصلوات، لغريغوريوس الناريكيّ**، نقله عن الفرنسيَّة الأب جورج عقل اليسوعيّ.

٧ - **أفراهاط الحكيم الفارسيّ: المقالات**، نقلها إلى العربيّة وقدّم لها الخوري بولس الفغالي.

٨ - **أقوال الشيوخ، حِكَم آباء البرِّيَّة**، اختارها ونقلها إلى العربيّة الأب كميل حشيمه اليسوعيّ.

٩ - **ثيودورُس أسقف المصّيصة: العظات التعليميّة**، نقلها إلى العربيّة وقدَّم لها الخوري بولس الفغالي.

١٠ - **الرياضة الروحيَّة أو الحاشية في تدبير رياضة المتروّضين للمطران جرمانوس فرحات**، حقَّقها وقدَّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ.

١١ - **مجموعة الميامر الروحيَّة ليوحنّا الدلياتيّ، الشيخ الروحانيّ**، نقلها عن السريانيَّة وقدَّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ.

١٢ - **مدينة الله للقدّيس أَوْغُسطينُس، المجلَّد الأوَّل (الكتب ١-١٠)**، نقله عن الفرنسيَّة الخورأسقف يوحنَّا الحلو.

١٣ - **مدينة الله للقدّيس أَوْغُسطينُس، المجلَّد الثاني (الكتب ١١-١٧)**، نقله عن الفرنسيَّة الخورأسقف يوحنَّا الحلو.

١٤ - **مدينة الله للقدّيس أَوْغُسطينُس، المجلَّد الثالث (الكتب ١٨-٢٢)**، نقله عن الفرنسيَّة الخورأسقف يوحنَّا الحلو.

١٥ - **ميتوديوس الأولمبيّ: الوليمة**، نقله عن الفرنسيَّة الأب صبحي حموي اليسوعيّ.

١٦ - **القدّيس أَوْغُسطينُس: محاورة الذات**، نقله عن اللاتينيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.

١٧ - **أرِسْتيدُس الفيلسوف الأثينائيّ: الدفاع (بحسب رواية بَرْلَعام ويوآصاف)**، نقله إلى العربيّة وقدَّم له وعلَّق عليه ووضَعَ فهارسه الأب جوزيف كميل جبارة.